2272
.7017
.349
v.3-4

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE
NOV 17 DEC 15 77
JUN 15 2008
JUN 15 2009

PRINCETON UNIV

a32101 002092862b

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصرى

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة المرينية

الجزء الثالث

تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السعادة :
الاستاذ جعفر الناصرى — والاستاذ محمد الناصرى

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب
الدار البيضاء
١٩٥٥

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصرى

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة المرينية

الجزء الثالث

تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السعادة :

الاستاذ جعفر الناصرى — والاستاذ محمد الناصرى

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة المرينية

الخبر عن دولة بنى مرين ملوك فاس والمغرب

وذكر أوليتهم وأصلهم

اعلم أن العلامة الرئيس أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله قسم جيل زناتة الى طبقتين ، الطبقة الاولى هى التى كان منها مغراوة ملوك فاس ، وبنو يفرن ملوك سلا ، وقد تقدم الكلام على دولتهم مستوفى، والطبقة الثانية هى التى كان منهم بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط وبنو مرين ملوك فاس والمغرب الاقصى ، وهؤلاء هم الذين تعلق الغرض الان بذكرهم .

فاعلم أن جيل زناتة فى المغرب كما قال الرئيس المذكور جيل قديم معروف العين والاثر وهم لهذا العهد ءاخذون من شعار العرب فى سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتقلب فى الارض وايلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والاباية من الانقياد الى النصفة ، وشعارهم من بين البربر اللغة التى يتراطنون بها وهى مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر ، ومواطنهم فى سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب

فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم ، قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحى افريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد، وأذعنوا لحكمهم ، والاكثر منهم بالمغرب الاوسط حتى أنه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ، ومنهم بالمغرب الاقصى أمم أخر ، وكان بنو مرين منهم قبل استيلائهم على ملك المغرب احياء ظواغن بمجالات القفر من فيجج الى سجلماسة الى ملوية ، وربما يخطون فى ظعنهم الى بلاد الزاب ويذكر نسابتهم أن الرياسة كانت فيهم فى تلك العصور لمحمد بن ورزيز بن

2272
.7017
.349
v.3 -4

فكوس بن كرماط بن مرين ، ومرين يتصل نسبه بزانا بن يحيى أبى الجيل

وكان لمحمد المذكور سبعة من الولد اثنان منهم شقيقان وهم حمامة وعسكر وخمسة أبناء علات ، وكان يقال لهم بلسان زناتة ثيربعين ومعناه الجماعة

ويزعمون أن محمد بن ورزيز لما هلك قام بأمره فى قومه ابنه حمامة بن محمد وكان الاكبر من ولده ثم من بعده شقيقه عسكر بن محمد ثم من بعده ابنه المخضب بن عسكر وهلك سنة أربعين وخمسمائة فى بعض الحروب (*) التى كانت بين عبد المومن والمرابطين

ثم قام بأمر بنى مرين بعد المخضب ابن عمه أبو بكر بن حمامة بن محمد الى أن هلك فقام بامرهم ابنه أبو خالد محيو بن أبى بكر ولم يزل مطاعا فيهم الى أن استنفرهم يعقوب المنصور الى غزوة الارك بالاندلس فشهدوها وأبلوا فيها البلاء الحسن ، وأصابت محيو بن أبى بكر يومئذ جراحات هلك منها بصحراء الزاب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكان من رياسة عبد الحق ابنه من بعده وبقائها فى عقبه ما نذكره ان شاء الله .

الخبر عن دخول بنى مرين آرض المغرب الاقصى

واستيلائهم عليه والسبب في ذلك

كان السبب فى دخول بنى مرين لهذا القطر المغربى أنه لما كانت وقعة العقاب بالاندلس سنة تسع وستمائة وهزم الناصر وهلك الجمهور من حامية المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من أهلها ثم حدث عقب ذلك الوباء العظيم الذى تحيف الناس الاقليلا وهلك الناصر سنة عشر بعدها فبايع الموحدون ابنه يوسف المنتصر وهو يومئذ صبى حدث لايحسن التدبير ،وشغلته مع ذلك أحوال الصبا ولذات الملك عن القيام بأمر الرعية فتضافرت هذه الاسباب على الدولة الموحدية فأضعفتها لحينها وأمرضتها المرض الذى كان سببا لحينها ،

(*) انظر هذه الحروب فى الذخيرة السنية صفحة ١٨ وما بعدها طبع الجزائر

وكان بنو مرين يومئذ موطنين ببلاد القبلة من زاب افريقية الى سجلماسة ، يتنقلون فى تلك القفار والصحارى لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تنالهم الدولة بهضيمة ولا يؤدون اليها ضريبة كثيرة ولا قليلة ولا يعرفون تجارة ولا حرثا انما شغلهم الصيد وطراد الخيل والغارات على أطراف البلاد

وكانت طائفة منهم ينتجعون تخوم المغرب وتلوله زمان الربيع والصيف فيكتالون من أطراف البلاد ما يحتاجون اليه من الميرة ويرعون فيها تلك المدة أنعامهم وشاءهم حتى اذا أقبل فصل الشتاء اجتمع نجعهم باكرسيف ثم شدوا الرحلة الى بلادهم فكان ذلك دأبهم على مر السنين

فلما كانت سنة عشر وستمائة أقبل نجعهم على عادته للارتفاق والميرة حتى اذا أطلوا على المغرب من ثناياه ألقوه قد تبدلت أحواله وبادت خيله ورجاله وفنيت حماته وأبطاله وعريت من أهله أوطانه وخف منها سكانه وقطانه ووجدوا البلاد مع ذلك طيبة المنبت خصيبة المرعى غزيرة الماء واسعة الاكناف فسيحة المزارع متوفرة العشب لقلة راعيها مخضرة التلول والربا لعدم غاشيها فأقاموا بمكانهم وبعثوا الى اخوانهم فأخبروهم بحال البلاد وما هى عليه من الخصب والامن وعدم المحامى والمدافع ، فاغتنموا الفرصة وأقبلوا مسرعين بنجعهم وحللهم وانتشروا فى نواحى المغرب وأوجفوا عليها بخيلهم وركابهم واكتسحوا بالغارات والنهب بسيطها ولجأت الرعايا الى حصونها ومعاقلها وتم لهم ما أرادوا من الاستيلاء على بسيط المغرب وسهله وانتجاع مواقع طله ووبله.

الخبر عن رياسة الامير ابى محمد عبد الحق بن محيو المرينى رحمه الله

لما دخل بنو مرين المغرب كان الامير عليهم يومئذ عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة بن محمد المرينى ، فكثر عيثهم وضررهم بالمغرب وأعضل داؤهم وتضاعف على الرعية بلاؤهم فرفعت الشكايات بهم الى الخليفة بمراكش وهو يومئذ يوسف المنتصر بن الناصر بن المنصور فجهز لهم جيشا

كثيفا من عشرين ألفا وعقد عليه لابى على بن وانودين وكتب له الى صاحب فاس السيد أبى ابراهيم بن يوسف بن عبد المومن يأمره بالخروج معه لغزو بنى مرين والاثخان فيهم وعدم الابقاء عليهم مهما قدر على ذلك

واتصل الخبر ببنى مرين وهم فى جهات الريف وبلاد بطوية فتركوا أثقالهم وعيالهم بحصن تازوطا من أرض الريف وصمدوا الى الموحدين فالتقى الجمعان بوادى نكور (*) فكان الظهور لبنى مرين على الموحدين فهزموهم وقتلوهم وامتلات الايدى من أسلابهم وأمتعتهم ورجع الموحدون الى فاس يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة لكثرة الخصب يومئذ واعتمار الفدن بالزرع وأصناف الباقلى فسميت تلك السنة يومئذ بعام المشعلة وهى سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ثم زحف الامير عبد الحق فى ذى الحجة من السنة المذكورة بجموع بنى مرين الى رباط تازة(*)حتى وقف بازاء زيتونها فخرج عاملها لحربه فى جيش كثيف من الموحدين والعرب والحشد من قبائل تسول ومكناسة وغيرهم فقتلت بنو مرين العامل المذكور وهزموا جيوشه

وجمع عبد الحق الاسلاب والخيل والسلاح وقسم ذلك كله فى قبائل بنى مرين ، ولم يمسك منها لنفسه شيئا وقال لبنيه : اياكم أن تأخذوا من هذه الغنائم شيئا فانه يكفيكم منها الثناء والظهور على أعدائكم

(*) وتمت المعركة بحفص الوادى ما بين رباط تازا والمقرمدة (الذخيرة السنية ص ٢٧ طبع الجزائر)

(*) راجع الذخيرة السنية فى أخبار الدولة المرينية صفحة ٣١ طبع الجزائر

٧

حرب بنى مرين مع عرب رياح ومقتل الامير عبد الحق رحمه الله

لما انتصر بنو مرين على أعدائهم الموحدين حصل فى نفوس بنى عسكر ابن محمد من عشيرتهم نفاسة عليهم وضاقت صدورهم من استقلال بنى عمهم حمامة بن محمد بالرياسة دونهم ، فخالفوا الامير عبد الحق وعشيرته الى مظاهرة الموحدين وأوليائهم من عرب رياح ، وكانت رياح يومئذ أشد قبائل المغرب قوة وأقواهم شوكة وأكثرهم خيلا ورجالا لحدوث عهدهم بالعز والبداوة ، فأغراهم الموحدون يومئذ ببنى مرين لينتصفوا لهم منهم واتفقت كلمتهم عليهم وسمعت بنو مرين باقبال العرب والموحدين وبنى عسكر اليهم ، فاجتمعوا الى أميرهم عبد الحق فقالوا له : ما ترى فى أمر هؤلاء العرب المقبلين الينا ؟ فقال : يامعشر مرين أما مادمتم فى أمركم مجتمعين ، وفى آرائكم متفقين وكنتم على حرب عدوكم أعوانا وفى ذات الله اخوانا ، فلا أخشى أن ألقى بكم جميع أهل المغرب وان اختلفت أهواؤكم وتشتت آراؤكم ظفر بكم عدوكم فقالوا له : «انا نجددلك الان بيعة على السمع والطاعة وأن لا نختلف عليك ولانفر عنك أو نموت دونك فانهض بنا اليهم على بركة الله» فنهض الامير عبد الحق فى جموع بنى مرين فكان اللقاء بمقربة من وادى سبو على أميال من تافرطاست فكانت بينهم حرب بعد العهد بمثلها وقتل فيها الامير عبد الحق وكبير أولاده ادريس

ولما رأت بنو مرين ما وقع بأميرها وابنه حميت وغضبت وأقسمت بايمانها أن لايدفن حتى يأخذوا بثاره فصمموا العزم لقتال رياح واستأنفوا الجد لقراعهم ، وصبروا صبرا جميلا فنصرهم الله على عدوهم فهزموا رياحا وقتلوا منهم خلقا كثيرا وشردوهم فى الشعاب والاودية ورؤوس الهضاب ، واحتووا على ما كان فى محلتهم من السلاح والخيل والاثاث ، وقام بأمر بنى مرين بعد هلاك عبد الحق ابنه عثمان على ما نذكره ان شاء الله

٨

بقية اخبار الامير عبد الحق وسيرته

قالوا كان الامير عبد الحق المرينى مشهورا فى قومه بالتقى والفضل والدين ، موسوما بالصلاح وصحة اليقين معروفا بالورع والعفاف ، موصوفا فى سيرته بالعدل والانصاف يطعم الطعام ويكفل الايتام ويوثر المساكين ، ويحنو على المستضعفين وكانت له بركة معروفة ودعوة مستجابة موصوفة وكانت قلنسوته وسراويله يتبرك بهما فى جميع أحياء زناتة ، وكانوا يحملون فضلة وضوئه فيستشفون بها لمرضاهم وكان يسرد الصوم فلا يزال صائما طول عمره فى الحر والبرد لايرى مفطرا الا فى أيام الاعياد ، كثير الذكر والاوراد لايفتر عنها فى سائر الحالات متحريا لاكل الحلال لايقتات الا من لحوم ابله وألبانها أو ما يعانيه من الصيد ، معظما فى بنى مرين مطاعا فيهم يقفون عند أمره ولا يصدرون الا عن رأيه

حكى ابن أبى زرع عمن حدثه من الثقات أنه قدم على أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق فى وفد من أعيان فاس وفقهائها وذلك فى رمضان سنة ثلاث وثمانين وستمائة والامير يعقوب يومئذ برباط الفتح يريد العبور الى الاندلس برسم الجهاد قال : فجرى فى مجلسه ذكر والده الامير عبد الحق فقال الامير يعقوب «كان الامير عبد الحق رحمه الله صادق القول اذا قال فعل واذا عاهد وفى لم يحلف بالله قط بارا ولا حانثا ولم يشرب مسكرا قط ، ولا ارتكب فاحشة ، تضع الحوامل ببركة ازاره متى عسرت عليهن الولادة وكان يسرد الصوم ويقوم أكثر الليل واذا سمع بخير صالح أو عابد قصد لزيارته ، واستوهب منه الدعاء شديد الخوف من الصالحين متواضعا لهم ، وكان مع ذلك سما لاعدائه قاهرا لهم وما وجدنا الا بركته وبركة من دعا له من الصالحين » .

قالوا : وكان الامير عبد الحق فى ابتداء أمره قليل الاولاد فرأى ذات ليلة فى منامه كأن شعلا أربعا من نار خرجن منه فعلون فى جو المغرب ثم احتوين على

جميع أقطاره ، فكان تأويلها تمليك بنيه الاربعة من بعده وهذا مثل الرؤيا التى رآها عبد الملك بن مروان من بوله فى المحراب أربع مرات فكان تأويلها أن ولى الخلافة أربعة من بنيه الوليد وسليمان ويزيد وهشام

وكان للامير عبد الحق تسعة من الولد : ادريس وهو أكبرهم وقتل معه فى حرب رياح وعثمان ومحمد وأبوبكر ويعقوب وهؤلاء الاربعة هم الذين ولوا الامر بعده ، وعبد الله وعبد الرحمن ويقال له بلسانهم رحو وزيان وأبو عياد وبنت هى العاشرة والله أعلم

الخبر عن رياسة الامير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله

لما فرغ بنو مرين من حرب رياح ورجعوا من اتباعهم اجتمعوا الى الامير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق وكان أكبر بنى أبيه بعد ادريس فعزوه بمصاب أبيه وأخيه وبايعوه عن رضى منهم فاجتمعت عليه كلمتهم ولما فرغ الامير أبو سعيد من تجهيز أبيه واخيه ودفنهما أقسم أن لايرجع عن حرب رياح حتى يثأر بمائة شيخ منهم فسار اليهم وأثخن فيهم حتى شفا نفسه وأذعنوا الى الطاعة ولاذوا بالسلم ، فسالمهم على اتاوة يؤدونها اليه كل سنة

ثم ضعفت شوكة الموحدين وتداعى أمرهم الى الاختلال وأشرف ملكهم على ربوة الاضمحلال وتقلص ظل حكامهم عن البدو جملة وفسدت السابلة واختلط المرعى بالهمل

فلما رأى الامير أبو سعيد ما عليه أمر الموحدين من الضعف وما نزل برعايا المغرب من الجور والعسف جمع أشياخ مرين وندبهم الى القيام بأمر الدين والنظر فى مصالح المسلمين فأسرعوا الى اجابته وبادروا لتلبية دعوته ، فسار بهم أبو سعيد فى نواحى المغرب يتقرى مسالكه وشعوبه ويتتبع تلوله ودروبه ويدعو الناس الى طاعته والدخول فى عهده وحمايته ، فمن أجابه منهم أمنه ووضع عليه قدرا معلوما من الخراج ، ومن أبى عليه نابذه وأوقع به فبايعه من قبائل المغرب هوارة وزكارة ثم تسول ومكناسة ثم بطوية وفشتالة ثم سدراتة وبهلولة ومديونة ففرض عليهم الخراج وفرق فيهم العمال ، ثم

فرض على أمصار المغرب مثل فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول على أن يكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم

ثم لما كانت سنة عشرين وستمائة غزا بلاد فازاز ومن بها من ظواعن زناتة فأثخن فيهم حتى أذعنوا للطاعة وقبض أيديهم عن اذاية الناس بالغارات والنهب فى الطرقات

ثم فى سنة احدى وعشرين بعدها غزا عرب رياح أهل أزغار وبلادالهبط فأثخن فيهم حتى كاد يأتى عليهم ولم يزل دأبه ذلك من تدويخ بلاد المغرب وأقطاره حتى هلك باغتيال علج له كان رباه صغيرا ،فشب وسول له الشيطان الفتك به فترصد غرته وطعنه بحربة فى منحره فمات لوقته سنة ثمان وثلاثين

وكان ذا نجدة وشجاعة وعزم وكرم وايثار مكرما للفقهاء وأهل الصلاح سالكا فى ذلك سنن أبيه رحمه الله

الخبر عن رياسة الامير ابى معرُف محمد بن عبد الحق رحمه الله

لما هلك الامير أبو سعيد قام بالامر بعده أخوه أبو معرف محمد بن عبد الحق ، فاقتفى سنن أخيه فى تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم من باديته ، وبعث الرشيد بن المامون صاحب مراكش قائده أبا محمد بن وانودين لحرب بنى مرين وعقد له على مكناسة فأجحف بأهلها فى المغارم ، ثم نزل بنومرين فى بعض الاحيان بنواحيها وأجلبوا عليها فنادى أبو محمد فى عسكره وخرج اليهم فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين ، وبارز محمد بن ادريس بن عبد الحق قائدا من قواد الفرنج فاختلفا ضربتين هلك العلج باحداهما وجرح محمد بالاخرى فاندمل جرحه وصار أثرا فى وجهه لقب من أجله بأبى ضربة ، ثم شد بنو مرين على الموحدين فانكشفوا ورجع بن وانودين الى مكناسة مفلولا

وبقى بنو عبد المومن من أثناء ذلك فى مرض من الايام وتثاقل عن الحماية ثم أومضت دولتهم ايماضة الخمود وذلك أنه لما هلك الرشيد بن المامون سنة

أربعين وستمائة وولى أخوه على وتلقب بالسعيد وبايعه أهل المغرب انصرفت عزائمه الى غزو بنى مرين ، وقطع أطماعهم عما سمت اليه من تملك المواطن فجهز عساكر الموحدين لقتالهم ومعهم قبائل العرب والمصامدة وجموع الفرنج فنهضو سنة اثنتين واربعين وستمائة فى جيش كثيف يناهز عشرين ألفا ، فسمع الامير أبو معرف باقبالهم فاستعد لقتالهم وزحف اليهم فكان اللقاء بموضع يعرف بصخرة أبى بياش من أحواز فاس فدارت بينهم حرب شديدة وصبر الفريقان ، ولما كان عشى النهار قتل الامير أبو معرف بن عبد الحق فى الجولة بيد زعيم من زعماء الفرنج تحاملا فعثر فرس أبى معرف به ، وأمكنت العلج فيه الفرصة فاغتنمها وطعنه فمات ، فانهزمت بنو مرين وتبعهم الموحدون فاتخذوا الليل جملا وأسروا طول ليلتهم بحللهم وعيالاتهم وأموالهم فأصبحوا بجبال غياثة من نواحى تازا فاعتصموا بها أياما ثم خرجوا الى بلاد الصحراء وولوا عليهم أبا بكر بن عبد الحق على ما نذكره ، وكانت هذه الوقعة وهلاك الامير أبى معرف عشية يوم الخميس تاسع جمادى الاخرة سنة اثنتين وأربعين وستمائة

الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله

هذا الامير هو الذى رفع من راية بنى مرين وسما بها الى مرتبة الملك وكنيته أبو يحيى وهو أول من جند الجنود منهم ، وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلاد واكتسب الطارف والتلاد . بايعه بنو مرين بعد مهلك أخيه أبى معرف فى التاريخ المتقدم فكان أول ما ذهب اليه ورآه من النظر لقومه : أن قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين بنى مرين وأنزل كلا منهم بناحية منه سوغهم اياها سائر الايام طعمة لهم وأمر كل واحد من أشياخ بنى مرين أن يستركب الرجل ويستلحق الاتباع فحسنت حالهم وكثرت غاشيتهم وتوفرت جموعهم

١٢

استيـــلاء الامير أبى بكر على مكناسة

وبيعة أهلها لابن ابى حفص بواسطته

ثم سار الامير أبو بكر بمحلته فنزل جبل زرهون ودعا أهل مكناســة الى بيعة الامير أبى زكرياء بن أبى حفص صاحب افريقية لانه كان يومئذ على دعوته وفى ولايته ، وحاصرها وضيق عليها بمنع المرافق وترديد الغارات الى أن أذعنوا لطاعته ، فافتتحها صلحا بمداخلة أخيه يعقوب بن عبد الحق لزعيمهــا أبى الحسن ابن أبى العافية وبعثوا ببيعتهم الى الامير أبى زكرياء الحفصــى ، وكانت البيعة من انشاء أبى المطرف بن عميرة المخزومى وكان من أعلام ذلك العصر ومشاهيره ، ولى القضاء لبنى عبد المومن بمدينــة سلا ، ثم استقضــوه بعدها بمكناسة فشهد هذه القضية وكتب البيعة

ولما فتح الامير أبو بكر مكناسة أقطع أخاه يعقوب ثلث جبايتها جزاء لــه على وساطته وكان فتح مكناسة سنة ثلاث واربعين وستمائة ، ثم آنس الامير أبوبكر من نفسه الاستبداد ومن قبيله الاستيلاء فاتخذ الالة لذلك وسما بنفسه الى مرتبة الملك وأعد له عدته وانتهى الخبر الى السعيد صاحب مراكــش بتغلب الامير أبى بكر على مكناسة وصرفها لابن أبى حفص فوجم لها وفاوض الملا من أهل دولته فى أمره وأراهم كيف اقتطع الامر عنهم شيئا فشيئا حتى لم يبق بيدهم الا قرارة مراكش وما حولها بعد امتداد ظل ملكهم على المغربين وافريقية والاندلس

ثم نهض السعيد من مراكش سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكناسة وبنى مرين أولا ، ثم تلمسان ويغمراسن بن زيان ثانيا ثم افريقية وابن أبى حفص آخرا

ولما وصل الى وادى بهت عرض جيوشه وميزها واتصل الخبر بالامير أبى بكر وهو بمكناسة فخرج وحده ليلا يتجسس الاخبار ويستطلع أحوال السعيد وجموعه فتقدم حتى أشرف على محلة السعيد من كثب ولا علم لاحدبه

فرأى مالا طاقة له به ورأى من الرأى أن يتخلى للسعيد عن البلاد ولا يناجزه الحرب فلحق بمكناسة واستدعى بنى مرين من أماكنهم التى عين لهم ، فتلاحقوا به وساروا الى قلعة تازوطا من بلاد الريف فتحصنوا بها

وتقدم السعيد الى مكناسة فتلقاه أهلها خاضعين مستشفعين اليه بشيوخهم وصبيانهم فعفا عنهم ، ثم سار الى فاس فنزل بظاهرها من ناحية القبلة وخرج اليه أشياخها فسلموا عليه وسألوه الدخول الى البلد فتكرم عنهم وأبى ، ثم ارتحل الى رباط تازا فنزل بظاهرها وهناك بعث اليه الامير أبوبكر ببيعته فقبلها وكتب له ولقومه بالامان وكان فيما خاطبه به الامير أبوبكر أن قال له : «ارجع يا أمير المومنين الى حضرتك وأنا أكفيك أمر يغمراسن وأفتح لك تلمسان» فشاور السعيد خاصته فى ذلك فقالوا : « لا تفعل ياأمير المومنين فان الزناتى أخو الزناتى لايسلمه ولا يخذله وانا نخاف أن يصطلحا على حربك» فأسعفهم وكتب الى الامير أبى بكر يقول له : «أقم بموضعك وابعث الى بحصة من قومك» فأمده بخمسمائة من بنى مرين وعقد عليها لابن عمه أبى عياد بن أبى يحيى ابن حمامة

وتقدم السعيد الى تلمسان فكان من هلاكه على قلعة تامزردكت ماقدمناه فى أخبار دولته ، وكان الامير أبو بكر لما نزل حصن تازوطا وأهل ذلك الحصن يومئذ هم بنو وطاس بطن من بنى مرين أجمعوا الفتك به غيرة ونفاسة عليه فدس اليه بذلك بعض شيوخهم وأعلمه بما تواطأوا عليه من غدره فارتحل الامير أبو بكر عنهم الى بنى يزناسن وكانوا نازلين يومئذ بعين الصفا فأقام هنالك معهم حتى رجعت اليه الحصة التى كانت مع السعيد وأعلموه بمقتله وافتراق جموعه فانتهز الامير أبو بكر الفرصة فى فل الموحدين واعترضهم بأكرسيف فاستلبهم وانتزع الالة من أيديهم وأدار اليه كتيبة الفرنج والناشبة من الاغزاز ، واتخذ المركب الملوكى من يومئذ ثم أغذ السير الى مكناسة فدخلها واستولى عليها وأقام بها أياما ثم نهض الى أعمال وطاط وحصون ملوية فافتتحها ودوخ جبالها وذلك أواخر صفر سنة ست وأربعين وستمائة

١٤

استيلاء الامير أبى بكر على فاس وبيعة أهلها له

لما فرغ الامير أبو بكر من فتح حصون ملوية صرف عزمه الى فتح فاس وانتزاعها من يد بنى عبد المومن وكان العامل بها يومئذ السيد أبا العباس من بنى عبد المومن فأناخ عليها الامير أبو بكر بخيله ورجله وتلطف فى مداخلة أهلها وضمن لهم جميل النظر وحميد السيرة وكف الاذى عنهم ، فأجابوه ووثقوا بعهده وغنائه وأووا الى ظله وركنوا الى طاعته وانتحال الدعوة الحفصية بأمره ونبذوا طاعة بنى عبد المومن يأسا من صريخهم فبايعوه بالرابطة خارج باب الشريعة وحضر هذه البيعة الشيخ أبو محمد الفشتالى ونشده الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم وسلوك طريق العدل فيهم فكان حضوره ملاك تلك العقدة والبركة التى يتعرف أثرها خلفهم فى تلك البيعة

ودخل الامير أبو بكر مدينة فاس زوال يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة ست واربعين وستمائة بعد موت السعيد صاحب مراكش بشهرين ، ولما دخل الامير أبو بكر قصبة فاس أمن السيد أباالعباس عامل الموحدين بها وأخرجه من القصبة بعياله وأولاده وبعث معه سبعين فارسا يبلغونه الى مأمنه فأجازوه وادى أم الربيع ورجعوا .

ثم نهض الامير أبو بكر الى منازلة تازا وبها يومئذ السيد أبو على بن محمد أخو أبى دبوس فنازلها أربعة أشهر حتى نزلوا على حكمه فقتل بعضهم ومن على آخرين منهم وسد ثغورها وأقطع أخاه يعقوب بن عبد الحق رباط تازا وحصون ملوية ورجع الى فاس فأقام بها نحو سنة واستقامت له الامور ، وقدمت عليه الوفود وأمر القبائل بالنزول فى البسائط وعمارة القرى والمداشر وأمنت الطرقات وتحركت التجار ورخصت الاسعار وصلح أمر الناس واغتبطوا بولايته

انتقاض أهل فاس على الامير أبي بكر ومحاصرته اياهم

لما استولى الامير أبو بكر على المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرنا نهض في ربيع الاول سنة سبع وأربعين وستمائة الى معدن العوام من بلاد فازاز لفتح بلاد زناتة وتدويخ نواحيها واستخلف على فاس مولاه السعود بن خرباش من جماعة الحشم أحلاف بنى مرين وكان الامير أبو بكر لما فتح فاسا استبقى من كان فيها من عسكر بنى عبد المومن من غير نسبهم على الوجه الذى كانوا عليه من الخدمة مع الموحدين ، وكان من جملتهم طائفة من النصارى نحو المائتين ، وعليهم قائد منهم يقال له شريد الفرنجى فكانوا من حصة السعود هنالك ، فوقعت بينهم وبين شيعة الموحدين من أهل فاس مداخلة وعزم الفاسيون على الفتك بالسعود وتحويل الدعوة الى المرتضى فاجتمعوا الى القاضى أبى عبد الرحمن المغيلى وفاوضوه فى ذلك فوافقهم على رأيهم ، فاستدعوا شريدا وقالوا له : «تقتل هذا الاسود وتضبط البلد حتى نكتب الى المرتضى فيبعث الينا من يقوم بأمرنا» فأجابهم الى ذلك وكان ميله الى الموحدين وهواه معهم لكونه صنيعتهم وكان الذى مشى فى هذه الثورة وتولى كبرها المشرف ولد القاضى المذكور وابن جشار وأخوه وابن أبى طاط وولده

فلما كانت صبيحة الثلاثاء الموفى عشرين من شوال سنة سبع واربعين وستمائة طلع الاشياخ المذكورون الى القصبة للسلام على السعود على عادتهم فى ذلك فدخلوا عليه بمجلس حكمه وهاجوه ببعض المحاورات فغضب وانتهرهم فوثبوا به ونادوا بشعارهم وكان شريد الفرنجى واقفا فى عسكره أمام القصبة قد واطأهم على ذلك فاقتحم على السعود فقتله وقتل معه أربعين من رجاله واحتز العامة رأسه ورفعوه على عصا وطافوا به فى أسواق البلد وسككها واقتحموا القصر فانتهبوه وسبوا الحرم ونصبوا النصرانى لضبط البلد وبعثوا ببيعتهم الى المرتضى صاحب مراكش واتصل الخبر بالامير أبى بكر وهو منازل بلاد فازاز فافرج عنها وأغذ السير الى فاس فاناخ عليها بعساكره وشمر لحصارها وقطع المادة عنها .

وبعث أهل فاس الى المرتضى بالصريخ فلم يرجع اليهم قولا ولا ملك لهم ضرا ولا نفعا ولا وجد لكشف ما نزل بهم حيلة ولا وجها ، سوى أنه استجاش على الامير أبى بكر بيغمراسن ابن زيان صاحب تلمسان وأمله لكشف هذه النازلة عمن انجاش الى طاعته فأجابه يغمراسن الى ذلك وطمع ان يكون ذلك سببا له فى تملك المغرب وسلما للصعود الى ذروة ملكه فاحتشد لحركته ونهض من تلمسان للاخذ بحجزة الامير ابى بكر عن فاس وأهلها .

واتصل بالامير أبى بكر خبر نهوضه اليه لتسعة أشهر من منازلته فاسا ، فجمر الكتائب عليها وصمد اليه قبل فصوله عن تخوم بلاده فلقيه بوادى ايسلى من بسيط وجدة فتزاحف القوم وكانت ملحمة عظيمة هلك فيها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بيد ابراهيم بن هشام من بنى عبد الواد

ثم انكشفت بنو عبد الواد ونجا يغمراسن بن زيان الى تلمسان براس طمرة ولجام وترك محلته بما فيها فاحتوى عليها الامير أبو بكر وانكفأ راجعا الى فاس للاخذ بمخنقها فوصل اليها فى جمادى الاخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة وأناخ عليها بكلكله واستأنف الجد وأرهف الحد وشدد فى الحصار وأيس أهل فاس من اغاثة المرتضى وسقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ولم يجدوا وليجة من دون مراجعة طاعة بنى مرين فسألوا الامير أبا بكر الامان فبذله لهم على غرم ما أتلفوا له بالقصر من المال يوم الثورة وقدره مائة ألف دينار فتحملوها وأمكنوه من قياد البلد فدخلها فى الثالث والعشرين من الشهر المذكور فأقام بها الى رجب الموالى له وطالبهم بالمال فسوفوه وتلووا فى المقال

فلما رأى ذلك منهم قبض على جماعة من أشياخها وأمنائها وأثقلهم بالحديد وطالبهم بالمال والاثاث الذى انتهبوه من القصر فقال له شيخ يعرف بابن الخبا : «انما فعل الذنب مناسته فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ ولو فعل الامير ما أشير به عليه لكان صوابا من الرأى » فقال : « وما ذلك ؟» قال :« تعمد الى هؤلاء النفر الستة الذين سعوا فى الفتنة فتأخذ رؤوسهم وتشرد بهم من خلفهم ثم تأخذنا نحن بغرم المال » فقال : « لعمرى لقد أصبت »

ثم أمر بالقاضى المغيلى وابنه وابن أبى طاط وابنه وابن جشار وأخيه فقتلوا ورفعت على الشرفات رؤوسهم وأخذ الباقين بغرم المال طوعا وكرها قال ابن خلدون : « فكان ذلك مما عبد رعية فاس وقادها لاحكام بنى مرين وضرب الرهب على قلوبهم فخشعت منهم الاصوات وانقادت منهم الهمم ولم يحدثوا بعدها أنفسهم بغمس يدفى فتنة» وكان مقتل النفر المذكورين خارج باب الشريعة يوم الاحد الثامن من رجب المذكور

استيلاء الامير ابى بكر على مدينة سلا ثم ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك

لما أكمل الله للامير أبى بكر فتح مدينة فاس واستوسق أمر بنى مرين بها رجع الى ما كان فيه من منازلة بلاد فازاز فافتتحها ودوخ أوطان زناتة واقتضى مغارمهم وحسم علل الثائرين بها ، ثم تخطى ذلك الى مدينة سلا ورباط الفتح سنة تسع وأربعين وستمائة فملكها وتاخم الموحدين بثغرها ، واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق وعقد له على ذلك الثغر وضم الاعمال اليه

وبلغ الخبر بذلك الى المرتضى بمراكش فأهمه الشأن وأحضر الملا من الموحدين وفاوضهم واعتزم على حرب بنى مرين وسرح العساكر سنة خمسين وستمائة فأحاطت بسلا ثم افتتحوها وعادت الى طاعة المرتضى وعقد عليها لابى عبد الله بن يعلو من مشيخة الموحدين ثم أجمع المرتضى النهوض بنفسه الى بنى مرين فبعث فى المدائن والقبائل حاشرين فأهرعت اليه أمم الموحدين والعرب والمصامدة وغيرهم وفصل من مراكش سنة ثلاث وخمسين وستمائة فى نحو الثمانين ألفا ، ووالى السير حتى انتهى الى جبال بهلولة من نواحى فاس وصمد اليه الامير أبو بكر فى عساكر بنى مرين ومن اجتمع اليهم من ذويهم

والتقى الجمعان هنالك وصدقهم بنو مرين الجلاد فاختل مصاف الموحدين وانهزمت عساكر المرتضى وأسلمه قومه ورجع الى مراكش مفلولا ، واستولى بنو مرين على معسكره واستباحوا سرادقه وانتهبوا فساطيطه وغنموا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهر ، وامتلات أيديهم من الغنائم واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم وكان يوما له ما بعده ، وفى القرطاس أن انهزام جيش المرتضى فى هذه المرة كان عن جولان فرس بين أخبيتهم ليلا فحسبوا أن بنى مرين قد أغاروا عليهم فانهزموا لا يلوون على شىء والله أعلم .

ثم غزا الامير أبو بكر بعد هذا بلاد تادلا فاستباح حاميتها من بنى جابر عرب جشم واستلحم أبطالهم والان من حدهم وخضد من شوكتهم وفى خلال هذه الحروب كان مقتل على بن عثمان بن عبد الحق وهو ابن أخى الامير أبى بكر شعر منه بفساد الدخلة والاجماع للتوثب على الامر فدس لابنه أبى حديد مفتاح ابن أبى بكر بقتله فقتله فى جهات مكناسة سنة احدى وخمسين وستمائة والله تعالى أعلم

استيلاء الامير ابى بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة

لما كانت سنة خمس وخمسين وستمائة نهض الامير أبو بكر الى محاربة يغمراسن بن زيان وسمع به يغمراسن فنهض اليه أيضا ، فكان اللقاء بأبى سنيط فاقتتلوا وانهزم يغمراسن واعتزم الامير أبو بكر على اتباعه فثناه عن رأيه فى ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع

ولما انتهى الى المقرمدة من أحواز فاس بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لمداخلة كانت له من بعض أهلها وعورة أطمعته فى ملكها فأسرع الامير أبوبكر السير بجموعه الى سجلماسة فدخلها قبل وصول يغمراسن اليها بيوم ، ثم جاء يغمراسن حتى نزل خارجها بباب تاحسنت وسقط فى يده

ويئس من غلبة الامير أبى بكر عليها ودارت بينهما حرب تكافأ الفريقان فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق بن أخى الامير أبى بكر ، وانقلب يغمراسن الى بلده وعقد الامير أبو بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن واستعمل على الجباية عبد السلام الاوربى وجعل مسلحة الجند بها لنظر أبى يحيى القطرانى وملكه قيادتهم وانكفأ راجعا الى فاس والله تعالى أعلم .

وفاة الامير ابى بكر رحمه الله

لما رجع الامير أبو بكر من حرب يغمراسن على سجلماسة أقام بفاس أياما ثم نهض الى سجلماسة أيضا متفقدا لثغورها فانقلب منها عليلا ووصل الى فاس فتوفى بقصره من قصبتها أواسط رجب سنة ستوخمسين وستمائةودفن داخل باب الجيزيين من أبواب عدوة الاندلس بازاء الشيخ أبى محمد الفشتالى حسبما أوصى بذلك وتصدى للقيام بالامر بعده ابنه عمر على ما نذكره

الخبرعن دولة ابى حفص الاميرعمر بن ابى بكر بن عبدالحق رحمه الله

لما مات الامير أبو بكر رحمه الله اشتمل العامة من بنى مرين على ابنه أبى حفص عمر فبايعوه ونصبوه للامر وتباروا فى خدمته ، ومالت المشيخة وأهل العقد والحل الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان غائبا عند مهلك أخيه بتازا فلما بلغه الخبر أسرع اللحاق بفاس وتوجهت اليه وجوه الاكابر ، وأحس عمر بميل الناس الى عمه يعقوب فقلق لذلك وأغراه أتباعه بالفتك بعمه فاعتصم بالقصبة ، ثم سعى الناس فى الاصلاح بينهما فتفادى يعقوب من الامر ودفعه الى ابن أخيه على أن تكون له بلاد تازا وبطوية وملوية التى كان أقطعه اياها أخوه من قبل ، فانفصلوا على ذلك وخلص الامر لعمر واستمر بفاس أشهرا الى أن غلب عليه عمه المذكور حسبما نقص عليك

٢٠

الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

هذا السلطان جليل القدر عظيم الشأن وهو سيد بنى مرين على الاطلاق وستسمع من أخباره الحسنة ما يستغرق الوصف ويستوقف السمع والطرف وهو رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا الامر بالمغرب من بنى عبد الحق وكانت أمه واسمها أم اليمن بنت على البطوى رأت وهى بكر كأن القمر خرج من قبلها حتى صعد الى السماء وأشرق نوره على الارض فقصت رؤياها على أبيها فسار الى الشيخ الصالح أبى عثمان الورياكلى فقصها عليه فقال ان صدقت رؤياها فستلد ملكا عظيما فكان كذلك ولما انفصل الامير يعقوب بن عبد الحق عن ابن أخيه عمر بولاية تازا وما أضيف اليها اجتمع اليه كافة بنى مرين وعذلوه فيما كان منه من التخلى عن الملك وحملوه على العود فى الامر ووعدوه من أنفسهم المظاهرة والنصر الى أن يتم أمره فأجاب وبايعوه وصمد الى فاس فبرز الامير عمر للقائه

ولما تراءى الجمعان خذل عمر جنوده وأسلموه فرجع الى فاس مفلولا ووجه الرغبة الى عمه أن يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر ، فأجابه الى ذلك ودخل السلطان يعقوب مدينة فاس فملكها سنة سبع وخمسين وستمائة ونفذت كلمته فى بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وما بين سجلماسة وقصر كتامة واقتصر عمر على امارة مكناسة فتولاها أياما ثم اغتاله بعض عشيرته فقتلوه لنحو سنة من امارته فكفى الامير يعقوب أمره واستقام سلطانه وذهب التنازع والشقاق عن ملكه

وكان يغمراسن بن زيان لما سمع بموت قرنه الامير أبى بكر سماله أمل فى الاجلاب على المغرب فجمع لذلك قومه من بنى عبد الواد واستظهر ببنى توجين ومغراوة ووعدهم ومناهم وأطمعهم فى غيل الاسد ، ثم نهض بهم الى المغرب حتى اذا انتهوا الى كلدمان صمد اليهم الامير يعقوب ففلهم وردهم على أعقابهم ومر يغمراسن فى طريقه بتافرسيت من بلاد بطوية فأحرق وانتسف

واستباح وأعظم النكاية ورجع الامير يعقوب الى فاس واقتفى مذهب أخيه الامير أبى بكر فى فتح أمصار المغرب وتدويخ أقطاره وكان مما اكرمه الله بـه أن فتح أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدى نصارى الاصبنيول فكان له بها أثـر جميل وذكر خالد رحمه الله

استيـلاء نصارى الاصبنيول على مدينة سلا
و ايقاع السلطان يعقوب بهم وطردهم عنها

كان يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق قد استعملهعمه الامير أبو بكـر ابن عبد الحق على مدينة سلا لما ملكها كما ذكرناه ولما استرجعها الموحدون من يده أقام يتقلب فى جهاتها مترصدا للفرصة وامكانها فيها ولما بويع عمـه السلطان يعقوب بن عبد الحق آسفته بعض الاحوال منه فذهب مغاضبا حتـى نزل عين غبولة وألطف الحيلة فى تملك رباط الفتح وسلا ليعتدهما ذريعـة لما أسر فى نفسه من التوثب على الامر فتمت له الحيلة وملك سلا وركـب عاملها أبو عبد الله بن يعلو البحر فارا الى آزمور وخلف أمواله وحرمـه ، فتملك يعقوب بن عبد الله ذلك وتمكن من البلد وجاهر بالخلع ، وصـرف الى منازعة عمه السلطان يعقوب وجوه العزم وتمكنت الوحشة بين اليعقوبين

وداخل يعقوب سلا تجار الحرب من الاصبنيول فـى الامداد بالسـلاح فتباروا فى ذلك وكثرت سفن المترددين منهم اليها حتى كثروا أهلـها وزاد عددهم فعزموا على الثورة بها واهتبلوا فيها غرة عيد الفطر من سنة ثمـان وخمسين وستمائة عند اشتغال الناس بعيدهم وثاروا بسلا فى اليوم الثانى من شوال فوضعوا السيف فىأهلها وقتلوا الرجال وسبوا الحرم وانتهبوا الاموال وكان الحادث بها عظيما وضبطوا البلد وتحصن يعقوب بـن عبد الله برباط الفتح

وطار الصريخ الى السلطان يعقوب بن عبد الحق وهو يومئذ بمدينة تازا

دخلها أوائل شعبان من السنة المذكورة لاستشراف أحوال يغمراسن بن زيان فوصل اليه الخبر فى اليوم الرابع من شوال المذكور فنهض السلطان يعقوب من فوره بعد أن صلى العصر بتازا من ذلك اليوم فأسرى ليلته تلك فى نحو الخمسين فارسا ومن الغد صلى العصر بظاهر سلا فكان قطعه مسافة ما بينهما فى يوم وليلة ، وهذا أمر خارق للعادة بلا شك أظهره الله على يد هذا السلطان لصدق عزمه وحسن نيته والا فالمسافة ما بين تازا وسلا ست مراحل أو أكثر، ثم تلاحقت به جيوش المسلمين من القبائل المتطوعة من جميع آفاق المغرب فحاصر النصارى بها وضيق عليهم ووالى القتال عليهم بالليل والنهار حتى اقتحمها عليهم عنوة لاربع عشرة ليلة من حصارها وأثخن فيهم بالقتل ونجا من نجا منهم الى سفنهم فنشروا قلوعهم وذهبوا يلتفتون وراءهم ، ثم شرع السلطان يعقوب رحمه الله فى بناء السور الغربى من سلا الذى يقابل الوادى منها فانها كانت لاسور لها من تلك الجهة من أيام عبد المومن بن على فانه كان قد هدم اسوار قواعد المغرب مثل فاس وسبتة وسلا حسبما قدمنا الخبر عنه فى دولته ومن هذه الثلمة كان دخول النصارى الى سلا فشرع السلطان يعقوب رحمه الله فى بنائه فبناه من أول دار الصناعة قبلة الى البحر جوفا وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ويناول الحجر بيده ابتغاء ثواب الله وتواضعا وسعيا فى صلاح المسلمين حتى تم السور المذكور على أحصن وجه وأكمله

ودار الصناعة المذكورة فى هذا الخبر هى الدار التى كانت تصنع بها الاساطيل البحرية والمراكب الجهادية يجلب اليها العود من غابة المعمورة فتصنع هنالك ثم ترسل فى الوادى وكان ذلك من الامر المهم فى دولة الموحدين حسبما سلف قال فى الجذوة : « دار الصناعة بسلا بناها المعلم أبو عبد الله محمد ابن على بن عبد الله بن محمد بن الحاج من أهل اشبيلية وكان من العارفين بالحيل الهندسية ومن أهل المهارة فى نقل الاجرام ورفع الاثقال بصيرا باتخاذ الالات الحربية الجافية » اه

وأما يعقوب بن عبد الله الثائر فانه خشى بادرة السلطان يعقوب بن عبد الحق فخرج من رباط الفتح وأسنمه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض الى بلاد

تامسنا فاستولى عليها وملك مدينة آنفى وهى المسماة الان بالدار البيضـــاء ، فضبطها ولحق يعقوب بن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرح السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلى بن زيان لمنازلته وسار هـو الى لقـاء يغمراسن فلقيه وعقد معه المهادنة وافترقا على السلم ووضع أوزار الحـرب ورجع السلطان الى المغرب فخرج عليه بنو أخيه ادريس على ما نذكره

خروج بنى ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمـه الله

قد تقدم لنا أن الامير عبد الحق المرينى كان لـه تسعة من الولد أكبرهم ادريس وقتل مع والده فى حرب رياح وكان لادريس هذا عدة أولاد بقوا فى كفالة أعمامهم ولما أفضى الامر الى السلطان يعقوب وكان أولاد ادريس قـد ملكوا أمر أنفسهم واشتدت شكيمتهم فنفسوا عليه ما آتاه الله من الملك ورأوا أنهم أحق به منه لان أباهم هو الاكبر من ولد عبد الحق كما مر فخرجوا على عمهم يعقوب ولحقوا بقصر كتامة وتابعوا ابن عمهم يعقوب بن عبد الله على رأيه واجتمعوا الى كبيرهم محمد بن ادريس بن عبد الحق وانضم اليهم من كان على رأيهم من عشيرتهم ومواليهم واعتصموا بجبال غمارة فنهض اليهم السلطان يعقوب وتلطف بهم حتى استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن ادريس منهم سنة ستين وستمائة على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون مـن المتطوعة من بنى مرين وأغزاهم الاندلس لجهاد العدو بها وحملهم وفـرض لهم فى العطاء وشفع بهذه الفعلة الحسنة عمله فى واقعة سلا وهو أول جيش عبر البحر الى الاندلس من بنى مرين فكا ن لهم فى الجهاد والمرابطة مواقف مذكورة ومقامات محمودة تبع الخلف فيها السلف ودام ذلـك فيهم برهة من الدهر وقاموا عن أهل المغرب والاندلس بهذا الواجب العظيم رحمهم اللـه وجزاهم عن المسلمين خيرا .

وأما يعقوب بن عبد الله صاحب سلا فانه أقام خارجا بالنواحى متنقلا فى الجهات الى أن قتله طلحة بن محلى من أولياء السلطان يعقوب على ساقية غبولة من ناحية رباط الفتح سنة ثمان وستين وستمائة فكفى السلطان يعقوب أمره .

حصار السلطان يعقوب حضرة مراكش ونزوع أبي دبوس منها إليه وهلاك المرتضى بعد ذلك

لما فرغ السلطان يعقوب من شأن الخارجين عليه من عشيرته أجمع رأيه لمنازلة المرتضى والموحدين فى دارهم وحضرتهم ورأى أنه أوهن لشوكتهم وأقوى لامره عليهم ، فبعث فى قومه وحشد أهل مملكته واستكمل التعبئة وسار سنة ستين وستمائة حتى انتهى الى جبل جيليز فشارف دار الخلافة ونزل بعقرها وأخذ بمخنقها وخفقت ألويته على جنباتها ، وعقد المرتضى على حربه لابى دبوس ادريس بن محمد بن أبى حفص بن عبد المومن فعبأ كتائبه ورتب مصافه وبرز لمدافعتهم ظاهر الحضرة فكانت بينهم حرب بعد العهد بمثلها هلك فيها الامير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ففت مهلكه فى عضدهم وارتحلوا عنها الى أعمالهم واعترضتهم عساكر الموحدين بوادى أم الربيع وعليهم يحيى ابن عبد الله بن وانودين فاقتتلوا فى بطن الوادى وانهزمت عساكر الموحدين هزيمة شنعاء وتركوا الاموال والاثاث فاحتوى بنو مرين على ذلك كله وهى واقعة أم الرجلين

ثم سعى سماسرة الفتن عند الخليفة المرتضى فى ابن عمه وقائد حربه أبى دبوس بأنه يطلب الامر لنفسه وشعر هو بالسعاية فى جانبه فخشى بادرة المرتضى ولحق بالسلطان يعقوب سنة احدى وستين وستمائة عند دخوله الى فاس من محاصرته مراكش فأقام عنده مليا ثم سأله الاعانة على أمره بعسكر يمده به وآلة يتخذها لملكه ومال يصرفه فى ضروریاته ، على أن يشركه فى

الفتح والغنيمة والسلطان فأمده السلطان يعقوب بخمسة آلاف من بنى مرين وبالمستجاد من الالة والكفاية من المال وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل مملكته وغيرهم أن يكونوا معه يدا واحدة حتى يبلغ مراده من فتح مراكش ، وسار أبو دبوس فى الكتائب حتى شارف الحضرة ودس الى أشياعه من الموحدين بأمره فثاروا بالمرتضى فكان من فراره الى آزمور ونزوله على صهره ابن عطوش ومقتله على يده ما قدمنا ذكره فى دولته ، واستتب أمر أبى دبوس بمراكش وثبت قدمه بها فبعث اليه السلطان فى الوفاء بالمشارطة فاستنكف واستكبر ونقض العهد وأساء الرد فنهض اليه السلطان يعقوب فى جموع بنى مرين وعساكر المغرب فخام عن اللقاء واعتصم بالاسوار فزحف اليه السلطان يعقوب وحاصره أياما ثم سار فى الجهات والنواحى يحطم الزروع وينسف الاقوات وعجز أبو دبوس عن مدافعته فاستجاس عليه بيغمراسن بن زيان ليفت فى عضده ويشغله عما أمامه بما وراءه فكان ما نذكره

وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان

لما نزل السلطان يعقوب حضرة مراكش وربض على ترائبه للتوثب عليها لم يجد أبو دبوس ملجأ من دون الاستظهار عليه بيغمراسن بن زيان ليأخذ بحجزته عنها فبعث اليه بالصريخ فى ذلك وأكد العهد وأسنى الهدية فشمر يغمراسن لاستنقاذه وجذب السلطان يعقوب عنه من خلفه بشن الغارات على ثغور المغرب وايقاد نار الفتنة بها ، فهاج عليه من السلطان يعقوب ليث عاديا وأرهف منه حدا ماضيا فأفرج للوقت عن مراكش ورجع عوده على بدئه يريد تلمسان وصاحبها يغمراسن بن زيان فنزل فاسا وتلوم بها أياما حتى أخذ أهبة الحرب وعدة النزال ثم نهض الى تلمسان منتصف محرم سنة ست وستين وستمائة وسلك على أكرسيف ثم على تافرطاست .

وتزاحف الفريقان بوادى تلاغ وعبأ كل منهما كتائبه ورتب مصافه وبرز

النساء فى القباب سافرات على سبيل التحريش والتحريض والتحم القتال وطال القراع والنزال ، ولما فاء الفيء ومال النهار وكثرت حشود بنى مرين جموع بنى عبد الواد ومن اليهم انكشفوا ومنحوا العدو أكتافهم وهلك فى الحومة أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيان وكان كبير أولاده وولى عهده وهلك معه جماعة من عشيرته ، ولما انهزم بنو عبد الواد بقى يغمراسن فى ساقتهم حاميا لهم من بنى مرين أن تركبهم من خلفهم فكان ردءا لهم الى أن وصلوا الى بلادهم ، وكانت وقعة تلاغ يوم الاثنين الثانى عشر من جمادى الاخيرة من السنة المذكورة ورجع السلطان يعقوب الى مكانه من حصار مراكش والله غالب على أمره .

فتح حضرة مراكش ومقتل أبي دبوس وانقراض دولة الموحدين بها

لما قفل السلطان يعقوب من حرب يغمراسن صرف عزمه الى غزو مراكش والعود الى حصارها كما كان أول مرة فنهض اليها من فاس فى شعبان سنة ست وستين وستمائة ولما عبروا وادى أم الربيع بث السرايا وشن الغارات وأطلق الاعنة والايدى للنهب والعيث فحطموا زروعها وانتسفوا آثارها وتقرى نواحيها كذلك بقية عامه ، ثم غزا عرب الخلط من جشم بتادلا فأثخن فيهم واستباحهم ، ثم نزل وادى العبيد فأقام هنالك أياما ثم غزا بلاد صنهاجة فاستباحها ولم يزل ينقل ركابه فى أحواز مراكش ويجوس خلالها الى آخر ذى القعدة من سنة سبع وستين وستمائة فاجتمع أشياخ القبائل من العرب والمصامدة عند أبى دبوس وقالوا له : «يامولانا كم تقعد عن حرب بنى مرين وقد ترى ما نزل بنا فى حريمنا وأموالنا منهم فاخرج بنا اليهم لعل الله يجعله سبب الفتح فانهم قليلون وجمهورهم وذوو الشوكة منهم قد بقوا برباط تازا لحراسة ذلك الثغر من بنى عبد الواد ولم يزالوا يقتلون له فى الذروة والغارب حتى أجابهم الى رأيهم فاستعد للحرب وبرز من حضرة مراكش فى جيوش ضخمة وجموع

وافرة ، فاستجره السلطان يعقوب بالفرار أمامه ليبعد عن مدد الصريخ فيستمكن منه ، فلم يزل أبو دبوس يسعى خلفه حتى نزل ودغفوا فحينئذ كر عليه السلطان يعقوب فالتحمت الحرب واختل مصاف أبى دبوس وفر يسابق الى مراكش وأين منه مراكش فأدركته الخيول وحطمته الرماح فخر صريعا واحتز رأسه وجيء به الى السلطان يعقوب فسجد شكرا لله تعالى وذلك يوم الاحد ثانى محرم سنة ثمان وستين وستمائة ، ثم تقدم السلطان يعقوب نحو مراكش وفر من كان بها من الموحدين الى تينملل وبايعوا اسحق أخا المرتضى فبقى ذبالة هنالك الى أن قبض عليه سنة أربع وسبعين وستمائة وجيء به فى جماعة من قومه الى السلطان يعقوب فقتلوا جميعا وانقرض أمر بنى عبدالمومن والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ثم خرج الملا وأهل الشورى من الحضرة الى لقاء السلطان يعقوب ففرح بهم وأمنهم ووصلهم ، ودخل مراكش فى عسكر ضخم وموكب فخم يوم الاحد التاسع من محرم المذكور وورث ملك آل عبد المومن وتملاه واستوسق أمره بالمغرب وتطامن الناس لبأسه وسكنوا لظل سلطانه ، وأقام بمراكش الى رمضان من سنته ثم أغزا ابنه الامير أبا مالك عبد الواحد بن يعقوب بلاد السوس فافتتحها وأوغل فى ديارها ودوخ أقطارها ورجع الى أبيه واستمر السلطان يعقوب بمراكش يصلح شؤونها الى رمضان من سنة تسع وستين وستمائة فخرج بنفسه الى بلاد درعة فأوقع بعربها الوقيعة المشهورة التى خضدت من شوكتهم ورجع لشهرين من غزاته ، ثم أجمع الرحلة الى دار ملكه بفاس فعقد على مراكش لمحمد بن على ابن يحيى من كبار أوليائهم ومن أهل خؤلته وكان من طبقة الوزراء وأنزله بقصبة مراكش وجعل المسالح فى أعمالها لنظره وعهد اليه بتدويخ الاقطار ومحو آثار بنى عبد المومن وفصل من مراكش قاصدا حضرة فاس فى شوال من السنة المذكورة والله تعالى أعلم

٢٨

مراسلة السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصي
للسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمهما الله

كانت دولة بنى أبى حفص أصحاب تونس وافريقية فرعا من دولة بنى عبد المومن وشعبة منها حسبما نبهنا عليه غير مرة ، ولما ضعفت دولة بنى عبد المومن بمراكش والمغرب كان صاحب افريقية أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد الهنتاتى يأمل الاستيلاء عليها والتملك لها ويتمنى ذلك لو ساعده القدر لانه كان يرى أنه أولى بتلك الحضرة من غيره حتى من بنى عبد المومن لانها أرض سلفه وموطن أصله وعشيرته لان عمالة مراكش لم تعرف الا للمصامدة من قديم الزمان وقبيلة هنتاتة هى صميمها وذؤابتها فبهذا ونحوه كان بنو أبى حفص يتطاولون الى ملك مراكش ، ولما نبغ بنو مرين بالمغرب وغلبوا على الكثير من ضواحيه كانوا يدعون الى أبى زكرياء الحفصى تأليفا لاهل المغرب واستجلابا لمرضاتهم واتيانا لهم من ناحية أهوائهم اذ كانت صبغة الدعوة الموحدية قد رسخت فى قلوبهم فلو دعوا الى غيرها من أول الامر لحاصوا عنها حيصة حمر الوحش ، ولما لم يمكن بنى مرين أن يدعوا الى بنى عبد المومن لانهم أقتالهم واياهم ينازعون ولهم يحاربون ويجالدون دعوا الى طاعة الحفصيين الذين هم فرع منهم والدعوة الى الفرع كالدعوة الى أصله ، فلم تنفر نفوس أهل المغرب عنها وانما كان بنو مرين يسرون من ذلك حسوا فى ارتغاء ولهذا لما استقل السلطان يعقوب بالامر وتمكن له السلطان بالمغرب قطع دعوة الحفصيين حالا بعد أن كان أولا يدعو اليها هو واخوته من قبله وكان بنو أبى حفص ينشطون لذلك ويهادون بنى مرين ويمدونهم بالمال والسلاح وغير ذلك ولما عزم السلطان يعقوب على منازلة مراكش كتب الى أبى عبد الله محمد المستنصر بالله بن أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص يخبره بذلك ويستمده حتى كأنه نائب عنه لاغير وأرسل بكتابه مع ابن أخيه عامر بن ادريس بن عبد الحق فى جماعة من وجوه دولته فأكرم المستنصر وفادتهم ، ثم لما فتح السلطان

يعقوب مراكش واستولى عليها بعث اليه المستنصر بهدية فيها من أصناف الخيل الجياد والسلاح والثياب الرفيعة ما اختاره واستحسنه وبعث بذلك مع جماعة من وجوه دولته أيضا وفيهم الكاتب أبو عبد الله محمد الكنانى فتلطف الكاتب المذكور فى ذكر المستنصر على منبر مراكش حتى تم له ذلك بمحضر وفد الموحدين فعظم سرورهم وانقلبوا الى صاحبهم بالخبر واتصلت المودة والمهاداة بين المستنصر والسلطان يعقوب سائر أيامهم ، ولما هلك المستنصر وبويع ابنه أبو زكرياء يحيى المدعو بالواثق اقتفى سنن أبيه فى ذلك فبعث الى السلطان يعقوب بهدية حافلة مع قاضى بجاية أبى العباس الغمارى سنة سبع وسبعين وستمائة فعظم موقعها من السلطان يعقوب وكان لابى العباس الغمارى هذا بالمغرب ذكر تحدث الناس به دهرا وقطع السلطان يعقوب لاول أمره الدعوة الى الحفصيين كما قلنا والله تعالى أعلم

عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبي مالك بسلا
وما نشأ عن ذلك من خروج قرابته عليه

كان السلطان يعقوب حين خرج من مراكش بعد فتحها قاصدا حضرة فاس دار ملك بنى مرين اجتاز بمدينة سلا فأراح بها أياما فطرقه مرض وعك منه وعكا شديدا ، فلما أبل من مرضه جمع قومه وعقد العهد لاكبر أولاده أبى مالك عبد الواحد بن يعقوب لما علم من أهليته لذلك وأخذ له البيعة عليهم جميعا فأعطوها طواعية وعز ذلك على القرابة من بنى عبد الحق وهم أولاد سوط النساء بنو ادريس بن عبد الحق وبنو عبد الله بن عبد الحق وبنو رحو بن عبد الحق وانما قيل لهم أولاد سوط النساء لان هؤلاء الثلاثة من بنى عبد الحق كانوا أشقاء أمهم اسمها سوط النساء ، فلما بايع السلطان يعقوب لابنه أبى مالك بولاية العهد آسفهم ذلك لانهم كانوا يرون أنهم أحق بالامر حسبما سلف فارتدوا على أعقابهم وقلبوا لعمهم ظهر المجن وعادت هيف الى أديانها وأسروا

من ليلتهم من سلا ولم يصبحوا الا بجبل علودان من بلاد غمارة عش خلافهم ومدرج فتنتهم وكان ذلك فى عيد الفطر من سنة تسع وستين وستمائة وانضم اليهم بنو أبى عياد بن عبد الحق وشايعوهم على رأيهم ، فخرج السلطان يعقوب فى أثرهم وقدم بين يديه ابنه الامير يوسف بن يعقوب فى خمسة آلاف فأحاط بهم وأخذ بمخنقهم ولحق به أخوه أبو مالك فى عسكره ومعه مسعود بن كانون شيخ سفيان ثم لحق بهم السلطان يعقوب فى عساكره فحاصروهم ثلاثة ولما رأوا أن قد أحيط بهم سألوا الامان فبذله لهم وأنزلهم ومسح صدورهم واسترضاهم واستل سخائمهم ووصل بهم الى حضرته فسألوا منه الاذن فى اللحاق بتلمسان حياء مما ارتكبوه من الخلاف فأذن لهم فأجازوا البحر الى الاندلس وخالفهم عامر بن ادريس لما آنس من ميل عمه اليه فبقى بتلمسان حتى توثق لنفسه بالعهد وعاد الى قومه بعد منازلة السلطان يعقوب لتلمسان حسبما نذكره عن قريب .

قال ابن خلدون : « واحتل هؤلاء القرابة من بنى عبد الحق بأرض الاندلس على حين أقفر من الحامية جوها واستأسد العدو على ثغورها وتحلبت شفاهه لالتهامها ، فتبوأوها أسودا ضارية وسيوفا ماضية معودين لقاء الابطال وقراع الحتوف والنزال مستغلظين بخشونة البداوة وصرامة العز وبسالة التوحش فعظمت نكايتهم فى العدو واعترضوا فى صدره سجى دون الوطن الذى كان طعمة له فى ظنه وارتدوه على عقبه ونشطوا من همم المسلمين المستضعفين وراء البحر وبسطوا من آمالهم لمدافعة طاغيتهم وزاحموا أمير الاندلس فى رياستها بمنكب قوى فتجافى لهم عن خطة الحرب ورياسة الغزاة من أهل العدوة من أعياصهم وغيرهم من أمم البربر وثافنوه فى مستقر عزه وساهموه ، فى الجباية بفرض العطاء والديوان فبذله لهم واستعدوا على العدو وحسن أثرهم فيه حسبما تلمع بالبعض من ذلك ان شاء الله

هجوم النصارى على العرائش وتيشمس من ثغور المغرب

لما كان المحرم من سنة ثمان وستين وستمائة هجم النصارى على مدينة العرائش وتيشمس من ثغور العدوة المغربية فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وانتهبوا أموالها وأضرموها نارا ورجعوا عودهم على بدءهم فركبوا أجفانهم ولحقوا ببلادهم ولم تنلهم شوكة السلطان يعقوب لانه كان مشغولا بفتح مراكش فى التاريخ المذكور ولم يبين فى القرطاس هؤلاء النصارى من هم

وقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان

لما أنعم الله على السلطان يعقوب بامتداد ظل ملكه فى أقطار المغرب ونواحيه ونفوذ كلمته فى حواضره وبواديه وتمم له الصنع بفتح مراكش ووراثة كرسى بنى عبد المومن بها وعاد الى فاس كما قلنا تحرك ما كان فى نفسه من ضغائن يغمراسن بن زيان وما آسفه به من تخذيل عزائمه ومجاذبته عن قصده ورأى أن وقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطفأت نار موجدته فأجمع أمره لغزوه ونشطه لذلك ما صار اليه من الملك وسعة السلطان ، فحشد جميع أهل المغرب وعزم على استئصاله وقطع دابره فعسكر بفاس وبعث ولده أبا مالك الى مراكش فى جماعة من خواصه حاشرين فى مدائنها وضواحيها ، فاجتمع عليه من قبائل العرب والمصامدة وصنهاجة وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة وحامية الامصار من جند الفرنج وناشبة الغزو ، استكثر من ذلك كله واحتفل السلطان يعقوب بفاس كذلك ، ثم نهض منها غرة صفر سنة سبعين وستمائة فسار حتى نزل وادى ملوية فأقام عليه أياما حتى لحقه ابنه أبو مالك فى جموعه وتوافت لديه أمداد العرب من قبائل جشم أهل تامسنا الذين هم سفيان والخلط والعاصم وبنو جابر ومن معهم من الاثبج وقبائل ذوى حسان والشبانات من معقل أهل

السوس الاقصى وقبائل رياح أهل أزغار وبلاد الهبط ، فعرض هنالك عساكره وميزها ورتبها فيقال انها بلغت ثلاثين ألفا وارتحل يريد تلمسان

ولما انتهى الى أنكاد قدمت عليه رسل ابن الاحمر ووفد أهل الاندلس يستصرخونه على العدو ويسألونه الاعانة والنصر ويخبرونه بأنه قد كلب عليهم وشره لالتهام بلادهم فتحركت همته رحمه الله للجهاد ونصر المسلمين واغاثة المستضعفين منهم ، ونظر فى صرف الشواغل عن ذلك وجنح للسلم مع يغمراسن وعزم عليها واستشار الملأ من أشياخ العرب ، وبنى مرين فى ذلك فصوبوا رأيه لما كانوا عليه أيضا من ايثار الجهاد ومحبته ، فبعث السلطان يعقوب جماعة من أشياخ القبائل الى يغمراسن يدعونه الى الصلح واجتماع الكلمة وقال لهم فى جملة قوله : « ان الصلح خير كله فان جنح يغمراسن اليه وأناب فذاك والا فأسرعوا الى بالخبر . » فسار الاشياخ الى يغمراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهبته واستعد للقاء وحشد قبائل زناتة المجاورين له فى تلك البلاد من بنى عبد الواد وبنى راشد وأحلافهم ومغراوة من عرب بنى زغبة فبلغوه الرسالة وعرضوا عليه مقالة السلطان يعقوب فأبى واستكبر وصم عن سماع قولهم وموعظتهم وقال: «أبعد مقتل ولدى أصالحه، والله لاكان ذلك أبدا حتى أثأر به وأذيق أهل المغرب النكال من أجله » فرجعت الرسل الى السلطان يعقوب بالخبر ، وتزاحف الفريقان فكان اللقاء على وادى ايسلى من بسيط وجدة وعبأ السلطان يعقوب كتائبه ورتب مصافه وجعل ابنه عبد الواحد فى الميمنة وابنه يوسف فى الميسرة ووقف هو فى القلب ، ودارت بينهم رحى الحرب وركدت مليا وهلك فى الحومة أبو عنان فارس بن يغمراسن بن زيان فى جماعة من بنى عبد الواد ، وهلك عامة عسكر الفرنج الذين كانوا معهم لثباتهم بثبات يغمراسن فطحنتهم رحى الحرب وتقبض على قائدهم برنيس وانهزم الباقون ، ونجا يغمراسن فى فله حاميا لهم ومدافعا عنهم من خلفهم ، ومر فى هزيمته بفساطيطه فأضرمها نارا تفاديا من حصرة استيلاء العدو عليها وانتهبت بنو مرين باقى معسكره واستبيحت حرمه وارتحل السلطان يعقوب من الغد فى أثره حتى اذا انتهى الى وجدة وقف عليها فأمر بهدمها فتسارعت ايدى

الجند اليها وجعلوا عاليها سافلها والصقوا بالرغام جدرانها وتركوها قاعا صفصفا، وكانت هذه الوقعة منتصف رجب من سنة سبعين وستمائة .

ثم تقدم الى تلمسان فنزل عليها وحاصرها أياما وأطلق الايدى فى ساحتها بالنهب والعيث ثم شن الغارات على البسائط فاكتسحها سبيا ونسفها نسفا وهلك فى طريقه الى تلمسان وزيره عيسى بن ماساى وكان من علية وزرائه وحماة ميدانه وله فى ذلك أخبار مذكورة ، وكان مهلكه فى شوال من السنة المذكورة وقدم عليه وهو محاصر لتلمسان الامير أبو زيان محمد ابن عبد القوى بن العباس بن عطية كبير بنى توجين من زناتة فى جيش كثيف من قومه مباهيا ببنوده وطبوله وآلة حربه ، وكان قدومه هذا بقصد مظاهرة السلطان يعقوب على يغمراسن وتلمسان لعداوة كانت بينهما فأكرم السلطان يعقوب وفادته واستركب الناس للقائه واتخذ رتبة السلاح لمباهاته واستمر الحصار على تلمسان ، وعظمت نكاية بنى توجين فيها بتخريب الرباع وانتساف الجنات وقطع الثمار وافساد الزرع وتحريق القرى والضياع لما كان يغمراسن يعاملهم فى بلادهم بمثل ذلك أوأكثر ، ولما امتنعت تلمسان على السلطان يعقوب وأيس من فتحها لحصانتها واشتداد شوكة حاميتها عزم على الافراج عنها وأشار على الامير محمد بن عبد القوى بالقفول الى مأمنه قبل أن ينهض هو عن تلمسان ووصله وقومه وملا حقائبهم من التحف وجنب لهم مائة من الخيل المقربات الجياد بمراكبها وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالخلع الفاخرة والصلات الوافرة واستكثر لهم من السلاح والفازات والفساطيط وحملهم على الظهر وارتحلوا الى منجاتهم ومقرهم من جبل وانشريس ، وتلوم السلطان يعقوب عليهم أياما ريثما وصلوا حذرا عليهم من يغمراسن أن ينتهز الفرصة فى اتباعهم ، ثم أقلع السلطان عن تلمسان وثنى عنانه الى المغرب فوصل الى رباط تازا فى أول يوم من ذى الحجة من السنة المذكورة فعيد بها عيد النحر ثم ارتحل الى فاس فدخلها فاتح سنة احدى وسبعين وستمائة فأقام بها الى اليوم الحادى عشر من صفر فتوفى ولده وولى عهده الامير أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب فأسف لفقده ثم صبر واحتسب

ثم نهض * الى مراكش فدخلها أوائل ربيع الثانى من السنة المذكورة فأقام بها شهرا حتى أصلح من شأنها ثم نهض الى طنجة وسبتة على ما نذكره

فتح طنجة وسبتة وما كان من أمر العزفى بهما

قدتقدم لنا فى دولة أبى حفص عمر المرتضى أن الفقيه أبا القاسم العزفى استبد عليه بسبتة وتوارث ذلك بنوه من بعده وكان هؤلاء العزفيون من بيوتات سبتة وأهل الرياسة والعلم والدين فيهم ، ولما ضعف أمر بنى عبد المومن بالمغرب استقل الفقيه أبو القاسم بن أبى العباس العزفى برياستها وضبطها وانتظم فى طاعته سائر أعمالها ، ولما كانت سنة ثلاث وستين وستمائة بعث الفقيه المذكور أجفانه الى مدينة أصيلا فهدموا أسوارها ونقضوا قصبتها لانه خاف عليها من خلائها أن يملكها العدو ويتمنع بها ، واستمرت أموره فى سبتة ونواحيها على السداد وكانت طنجة تالية لسبتة فى سائر أحوالها وكانتا معا من أحصن بلاد المغرب فدخل صاحب طنجة وهو أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمدانى المعروف بابن الامير فى طاعة أبى القاسم المذكور ، ثم انتقض عليه لمضى سنة من طاعته واستبد وخطب لابن أبى حفص صاحب افريقية ثم للخليفة العباسى صاحب بغداد ثم لنفسه ، وسلك فى طنجة مسلك العزفى فى سبتة ولبثوا على ذلك ما شاء الله ، حتى اذا ملك بنو مرين المغرب وافتتحوا

(*) قال فى الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ما نصه : فلما انقضى شهر صفر الذى توفى فيه له ولده أبو مالك ارتحل أمير المسلمين إلى حضرة مراكش فوصل إلى رباط الفتح في الثانى عشر من ربيع الاول فأخذ البيعة لولده الامير أبى يعقوب علي بنى مرين بولاية العهد بها لولده الامير أبى يعقوب ثم سار إلى مراكش فدخلها فى نصف ربيع الاخر فقعد بها أياما ثم ارتحل إلى بلاد السوس الخ ... وهذا خلاف ما عند المؤلف هنا فراجع ذلك ص ١٥٤ طبع الجزائر .

معاقله وحصونه وهلك الامير أبو بكر بن عبد الحق وابنه أبو حفص عمر من بعده فتحيز بنوه فى أتباعهم وحشمهم الى ناحية طنجة واصيلا فأوطنوا ضاحيتها وعاثوا فى نواحيها وضيقوا على أهل طنجة حتى شارطهم ابن الامير على خراج معلوم على أن يكفوا الاذية ويحموا الحوزة ويصلحوا السابلة فاتصلت يده بيدهم وترددوا الى البلد لاقتضاء حاجاتهم ، ثم مكروا وأضمروا الغدر فدخلوا فى بعض الايام متأبطين السلاح وفتكوا بابن الامير غيلة ، فثارت بهم عامة أهل طنجة واستلحموهم لحينهم فى مصرع واحد سنة خمس وستين وستمائة ، واجتمعوا على ولده فبايعوه وبقيت فى ملكته خمسة أشهر. ثم استولى عليها أبو القاسم العزفى فنهض اليها بعساكره من الرجل برا وبحرا وملكها وفر ابن الامير فلحق بتونس ونزل على المستنصر الحفصى واستقرت طنجة فى ايالة العزفى فضبطها وقام بأمرها وولى عليها من قبله وأشرك الملأ من أشرافها فى الشورى

ولما استولى السلطان يعقوب على حضرة مراكش ومحا دولة آل عبد المومن منها وفرغ من أمر عدوه يغمراسن هم بتلك الناحية وأحب أن يضيفها الى ما بيده ليصفو له أمر المغرب الاقصى كله فنهض الى طنجة ونازلها مفتتح اثنتين وسبعين وستمائة لانها كانت فى البسيط دون سبتة فكان أمرها أسهل فحاصرها نحو ثلاثة أشهر فامتنعت عليه ويئس منها وعزم على الافراج عنها فبينما هو يقاتل فى عشى اليوم الذى عزم على النهوض فى غده اذا بجماعة من رماتها قاموا على برج ورفعوا لواء أبيض ونادوا بشعار بنى مرين ، وذلك لخلاف وقع بينهم داخل البلد فتسارع الجند اليهم فملكوهم البرج فتسوروا اليه الحيطان وقاتلوا عليه سائر ليلتهم الى الصباح ثم تكاثرت جيوش بنى مرين واقتحموا البلد عنوة ونادى منادى السلطان يعقوب بالامان فلم يهلك من أهلها الا نفر يسير ممن رفع يده للقتال وشهر السلاح ساعة الدخول ، وكان ذلك فى ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ولما فرغ السلطان يعقوب من طنجة بعث ولده الامير يوسف الى سبتة فحاصر بها العزفى أياما ثم لاذ بالطاعة على أن يبقى ممتنعا بحصنه ويؤدى للسلطان خراجا معلوما كل سنة فقبل السلطان منه ذلك وأفرجت عنه عساكره وعاد الى فاس والله غالب على أمره

فتح سجلماسة وما كان من أمرها

قد ذكرنا ما كان من استيلاء الامير أبى بكر بن عبد الحق على سلجماسة ودرعة وانه عقد على مسلحتها لابى يحيى القطرانى الذى كان السبب فى فتحها عليه ، ولما هلك الامير أبو بكر استبد القطرانى المذكور بسجلماسة ثم غلبه عليها المرتضى وقتل القطرانى بواسطة القاضى ابن حجاج حسبما تقدم ذلك كله ثم غلب عليها بعد حين يغمراسن بن زيان بواسطة عرب المنبات من بنى معقل أهل الصحراء وعقد عليها لعبد الملك بن محمد العبد الوادى المعروف بابن حنينة نسبة الى أمه وهى أخت يغمراسن بن زيان ولما فتح السلطان يعقوب بلادالمغرب وانتظمها فى ملكته وجه عزمه الى افتتاح سجلماسة وانتزاعها من أيدى بنى عبد الواد المتغلبين عليها فنهض اليها فى رجب سنة اثنتين وسبعين وستمائة فى جموع بنى مرين وقبائل المغرب من العرب والبربر ، ونازلها ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وغير ذلك

قال ابن خلدون : « ونصب عليها هندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة امام النار الموقدة فى البارود بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة بارئها » اه كلامه . قلت وفيه فائدة : أن البارود كان موجودا فى ذلك التاريخ وأن الناس كانوا يقاتلون به ويستعملونه فى محاصراتهم وحروبهم يومئذ وفيه رد لما نقله أبو زيد الفاسى فى شرح منظومته الموضوعة فى العمل الجارى بفاس قال : « كان حدوث البارود سنة ثمان وستين وسبعمائة حسبما ذكره بعضهم فى تأليف له فى الجهاد وأنه استخرجه حكيم كان يعمل الكيمياء ففرقع له فأعاده فأعجبه فاستخرج منه هذا البارود » اه وصرح الشيخ أبو عبد الله بنانى فى حاشيته على مختصر الشيخ خليل بان حدوثه كان فى وسط المائة الثامنة وهو غير صواب لما علمت من كلام ابن خلدون أنه كان موجودا قبل ذلك بنحومائة سنة ويغلب على ظنى أن لفظ الستمائة تصحف بالسبعمائة فسرى الغلط من ذلك والله أعلم

وأقام السلطان يعقوب على حصار سجلماسة حولا كاملا وكان سفهاؤها يصعدون فوق الاسوار ويعلنون بالسب والفحش الى أن هتك المنجنيق ذات يوم طائفة من سورها فدخلت من هنالك عنوة بالسيف وعاث الجند فى أهلها * فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية وأتى القتل على عاملها عبد الملك ابن حنينة ومن كان بها من أشياخ بنى عبد الواد وعرب المنبات وكان فتحها آخر صفر وقيل يوم الجمعة ثالث ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين وستمائة وكمل بفتحها للسلطان يعقوب فتح بلاد المغرب وتمشت طاعته فى أقطاره فلم يبق فيه أهل حصن يدينون بغير دعوته ولا جماعة تنحيز الى غير فئته

أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المرينى في الجهاد
وما كان له بالاندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل رحمه الله

قد تقدم لنا ما كان للعدو الكافر على المسلمين فى وقعة العقاب من الظهور والغلبة وأن تلك الوقعة كانت سبب ضعف المسلمين بالمغرب والاندلس واستيلاء العدو الكافر على جل ثغورها وحصونها ، ولما ضعف أمر الموحدين بالمغرب استبد السادة منهم بالاندلس وصاروا الى المنافسة فيما بينهم واستظهار بعضهم على بعض بالطاغية واسلام حصون المسلمين اليه فى سبيل تلك الفتنة فمشت رجالات الاندلس بعضهم الى بعض وأجمعوا على اخراج الموحدين من أرضهم فثاروا بهم لوقت واحد وأخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامى ثم من بعده محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ونازع ابن هود الرياسة بالاندلس ، ولا تسأل عما ذهب فى منازعتهما من حصون المسلمين الكثيرة وبلادهم العديدة الشهيرة التى منها قرطبة واشبيلية قاعدتا أرض الاندلس كان كل واحد من هذين الثائرين يتقرب الى الطاغية بما غلب

(*) الذى في الذخيرة السنية صفحة ١٥٨ أن السلطان يعقوب أمن سائر اهلها وعفا عنهم ونظر في مصالحهم ورفع مظالمهم وأصلح احوالهم وبلادهم

عليه من ذلك ليعينه على صاحبه والامر لله وحده ، وانقرض أمر ابن هود عن أمد قريب واستمرت دولة ابن الاحمر فى عقبه الى آخر المائة التاسعة ولما استتب أمر ابن الاحمر بالاندلس عقد السلم مع الطاغية على أن ينزل له عن جميع بسائط عرب الاندلس فنزل له عنها أجمع ولجأ بالمسلمين الى سيف البحر معتصمين بأوعاره ومتشبثين بمعاقله وحصونه ، واختار ابن الاحمر لنزوله مدينة غرناطة واتخذها كرسى مملكته وابتنى بها لسكناه حصن الحمراء

وكان ابن الاحمر هذا يدعى بالشيخ وكان قد عهد الى ولده القائم من بعده محمد المعروف بالفقيه لانتحاله طلب العلم فى صغره وأوصاه اذا نابه أمر من العدو أو وصل اليه مكروه أن يستنصر عليه ببنى مرين ويدرأ بهم فى نحره ويجعلهم وقاية بين العدو وبين المسلمين ، فلما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس بادر محمد الفقيه الى العمل باشارة والده وأوفد (*) مشيخة الاندلس كافة على السلطان يعقوب رحمه الله فلقيه وفدهم منصرفا من فتح سجلماسة فتبادروا للسلام عليه وألقوا اليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين وثقل وطأته فحيا وفدهم واستبشر بمقدمهم وبادر لاجابة داعى الله وايثار الجنة وكان السلطان يعقوب رحمه الله منذ أول أمره موثرا عمل الجهاد كلفابه مختارا له لو أعطى الخيار على سائر أعماله حتى لقد كان اعتزم على الغزو الى الاندلس أيام أخيه الامير أبى بكر وطلب اذنه فى ذلك فلم يأذن له فكان فى نفسه من ذلك شغل وله اليه صاغية ، فلما قدم عليه هذا الوفد نبهوا عزيمته وايقظوا همته فأعمل فى الاحتشاد وبعث فى النفير ونهض من فاس فى شوال سنة ثلاث وسبعين وستمائة فوصل الى طنجة وأقام هنالك وجهز خمسة آلاف من قومه أزاح عللهم وأجزل أعطياتهم وعقد عليهم لابنه أبى زيان وأعطاه الراية واستدعى من العزفى صاحب سبتة السفن لاجازتهم فوافاه بقصر المجاز منه

(*) راجع نص الكتاب الذى جاء به مشيخة الاندلس من ابن الاحمر إلى السلطان يعقوب يستنهضه فيه للجهاد فى كتاب الذخيرة السنية صفحة ١٥٩ طبع الجزائر .

وراجع ايضا جواب السلطان يعقوب على كتاب ابن الاحمر فى الذخيرة السنية ايضا صفحة ١٦٢ .

عشرون أسطولا فأجاز العسكر المذكور ونزل بطريف فى السادس عشر من ذى القعدة من السنة المذكورة فأراح الامير أبو زيان بطريف ثلاثاء ثم دخل دار الحرب وتوغل فيها وأجلب على ثغورها وبسائطها وامتلات أيديهم من المغانم وأثخنوا بالقتل والاسر وتخريب العمران ونسف الآثار حتى نزل بساحة شريش فخام حاميتها عن اللقاء وتحصنوا بالاسوار وقفل الامير أبو زيان الى الجزيرة الخضراء وقد امتلات أيدى عسكره من الاموال وحقائبهم من السبى وركائبهم من السلاح والاثاث ورأى أهل الاندلس أن قد ثأروا بعام العقاب بعد أن لم تنصر لهم راية من ذلك اليوم الى الآن والله غالب على أمره .

الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد

ثم اتصل الخبر بالسلطان يعقوب رحمه الله أن العدو قد أخذ فى الاستعداد وعزم على الخروج الى بلاد المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه ، وخشى على ثغور بلاده من عادية يغمراسن صاحب تلمسان فبعث حافده تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب فى وفد من بنى مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم موصله وموصل قومه ، وبادر الى الاجابة والالفة وأوفد مشيخة بنى عبد الواد على السلطان يعقوب لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الاسلام وعظم موقع هذه السلم من السلطان يعقوب لما كان فى نفسه من الميل الى الجهاد وايثار مبرورات الاعمال ، فبث الصدقات شكرا لله تعالى على ما منحه من التفرغ لذلك ، ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع ودعا المسلمين الى جهاد عدوهم وخاطب فى ذلك سائر أهل المغرب من زناتة والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل البربر من المرتزقة والمتطوعة وأهاب بهم وشرع فى عبور البحر فأجازهم من فرضة قصر المجاز فى صفر سنة أربع وسبعين وستمائة واحتل بساحل طريف

وكان السلطان يعقوب حين استصرخه ابن الاحمر وأوفد عليه مشايخ الاندلس اشترط عليه السلطان يعقوب النزول عن بعض الثغور بساحل الفرضة لاحتلال عساكره بها فتجافى له عن رندة وطريف

ولما أحس الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة باجازة السلطان يعقوب قدم اليه الوفد من أهل مالقة ببيعتهم وصريخهم وكان أبو محمد بن اشقيلولة وأخوه أبو اسحق من أصهار ابن الاحمر وكانا مستوليين على مالقة ووادى آش وقمارش ووقعت بينهما وبين ابن الاحمر منافسة فخرجا عن طاعته ، ولما عبر السلطان يعقوب الى الاندلس بادر أبو محمد بن اشقيلولة اليه واتصل به وأمحضه الود والنصح وسابق ابن الاحمر فى ذلك ونازعه فى برور مقدمه والاذعان له وربما صدرت من ابن اشقيلولة فى حق ابن الاحمر جفوة بمحضر السلطان يعقوب أدت الى بعض الفساد وانصرف ابن الاحمر مغاضبا للسلطان من أجل ذلك

ولما احتل السلطان بناحية طريف ملات كتائبه ساحة الارض ما بينها وبين الجزيرة الخضراء ، ثم نهض الى العدو قبل أن يسبق اليهم الخبر فدخل دار الحرب وانتهى الى الوادى الكبير فعقد هنالك لولده الامير يوسف على خمسة آلاف من عسكره قدمها بين يديه ثم تبعه على أثره وسرح كتائبه فى البسائط وخلال المعاقل تنسف الزروع وتحطم الغروس وتخرب العمران وتنتهب الاموال وتكتسح السرح وتقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية حتى انتهى الى حصن المدور وبياسة وأبدة واقتحم حصن بلمة عنوة ، وأتى على سائر الحصون فى طريقه فطمس معالمها واكتسح أموالها

وقفل السلطان يعقوب رحمه الله والارض تموج سبيا الى أن عرس باستجة من تخوم دار الحرب وجاءه النذير باتباع العدو آثاره لاستنقاذ أسراه واسترجاع أمواله وأن زعيم الفرنج وعظيمهم نونه خرج فى طلبهم فى أمم النصرانية من المحتلم الى الشيخ فقدم السلطان الغنائم بين يديه وسرح ألفا من الفرسان أمامها وسار يقتفيها من خلفها حتى اذا أطلت رايات العدو من ورائهم كان الزحف ورتب المصاف وجرد السيف وذكر اسم الله وراجعت زناتة بصائرها وعزائمها وتحركت هممها وأبلت فى طاعة ربها والذب عن دينها

وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها فى مقاماتها ومواقفها فلم يكن الا كلا ولاحتى هبت ريح النصر وظهر أمر الله وانكشفت جموع النصرانية وقتل الزعيم نونه وكان هذا اللعين زعيم النصرانية بالاندلس قد قدمه الفنش على جيوشه واستعمله على حروبه وفوض له فى جميع أموره وكان النصارى قد سعدوا بطائره وتيمنوا بنقيبته لانه لم تهزم له قط راية وكان وبالا على بلاد الاسلام كثير الغارات عليها حتى جمع الله بينه وبين السلطان يعقوب فأراحه من تعب الحرب وكد الغارات وألحقه بأمه الهاوية ، ومنح المسلمين رقاب الفرنج واستحر فيهم القتل حتى بلغت قتلاهم عدد الالوف وجمعوا من رؤوسهم ما آذن أذنوا عليها لصلاتى الظهر والعصر ، واستشهد من المسلمين ما يناهز الثلاثين(*) أكرمهم الله تعالى بالشهادة وآثرهم بما عنده ونصر الله حزبه وأعز أولياءه وأظهر دينه ، وبدا للعدو ما لم يكن يحتسبه بمحاماة هذه العصابة عن الملة وقيامها بنصر الكلمة وبعث السلطان يعقوب رحمه الله برأس الزعيم نونه الى ابن الاحمر فيقال انه بعثه سرا الى قومه بعد أن طيبه وأكرمه ولاية أخلصها لهم ، ومداراة وانحرافا عن السلطان يعقوب ظهرت شواهد ذلك عليه بعد حين

واعلم أن هذا الزعيم يسميه كثير من المؤرخين دون نونه ولفظة دون معناها فى لسانهم السيد أو العظيم أو ما أشبه ذلك فلذا أسقطناها

وقفل السلطان يعقوب من غزاته هذه الى الجزيرة الخضراء منتصف ربيع من السنة المذكورة فقسم فى المجاهدين الغنائم وما نفلوه من أموال عدوهم وسباياهم واسراهم وكراعهم بعد الاستئثار بالخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرفه فى مصارفه ، ويقال كان مبلغ الغنائم فى هذه الغزاة مائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفا من السبى ومن الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثون ومن الكراع أربعة عشر ألفا وستمائة ، وأما الغنم فاتسعت عن الحصر كثر حتى لقد زعموا أنه قد بيعت الشاة الواحدة بدرهم وكذلك السلاح

وأقام السلطان يعقوب بالجزيرة أياما ثم نهض فى جمادى الاولى من

(*) ذكر فى الذخيرة السنية أن عددهم أربعة وعشرون صفحة ١٧٣ طبع الجزائر .

انسنة المذكورة غازيا اشبيلية فجاس خلالها وتقرى نواحيها وأقطارها واثخن بالقتل والنهب فى جهاتها وعاث فى عمرانها وأوغل فى مسيره حتى وقف على بابها وزعقت طبوله فى جوها وخفقت ألويته على جنباتها ولجأت الفرنج الى الاسوار واعتمدوا على الحصار ولم يخرج اليه منهم أحد ، ثم ارتحل الى شريش فأذاقها من وبال العيث والاكتساح مثل ذلك أو أكثر ورجع الى الجزيرة لشهرين من غزاته فبيعت الفرنجية من سبيه بها بمثقال ونصف لكثرة السبى حينئذ (*)

ودخل فصل الشتاء فنظر السلطان يعقوب فى اختطاط مدينة بفرضة المجاز من العدوة لنزول عسكره منتبذا عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم وتخير لهامكانا ملاصقا للجزيرة فأوعز ببناء المدينة المشهورة بالبنية ، ثم أجاز البحر الى المغرب فى رجب من سنته أعنى سنة أربع وسبعين وستمائة فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر واحتل بقصر مصمودة وأمر ببناء السور على بادس مرفا السفن ومحل العبور من بلاد غمارة ثم رحل الى فاس فدخلها فى النصف من شعبان من السنة المذكورة

فتح جبل تينملل ونبش قبور بنى عبد المؤمن على يد المليانى عفا الله عنه

قد تقدم لنا أن جبل تينملل كان حصنا للموحدين وملجأ لهم اذا نابهم مكروه وكان مسجده مزارا عظيما لهم لانه مدفن امامهم وملحد خلفائهم فكانوا يعكفون عليه ويلتمسون بركة زيارته ويقدمون ذلك بين يدى غزواتهم قربة يتقربون بها الى الله تعالى ، ولما استولى السلطان يعقوب على مراكش فر من كان بها من الموحدين الى الجبل المذكور واعتصموا به وبايعوا اسحق أخا المرتضى

(*) ذكر فى الذخيرة السنية أن السلطان يعقوب كتب بهذا الفتح لبلاد العدوة وقرئ كتابه على المنابر وكذلك كتب الفقيه أبو القاسم العزفى رسالة إلى فقهاء المغرب وصلحائه بشرح هذه الغزاة فانظرها هناك صفحة ١٧٥ طبع الجزائر .

وأملوا منه رجع الكرة وادالة الدولة واستمر الحال على ذلك الى هذه السنة فنهض عامل مراكش من قبل السلطان يعقوب وهو محمد بن على بن محلى أحد خؤلته ونازل الجبل المذكور وحاصره مدة ثم اقتحمه عنوة وافتض عذرته وفك ختامه وتقبض على خليفة الموحدين اسحق وابن عمه السيد أبى سعيد بن أبى الربيع ومن معهما من الاولياء وجنبوا الى مصارعهم بباب الشريعة من مراكش فضربت أعناقهم وصلبت أشلاؤهم وكان فيمن قتل منهم الكاتب القبائلى وأولاده

وعاثت عساكر بنى مرين فى جبل تينملل واكتسحوا أمواله ونبشوا قبور خلفاء بنى عبد المومن واستخرجوا أشلاءهم وكان فيها شلو يوسف بن عبد المومن وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤوسهم وتولى كبر ذلك أبو على بن أحمد المليانى ، كان أبو على هذا ثار على الحفصيين بمدينة مليانة فجهزوا اليه عساكرهم وأجهضوه عنها ففر الى السلطان يعقوب فقبله وآواه وأقطعه بلد أغمات اكراما له ، فحضر هذه الوقعة فى جملة العسكر وارتكب هذا الفعل الشنيع ورأى أنه قد شفى نفسه باستخراج هؤلاء الخلائق من أرماسهم والعبث بأشلائهم وقد انكر الناس عامة والسلطان يعقوب خاصة هذه الفعلة منه ولم يرضوها ومع ذلك فقد تجاوزله السلطان يعقوب عنها تأنيسا لغربته ورعيالجواره ولما توفى السلطان يعقوب وولى بعده ابنه يوسف سعى اليه فى المليانى هذا فنكبه على ما نذكره ان شاء الله

ولما وصل السلطان يعقوب من غزوته الى فاس انتقض عليه طلحة بن محلى أحد أخواله وتمنع بجبل آصروا من بلاد فازاز فسار اليه السلطان يعقوب وحاصره به فأناب الى الطاعة ونزل على الامان(*)وذلك فى منتصف رمضان سنة أربع وسبعين وستمائة وفى ثانى يوم من شوال من هذه السنة ثارت العامة باليهود بفاس بسبب حدث أحدثوه فقتلوا منهم أربعة عشر يهوديا ولولا أن السلطان ركب بنفسه ورد العامة عنهم لكانت اياها .

---

* وطلب من السلطان أن يبيح له التوجه إلى المشرق وأداء فريضة الحج وأسعفه ووصله بمال جليل وخيل عتاق وما يحتاج إليه . الذخيرة السنية صفحة ١٨٦ طبع الجزائر

بناء المدينة البيضاء المسماة اليوم بفاس الجديد

لما فتح جبل تينملل ومحيت منه بقية آل عبد المومن وتمهد ملك المغرب للسلطان يعقوب واستفحل أمره وكثرت غاشيته رأى أن يختط بلدا ينسب اليه ويتميز بسكناه وينزل فيه بحاشيته وأوليائه الحاملين لسرير ملكه، فأمر ببناء المدينة البيضاء ملاصقة لمدينة فاس على ضفة واديها المخترق لها من جهة أعلاه وشرع فى تأسيسها ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وستمائة ، وركب السلطان بنفسه فوقف عليها حتى خطت مساحتها وأسست جدرانها وجمع الايدى عليها وحشر الصناع والعملة لبنائها وأحضر لها أهل النجامة والمعدلين لحركات الكواكب فاختاروا لها من الطوالع ما يرضون أثره ويحمدون سيره وأسست فيه وكان فى أولائك المعدلين امامان شهيران أبو الحسن بن القطان * وأبو عبد الله ابن الحباك المقدمان فى الصناعة فكمل تشييد هذه المدينة على ما رسم رحمه الله وكما رضى ، ونزلها بحاشيته وذويه سنة أربع وسبعين المذكورة ، واختط الناس بها الدور والمنازل وأجريت فيها المياه الى القصور ، وكانت من أعظم آثار هذه الدولة وأبقاها على الايام

قال ابن أبى زرع : ومن سعادة طالعها أنه لايموت فيها خليفة ولم يخرج منها لواء قط الا كان منصورا ولا جيش الا كان ظافرا

ثم أمر رحمه الله ببناء قصبة مكناسة فشرع فى بنائها وبناء جامعها فى السنة المذكورة ثم استوزر صنيعته أبا سالم فتح الله السدراتى وأجرى له رزق الوزارة على عادتهم

ثم كافأ يغمراسن بن زيان على هديته التى كان بعث بها اليه قبل اجازته الى الاندلس فبعث اليه فسطاطا رائقا كان صنع له بمراكش وثلاثين من البغال الفارهة ذكرانا واناثا وغير ذلك مما يباهى به ملوك المغرب

وفى سنة خمس وسبعين وستمائة أهدى اليه الامير محمد بن عبدالقوى

(*) فى الذخيرة السنية بدل ابن القطان أبو الربيع سليمان الغياش صفحة ١٨٧ طبع الجزائر

التوجينى صاحب جبل وانشريس أربعة من الجياد انتقاها من خيل المغرب كافة ورأى أنها على قلة عددها أحفل هدية وفى نفسه أثناء هذا كله من أمر الجهاد شغل شاغل يتخطى اليه سائر أعماله حسبما نذكره ان شاء الله

الجواز الثانى للسلطان يعقوب إلى الاندلس برسم الجهاد

لما قفل السلطان يعقوب من غزوته الاولى واستنزل الخوارج وثقف الثغور وهادى الملوك واختط المدينة البيضاء لنزوله كما ذكرنا ، خرج فاتح سنة خمس وسبعين وستمائة الى جهة مراكش لسد ثغورها وتثقيف أطرافها وتوغل فى أرض السوس وبعث وزيره فتح الله السدراتى فى العساكر فجاس خلالها ثم انكفأ راجعا وهناك خاطب السلطان يعقوب رحمه الله قبائل المغرب كافة بالنفير الى الجهاد فتثاقلوا عليه فلم يزل يحرضهم وهم يسوفون الى أن دخلت سنة ست وسبعين بعدها ، ولما رأى تثاقل الناس عليه نهض الى رباط الفتح وتلوم به أياما فى انتظار الغزاة فأبطأوا عليه فخف فى خاصته وتقدم فى حاشيته حتى انتهى الى قصر المجاز ، وقد تلاحق به الناس من كل جهة لما رأوا من عزمه وتصميمه فأجاز بهم البحر واحتل بطريف آخر محرم من السنة المذكورة ، ثم ارتحل الى الجزيرة الخضراء ثم الى رندة ، فوافاه بها الرئيسان أبو محمد عبد الله بن أبى الحسن على بن اشقيلولة صاحب مالقة وأخوه أبو اسحق ابراهيم بن أبى الحسن برسم الجهاد معه

ثم ارتحل السلطان من رندة فاتح ربيع الاول من السنة المذكورة حتى انتهى الى اشبيلية فعرس عليها يوم المولد النبوى وكان بها يومئذ ملك الجلالقة ابن اذفونش فلم يجد بدا من الخروج اليه بعد أن خام عن اللقاء أولا فبرز فى جموعه وصفها على ضفة الوادى الكبير من ناحية السلطان وأظهر من أبهة الحرب ما قدر عليه فكانت جيوشه كلها فى الدروع السوابغ والبيض اللوامع والسيوف البواتر وغير ذلك من آلات الحرب التى يكاد

شعاعها يدهش البصر وزحف اليه السلطان يعقوب رحمه الله بعد أن صلى ركعتين ودعا الله تعالى ووعظ الناس وذكرهم فرتب مصافه وجعل ولده الامير يوسف فى المقدمة وزحف على التعبية فاقتتلوا مليا ، ثم انهزمت الفرنج فتساقط بعضهم فى الوادى وانحدر آخرون مع ضفته وتصاعد آخرون كذلك واقتحم المسلمون عليهم وسط الماء وقتلوهم فى لجته حتى صار الماء أحمر وطفت جيفهم من الغد عليه فكان فيهم عبرة لمن اعتبر ، وبات السلطان والمسلمون تلك الليلة على صهوات خيولهم يقتلون ويأسرون وأضرموا النيران بساحة اشبيلية حتى صار الليل نهارا وباتت الفرنج على الاسوار ينفخون فى القرون ويحترسون طول ليلتهم

ثم ارتحل السلطان من الغدالى جبل الشرف وبث السرايا فى نواحيه فلم يزل يتقرى تلك الجهات حتى أباد عمرانها وطمس معالمها ودخل حصن قطنيانة وحصن جليانة وحصن القليعة عنوة وأثخن فى القتل والسبى ثم ارتحل بالغنائم والاثقال الى الجزيرة الخضراء فدخلها فى الثامن والعشرين من ربيع الاول المذكور فأراح بها وقسم الغنائم فى المجاهدين ثم خرج غازيا مدينة شريش منتصف ربيع الاخر فنازلها وأذاقها نكال الحرب ووبال الحصار وقطع الزياتين والاعناب وسائر الاشجار وأباد خضراءها وحرق ديارها وأثخن فيها بالقتل والاسر وكان السلطان يعقوب يباشر قطع الشجر والثمر بيده وسرح ولده الامير يوسف من معسكره فى سرية للغارة على اشبيلية وحصون الوادى الكبير فبالغ فى النكاية واكتسح حصن روطة وشلوقة وغليانة والقناطر ثم صبح اشبيلية فاكتسحها وانكفأ راجعا بالمغانم والسبى الى السلطان يعقوب فسر بمقدمه وقفلوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فأراح السلطان بها أياما وقسم فى المجاهدين غنائمهم ثم جمع أشياخ القبائل وندبهم الى غزو قرطبة وقال : « يامعشر المجاهدين ان اشبيلية وشريش وأحوازهما قد ضعفت وبادت ولم يبق لكم بها كبير نفع ولا نكاية وان قرطبة وأعمالها بلاد حصينة عامرة وعليها اعتماد الفرنج ومنها معاشهم وما دتهم فان غزوتموها واستأصلتم خضراءها مثل ما فعلتم باشبيلية وشريش كان ذلك سبب ضعف النصرانية

بهذا القطر » فأجابوا بالسمع والطاعة فدعا لهم وفرق فيهم الاموال والخلع وخاطب ابن الاحمر يستنفره للجهاد معه وقال : « ان خروجك معى الى قرطبة يكون لك مهابة فى قلوب الفرنج ما عشت سوى ما تستوجبه من الله تعالى من الثواب فى ذلك»

ونهض السلطان الى قرطبة فاتح جمادى الاولى من سنة ست وسبعين المذكورة فوافاه ابن الاحمر بناحية شدونة فاكرم موصله وشكر خفوفه الى الجهاد وبداره اليه ونازلوا حصن بنى بشير فدخلوه عنوة وقتلت المقاتلة وسبيت النساء ونفلت الاموال وهدم الحصن حتى لم يبق له أثر ثم بث السلطان رحمه الله السرايا والغارات فى البسائط فاكتسحها وامتلات الايدى وأثرى العسكر وفاض عليهم من الغنم والبقر والمعز والخيل والبغال والحمير والقمح والشعير والزيت والعسل ما لا يوصف ثم ساروا يقرون المنازل والعمران فى طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها وخفقت ألوية السلطان فى نواحيها وزعقت طبوله فى فضائها وتقدم فى أبطاله وحماته حتى وقف على بابها ثم دار بأسوارها ينظر كيف الحيلة فى قتالها ووقف ابن الاحمر بعساكر الاندلس أمام محلة المسلمين يحرسونها خوفا من كرة العدو وخنس الفرنج وراء الاسوار وانبثت بعوث المسلمين وسراياهم فى نواحى قرطبة وقراها ، فنسفوا آثارها وخربوا عمرانها وترددوا على جهاتها ودخلوا حصن الزهراء بالسيف وأقام السلطان على قرطبة ثلاثا ثم ارتحل عنها الى حصن بركونة فدخله عنوة ثم ارجونة كذلك ثم قدم بعثا الى مدينة جيان فقاسمها حظها من الخسف والدمار ، وخام الطاغية عن اللقاء وأيقن بخراب عمرانه واتلاف بلاده فجنح الى السلم وخطبه من السلطان يعقوب ورغب فيه اليه وبعث الاقسة والرهبان للوساطة فى ذلك فرفعهم السلطان يعقوب الى ابن الاحمر وجعل الامر فى ذلك اليه تكرمة لمشهده ووفاء بحقه وقال لوفد الفرنج : « انما أنا ضيف والضيف لا يصالح على رب المنزل» فساروا الى ابن الاحمر وقالوا له: «ان السلطان يعقوب قد رد الامر اليك ونحن قد جئناك لنعقد معك صلحا مؤبدا لا يعقبه غدر ولا

حرب » وأقسموا له بطلبانهم ان لم يرضه الفنش ليخلعنه لانه لم ينصر الصليب ولا حمى الحوزة فأجابهم ابن الاحمر اليه بعد عرضه على أمير المسلمين والتماس اذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح أهل الاندلس اليه منذ المدد الطويلة فانعقد السلم فى ءاخر شهر رمضان من السنة المذكورة وقفل السلطان يعقوب من غزاته هذه وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الاحمر وخرج له عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاحمر وساقها الى غرناطة وقال له السلطان يعقوب: «يكون حظ بنى مرين من هذه الغزاة الاجر والثواب مثل ما فعل يوسف ابن تاشفين رحمه الله مع أهل الاندلس يوم الزلاقة »

ولما قفل السلطان يعقوب من هذه الغزوة اعتل الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة ثم هلك غرة جمادى من السنة المذكورة فلحق ابنه محمد بالسلطان يعقوب آخر شهر رمضان وهو متلوم بالجزيرة الخضراء منصرفه من الغزو كما ذكرناه فنزل له عن مالقة ودعاه الى حوزها منه وقال له : « ان لم تحزها أعطيتها للفرنج ولا يتملكها ابن الاحمر » فحازها السلطان يعقوب منه وعقد عليها لابنه أبى زيان منديل بن يعقوب فسار اليها وتملكها ، وعز ذلك على ابن الاحمر غاية لانه لمابلغه وفاة أبى محمد بن اشقيلولة سما أمله اليها وأن ابن أخته وهو محمد الوافد على السلطان يعقوب شيعة له لايبغى به بدلا فأخطأ ظنه وخرج الامر بخلاف ما كان يرتقب ، ولما قضى السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء صومه ونسكه خرج الى مالقة فدخلها سادس شوال من السنة وبرز اليه أهلها فى يوم مشهود واحتفلوا لهاحتفال أيام الزينة سرورا بمقدم السلطان واغتباطا بدخولهم فى دعوته وانخراطهم فى سلك رعيته ، وأقام فيهم الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلى من صنائع دولتهم ، وأنزل معه المسالح وترك عنده زيان بن أبى عياد بن عبد الحق فى طائفة لنظره من أبطال بنى مرين ، واستوصاه بمحمد بن اشقيلولة وارتحل الى الجزيرة الخضراء ، ثم أجاز منها الى المغرب فاتح سنة سبع وسبعين وستمائة وقد اهتزت الدنيا لمقدمه وامتلات القلوب سرورا بما هيأه الله من نصر المسلمين بالاندلس وعلو راية الاسلام على كل راية وعظمت بذلك كله موجدة ابن الاحمر ونشأت الفتنة كما نذكره ان شاء الله

حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاحمر وما نشأ عن ذلك من حصار الجزيرة الخضراء وغير ذلك

قد تقدم لنا أن بنو اشقيلولة كانوا أصهارا لابن الاحمر وأنهم لما قدموا على السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء فى جوازه الاول صدرت من ابن اشقيلولة كلمات أحفظت ابن الاحمر وغاظته فذهب لاجلها مغاضبا وانحرف عن السلطان يعقوب ولم يشهد معه الغزو ولا عرج على الجهاد ، ولما نصر الله السلطان يعقوب على عدوه وقتل العلج وبعث برأسه الى ابن الاحمر طيبه وبعثه الى قومه انحرافا عن السلطان وموالاة للعدو ، ولما جاز السلطان يعقوب الجواز الثانى انقبض عنه ابن الاحمر ولم يلقه حتى خاطبه السلطان واستنفره الى الجهاد فلحقه بشدونة كما مر ، ولما صنع الله للسلطان ماصنع من الظهور والعز الذى لاكفاء له واستولى على مالقة من يد ابن اشقيلولة ارتاب ابن الاحمر بمكانه وظن به الظنون وتخوف منه ما كان من يوسف بن تاشفين للمعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف ففص بمكانه وأظلم الجو بينهما ودارت بينهما مخاطبات شعرية على ألسنة الكتاب فى معنى العتاب ولم تزل القوارص بين السلطانين تجرى وعقارب السعاية تدب وتسرى وخوف ابن الاحمر على ملكه يشتد ويزيد وأوامر الاخوة الاسلامية تتلاشى وتبيد الى أن استحكمت البغضاء وضاق بينهما رحب الفضاء ففزع ابن الاحمر الى مداخلة الطاغية فى شأنه واتصال يده بيده وحبله بحبله وأن يعود الى منزلة أبيه معه من ولايته ليدافع به السلطان يعقوب وقومه عن أرضه ويأمن معه من زوال سلطانه فاغتنم الطاغية هذه الفرصة ونكث عهد السلطان يعقوب ونقض السلم وأعلن بالحرب وأغزا أساطيله الجزيرة الخضراء حيث كانت مسالح السلطان يعقوب وجنوده وأرست بالزقاق حيث فراض المجاز وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر وحال العدو بينهم وبين اغاثته اياهم واتصلت يد ابن الاحمر بيد الطاغية واتفقا على منع السلطان يعقوب من عبور البحر وداخل

ابن الاحمر عمر ابن يحيى بن محلى صاحب مالقة فى النزول له عنها بعوض ففعل واستولى ابن الاحمر عليها ثم راسل هو والطاغية يغمراسن بن زيان من وراء البحر وراسلهم هو فى مشاقة السلطان وافساد ثغوره وانزال العوائق المانعة له من حركته والاخذ بأذياله عن النهوض الى الغزو وأسنوا فيما بينهما الهدايا والتحف وجنب يغمراسن الى ابن الاحمر ثلاثين من عتاق الخيل مع ثياب من عمل الصوف ، وبعث اليه ابن الاحمر مكافأة على ذلك عشرة آلاف دينار فلم يرض بالمال ورده وأصفقت آراؤهم جميعا على السلطان يعقوب ورأوا أن قد أبلغوا فى احكام أمرهم وسد مذاهبه اليهم .

واتصل خبر هذا كله بالسلطان وهو بمراكش كان خرج اليها مرجعه من الغزو فى المحرم سنة سبع وسبعين وستمائة لما كان من عيث عرب جشم بتامسنا وافسادهم السابلة ، فثقف أطرافها وحسم مادة فسادها ، ثم اتصل به خبر ابن محلى ونزوله عن مالقة لابن الاحمر ومنازلة الطاغية باساطيله للجزيرة الخضراء وتضييقه على المسلمين بها ، فبلغ ذلك منه كل مبلغ ونهض من مراكش ثالث شوال من السنة يريد طنجة فوصل الى قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالت عليه بها الامطار والسيول وعاقته عن النهوض ، وبينما هو فى ذلك ورد عليه الخبر أيضا بنزول الطاغية على الجزيرة الخضراء برا واحاطة عسكره بها بعد أن كانت أساطيله منازلة لها فى البحر منذ ستة أشهر أو سبعة وانه مشرف على التهامها وبعثوا اليه يستصرخونه ويخبرونه بالحال فاعتزم على الرحيل .

ثم اتصل به الخبر ثالثا بخروج مسعود بن كانون السفيانى ببلاد نفيس من أرض المصامدة خامس ذى القعدة من السنة وان الناس اجتمعوا اليه من قومه وغيرهم ، فانخرقت على السلطان الفتوق وتوالت عليه الخطوب ولم يدر ما يصنع ، الا أنه رأى أن يقدم أمر ابن كانون والعرب فكر راجعا اليه وقدم بين يديه حافده تاشفين بن أبى مالك ووزيره يحيى بن حازم العلوى وجاء هو على ساقتهم ، وفر مسعود بن كانون وجموعه أمام السلطان فانتهب معسكرهم وحللهم واستباح عرب الحارث من سفيان ، ولحق مسعود بجبل

سكسيوة فاعتصم به وشايع عبد الواحد السكسيوى القائم به على خلافه ، ونازله السلطان يعقوب بعساكره أياما وسرح ابنه الامير أبا زيان منديل الى بلاد السوس لتمهيدها وتدويخ أقطارها فأوغل فى ديارها وقفل الى أبيه فى آخر يوم من السنة المذكورة .

واتصل بالسلطان ما تضاعف على أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة القتال واعواز الاقوات ، وانهم ختنوا الاصاغر من أولادهم خشية عليهم من معرة الكفر فاهمه ذلك .

وكان أقسم أن لا يرتحل عن ابن كانون حتى ينزل على حكمه أو يهلك دون ذلك فاعمل النظر فيما يكون به خلاص أهل الجزيرة فعقد لولى عهده ابنه الامير يوسف ، وكان بمراكش على الغزو اليها وكان أهل الجزيرة كما قلنا قد أحاط بهم العدو برا وبحرا وانقطعت عنهم المواد وعميت عليهم الانباء الا ما يأتيهم به الحمام من جبل طارق ، وفنى أكثرهم بالقتل والجوع وسهر الليل على الاسوار وشدة الحصار حتى أشرف بقيتهم على الهلاك وأيسوا من الحياة ، فحينئذ جمعوا صبيانهم وختنوهم كما مر وبينما هم على ذلك قدم الامير يوسف بجيوشه الى طنجة وكان قدومه فى اوائل صفر من سنة ثمان وسبعين وستمائة

وكان السلطان يعقوب لما بعث ابنه الامير يوسف الى طنجة قد كتب الى الثغور باعداد الاساطيل وعمارتها وتوجيهها اليه وقسم الاعطاءات وحض الناس على النهوض فتوفرت همم المسلمين على الجهاد وأجابوا من كل ناحية ، وأبلى الفقيه أبو حاتم العزفى صاحب سبتة لما بلغه الخطاب من السلطان فى شأن الاساطيل البلاء الحسن، وقام فيه المقام المحمود ، فهيأ خمسة وأربعين أسطولا واستنفر كافة أهل بلده من المحتلم الى الشيخ فركبوا البحر أجمعون ولم يبق بسبتة الا النساء والشيوخ والصبيان ، ورأى ابن الاحمر ما نزل بأهل الجزيرة واشراف الطاغية على أخذها فندم على ممالاته اياه وأعد أساطيل سواحله من المنكب والمرية ومالقة فكانت اثنى عشر اسطولا

فبعثها مددا للمسلمين ، وقدم من بادس وسلا وآنفى خمسة عشر أسطولا فنهض فى الوقت اثنان وسبعون أسطولا واجتمعت كلها بمرفا سبتة وقد أخذت بطرفى الزقاق فى أحفل زى وأكمل استعداد ثم تقدمت الى طنجة ليراها الامير يوسف فشاهدها وسر بها وعقد لهم رايته مع جماعة من أبطال بنى مرين رغبوا فى الجهاد .

ثم أقلعت الاساطيل عن طنجة ثامن ربيع الاول سنة ثمان وسبعين وستمائة وانتشرت قلوعهم فى البحر فأجازوه وباتوا ليلة المولد الكريم بمرفا جبل الفتح وصبحوا العدو وأساطيله يومئذ تناهز أربعمائة فتظاهر المسلمون فى دروعهم وأسبغوا من شكتهم وأخلصوا لله عزائمهم وتنادوا بالجنة وشعارها ووعظ خطباؤهم وذكر صلحاؤهم ، والتحم القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كلا ولا حتى نضحوا العدو بالنبل ففسدت أفروطتهم واختل مصافهم وانكشفوا وتساقطوا فى عباب البحر ، فاستلحمهم السيف وغشيهم اليم واستولى المسلمون على أساطيلهم فملكوها وأسروا قائدها الملند فى جماعة من حاشيته ، واستمر مثقفا بفاس حتى فر بعد ذلك وسر المسلمون الذين بداخل الجزيرة بفساد أفروطة العدو وهلاكها .

ولما رأى عسكر الطاغية الذى فى البر ما أصاب أهل البحر منهم من القتل والاسر داخلهم الرعب وخافوا من هجوم الامير يوسف عليهم اذ كان مقيما بساحل طنجة مستعدا للعبور فقوضوا أبنيتهم وأفرجوا عن البلد لحينهم وانتشر المسلمون والنساء والصبيان بساحة البلد كأنما نشروا من قبر وغلبت مقاتلتهم كثيرا من عسكر العدو على متاعهم فغنموا من الحنطة والادام والفواكه ما ملأ أسواق البلد أياما حتى وصلتها الميرة من النواحى

وأجاز الامير يوسف البحر من حينه فاحتل بساحل الجزيرة وأرهب العدو فى كل ناحية لكنه صده عن الغزو شأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى أن يعقد مع الطاغية سلما ويصل يده بيده لمنازلة غرناطة دار ابن الاحمر فأجابه الطاغية الى ذلك رهبة من بأسه وموجدة على ابن الاحمر فى مدد أهل

الجزيرة وبعث أساقفته لعقد ذلك واحكامه فأجازهم الامير يوسف الى أبيه وهو بناحية مراكش فغضب لها وأنكر على ابنه وزوى عنه وجه رضاه ، وأقسم أن لايرى أسقفا منهم الا أن يراه بارضه ورجعهم الى طاغيتهم مخفقى السعى كاسفى البال

ووصلت فى هذه السنة هدية السلطان أبى زكرياء يحيى الواثق الحفصى مع أبى العباس الغمارى حسبما مرت الاشارة اليه قبل هذا

ثم ان السلطان يعقوب رحمه الله رجع الى فاس وبعث خطابه الى الافاق مستنفرا للجهاد وفصل عنها غرة رجب من سنة ثمان وسبعين وستمائة حتى انتهى الى طنجة وعاين ما اختل من أحوال المسلمين فى تلك الفترة وماجرت اليه فتنة ابن الاحمر من اعتزاز الطاغية وما حدثته نفسه من التهام الجزيرة الاندلسية ، ومن فيها وكان قد أمر أمره فى هذه المدة وظاهره أعداء ابن الاحمر من بنى اشقيلولة وغيرهم عليه حتى حاصروا غرناطة ومرج أمر الاندلس وتغلت أطرافها وأشفق السلطان يعقوب رحمه الله على المسلمين الذين بها وعلى ابن الاحمر مما ناله من خسف الطاغية فراسله فى الموادعة واتفاق الكلمة على أن ينزل له عن مالقة التى خادع عنها ابن محلى كما تقدم ، فامتنع ابن الاحمر وأساء الرد فى ذلك فرجع السلطان يعقوب الى ازالة العوائق عن شأنه فى الجهاد وكان من أعظمها فتنة يغمراسن واستيقن ما دار بينه وبين ابن الاحمر والطاغية ابن اذفونش من الاتصال والاصفاق على تعويقه عن الغزو فبعث الى يغمراسن يسأله عن الذى بلغه عنه ويطلب منه تجديد الصلح وجمع الكلمة ، فلج فى الخلاف وكشف وجه العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدوة الاندلسية مسلمهم وكافرهم من الوصلة وأنه معتزم على وطء بلاد المغرب فصرف السلطان يعقوب عزمه الى غزو يغمراسن وقفل الى فاس لثلاثة أشهر من حلوله بطنجة فدخلها ءاخر شوال من السنة المذكورة وأعاد الرسل الى يغمراسن لاقامة الحجة عليه وقال له فيما خاطبه به : «الى متى يا يغمراسن هذا النفور والتمادى فى الغرور ؟ أما آن أن تنشرح الصدور وتنقضى هذه الشرور ؟» فى

كلام غير هذا فصم يغمراسن عن ذلك كله ولم يرفع بـه رأسا ، ولما أيـس السلطان يعقوب من اقلاعه ورجوعه نهض اليه مـن فاس آخـر سنة تسـع وسبعين وستمائة وقدم ابنه الامير يوسف فى العساكر وتبعه فأدركه بتازا ، ولما انتهى الى ملوية تلوم أياما فى انتظار العساكر ثم ارتحل حتى نزل وادى تافنا وصمد اليه يغمراسن بجموع زناتة والعرب بحللهم ونجعهـم وشائهـم ونعمهم والتقت طوالع القوم أولا فكانت بينهما حرب ثم ركب على آثارهما العسكران والتحم القتال سائر النهار ، وكان الزحف بالموضع المعروف بالملعب من أحواز تلمسان ثم انكشف بنو عبد الواد عند ما أراح القـوم وانتهـب معسكرهم بما فيه من الكراع والسلاح والفساطيط والمتـاع وبات عسكـر السلطان يعقوب تلك الليلة على متون جيادهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم ، واكتسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن وامتلأت أيـدى بنى مرين من شائهم ونعمهم وتوغلوا فـى أرض يغمراسن ، ووافـاه هنا لك محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين لقيه بناحية القصبات وعاثوا جميعا فى بلاده تخريبا ونهبا ثم أذن السلطان يعقوت لبنى توجين فى اللحاق ببلادهم وأخذ هو بمخنق تلمسان محاصرا لها حتى يصل محمد بن عبد القـوى الى مأمنه من جبل وانشريس خوفا عليه من غائلة يغمراسـن واتباعه اياه ، ثـم أفرج عنها وقفل الى المغرب فدخل حضرة فاس فى رمضان سنـة ثمانيـن وستمائة ، ثم نهض الى مراكش فدخلها فاتح سنة احدى وثمانين بعدها فبنى بها بامرأة مسعود بن كانون السفيانى لانه كان قد هلـك قبل هـذه السنـة وسرح ابنه الامير يوسف الى السوس لتدويخ أقطاره ثم وافاه وهو بمراكش صريخ الطاغية على ما نذكره الان

الجواز الثالث للسلطان يعقوب إلى الاندلس مغيثا للطاغية ومغتنما فرصة الجهاد

لما كان السلطان يعقوب رحمه الله بمراكش سنة احدى وثمانين وستمائة قدم عليه كتاب طاغية الاصبنيول واسمه هراندة مع وفد من بطارقته وزعماء دولته مستصرخا له على ابنه سانجة الخارج عليه فى طائفة من النصارى وأنهم غلبوه على أمره زاعمين بأنه شاخ وضعف عن تدبيرهم ولم يقدر على القيام بنصرتهم فاستنصره عليهم ودعاه لحربهم وأمله لاسترجاع ملكه من يدهم فاغتنم السلطان يعقوب هذه الفرصة فى الحال وجعل جوابه نفس النهوض والارتحال فسار معهم لم يعرج على شىء حتى أتى قصر المجاز وهو قصر مصمودة فعبر منه واحتل لوقته بالجزيرة الخضراء فى ربيع الثانى من سنة احدى وثمانين المذكورة وأوعز الى الناس بالنفير الى الجهاد واجتمعت عليه مسالح الثغور بالاندلس وسار حتى نزل صخرة عباد وهناك قدم عليه الطاغية هراندة ذليلا لعزة الاسلام مؤملا صريخ السلطان فأكرم موصله وأكرم وفادته .

وذكر ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما من الاثبات : « ان هذا الطاغية لما اجتمع بالسلطان يعقوب قبل يده اعظاما لقدره وخضوعا لعزه فدعا السلطان رحمه الله بماء فغسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هناك من جموع المسلمين والفرنج ثم التمس الطاغية من السلطان أن يمده بشىء من المال ليستعين به على حربه ونفقاته ، فأسلفه السلطان مائة ألف دينار من بيت مال المسلمين رهنه الطاغية فيها تاجه الموروث عن سلفه ، قال ابن خلدون : «وبقى هذا التاج بدار بنى يعقوب بن عبد الحق فخرا للاعقاب لهذا العهد» قلت : «وما أبعد حال هذا الطاغية المهين من حال عطارد بن حاجب التميمى الذى لم يسلم قوس أبيه على تطاول السنين والقصة مشهورة فانظر ما بين الهمم العربية والعجمية من البون وحال الفريقين فى الابتذال والصون»

ثم ان السلطان يعقوب رحمه الله تقدم مع الطاغية ودخل دار الحرب غازيا حتى نازل قرطبة وبها يومئذ سانجة بن الطاغية الخارج عليه مع طائفته فقاتلها أياما ثم أفرج عنها وتنقل فى جهاتها وبعث سراياه الى جيان فأفسدوا زروعها ثم ارتحل الى طليطلة فعاث فى جهاتها وخرب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من أقصى الثغر فامتلات أيدى المسلمين وضاق معسكرهم بالغنائم التى استاقوها فقفل السلطان من أجل ذلك الى الجزيرة فاحتل بها فى شعبان وأقام بها الى آخر السنة المذكورة وكانت غزوة لم يسمح الدهر بمثلها وفى هذه السنة توفى يغمراسن بن زيان على ما فى القرطاس . وذكر ابن خلدون : أنه لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان وقال له : « يابنى ان بنى مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على حضرة الخلافة بمراكش لاطاقة لنا بلقائهم فاياك أن تحاربهم فان مددهم موفور ومددك محصور ولا يغرنك انى كنت أحاربهم ولا أنكص عن لقائهم لانى كنت أخشى معرة الجبن عنهم بعد التمرس بهم والاجتراء عليهم وأنت لايضرك ذلك لانك لم تحاربهم ولم تتمرس بهم فعليك بالتحصن ببلدك متى زحفوا اليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين أصحاب تونس يستفحل بها ملكك وتكافىء حشد العدو بحشدك » قال : « فعمل ابنه عثمان على وصيته وأوفد أخاه محمد بن يغمراسن على السلطان يعقوب وهو بالاندلس فى جوازه الرابع فعقد معه السلم على ما أحب وانكفأ راجعا الى أخيه فطابت نفسه وتفرغ لافتتاح البلاد الشرقية

انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الاحمر والسبب في ذلك

لما اتصلت يد السلطان يعقوب رحمه الله بيد الطاغية وقام معه فى ارتجاع ملكه خشى ابن الاحمر عاديته فجنح الى موالاة ابنه سانجة الخارج عليه ووصل يده بيده وأكد له العقد واضطرمت الاندلس نارا وفتنة بسبب هذا الخلاف ، ولما قفل السلطان يعقوب من غزوته مع الطاغية وقد ظهر على ابنه

أجمع على منازلة مالقة التى استحوذ عليها ابن الاحمر وخدع عنها ابن محلى فنهض السلطان اليها من الجزيرة الخضراء فاتح سنة اثنتين وثمانين وستمائة فغلب أولا على الحصون الغربية كلها ثم أسف الى مالقة فأناخ عليها بعساكره وضاق على ابن الاحمر النطاق ولم تغن عنه موالاة سانجة شيئا وبدا له سوء المغبة فى شأن مالقة وندم على تناولها فاعمل نظره فى الخلاص من ورطتها ولم ير لها الا الامير يوسف ابن السلطان يعقوب فخاطبه بمكانه من المغرب مستصرخا له لرقع هذا الخرق ورتق هذا الفتق وجمع كلمة المسلمين على عدوهم فأجابه واغتنم المثوبة فى مسعاه وعبر البحر الى الاندلس فى صفر سنة اثنتين وثمانين المذكورة فوافى أباه بمعسكره على مالقة ورغب منه السلم لابن الاحمر فى شأنها والتجافى له عنها فاسعف رغبة ابنه لما يؤمل فى ذلك من رضى الله عز وجل فى جهاد عدوه واعلاء كلمته ، وانعقد السلم وانبسط أمل ابن الاحمر وتجددت عزائم المسلمين للجهاد وقفل السلطان يعقوب الى الجزيرة الخضراء فبث السرايا فى دار الحرب فأوغلو وأثخنوا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثانى من سنة اثنتين وثمانين المذكورة حتى انتهى الى قرطبة فأثخن وغنم وخرب العمران وافتتح الحصون ثم ارتحل نحو البرت وترك محلته على بياسة بالمغانم والاثقال وترك معها خمسة آلاف فارس يحمونها من كرة العدو ثم أغذ السير فى أرض قفرة ليلتين حتى انتهى الى البرت من نواحى طليطلة فسرح الخيل فى البسائط وجالت فى أكنافها ولم تنته الى طليطلة لتثاقل الناس بكثرة الغنائم وأثخن فى القتل وقفل على غير طريقه فأثخن وخرب

وانتهى الى أبدة فوقف بساحتها وقاتلها ساعة من نهار فرماه علج من خلف السور بسهم أصاب فرسه فارتحل عنها الى معسكره ببياسة فأراح بها ثلاثا ينسف آثارها ويقتلع أشجارها وقفل الى الجزيرة وبين يديه من السبى والغنائم ما يعجز عنه الوصف فدخلها فى شهر رجب من السنة المذكورة فقسم الغنائم ونفل من الخمس وولى على الجزيرة حافده عيسى بن عبد الواحد بن يعقوب فهلك شهيدا على شريش بسهم مسموم لشهرين من ولايته

ثم عبر السلطان الى المغرب فاتح شعبان ومعه ابنه أبو زيان منديل فأراح بطنجة ثلاثا ثم نهض الى فاس فدخلها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسك عيده ارتحل الى مراكش لتمهيدها وتفقد أحوالها وقسم من نظره لنواحى سلا حظا فأقام برباط الفتح شهرين اثنين وتوفيت فى هذه المدة الحرة أم العز بنت محمد بن حازم العلوى وهى أم الامير يوسف وكانت وفاتها برباط الفتح فدفنت بشالة . ثم نهض السلطان يعقوب الى مراكش فدخلها فاتح ثلاث وثمانين وستمائة وبلغه مهلك الطاغية هراندة بن اذفونش واجتماع النصرانية على ابنه سانجة الخارج عليه فتحركت همته الى الجهاد ثم سرح ابنه الامير يوسف ولى عهده بالعسكر الى بلاد السوس لغزو العرب الذين بها وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج المتنزين على الدولة فأجفلوا أمامه واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر العرب فى تلك القفار جوعا وعطشا وقفل راجعا لما بلغه من اعتلال والده انسلطان يعقوب فوصل الى مراكش وقد أبل من مرضه وعزم على الجهاد شكرا لله تعالى على نعمة العافية ، وفى هذه السنة وصل ماء عين غبولة الى قصبة رباط الفتح بأمر السلطان يعقوب وكان ذلك على يد المعلم المهندس أبى الحسن على بن الحاج والله تعالى أعلم

الجواز الرابع للسلطان يعقوب إلى الاندلس برسم الجهاد

لما اعتزم السلطان يعقوب على العبور الى الاندلس عرض جنوده وحاشيته وأزاح عللهم وبعث فى قبائل المغرب بالنفير ونهض من مراكش فى جمادى الآخرة لثلاث وثمانين وستمائة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان فقضى به صومه ونسكه ثم ارتحل الى قصر المجاز وشرع فى اجازة العساكر والحشود من المرتزقة والمتطوعة خاتم سنته ، ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع وثمانين بعدها واحتل بظاهر طريف ، ثم سار الى الجزيرة

الخضراء فأراح بها أياما ثم خرج غازيا حتى انتهى الى وادى لك وسرح الخيول فى بلاد العدو وبسائطه يحرق وينسف . فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش فنزل بساحتها وأناخ عليها فى العشرين من صفر سنة أربع وثمانين المذكورة وبث السرايا والغارات فى جميع نواحيها وبعث عن المسالح التى كانت بالثغور فتوافت لديه ولحقه حافده عمر ابن عبد الواحد بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب فرسانا ورجالا ووافته حصة العزفى صاحب سبتة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة وأوعز الى ولى عهده الامير يوسف باستنفار من بقى من أهل العدوة .

وكان السلطان رحمه الله لما أناخ على شريش بعث وزيره محمد بن عطوا ومحمد بن عمران عيونا فوافوا حصن القناطر وروطة واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الثغور وعادوا الى السلطان فأخبروه ، ثم عقد السلطان لحافده منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من بنى مرين والغز وعرب العاصم والخلط والاثبج وأعطاه الراية وبعثه لغزو اشبيلية وذلك فى يوم الاحد التاسع والعشرين من صفر من السنة المذكورة فغنموا ومروا بقرمونة فى منصرفهم فاستباحوها وأثخنوا بالقتل والاسر ورجعوا وقد امتلات أيديهم من الغنائم ، ثم عقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان فى يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الاول من السنة وأعطاه الراية وسرحه الى بسائط وادى لك فرجعوا من الغنائم بما ملا العساكر بعد أن أثخنوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا عمرانها .

ثم سرح ثامن ربيع المذكور عسكرا من خمسمائة فارس للاغارة على حصن ركش فوافوه على غرة فاكتسحوا اموالهم وسبوا ، ثم عقد تاسع ربيع ايضا لابنه ابى معرف على الف من الفرسان وسرحه لغزو اشبيلية فساروا حتى هجموا عليها يوم المولد الكريم وتحصنت منه حاميتها بالاسوار فخرب عمرانها وقطع أشجارها وامتلأت ايدى عسكره سبيا واموالا ورجع الى محلة السلطان وهى نازلة على شريش كما قدمنا مملو الحقائب .

ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع المذكور لغزو حصن كان بالقرب من

معسكره كان أهله يقطعون الطريق على من خرج من المحلة مفردا أو فى قلة وسرح معه الرجل من الناشبة والفعلة بآلات من المساحى والفؤس ، وأمده بالرجل من المصامدة وغزاة سبتة فاقتحموه عنوة على أهله وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية وألصقوا خده بالتراب ونسفوا آثاره نسفا ، ولسبعة عشر من الشهر ركب السلطان الى حصن مرتفوط قريبا من معسكره فخربه وحرقه بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبى الاهل ، ولعشرين من شهره المذكور وصل ولى عهده الامير يوسف من العدوة المغربية بنفير أهل المغرب وكافة القبائل فى جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب السلطان لتلقائهم وبرور مقدمهم وعرض العساكر القادمة معه يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف من برابرة المغرب كلهم متطوع بالجهاد فعقد السلطان لولى العهد على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من المتطوعة وثلاثة عشر ألفا من الرجل وألفين من الناشبة وذلك فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الاول المذكور وسرحه لغزو اشبيلية والاثخان فى نواحيها فعبا كتائبه ونهض لوجهه وبث الغارات بين يديه فأثخنوا وسبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكتسحوا الاموال وعاج ولى العهد على الشرف والغابة من بسيط اشبيلية فنسف قراها واقتحم بعض حصونها وقفل الى معسكر السلطان وهو بمكانه من حصار شريش . وفى يوم الاثنين السادس من ربيع الثانى قدم أبو زيان منديل ابن السلطان يعقوب من المغرب فى جيش كثيف فيهم خمسمائة فارس من عرب بنى جابر أهل تادلا مع كبيرهم يوسف ابن قيطون وفيهم من المتطوعة والناشبة عدد كثير فعقد له السلطان غداة وصوله وأمده بعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادى الكبير فأغار على قرمونة وطمعت حاميتها فى المدافعة فبرزوا له وصدقهم القتال فانكشفوا حتى أدخلوهم البلد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار واقتحموه عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة اشبيلية فأغار واقتحم برجا كان هنالك عينا على المسلمين وأضرمه نارا وامتلات أيدى عساكره وقفل الى معسكر السلطان على شريش ، ولثلاث عشرة ليلة

من ربيع الثانى عقد السلطان لولى العهد الامير يوسف لمنازلة جزيرة كبتور فصمد اليها وقاتلها واقتحمها عنوة ، وفى ثانى جمادى الاولى عقد السلطان للحاج أبى الزبير طلحة بن يحيى بن محلى وكان بعد مداخلته أخاه عمر فى شان مالقة سنة خمس وسبعين خرج الى الحج فقضى فرضه ورجع ومر فى طريقه بتونس فاتهمه الدعى ابن أبى عمارة كان بها يومئذ فاعتقله سنة اثنتين وثمانين ثم سرحه ولحق بقومه بالمغرب ثم عبر الى الاندلس غازيا مع السلطان يعقوب فعقد له فى هذا اليوم على مائتين من الفرسان وسرحه الى اشبيلية ليكون ربيئة للمعسكر وبعث معه لذلك عيونا من اليهود والمعاهدين من النصارى يتعرفون له أخبار الطاغية سانجة ، والسلطان يعقوب رحمه‌الله أثناء هذا كله يغادى شريش ويراوحها بالقتل والتخريب ونسف الآثار وبث السرايا كل يوم وليلة فى بلاد العدو فلا يخلو يوم من تجهيز عسكر أواغزاء جيش أو عقد راية أو بعث سرية حتى انتسف العمران فى جميع بلاد النصرانية وخرب بسائط اشبيلية ولبلة وقرمونة واستجة وجبال الشرف وجميع بسائط الفرنتيرة

وأبلى فى هذه الغزوات عياذ بن أبى عياد العاصمى من شيوخ جشم والخضر الغزى من أمراء الاكراد بلاء عظيما وكان لهم فيها ذكر وصيت وكذلك غزاة سبتة وكذا سائر المجاهدين من عرب جشم وغيرهم مثل مهلهل ابن يحيى الخلطى صهر السلطان ويوسف بن قيطون الجابرى وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم

فلما دمرها تدميرا وأوسعها تخريبا ونسفها نسفا واكتسحها غارة ونهبا وهجم فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر اعتزم السلطان على القفول وأفرج عن شريش لآخر جمادى الاولى من السنة المذكورة بعد أن حاصرها نحوا من ثلاثة أشهر وعشرة أيام واتصل به أن العدو أوعز الى أساطيله باحتلال الزقاق والاعتراض دون الفراض فاوعز السلطان الى جميع سواحله من سبتة وطنجة وبلاد الريف ورباط الفتح والمنكب والجزيرة وطريف بتوجيه أساطيلهم فتوافت منها ستة وثلاثون أسطولا متكاملة فى عدتها

فأحجمت أساطيل العدو عنها وارتدت على أعقابها واحتل السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء وهى المسماة اليوم بخوزيرت غرة رمضان من سنة أربع وثمانين وستمائة ونزل بقصره من المدينة الجديدة التى بناها بازائها فبرزت أساطيل المسلمين أمامه بالمرسى وهو جالس بمشور قصره فلعبوا بمرأى منه فى البحر وتجاولوا وتناطحوا وتطاردوا كفعلهم ساعة الحرب فسر بذلك وأحسن اليهم وصرفهم الى حال سبيلهم

وفادة الطاغية على السلطان يعقوب بأحواز الجزيرة الخضراء وعقد الصلح بينهما والسبب في ذلك

قال ابن خلدون رحمه الله : لما نزل ببلاد النصرانية من السلطان يعقوب ما نزل من تدمير قراهم واكتساح أموالهم وسبى نسائهم وابادة مقاتلتهم وتخريب معاقلهم وانتساف عمرانهم زاغت منهم الابصار وبلغت القلوب الحناجر واستيقنوا أن لاعاصم لهم من أمير المسلمين فاجتمعوا الى طاغيتهم سانجة خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة متوجعين مما أذاقهم جنود الله من سوء العذاب وأليم النكال وحملوه على الضراعة لامير المسلمين فى السلم وايفاد الملا من كبار النصرانية عليه فى ذلك والا فلا تزال تصيبهم منه قارعة أو تحل قريبا من دارهم فأجاب الى ما دعوه اليه من الخسف والهضيمة لدينه وأوفد على أمير المسلمين وهو بالجزيرة الخضراء وفدا من بطارقتهم وشمامستهم يخطبون السلم ويضرعون فى المهادنة والابقاء ووضع أوزار الحرب فردهم أمير المسلمين اعتزازا عليهم ، ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة على أن يشترط ما شاء من عز دينه وقومه فأسعفهم أمير المسلمين وجنح الى السلم لما تيقن من صاغيتهم اليه وذلهم لعز الاسلام وأجابهم الى ما سألوه واشترط عليهم ما تقبلوه من مسالمة المسلمين كافة من قومه وغير قومه والوقوف عند مرضاته فى ولاية جيرانه من الملوك أو عداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين

بدار الحرب من بلاده وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم فى فتنة ، واستدعى السلطان الشيخ أبا محمد عبد الحق الترجمان وبعثه لاشتراط ذلك واحكام عقده فسار عبد الحق الى الطاغية سانجة وهوباشبيلية فعقد معه الصلح واستبلغ وأكد فى الوفاء بهذه الشروط ، ووفدت رسل ابن الاحمر على الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه على قومه وبلاده دون أمير المسلمين وان يكون معه يدا واحدة عليه فأحضرهم الطاغية بمشهد عبد الحق وأسمعهم ما عقد مع أمير المسلمين على قومه وأهل ملته كافة ، وقال لهم : « انما أنتم عبيد آبائى فلستم معى فى مقام السلم والحرب وهذا أمير المسلمين على الحقيقة ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عن نفسى فكيف عنكم » فانصرفوا ولما رأى عبد الحق ميله الى رضا السلطان وسوس اليه بالوفادة عليه لتتمكن الالفة وتستحكم العقدة وأراه مغبة ذلك فى سل السخيمة وتسكين الحفيظة فمال الى موافقته وسأله لقى الامير يوسف ولى عهد السلطان أولا ليطمئن قلبه فوصل اليه ولقيه على فراسخ من شريش وباتا بمعسكر المسلمين هنالك ثم ارتحلا من الغد للقاء السلطان يعقوب وكان قد أمر الناس بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واظهار شعائر الاسلام وأبهته وأن لايلبسوا الا البياض ، فاحتفلوا وتأهبوا وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية

وقدم الطاغية فى جماعته سود اللباس خاضعين ذليلين فاجتمعوا بالامير بحصن الصخرات على مقربة من وادى لك وذلك يوم الاحد العشرين من شعبان سنة أربع وثمانين وستمائة وتقدم الطاغية فلقيه أمير المسلمين بأحسن مبرة وأتم كرامة يلقى بها مثله من عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية من طرف بلاده أتحف بها السلطان وولى عهده كان فيها زوج من الخيول الوحشى المسمى بالفيل وحمارة من حمر الوحش الى غير ذلك من الطرف فقبلها السلطان وابنه وأضعفوا له المكافأة وكمل عقد السلم وقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بعز الاسلام عليه وانقلب الى قومه بملء صدره من الرضى والمسرة وسأل منه السلطان أن يبعث اليه بكتب العلم التى بأيدى النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا

فيها جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفاسيره كابن عطية والثعلبى ومن كتب الحديث وشروحاتها كالتهذيب والاستذكار ومن كتب الاصول والفروع واللغة والعربية والادب وغير ذلك فأمر السلطان رحمه الله بحملها الى فاس وتحبيسها على المدرسة التى أسسها بها لطلبة العلم وقفل السلطان فاحتل بقصره من الجزيرة لليلتين بقيتا من شعبان فقضى صومه ونسك عيده وجعل من قيام ليله جزأ لمحاضرة أهل العلم وأعد الشعراء كلمات أنشدوها يوم عيد الفطر بمشهد الملا فى مجلس السلطان ، وكان من أسبقهم فى ذلك الميدان شاعر الدولة أبو فارس عبد العزيز الملزوزى الاصل المكناسى الدار ويعرف بعزوز أتى بقصيدة طويلة من بحر الوافر على روى الباء المفتوحة المردوفة بالالف ذكر فيها سيرة السلطان وغزواته وغزوات بنيه وحفدته وامتدح قبائل مرين ورتبهم على منازلهم وذكر فضلهم وقيامهم بالجهاد وذكر قبائل العرب على اختلافها وانشدت بمحضر السلطان والحاشية فأمر لمنشئها بألف دينار وخلعة ولمنشدها بمائتى دينار ، ثم أعمل السلطان نظره فى الثغور فرتب بها المسالح وبعث ولده الامير أبا زيان منديلا ليقف على الحد بين أرضه وأرض ابن الاحمر وعقد له على تلك الناحية وأنزله بحصن ذكوان قرب مالقة وأوصاه أن لا يحدث فى بلاد ابن الاحمر حدثا وعقد لعياد بن أبى عياد العاصمى على مسلحة أخرى وأنزله بأسطبونة وأجاز ابنه الامير يوسف الى المغرب لتفقد أحواله ومباشرة أموره وأمره ان يبنى على قبر والده ابى الملوك عبد الحق بتافرطاست زاوية فاختط هنالك رباطا حفيلا وبنى على قبر الامير عبد الحق ادريس أسنمة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب عليها قراء لتلاوة القرآن ووقف على ذلك ضياعا وأرضا تسع حرث أربعين زوجا رحم الله الجميع بمنه

وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

وفى آخر ذى القعدة من سنة أربع وثمانين وستمائة مرض السلطان يعقوب بن عبد الحق مرضه الذى توفى منه فلم يزل ألمه يشتد وحاله يضعف الى ان توفى بقصره من الجزيرة الخضراء من أرض الاندلس فى ضحى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم فاتح سنة خمس وثمانين وستمائة وحمل الى رباط الفتح من بلاد العدوة فدفن بمسجد شالة وقبره اليوم طامس الاعلام رحمه الله

بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته

كان السلطان يعقوب رحمه الله أبيض اللون تام القد معتدل الجسم حسن الوجه واسع المنكبين كامل اللحية معتدلها أشيب نقى البياض حليما متواضعا جوادا مظفرا منصور الراية ميمون النقيبة لم يقصد جيشا الا هزمه ولا عدوا الا قهره ولا بلدا الا فتحه صواما قواما دائم الذكر كثير البر لا تزال سبحته فى يده مقربا للعلماء مكرما للصلحاء صادرا فى أكثر أموره عن رأيهم ولما استقام له الامر بنى المرستانات للمرضى والمجانين ورتب لهم الاطباء لتفقد أحوالهم وأجرى على الكل المرتبات والنفقات من بيت المال وكذا فعل بالجذمى والعمى والفقراء رتب لهم مالا معلوما يقبضونه فى كل شهر من جزية اليهود وبنى المدارس لطلبة العلم ووقف عليها الاوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى نفعه الله بقصده

الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله تعالى

لما مرض السلطان يعقوب بقصره من الجزيرة الخضراء مرضه نساؤه وطيرن بالخبر الى ولى عهده الامير يوسف وكان يومئذ بالمغرب فاتصل به الخبر وهو بأحواز فاس فأسرع السير الى طنجة وقد مات أبوه قبل وصوله فأخذ البيعة له الوزراء والاشياخ ولما عبر اليهم البحر واحتل بالجزيرة جددوا له البيعة غرة صفر سنة خمس وثمانين وستمائة وأخذوها له على الكافة فاستتب ملكه واستقام أمره ففرق الاموال وأجزل الصلات وسرح السجون ورفع عن الناس الاخذ بزكاة الفطر ووكلهم فيها الى أمانتهم وكف أيدى الظلمة والعمال عن الناس وأزال المكوس ورفع الانزال عن دور الرعية وصرف اعتناءه الى اصلاح السابلة فأزال أكثر الرتب والقبالات التى كانت بالمغرب الا ما كان منها فى الاقطار الخالية والمفازات المخوفة فخضعت مرين تحت قهره وصلح أمر الناس فى أيامه ، وكان أول شىء أحدث من أمره أن بعث الى ابن الاحمر وضرب له موعدا للاجتماع به فبادر اليه ولقيه بظاهر مربالة فى العشر الاول من ربيع الاول من السنة المذكورة فلقاه السلطان مبرة وتكريما وتجافى له عن جميع الثغور الاندلسية التى كانت فى ملكة أبيه ونزل له عنها ما عدى الجزيرة ورندةوطريف وتفرقا من مكانهما على أكمل حالات المصافاة والوصلة ورجع السلطان يوسف الى الجزيرة فقدم عليه بها وفد الطاغية سانجة مجددين عقد السلم الذى عقده لهم السلطان يعقوب رحمه الله

ولما تمهد للسلطان يوسف امر الاندلس عقد لاخيه أبى عطية العباس بن يعقوب على الثغور الغربية وأوصاه بضبطها وعقد للشيخ المجاهد أبى الحسن على بن يوسف بن يزكاتن على مسلحتها وجعل اليه أمر الحرب وأعنة الخيل وأمده بثلاثة آلاف من بنى مرين والعرب ثم عبر البحر الى المغرب

يوم الاثنين سابع ربيع الآخر من السنة المذكورة فنزل بقصر المجاز ثم سار الى حضرة فاس فدخلها ثانى عشر جمادى الاولى منها ولحين استقراره بها خرج عليه محمد بن ادريس بن عبد الحق فى بنيه واخوته ومن انضم اليه ولحق بجبال ورغة ودعا لنفسه فسرح اليه السلطان يوسف أخاه أبا معرف محمد بن يعقوب فبدا له فى النزوع اليهم فلحق بهم وشايعهم على رأيهم من الخلاف فاغزاهم السلطان يوسف عساكره وردد اليهم البعوث والكتائب ثم تلطف فى استنزال أخيه حتى نزل على الامان وفر بنو ادريس الى تلمسان فقبض عليهم أثناء طريقهم وجىء بهم فى الحديد الى تازا فبعث السلطان يوسف أخاه أبا زيان فقتلهم خارج باب الشريعة منها فى رجب من السنة ورهب الاعياص من بنى عبد الحق يومئذ وخافوا بادرة السلطان يوسف فلحقوا بغرناطة ملتفين على بنى ادريس منهم ثم ارتحل السلطان فى رمضان من السنة المذكورة الى مراكش لتمهيد نواحيها وتثقيف أطرافها فدخلها فى شوال وأقام بها الى رمضان القابل من سنة ست وثمانين وستمائة فنهض من مراكش لغزو عرب معقل بصحراء درعة لانهم كانوا قد أضروا بالرعايا وأفسدوا السابلة فسار اليهم فى اثنى عشر ألفا من الخيل ومر على بلاد هسكورة معترضا جبل درن وأدركهم نواجع بالقفر فأثخن فيهم بالقتل والسبى واستكثر من رؤوسهم فعلقت بشرفات مراكش وسجلماسة وفاس وقفل من غزوه آخر شوال من السنة المذكورة الى مراكش فنكب محمد بن على بن محلى عاملها القديم الولاية بها من لدن انقراض الدولة الموحدية لما وقع من الارتياب بأولاد محلى بكثرة خروجهم على الدولة وكانت نكبته غرة محرم سنة سبع وثمانين وستمائة وهلك فى السجن فى صفر الموالى له ، وعقد السلطان يوسف على مراكش وأعمالها لمحمد بن عطو الجاناتى من موالى دولتهم ولاء حلف وترك معه ابنه أبا عامر عبد الله بن يوسف ثم ارتحل السلطان يوسف الى فاس فدخلها منتصف ربيع من السنة المذكورة

قدوم بنى اشقيلولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم قصركتامة والسبب في ذلك

قد تقدم لنا ان بنى اشقيلولة كانوا من وجوه الاندلس وأهل الرياسة بها حتى صاهرهم ابن الاحمر بابنته وأخته وقاموا معه فى اثبات قواعد ملكه ثم انحرفوا عنه الى موالاة بنى مرين ونزل محمد بن عبد الله بن أبى الحسن منهم الى السلطان يعقوب عن مالقة وكان عمه أبو اسحق بن أبى الحسن صاحب وادى آش وأعمالها واتصل ذلك فى بنيه الى أن بويع السلطان يوسف فقاموا بدعوته فيها ثم حصلت المصافاة وتأكدت المودة بين السلطان يوسف وابن الاحمر على ما أسلفناه آنفا فطلب ابن الاحمر من السلطان يوسف أن ينزل له عن واد آش التى هى لبنى اشقيلولة المتمسكين بدعوته كما نزل له عن غيرها من الثغور فأجابه السلطان الى ذلك وكتب الى أبى الحسن بن اسحق بن اشقيلولة يأمره بالتخلى له عنها فتركها له وعبر هو وحاشيته البحر الى السلطان يوسف سنة سبع وثمانين المذكورة فلقيه بمدينة سلا فأعطاه السلطان يوسف القصر الكبير وأعماله طعمة سوغه اياها فلم تزل ولايته متوارثة فى بنيه حتى انقرضوا آخر دولة بنى مرين واستمكن ابن الاحمر من وادى آش وحصونها ولم يبق له بالاندلس منازع من قرابته والله أعلم

حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان

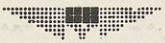

قد تقدم لنا أن يغمراسن لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان أن لايحدث مع بنى مرين حربا ولا يواقفهم فى زحف ما استطاع لاستغلاظ أمرهم عليه بملكهم المغرب الاقصى وأعماله وأن عثمان قد عمل على ذلك فأوفد أخاه

محمد بن يغمراسن على السلطان يعقوب بالاندلس وعقد معه السلم ورجع الى أخيه كما تقدم ولما ولى السلطان يوسف وقفل من مراكش الى فاس فى هذه المرة بعد أن ترك ابنه أبا عامر عبد الله مع محمد بن عطوا عامل مراكش ثار أبو عامر المذكور بها وخلع طاعة أبيه ودعا الى نفسه وشايعه ابن عطوا على ذلك واتصل الخبر بالسلطان يوسف وهو بفاس فأسرع السير الى مراكش وبرز اليه ابنه أبو عامر فاقتتلوا ثم انهزم أبو عامر فعاد الى مراكش واكتسح بيت المال بها وفر الى تلمسان ومعه ابن عطوا المذكور فقدماها سنة ثمان وثمانين وستمائة فآواهم عثمان بن يغمراسن ومهد لهم المكان فلبثوا عنده مليا

ثم عطفت السلطان على ابنه الرحم فرضى عنه وأعاده الى مكانه وطالب عثمان بن يغمراسن أن يسلم اليه ابن عطوا الناجم فى النفاق مع ابنه فأبى من اضاعة جواره واخفار ذمته وأغلظ له الرسول فى القول فسطا به عثمان واعتقله فثارت من السلطان يوسف الحفائظ الكامنة وتحركت منه الاحن القديمة والنزغات المتوارثة فاعتزم على غزو تلمسان ونهض اليها من مراكش فى صفر من سنة تسع وثمانين وستمائة بعد أن عقد عليها لابنه الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن يوسف ثم نهض من فاس اليها آخر ربيع الاخر من سنته فى عساكره وجنوده وحشد القبائل وكافة أهل المغرب وسار حتى نازل تلمسان فتحصن منه عثمان وقومه بأسوارها فحاصره السلطان يوسف وضيق عليه ونصب عليه المجانيق وكان حصاره اياها فى رمضان من السنة المذكورة ثم سار فى نواحيها ينسف الآثار ويخرب القرى ويحطم الزروع ثم نزل بذراع الصابون من ناحيتها ثم انتقل منه الى تامت وحاصرها أربعين يوما وقطع أشجارها وأباد خضراءها ولما امتنعت عليه أفرج عنها وانكفأ راجعا الى المغرب وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بنى يزناسن ونسك الاضحى وقربانه بتازا وتلبث بها أياما ثم نهض منها الى الاندلس بقصد الجهاد على ما نذكره

٧٠

انتقاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه

لما رجع السلطان يوسف من غزو تلمسان وافاه الخبر وهو بتازا أن الطاغية سانجة قد انتقض ونبذ العهد وتجاوز التخوم وأغار على الثغور ، فأوعز السلطان الى قائد المسالح بالاندلس على بن يوسف بن يزكاتن بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية ، فنهض لذلك فى ربيع الآخر من سنة تسعين وستمائة وجاس خلالها وتوغل فى أقطارها وأبلغ فى النكاية .

ثم فصل السلطان يوسف من تازا غازيا أثره فى جمادى الاولى من السنة المذكورة واحتل قصر مصمودة وهو قصر المجاز واستنفر أهل المغرب وقبائله فنفروا وشرع فى اجازتهم البحر ، فبعث الطاغية أساطيله الى الزقاق حجزا لهم دون الاجازة فاوعز السلطان يوسف الى قواد أساطيله بالسواحل بعمارتها لمقابلة أساطيل العدو ففعلوا ، وقدمت فالتقت مع أساطيل العدوبحر الزقاق فى شعبان من السنة فاقتتلوا وانكشف المسلمون ومحصهم الله وقتل قواد الاساطيل ، فأمر السلطان يوسف باستئناف العمارة ثم أغزاهم ثانية فخامت أساطيل العدو عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق فملكته أساطيل السلطان ، فأجاز أخريات رمضان من السنة واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصن بجير ثلاثة أشهر وضيق عليهم وبث السرايا فى أرض العدو ، وردد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيها الى أن بلغ فى النكاية والاثخان غرضه وقضى من الجهاد وطره ، وهجم عليه فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر فافرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة الخضراء ثم عبر الى المغرب فاتح سنة احدى وتسعين وستمائة ، فتظاهر ابن الاحمر والطاغية على منعه من الجواز مرة أخرى كما نذكره الآن .

حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الاحمر
واستيلاء الطاغية على طريف بمظاهرة ابن الاحمر له عليها

لما قفل السلطان يوسف من الاندلس وقد أبلغ فى نكاية العدو كما قلنا عظم على الطاغية أمره وثقلت عيله وطأته فشرع فى أعمال الحيلة فى الافساد بينه وبين ابن الاحمر ، وكان ابن الاحمر يتخوف من السلطان يوسف أن يغلبه على بلاده فخلص مع الطاغية نجيا وتفاوضا فى أمر السلطان يوسف وان تمكنه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حفافيه وتصرف شوانيهم وسفنهم فيه متى أرادوا فضلا عن الاساطيل الجهادية وان أم تلك الثغور هى طريف وانهم اذا استمكنوا منها منعوا السلطان من العبور وكانت عينا لهم على الزقاق وكان أسطولهم بمرفئها رصدا لاساطيل صاحب المغرب الخائضة لجة ذلك البحر ، فاعتزم الطاغية على منازلة طريف وبها يومئذ مسلحة بنى مرين وتكفل له ابن الاحمر بمظاهرته على ذلك والتزم له بالمدد والميرة للعسكر أيام منازلتها على أن تكون له ان خلصت للطاغية ، وتعاهدوا على ذلك واناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف وألح عليها بالقتال ونصب الآلات من المجانيق والعرادات واحاط بها برا وبحرا ، وانقطع المدد والميرة عن أهلها وحالت أساطيل العدو بينهم وبين صريخ السلطان واضطرب ابن الاحمر معسكره بمالقة قريبا من عسكر الطاغية وسرب اليه المدد من الرجال والسلاح والميرة واصناف الاقوات ، وبعث عسكرا لمنازلة حصن اسطبونة فتغلب عليه بعد مدة من الحصار ، واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار فراسلوا الطاغية فى الصلح والنزول عن البلد ، فصالحهم واستنزلهم وتملكها آخر يوم من شوال سنة احدى وتسعين وستمائة ووفى لهم بما عاهدهم عليه واستشرف ابن الاحمر الى تجافى الطاغية له عنها حسبما تعاهدا

عليه فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد أن كان نزل له عن ستة من الحصون عوضا عنها فخرج من يده الجميع ولم يحصل على طائل فكانت حاله فى ذلك كحال صاحبة النعامة المضروب بها المثل عند العرب وبالله تعالى التوفيق

ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسى بحصن تازوطا

اعلم أن بنى وطاس فخذ من بنى مرين لكنهم ليسوا من بنى عبد الحق وكانت الرياسة فيهم لبنى الوزير منهم ، وبنو الوزير يزعمون أن نسبهم دخيل فى مرين وانهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللمتونى لحقو بالبادية ونزلوا على بنى وطاس فالتحموا بهم ولبسوا جلدتهم وحازوا رياستهم ، ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله كما قدمنا بقيت بلاد الريف خالصة لبنى وطاس هؤلاء فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم وكان حصن تازوطا بها من أمنع معاقل المغرب ، ولما غلب الامير ابوبكر بن عبد الحق على مكناسة وأقام فيها دعوة الحفصيين ونهض السعيد بن المامون الموحدى من مراكش لغزوه فر أمامه الى حصن تازوطا هذا ونزل به على بنى الوزير هؤلاء لاجئا اليهم ومستجيرا بهم فأرادوا الفتك به غيرة منه وحسدا له فشعر بهم وتحول عنهم الى عين الصفا من بلاد بنى يزناسن حسبما تقدم ذلك كله

ولما انقرض امر بنى عبد المومن واستقام ملك المغرب لبنى مرين صرفوا عنايتهم الى هذا الحصن فكانوا ينزلون به من الحامية من يثقون بغنائه واضطلاعه ليكون آخذا بناصية هؤلاء الرهط من بنى وطاس لما يعلمون من سموهم الى الرياسة وتطلعهم اليها ، وكان السلطان يوسف رحمه الله قد عقد على هذا الحصن لابن أخيه منصور بن عبد الواحد بن يعقوب ، وكان عمر وعامر ابنا يحى بن الوزير رئيسين على بنى وطاس لذلك العهد فاستهونوا أمر السلطان يوسف بعد موت والده وحدثوا انفسهم بالثورة فى ذلك الحصن والاستبداد بتلك الناحية ، فوثب عمر بن يحيى منهم بمنصور بن عبد الواحد

فى شعبان من سنة احدى وتسعين وستمائة وفتك بحاشيته ورجاله وأزعجه عن الحصن وغلبه على ما كان بقصره من مال وسلاح ومتاع واعشار للروم كانت مختزنة هنالك وضبط الحصن وشحنه برجاله ووجوه قومه ولحق منصور بن عبد الواحد بعمه السلطان يوسف فهلك لليال أسفا على ما أصابه .

وسرح السلطان يوسف وزيره الناصح أبا على عمر بن السعود بن خرباش الحشمى بالحاء المهملة فى العساكر لمنازلة حصن تازوطا فأناخ عليه بكلكله ثم تبعه السلطان يوسف على أثره وفى صحبته عامر بن يحيى بن الوزير أخو عمر الثائر ، فانه كان قد نزع اليه فأحاط السلطان بالحصن وضيق عليه حتى أشفق عمر لشدة الحصار ويئس من الخلاص وظن انه قد أحيط به فدس الى أخيه عامر فى كشف ما نزل به ، فضمن عامر للسلطان يوسف نزول أخيه ان هو تركه يصعد اليه حتى يجتمع به فأذن له السلطان يوسف فى ذلك فصعد اليه وتفاوضا فى أمرهما وآخر الامر أن عمر احتمل الذخيرة وفر ليلا الى تلمسان وبدا لعامر فى النزول عند ما صار فى الحصن فامتنع به قيل لانه بلغه أن السلطان يوسف عزم على قتله أخذا بثار ابن أخيه منصور ولافلاته أخاه من يده

واستمر على ذلك الى أن قدم على السلطان يوسف وفد الاندلس وفيهم الرئيس أبو سعيد فرج بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة راغبا فى الصلح مع ابن عمه ومعتذرا عنه فارسى أساطيله بمرسى غساسة ونزل الى السلطان وقدم بين يده هدية تناسب الحال فسمع بهم عامر الوطاسى وهو فى الحصن فبعث اليهم يسألهم الشفاعة له عند السلطان يوسف لوجاهتهم لديه فشفع له الرئيس أبو سعيد فقبل السلطان يوسف شفاعته بشرط أن ينتقل بحاشيته الى الاندلس وكره عامر ذلك فأظهر الرضا وقدم بين يديه جماعة من حاشيته الى المرسى وركب أكثرهم الاسطول وتأخر عامر الى جوف الليل فنزل من الحصن وخاض الفلاة الى تلمسان فتبعت الخيل أثره ففاتهم وأدركوا ولده أبا الخيل فجىء به الى السلطان يوسف فبعث به الى فاس فضربت عنقه وصلب هنالك ، وأنزل السلطان يوسف بقية الحاشية من الاسطول فأمر بهم

فاستلحموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقرابتهم وذرياتهم ، وتلمك السلطان يوسف حصن تازوطا وأنزل به عماله ومسلحته وقفل الى حضرته بفاس آخر جمادى الاولى من سنة اثنتين وتسعين وستمائة

ولما كان السلطان نازلا على تازوطا قدم عليه رجل من فرنج جنوة بهدية جليلة فيها شجرة مموهة بالذهب عليها أطيار تصوت بحركات هندسية مثل ما صنع للمتوكل العباسى ، وفى هذه المدة سعى عند السلطان يوسف بأولاد الامير أبى بكر بن عبد الحق وأنهم أرادوا الخروج عليه فحقد عليهم لذلك وأحسوا بالشر ففروا الى تلمسان وأقاموا هنالك الى أن بعث السلطان يوسف اليهم بالامان فأقبلوا حتى اذا كانوا بصبرة من ناحية ملوية اعترضهم الامير أبو عامر عبد الله ابن السلطان يوسف فاستلحمهم اجمعين وهو يرى انه قد ارضى اباه بذلك الفعل ، واتصل الخبر بالسلطان يوسف فسخطه وأقصاه وتبرأ منه فلم يزل طريدا ببلاد الريف وجبال غمارة الى أن هلك ببنى سعيد منهم آخر سنة ثمان وتسعين وستمائة وحمل الى فاس فدفن بالزاوية التى داخل باب الفتوح وخلف ثلاثة أولاد عامر وسليمان وداود فكفلهم جدهم السلطان يوسف الى أن هلك فولى الامر بعده حافده عامر وبعد عامر سليمان وسيأتى ذكرهما ان شاء الله

انعقاد الصلح بين السلطان يوسف وابن الاحمر ووفادته عليه بطنجة

لما استولى الطاغية على طريف بمظاهرة ابن الاحمر له عليها ونقض الطاغية عهد ابن الاحمر فى النزول له عنها سقط فى يد ابن الاحمر وندم على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف ، فاوفد عليه ابن عمه الرئيس أبا سعيد فرج بن اسماعيل ووزيره أبا سلطان عزيز الدانى فى وفد من أهل

حضرته لتجديد العهد وتأكيد المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف ، فوافوه بمكانه من حصار تازوطا كما قدمنا فأبرموا العقد وأحكموا الصلح وانصرفوا الى ابن الاحمر سنة اثنتين وتسعين وستمائة باسعاف غرضه من المؤاخاة واتصال اليد ، فوقع ذلك منه أجمل موقع وطار سرورا من أعواده ، وأجمع الرحلة الى السلطان لاحكام العقد والاستبلاغ فى العذر عن واقعة طريف والرغبة اليه فى نصرة بلاد الاندلس واغاثة المسلمين الذين بها ، فتهيأ لذلك وعبر البحر فى ذى القعدة من سنة اثنتين وتسعين وستمائة واحتل بجبل بيونش من ناحية سبتة ، ثم ارتحل الى طنجة فلقيه بها الاميران أبو عامر عبد الله وأبو عبد الرحمن يعقوب ابنا السلطان يوسف وكان أبو عامر لا زال يومئذ من أبيه بعين الرضا

ولما علم السلطان يوسف بقدومه خرج من فاس للقائه وبرور مقدمه فوافاه بطنجة فقدم ابن الاحمر بين يدى نجواه هدية اتحف بها السلطان يوسف كان من أحسنها موقعا لديه المصحف الكبير الذى يقال انه مصحف أمير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة ثم خلص الى ابن الاحمر فاتحف به السلطان يوسف فى هذه المرة ، فقبل السلطان ذلك وكافأه بأضعافه وبالغ فى تكرمته واسعفه بجميع مطالبه واراد ابن الاحمر أن يبسط العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان يوسف عن سماع ذلك وأضرب عن ذكره صفحا وبر وأحفى ووصل وأجزل ، ونزل * لابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصنا من ثغور الاندلس كانت قبل فى ملكته وملكة أبيه ، وعاد ابن الاحمر الى أندلسه آخر سنة اثنتين وتسعين وستمائة محبوا محبورا وعبرت معه عساكر السلطان يوسف لحصار طريف ومنازلته وعقد على حربها لوزيره الشهير الذكر عمر بن السعود بن خرباش الحشمى فنازلها مدة فامتنعت عليه وافرج عنها

وفى سنة ثلاث وتسعين بعدها فرغ السلطان يوسف من بناء جامع تازا

---

* فى النسخة الصحيحة من ابن خلدون طبع الجزائر ان النازل عن هذه الثغور هو ابن الاحمر للسلطان يوسف وهو ما يقتضيه الحال

وعلقت به الثريا الكبرى من النحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون قنطارا وعدد كؤسها خمسمائة كأس واربعة عشر كاسا ، وأنفق السلطان فى بناء الجامع وعمل الثريا المذكورة ثمانية آلاف دينار ذهبا

وفى سنة أربع وتسعين بعدها خرج السلطان يوسف لغزو تلمسان فوصل الى تاوريرت وكانت تخما لعمل بنى مرين وبنى عبد الواد ، فنصفها للسلطان يوسف ونصفها لعثمان بن يغمراسن ولكل واحد منهما بها عامل من ناحيته فطرد السلطان يوسف عامل ابن يغمراسن وشرع فى بناء الحصن الذى هنالك فادار سوره وشيده وركب أبوابه مصفحة بالحديد وكان يقف على بنائه بنفسه من صلاة الغداة الى المساء لايغيب عن العملة الا فى أوقات الضرورة ، وفرغ من بنائه وتحصينه فى رمضان من السنة المذكورة ولما تم شحنه بالعسكر والسلاح وعقد عليه لاخيه أبى بكر بن يعقوب ويكنى أبا يحيى وانكفأ راجعا الى الحضرة ، ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين بعدها بقصد تلمسان فسار حتى نزل على ندرومة فحاصرها وشدد فى قتالها ورماها بالمنجنيق اربعين يوما فامتنعت عليه فأفرج عنها ثانى عيد الفطر من السنة المذكورة ، ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة فسار الى تلمسان وبرز عثمان بن يغمراسن لمدافعته فانهزم وتحصن بالاسوار وتقدم السلطان يوسف حتى نزل على تلمسان وقتل من أهلها خلقا ثم أقلع عنها ورجع الى المغرب فقضى نسك الاضحى من السنة المذكورة برباط تازا وأمر ببناء القصر بها ، وسار الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وتسعين وستمائة ثم ارتحل الى مكناسة فقضى بها بعض الوطر ثم عاد الى فاس ، ثم خرج منها فى جمادى الاولى من السنة المذكورة غازيا تلمسان ومر فى طريقه بمدينة وجدة فأمر ببنائها وكان أبوه السلطان يعقوب قد هدمها كما مر فبناها السلطان يوسف فى هذه المرة وحصن اسوارها وبنى بها قصبة ودارا لسكناه وحماما ومسجدا ثم سار الى تلمسان فنزل بساحتها وأحاطت عساكره بها احاطة الهالة بالقمر ونصب عليها القوس البعيدة النزع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار اخترعها المهندسون والصناع وتقربوا الى السلطان بعملها فأعجبته وكانت تحمل على

أحد عشر بغلا ولما امتنعت تلمسان عليه أفرج عنها فاتح سنة ثمان وتسعين وستمائة ومر فى عوده الى المغرب بوجدة فأنزل بها الحامية من بنى عسكر ابن محمد لنظر أخيه الامير أبى بكر بن يعقوب كما كانوا بتاوريرت وأمرهم بشن الغارات على أعمال تلمسان مع الساعات والاحيان ففعلوا واستولى الامير أبو بكر بذلك على أكثر تلك الجهات والله تعالى أعلم

فتكة ابن المليانى بشيوخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب فى ذلك

قد تقدم لنا عند الكلام على فتح جبل تينملل أن أبا على المليانى كان قد سعى فى نبش قبور بنى عبد المومن والبعث باشلائهم وأن الناس قد عاضهم ذلك لاسيما المصامدة منهم ، ولما هلك السلطان يعقوب وولى بعده ابنه يوسف استعمل ابا على المليانى على جباية المصامدة فباشرها مدة ثم سعى به شيوخ المصامدة عند السلطان بأنه احتجن المال لنفسه ، فأمر السلطان بمحاسبته فحوسب وظهرت مخايل صدقهم عليه فنكبه السلطان يوسف أولا ثم قتله ثانيا ، واصطنع ابن أخيه أبا العباس(*)أحمد بن على المليانى واستعمله فى كتابته وأقامه ببابه فى جملة كتابه ، وكان السلطان يوسف قد سخط على بعض شيوخ المصامدة منهم على بن محمد كبير هنتاتة وعبد الكريم بن عيسى كبير قدميوة وأوعز الى ابنه الامير على بن يوسف بمراكش باعتقالهما فاعتقلهما فيمن لهما من الولد والحاشية ، وأحسن بذلك أحمد بن المليانى فاستعجل الثار الذى كان يعتده عليهم فى عمه أبى على

وكانت العلامة السلطانية يومئذ موكولة الى كتاب الدولة لم تختص بواحد منهم لما كانوا كلهم ثقات أمناء وكانوا عند السلطان كاسنان المشط فكتب احمد بن المليانى الى الامير ابى على كتابا على لسان والده يأمره فيه أمرا جزما بقتل مشيخة المصامدة ولا يمهلهم طرفة عين ووضع عليه العلامة

* انظر ترجمته فى الاحاطة ج - ١ - ص ١٤٩

التى تنفذ بها الاوامر السلطانية وختم الكتاب وبعث به مع البريد ، قال ابن الخطيب : « ولما أكد على حامله فى العجل وضايقه فى تقدير الاجل تأنى حتى اذا علم أنه قد وصل وأن غرضه قد حصل فر الى تلمسان وهى بحال حصارها فاتصل بأنصارها حالا بين أنوفها وأبصارها وتعجب الناس من فراره وسوء اغتراره ورجمت الظنون فى آثاره ثم وصلت الاخبار بتمام الحيلة واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة فتركها شنعاء على الايام وعارا فى الاقاليم على حملة الاقلام » اه ولما وصل الكتاب الى ولد السلطان أخرج أولئك الرهط المعتقلين الى مصارعهم وحكم السيف فى رقاب جميعهم فقتل على بن محمد الهنتاتى وولده وعبد الكريم بن عيسى القدميوى وبنوه الثلاثة عيسى وعلى ومنصور وابن أخيه عبد العزيز بن محمد ، وطير الامير على بالاعلام الى والده مع بعض وزرائه وهو يرى أنه قد امتثل الامر واستوجب الشكر

فلما وصل الرسول بالخبر الى السلطان يوسف بطش به فقتله غيظا عليه وأنفذ البريد فى الحال باعتقال ولده وقام وقعد لذلك ومن ذلك الوقت قصر السلطان علامته على من يختاره من ثقات الكتاب وعدولهم ، وجعلها يومئذ للفقيه الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين وكان من الكفاة المضطلعين بأمور الدولة المتحملين للكثير من أعبائها ، وأما ابن المليانى فانه فر الى تلمسان والسلطان يوسف محاصر لها ولما وقع الافراج عنها بعد حين انتقل الى الاندلس فبقى هنالك الى أن توفى بغرناطة سنة خمس عشرة وسبعمائة ومن شعره يفخر بهذه الفعلة وغيرها قوله :

العز ما ضربت عليه قبابى ... والفضل ما اشتملت عليه ثيابى
والزهر ما أهداه غصن يراعتى ... والمسك ما أبداه نفس كتابى
فالمجد يمنع أن يزاحم موردى ... والعزم يأبى أن يضام جنابى
فاذا بلوت صنيعة جازيتها ... بجميل شكرى او جزيل ثوابى
واذا عقدت مودة اجريتها ... مجرى طعامى من دمى وشرابى
واذا طلبت من الفراقد والسهى ... ثارا فأوشك أن أنال طلابى

الحصار الطويل وما تخلل ذلك من الاحداث على تلمسان

تقدم لنا أن السلطان يوسف لما رجع من محاصرة تلمسان فاتح سنة ثمان وتسعين وستمائة مر فى طريقه بوجدة فأنزل بها الحامية من بنى عسكر الى نظر أخيه الامير أبى بكر وأمره بشن الغارات على أعمال بنى زيان فامتثل الامير أبو بكر أمره والح على النواحى بالغارات وافساد السابلة ، فضاق أهل ندرومة بذلك ذرعا وأوفدوا وفدا منهم على الامير أبى بكر يسألونه الامان لهم ولمن وراءهم من قومهم على أن يمكنوه من قياد بلدهم ويدينوا بطاعة السلطان يوسف فبذل لهم من ذلك ما أرضاهم ، ونهض الى البلد فدخله بعسكره وتبعهم على ذلك أهل تاونت فأوفد الامير أبو بكر جماعة من أهل البلدين على أخيه السلطان يوسف فقدموا عليه منتصف رجب من سنة ثمان وتسعين المذكورة فأدوا طاعتهم فقبلها ، ورغبوا اليه فى الحركة الى بلادهم ليريحهم من ملكة عدوه وعدوهم عثمان بن يغمراسن ووصفوا له من عسفه وجوره وضعفه عن الحماية ما أكد عزمه على النهوض ، فنهض لحينه من فاس فى رجب المذكور بعد أن استكمل حشده ونادى فى قومه وعرض عسكره وأجزل أعطياتهم وأزاح عللهم ، وسار فى التعبية حتى نزل بساحة تلمسان ثانى شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة فأناخ عليها بكلكله وربض قبالتها على ترائبه وأنزل محلته بفنائها وأحاط بجميع جهاتها ، وتحصن يغمراسن وقومه بالجدران وعولوا على الحصار .

ولما رأى السلطان يوسف ذلك أدار سورا عظيما جعله سياجا على تلمسان وما اتصل بها من العمران وصيرها فى وسطه ، ثم أردف ذلك السور من ورائه بحفير بعيد المهوى وفتح فيه مداخل لحربها ورتب على أبواب تلك المداخل مسالح تحرسه ، وأوعد بالعقاب من يختلف الى تلمسان برفق أو يتسلل اليها بقوت وأخذ بمخنقها من بين يديها ومن خلفها حتى لم يخلص اليها الطير لا بل الطيف ، واستمر مقيما عليها كذلك مائة شهر ، ولما دخلت

سنة اثنتين وسبعمائة اختط الى جانب ذلك السور بمكان فسطاطه وقبابه قصرا لسكناه واتخذ به مسجدا لصلاته وأدار عليهما سورا يحرزهما ، ثم أمر الناس بالبناء حول ذلك فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الانيقة واتخذوا البساتين وأجروا المياه ، وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والفنادق والمارستان ، وابتنى مسجدا جامعا أقامه على الصهريج الكبير وشيد له منارا رفيعا وجعل على رأسه تفافيح من ذهب صير عليها سبعمائة دينار ثم أدار السور على ذلك كله فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرانها ونفقت أسواقها ورحل اليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق وسماها المنصورة ، فكانت من أعظم أمصار المغرب وأحفلها الى أن خربها آل يغمراسن عند مهلك السلطان يوسف وارتحال جيوشه عنها ، ولما تمكن السلطان يوسف من حصار تلمسان سرح كتائبه وسراياه فى أعمالها وحصونها فاستولى فى مدة قريبة على ندرومة وهنين ووهران وتالموت وتامزردكت ومستغانم وتنس وشرشال وبرشك والبطحاء ومازونة ووانشريس وملیانة والقصبات ولمدية وتافرجينت ، وجميع بلاد بنى عبد الواد وبلاد بنى توجين وبلاد مغراوة وبايعه ابن علان صاحب الجزائر وأخذ رعبه بملوك النواحى ، وكانت دولة بنى أبى حفص يومئذ قد انقسمت بقسمين فصار كرسى منها بتونس وآخر ببجاية فتنافس صاحب تونس وصاحب بجاية فى مصانعة السلطان يوسف والتقرب اليه بالهدايا والتحف وصار السلطان يوسف فى ذلك الوقت ملك المغرب على الحقيقة والاطلاق والله غالب على أمره

نكبة بنى وقاصة من يهود فاس

كان بنو وقاصة هؤلاء من يهود ملاح فاس وكانوا مداخلين للسلطان يوسف من صغره الى كبره ، وكانوا يتولون قهرمة داره ويقضون أموره الخاصة به ويخلصون الى الكثير من باطن أمره ، قد التحموا به التحاما

وامتزجوا به امتزاجا يجالسونه فى خلواته ويناديمونه فى أنسه ، فعظم جاههم عند الحاشية لاقبال السلطان عليهم واستتبعوا الوزراء فمن دونهم من رجال الدولة ، وتعددت فيهم الرؤساء والقهارمة فكان منهم خليفة بن وقاصة وأخوه ابراهيم وصهره موسى بن السبتى وابن عمه خليفة الاصغر وغيرهم واستمروا على ذلك برهة من الدهر ، ثم ان السلطان يوسف استفاق استفاقة والتفت اليهم التفاتة وراجع بصيرته فى شأنهم فأهمه أمرهم وشعر كاتبه بذلك القائم بأمور دولته أبو محمد عبد الله بن أبى مدين ، فسعى عنده فيهم وأوجده السبيل عليهم فسطا بهم سطوة منكرة واعتقلوا فى شعبان من سنة احدى وسبعمائة بمعسكره من حصار تلمسان وقتل خليفة الكبير وأخوه ابراهيم وموسى بن السبتى واخوته بعد أن امتحنوا ومثل بهم وأتت النكبة على حاشيتهم وأقاربهم فلم تبق منهم باقية ، الا أن السلطان استبقى منهم خليفة الاصغر احتقارا لشأنه حتى كان من قتله بعد ما نذكره ، وعبث بسائرهم وطهرت الدولة من رجسهم وأزيل منها معرة رياستهم والامور بيد الله سبحانه

ثم لما كانت سنة ثلاث وسبعمائة توفى عثمان بن يغمراسن فى الحصار عقب شربة لبن يقال أنه جعل فيها سما وشربه فعل ذلك بنفسه تفاديا من معرة غلبة عدوه عليه ، فاجتمع بنو عبد الواد لحينهم وبايعوا ابنه محمد بن عثمان واجتمعوا عليه ثم برزوا الى قتال عدوهم على العادة حتى كأن عثمان لم يمت وبلغ الخبر الى السلطان يوسف فتفجع على عثمان وعجب من صرامة قومه من بعده

﴿ الاستقصا ثالث 6 ﴾

انتقاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبتة

كان محمد بن الاحمر المعروف بالفقيه قد هلك سنة احدى وسبعمائة ، وولى الامر بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندى ، وكان من أول ما فعله محمد المخلوع بعد استقلاله بالامر المبادرة الى احكام عقد الموالاة بينه وبين السلطان يوسف فأوفد عليه وزير أبيه أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدانى ووزيره الكاتب أبا عبد الله بن الحكيم ، فوصلا الى السلطان يوسف بمعسكره من حصار تلمسان فتلقاهما بالقبول والمبرة وجددت لهما أحكام الود والولاية وانقلبا الى مرساهما خير منقلب وطلب السلطان منهما أن يمدوه بالرجل من عسكر الاندلس وناشبتهم المعودين منازلة الحصون والمثاغرة بالرباط فأسعفوه ، ثم فسد ما بينهما لمنافسات جرت الى ذلك فانتقض ابن الاحمر وعاد لسنة سلفه من موالاة الطاغية ومماالاته على المسلمين أهل المغرب وأحكم العهد مع هراندة بن سانجة من بنى اذفونش ملوك قشتالة خذلهم الله

ثم أوعز ابن الاحمر الى ابن عمه الرئيس أبى سعيد فرج بن اسماعيل صاحب مالقة فى اعمال الحيلة فى الغدر بأهل سبتة ففعل ، وداخل فى ذلك بعض عمال بنى العزفى بها فأمكنه من البلد فاقتحمها بأساطيله وجنده على حين غفلة من أهلها وتقبض على بنى العزفى وعلى حاشيتهم وأركبهم الاسطول وبعث بهم الى مالقة ثم منها الى غرناطة فتلقاهم ابن الاحمر واحتفل لهم وأنزلهم بقصوره وأجرى عليهم النفقة واستقروا بالاندلس برهة من الدهر ثم عادوا الى المغرب كما نذكر واستبد الرئيس أبو سعيد بأمر سبتة وثقف اطرافها وسد ثغورها وبلغ الخبر بذلك الى السلطان يوسف فحمى أنفه وعظم عليه الامر فبعث ولده الامير أبا سالم ابراهيم فى جيش كثيف الى حصارها وحشد اليها قبائل الريف وقبائل تازا فلم يغن شيئا ورجع مهزوما فسخطه السلطان لذلك وأهمله وبقى على ذلك الى وفاة السلطان رحمه الله وكان انتقاض ابن الاحمر سنة ثلاث وسبعمائة

ثورة عثمان بن أبي العلاء بجبال غمارة

كان عثمان بن أبى العلاء ادريس بن عبد الحق من أعياص الملك المرينى وكان قد قدم من الاندلس فى صحبة الرئيس أبى سعيد عند استيلائه على سبتة ثم ثار بعد ذلك ببلاد غمارة ودعا لنفسه وبقى متنقلا هنالك مدة ، فتغلب على تكساس وآصيلا والعرايش وانتهى الى قصر كتامة وخب فى الفتنة ووضع الى أن الحق بالاندلس لاول دولة السلطان أبى الربيع فولى بها مشيخة الغزاة وكانت له فى جهاد العدو اليد البيضاء كما سياتى ان شاء الله .

وفى سنة ثلاث وسبعمائة بعث السلطان يوسف وهو محاصر لتلمسان ركب الحاج المغربى الى الحرمين الشريفين ، واعتنى بشأن هذا الركب فبعث معهم حامية من زناتة تناهز خمسمائة فارس من الابطال ، وخاطب صاحب الديار المصرية لعهده وهو الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى من مماليك بنى أيوب المعروفين بالبحرية ، واستوصاه بحاج أهل المغرب وأتحفه بهدية استكثر فيها من الخيل العراب والمطايا الفارهة يقال كان عدد الخيل والمطايا أربعمائة الى غير ذلك مما يناسب من طرف المغرب وما عونه وبعث معهم الى حرم مكة مصحفا ضخما اعتنى به واستكتبه وجعل له غشاء مكللا بنفيس الدر وشريف الياقوت ورفيع الاحجار ، ونهج السلطان يوسف رحمه الله بهذا الركب والهدية السبيل لحاج المغرب فأجمعوا الحج سنة أربع بعدها فاجتمع منهم عدد وافر وركب ضخم فعقد السلطان يوسف على دلالتهم لابى زيد الغفارى وفصلوا من تلمسان فى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وفى شهر ربيع الاخر بعده قدم حاج الركب الاول الذين حملوا المصحف والهدية ووفد معهم على السلطان يوسف شريف مكة السيد لبيدة بن أبى نمى نازعا عن سلطان الترك صاحب مصر لما كان قد قبض على أخويه حميضة ورميثة بعد مهلك أبيهم أبى نمى صاحب مكة ، فاستبلغ السلطان يوسف فى اكرامه والتنويه بقدره وسرحه الى المغرب ليجول فى أقطاره

ويطوف على معالم الملك وقصوره ، وأوعز الى العمال بالبرور به واتحافه على ما يناسب قدره ، ورجع هذا الشريف الى حضرة السلطان من تلمسان سنة خمس وسبعمائة ثم فصل منها الى مشرقه ، وفى شعبان من هذه السنة قدم أبو زيد الغفارى دليل ركب الحاج الثانى ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان يوسف لما كان صاحب مصر قد آسفهم بالتقبض على اخوانهم وكان ذلك شأنهم متى غاظهم السلطان وأهدوا الى السلطان يوسف ثوبا من كسوة الكعبة أعجب به فاتخذ منه ثوبا للبوسه فى الجمع والاعياد كان يستبطنه بين ثيابه تبركا به

وأما الملك الناصر صاحب مصر فانه كافأ السلطان يوسف على هديته بأن جمع من طرف بلاد المشرق ما يستغرب جنسه وشكله من الثياب والحيوانات ونحو ذلك مثل الفيل والزرافة ونحوهما وأوفد به مع عظماء دولته وفصلوا من القاهرة آخر سنة خمس وسبعمائة فوصلوا الى السلطان يوسف وهو بالمنصورة فى جمادى الآخرة سنة ست بعدها واهتز لقدومهم وأركب الناس للقيهم وأكرم وفادتهم وبعثهم الى المغرب للتطوف به على العادة فى مبرة أمثالهم ، وهلك السلطان يوسف أثناء ذلك وأفضى الامر الى حافده أبى ثابت فاحسن منقلبهم وملأ حقائبهم وفصلوا من المغرب الى بلادهم فى ذى الحجة من سنة سبع وسبعمائة ، ولما انتهوا الى بلاد بنى حسن فى ربيع من سنة ثمان بعدها اعترضتهم الاعراب بالقفر فانتهبوهم وخلصوا الى مصر بجريعة الذقن فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفرا ولا لفتوا اليه وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يوبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون فى ذلك كله على الخطاب شيئا

وفـاة السلطان يوسف رحمه الله

كان السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله قد اتخذ فـى جملة حاشيته ومماليكه خصيا اسمه سعادة وكان هذا الخصى قد تصير اليه من جهة أبى على الملياني أيام كان عاملا له على مراكش وكـان السلطـان يوسف فى ابتداء أمره يخلط الخصيان بأهله ولا يحجبهم عن حرمه وعيالـه ثم حدثت للسلطان ريبة فى بعض الخصيان فاعتقل جملة منهم كان فيهم عنبر الكبير عريفهم ، وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك وفسدت نياتهم فسولت لهذا الخصى الخبيث نفسه الشيطانية الفتك بالسلطان فعمد اليه وهو فـى بعض حجر قصره فاستاذن عليه فأذن له فالفاه مستلقيا على فراشه مختضبا بحنـــاء فوثب عليه وطعنه طعنات قطع بها امعاءه وخرج هاربا وانطلق بعض الاوليـاء فى أثره فأدركه من العشى بناحية تاسلة فقبض عليه وجـىء به الى القـصر فقتلته العبيد والحاشية وصابر السلطان يوسف منيته الى آخر النهار ثم قضى رحمه الله يوم الاربعاء سابع ذى القعدة من سنة ست وسبعمائة (*)وقبر هنالك ثم نقل بعد ما سكنت الهيعة الى مقبرتهم بشالة فدفن بها مـع سلفـه وأطلال ضريحه لازالت ماثلة الى الان

وبموت السلطان يوسف انقضت مدة الحصار عن آل يغمراسن وقومهم من بنى عبد الواد وسائر أهل تلمسان وكانت المدة فى ذلك مائة شهر كما قلنا نالهم فيها من الجهد والشدة ما لم ينل أمة من الامم واضطروا الـى أكـل الجيف والقطوط والفيران ، حتى أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس وخربوا السقوف للوقود وغلت أسعار الاقوات والحبوب وسائر المرافق بما

---

* وزعم التونسى ان رجلا ممن يشار لهم بالصلاح من اهل أغمات جاء الى السلطان يوسف وهو تحت اسوار تلمسان ورغب منه ان يرفـع الحصار عن بنى زيان فرفض السلطان طلبه فتأثر الرجل من ذلك وانصرف وهو يقول : « سيحدث بعد حادث يكون فيه ما طلبت » ثم ساق ذكر فتك الخصى بعد بالسلطان يوسف رحمه الله

تجاوز حد العادة وعجز وجدهم عنها فكان ثمن مكيال القمح ومقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصفا من الذهب العين وثمن الشخص الواحد من البقر ستين مثقالا ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصفا وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمن المثقال ومن الخيل بعشر المثقال والرطل من الجلد البقرى ميتة أو مذكى بثلاثين درهما والهر الداجى بمثقال ونصف والكلب بمثله والفأر بعشرة دراهم والحية بمثل ذلك والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة دراهم والعصافير كذلك والاوقية من الزيت باثنى عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن الشحم بعشرين درهما ومن الملح بعشرة دراهم ومن الحطب كذلك والاصل الواحد من الكرنب بثلاثة أثمان المثقال ومن الخس بعشرين درهما ومن اللفت بخمسة عشر درهما والواحدة من القثاء والفقوس باربعين درهما والخيار بثلاثة أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والاجاص بدرهمين ، واستهلك الناس أموالهم وموجودهم وضاقت أحوالهم وهلكت حاميتهم فاعتزموا على الالقاء باليد والخروج للاستماتة فهيأ الله لهم الصنع الغريب ونفس عن مختقهم بمهلك السلطان يوسف على يد الخصى المريب وأذهب الله العناء عن آل زيان وقومهم وخرجوا كأنما نشروا من القبور وكتبوا بعد هذه الحادثة فى سكتهم : « ما أقرب فرج الله » استغرابا لها (*)

قال ابن خلدون : حدثنى شيخنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلى قال:جلس السلطان أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن صبيحة يوم الفرج وهو يوم الاربعاء سابع ذى القعدة فى زاوية من زوايا قصره يفكر واستدعى ابن جحاف خازن الزرع فسأله كم بقى من الاهراء والمطامير المختومة فقال له : انما بقى عولة اليوم وغد فاستوصاه بكتمان ذلك وبينما هم يتذاكرون فى ذلك دخل عليهم أخوه أبو حموا فأخبروه بذلك فوجم وجلسوا سكوتا لاينطقون واذا بدعد قهرمانة القصر وكانت وصيفة من وصائف بنت السلطان أبى

---

* ذكر صاحب بغية الرواة انه بلغ فى هذا الحصار عدد موتى اهل تلمسان قتلا وجوعا زهاء مائة الف وعشرين الفا ص ١٢٥ طبع الجزائر سنة ١٣٢١ ـ ١٩٠٣

اسحق حظية أبيهم قد خرجت من القصر اليهم وحيتهم وقالت لهم : «تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم : « ما لنا وللبقاء وقد أحيط بكم واسف عدوكم لالتهامكم ولم يبق الافواق ناقة لمصارعكم فأريحونا من معرة السبى وقربونا الى مصارعنا وأريحوا أنفسكم فينا فالحياة فى الذل عذاب والوجود بعدكم عدم» فالتفت أبو حموا الى أخيه أبى زيان وكان من الشفقة بمكان فقال :«قد صدقتك الخبر فما تنتظر بهن» فقال : « ياموسى أرجئنى ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا ولا تشاورنى بعدها فيهن بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهن وتعال الى نخرج مع قومنا الى عدونا فنستميت ويقضى الله ما شاء » فغضب ابو حموا وانكر عليه التاخير فى ذلك وقال : « انما نحن والله نتربص المعرة بهن وبأنفسنا » وقام عنه مغضبا وجهش السلطان ابو زيان بالبكاء قال ابن جحاف :«وأنا بمكانى بين يديه لاأملك متأخرا ولا متقدما الى أن غلب عليه النوم فما راعنى الا حرسى بالباب يشير الى أن أعلم السلطان بمكان رسول جاء من محلة بنى مرين وها هو بسدة القصر » قال ابن جحاف: « فلم أطق رد جوابه الا بالاشارة« وانتبه السلطان من همسنا فزعا فأعلمته فاستدعاه للحين فلما وقف بين يديه قال: «ان السلطان يوسف بن يعقوب هلك الساعة وأنا رسول حافده أبى ثابت اليكم« فاستبشر السلطان أبوزيان واستدعى أخاه وقومه حتى بلغ الرسول المذكور رسالته بمسمع منهم فكانت احدى المغربات فى الايام وكان من خبر هذه الرسالة أن السلطان يوسف لما هلك تطاول للامر بعده القرابة من اخوته وولده وحفدته وتحيز حافده أبو ثابت الى بنى ورتاجن لخؤلة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصوصبوا عليه وبعث الى بنى زيان أن يعطوه آلة الحرب ويكونوا مفزعا له ان أخفق مسعاه على أنه ان تم أمره قوض عنهم معسكر بنى مرين وافرج عنهم ، فعاقدوه على ذلك فوفى لهم لما تم أمره ونزل لهم عن جميع الاعمال التى كان السلطان يوسف غلب عليها من بلادهم ورحلوا الى مغربهم والله غالب على أمره

بقيــة اخبــار السلطان يوسف وسيرته

كان السلطان يوسف رحمه الله أبيض حسن القد مليح الوجه أقنى الانف مهيبا لا يكاد أحد يبدأه بالكلام جوادا مشفقا على الرعية متفقدا لاحوالها شجاعا شهما ذا عزيمة .

اذا هم ألقى بين عينيه همه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وهو أول من هذب ملك بنى مرين وأكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك وكان غليظ الحجاب لايكاد يوصل اليه الا بعد الجهد ، ومن أعيان كتابه الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبى مدين العثمانى ، ومن أعيان شعرائه أبو الحكم مالك بن المرحل السبتى وأبو فارس عبد العزيز الملزوزى المكناسى وغيرهما والله تعالى أعلم

ولنذكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث (ففى سنة ست وخمسين وستمائة) وهى السنة التى بويع فيها السلطان يعقوب بن عبد الحق كان الرخاء المفرط بالمغرب بحيث كان الدقيق يباع بفاس وغيرها ربع منه بدرهم والقمح ستة دراهم للصحفة والشعير ثلاثة دراهم للصحفة ، وأما القطانى فلم يكن لها ثمن والعسل ثلاثة أرطال بدرهم والزيت أربعون أوقية بدرهم والزبيب درهم ونصف للربع والثمر ثمانية أرطال بدرهم واللوز صاع بدرهم والشابل الطرى فردة بقيراط والملح حمل بدرهم ولحم البقر مائة أوقية بدرهم ولحم الضأن سبعون أوقية بدرهم والكبش بخمسة دراهم وهكذا

وفى سنة احدى وستين وستمائة ظهر النجم أبو الذوائب وكان ابتداء ظهوره ليلة الثلاثاء الثانى عشر من شعبان من السنة المذكورة وبقى يطلع كل ليلة وقت السحر نحوا من عشرين يوما

وفى سنة أربع وستين وستمائة كان دخول الشريف المولى حسن بن قاسم الحسنى من أرض ينبع الحجاز الى سجلماسة وهذا الشريف هو جد الاشراف العلويين السجلماسيين ملوك المغرب الاقصى فى عصرنا هذا أعلى

الله تعالى قدرهم وخلد مجدهم وفخرهم ، وعند الكلام على دولتهم السعيدة نذكر كيفية دخول هذا الشريف الى المغرب والسبب فيه ان شاء الله

وفى سنة ست وستين وستمائة سرق من بيت المال بقصبة فاس اثنا عشر ألف دينار وثلاث قلائد يساوين أكثر من ذلك

وفى حدود السبعين وستمائة كان ظهور البارود على ما مر من أن السلطان يعقوب بن عبد الحق فتح به سجلماسة فى هذه المدة والله تعالى أعلم

وفى سنة سبع وسبعين وستمائة بنى المسجد الجامع بفاس الجديد ، وفى سنة تسع وسبعين وستمائة علقت به ثرياه وذلك يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الاول منها ووزن هذه الثريا سبعة قناطير وخمسة عشر رطلا وعدد كؤسها مائتا كأس بالتثنية وسبع وثمانون كأسا وفيها كان الجراد العام بالمغرب أكل الشجر والزرع ولم يترك خضراء على وجه الارض وبلغ القمح عشرة دراهم للصاع

وفى سنة ثمانين وستمائة بنيت قنطرة وادى النجاة وقنطرة ماريـــج

وفى سنة ثلاث وثمانين وستمائة كان بالمغرب قحط شديد لم ير الناس قطرة ماء حتى كان اليوم السابع والعشرون من رمضان وهو اليوم الذى توفيت فيه الحرة أم العز بنت محمد بن حازم العلوية من بنى على بن عسكر وهى أم السلطان يوسف فغاث الله العباد وأحيى برحمته البلاد

وفى سنة خمس وثمانين وستمائة بنيت قصبة تطاوين وفيها ركبت الناعورة الكبرى على وادى فاس شرع فى عملها فى رجب من السنة المذكورة ودارت فى صفر من السنة بعدها

وفى سنة ست وثمانين وستمائة بنى سور قصر المجاز وركبت أبوابه وفيها غرس بستان المصارة بفاس الجديد وبنيت الدار البيضاء بها أيضا

وفى سنة تسع وثمانين وستمائة كانت الريح الشرقية المتوالية الهبوب ونشأ عنها القحط الشديد واستمر ذلك الى آخر سنة تسعين بعدها فرحم الله بلاده وعباده وفيها توفى الشيخ الصالح أبو يعقوب الاشقر بالكندرتين من

بلاد بنى بهلول من أحواز فاس ولعل أبا يعقوب هذا هو الذى تنسب اليه الحمة التى قدمنا الكلام عليها فى أخبار المنصور الموحدى والله أعلم وفيها بنى المسجد الجامع بمدينة تازا وبنيت قبة مكناسة الزيتون ورباعها

وفى سنة احدى وتسعين وستمائة أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بعمل المولد النبوى وتعظيمه والاحتفال له (*) وصيره عيدا من الاعياد فى جميع بلاده وذلك فى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وكان الامر به قد صدر عنه وهو بصبرة من بلاد الريف فى آخر صفر من السنة فوصل برسم اقامته بحضرة فاس الفقيه أبو يحيى بن أبى الصبر واعلم أنه قد كان سبق السلطان يوسف الى هذه المنقبة المولدية بنو العزفى أصحاب سبتة فهم أول من أحدث عمل المولد الكريم بالمغرب والله تعالى أعلم

وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة كان كسوف الشمس وذلك قرب زوال يوم الاحد التاسع والعشرين من رجب من السنة المذكورة كسف منها نحو الثلثين وصلى بالناس صلاة الكسوف بجامع القرويين من فاس الخطيب أبو عبد الله بن أبى الصبر حتى انجلت فخرج من المحراب ووقف بازائه فوعظ الناس وذكرهم وفى هذه السنة رفعت أيدى الموثقين من الشهادة بفاس* ولم يبق بها منهم سوى خمسة عشر رجلا من أهل العدالة والمعرفة وكانوا قبل ذلك أربعة وتسعين وكان ذلك يوم الاثنين الحادى عشر من شوال من السنة المذكورة وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم عم ذلك بلاد المغرب وافريقية ومصر فكانت الموتى تحمل اثنين وثلاثة وأربعة على المغتسل وبلغ القمح عشرة دراهم للمد والدقيق ست أواق بدرهم وأمر السلطان يوسف بتبديل الصيعان وجعلها على مد النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك

(*) يعنى بالمغرب واما بالمشرق فاول من احدثه الملك المظفر صاحب اربل فى اواخر المائة السادسة انظر ترجمته فى حرف الكاف من وفيات الاعيان .

* وذكر فى الفائق ان السلطان ابا عنان المرينى الاتى امر بالاقتصار على عشرة من الشهود بمدينة مكناسة انظر تمام كلامه

بالحضرة على يد الفقيه أبى فارس عبد العزيز الملزوزى الشاعر المشهور .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة فيها صلح أمر الناس وانجبرت أحوالهم ورخصت الاسعار فى جميع الامصار فبيع القمح بعشرين درهما للصحفة وفى هذه السنة كسفت الشمس أيضا الكسوف الكلى بحيث غاب قرص الشمس كله وصار النهار ليلا كالحالة التى تكون ما بين العشاءين وظهرت النجوم وماج الناس وضاقت نفوسهم ولولا أن الله سبحانه تداركهم بسرعة انجلائها لهلكوا جزعا وكان ذلك بعد صلاة ظهر الثلاثاء الثامن والعشرين من ذى الحجة من سنة أربع وتسعين المذكورة

وفى سنة سبعمائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب مدينته المنصورة بازاء تلمسان وهو محاصر لها الحصار الطويل حسبما مر الخبر على ذلك مستوفى وبالله تعالى التوفيق

الخبر عن دولة السلطان أبى ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

قد تقدم لنا أن أبا عامر عبد الله ابن السلطان يوسف كان قد انتبذ عن أبيه وبقى متنقلا فى جهات الريف وبلاد غمارة الى أن هلك فى بلاد بنى سعيد منهم ، وانه خلف ثلاثة أولاد أحدهم أبو ثابت عامر بن عبد الله هذا الذى ولى الامر بعد جده ،وذلك أنه لما هلك السلطان يوسف رحمه الله بالمنصورة كما تقدم كان حافده أبو ثابت هذا فى جملته وكان له فى بنى ورتاجن من أهل تلك البلاد خؤلة فلحق بهم ودعا لنفسه فبايعوه وقاموا معه فى أمره ، وبايعه معهم أشياخ بنى مرين والعرب بظاهر المنصورة يوم الخميس ثانى يوم وفاة جده يوسف وبادر الحاشية والوزراء ومن شايعهم بداخل المنصورة الى بيعة الامير أبى سالم بن السلطان يوسف وكاد أمر بنى مرين يفسد وكلمتهم تتفرق فبعث السلطان أبو ثابت لحينه وكان شهما مقداما الى

صاحبى تلمسان أبى زيان وأبى حمو ابنى عثمان بن يغمراسن فعقد لهما عهدا على أن يرحل عنهم بجموعه وأن يمدوه بالآلة ويرفعوا له كسر بيتهم ويضموه اليهم ان خاب أمله ولم يتم له أمر فأجابوه الى ذلك ، وحضر العقد أبوحمو فأحكمه وشرط عليه السلطان أبو ثابت أن لا يتعرضوا لمدينة جده المنصورة بسوء وأن يتعاهدوا مساجدها وقصورها بالاصلاح وان من أراد الاقامة بها من أهلها فما لاحد عليه من سبيل لان الناس كانوا قد استوطنوها وألفوها وطاب مقامهم بها وتائلوا بها الاثاث والمتاع والخرثى وسائر الماعون مما يثبط المرتحل ويثقل جناح الناهض فقبل أبو حمو ذلك كله

وتفرغ السلطان أبو ثابت لشأنه وجمع كلمة قومه واختل أمر أبى سالم فلم يتم وكتب السلطان أبو ثابت الى حامية بنى مرين وحصصها التى كانت متفرقة فى الثغور الشرقية التى استولى عليها السلطان يوسف أيام حياته فأقبلوا اليه ينسلون من كل حدب وأسلموا البلاد الى أهلها من بنى عبد الواد وقتل السلطان أبو ثابت عمه أبا سالم بن يوسف ثم اتبعه بعم أبيه أبى بكر بن يعقوب فى آخرين من القرابة وغيرهم ممن يتوقع منه الشر ، وفر بقية القرابة خشية على أنفسهم من سطوة أبى ثابت فلحقوا بعثمان بن أبى العلاء الثائر بجبال غمارة من عهد السلطان يوسف فشايعوه على أمره وتقوى بهم على ما نذكره ثم ارتحل السلطان أبو ثابت قاصدا حضرة فاس فى جموع لاتحصى وأمم لاتستقصى فعيد عيد الاضحى من سنة ست وسبعمائة فى طريقه بين تلمسان ووجدة ثم نهض الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وسبعمائة ثم نهض بعد ذلك الى مراكش على ما نذكره ، ولما علم بنو يغمراسن أن أبا ثابت قد أبعد عنهم وأنه توغل فى البلاد المراكشية واشتغل بحروب الثائرين بها عمدوا الى المنصورة فجعلوا عاليها سافلها وطمسوا معالمها ومحوا آثارها فأصبحت كأن لم تغن بالامس

ثورة يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق وما كان من أمره

كان السلطان أبو ثابت لما فصل من تلمسان قدم بين يديه ابن عمه الحسن ابن عامر بن عبد الله بن يعقوب وأمره بالنظر فى أحوال فاس والمغرب ، وأمره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها وتفريق الاموال على الخاصة والعامة ففعل ، ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد الحق على مراكش ونواحيها وعهد اليه بالنظر فى أحوالها وضبطها فصمد اليها واحتل بها وتمكن منها ، ثم حدثته نفسه بالانتزاء فاستلحق واستركب واتخذ الآلة وجاهر بالخلعان وتقبض على الوالى بمراكش الحاج المسعود فقتله من تحت السياط فى جمادى الاخرة سنة سبع وسبعمائة ودعا لنفسه ، واتصل الخبر بالسلطان أبى ثابت وهو بفاس فسرح اليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود بن خرباش الحشمى بالحاء المهملة ويعقوب بن آصناك فى خمسة آلاف فارس فساروا الى مراكش ، وبرز يوسف بن محمد بن أبى عياد الى حربهم وعبر اليهم وادى أم الربيع فالتقوا معه على ضفته الشرقية فهزموه وعاد الى مراكش ، واتبعه الوزير ودخل ابن أبى عياد مراكش فقتل جماعة من جند الفرنج الذين بها وسبى ذراريهم وخرج منها الى اغمات فلم يستقر بها ، ثم فر الى جبال هسكورة فنزل على كبيرها مخلوف بن هنو الهسكورى ولحق به موسى بن سعيد الصبيحى من اغمات تدلى من سورها فلحق به

ودخل السلطان أبو ثابت مراكش منتصف رجب من سنة سبع وسبعمائة وأمر بقتل أوربة المداخلين لابن أبى عياد فى انتزائه فاستلحموا جميعا ، ولما لحق ابن أبى عياد بمخلوف بن هنو الهسكورى واستجار به لم يجره على السلطان أبى ثابت بل قبض عليه مع ثمانية من كبار أصحابه وبعثهم فى الحديد اليه وهو بمراكش فقتلوا فى مصرع واحد بعد أن مثل بهم بالسياط ، وبعث برأس ابن أبى عياد الى فاس فطيف به ونصب على سورها ثم أثخن أبو ثابت

فى كل من كان على رأى ابن أبى عياد وخاض معه فى الفتنة فاستلحم منهم بمراكش ما ينيف على الستمائة وصلبهم على سورها من باب الرب أحد أبواب مراكش الى برج دار الحرة عزونة ، وقتل فى اغمات منهم مثل ذلك وخرج منتصف شعبان الى منازلة السكسيوى وتدويخ جهات مراكش فنزل بتامزوارت وتلقاه السكسيوى بالبيعة والهدية والضيافة فقبل السلطان أبو ثابت ذلك منه ، ثم بعث قائده يعقوب بن آصناك فى جيش من ثلاثة آلاف فارس الى بلاد حاحة برسم غزو قبائل زكنة ففروا بين يديه حتى دخلوا بلاد القبلة وانقطع أثرهم ورجع الى معسكر السلطان بتامزوارت وأخبره بسكون البلاد وأمنها ، فانكفأ السلطان أبو ثابت راجعا الى مراكش فدخلها غرة رمضان من سنة سبع وسبعمائة . ثم خرج منها فى منتصفه قاصدا رباط الفتح فاجتاز على بلاد صنهاجة وعبر وادى أم الربيع من مشرع كتامة فى القوارب لزيادة الماء يومئذ ، ثم ارتحل فاجتاز ببلاد تامسنا فتلقاه بها عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبنى جابر والعاصم فاستصحبهم معه الى مدينة آنفى بعد أن استأذنوه فى الرجوع فلم يأذن لهم ، ولما احتل بآنفى دعا بأشياخهم فحضروا عنده فقبض على ستين منهم أودعهم سجن آنفى وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطعين للسبل وصلبهم على سور آنفى ، ثم نهض الى رباط الفتح فدخله فى السابع والعشرين من رمضان فعيد هنالك عيد الفطر وقتل به ثلاثين من فتاك العرب المتهمين بالحرابة وقطع الطريق وصلبهم على أسوار العدوتين ، ثم ارتحل منتصف شوال لغزو عرب رياح الموطنين بأبى طويل وفحص آزغار وبلاد الهبط ، فغزاهم وأخذهم بالاحن القديمة فقتل منهم خلقا وسبى ذراريهم وانتهب أموالهم ونهض الى فاس فاحتل بها منتصف ذى القعدة وعيد بها عيد الاضحى ثم نهض الى سبتة على ما نذكره

غزو السلطان أبى ثابت بلاد غمارة وسبتة ومحاصرته لعثمان بن أبى العلاء

قد تقدم لنا أن عثمان بن أبى العلاء كان قد ورد من الاندلس صحبة الرئيس أبى سعيد بن الاحمر المتغلب على سبتة أيام السلطان يوسف وانه ثار بجبال غمارة ودعا لنفسه واستحوذ عليها وكان السلطان يوسف بلغه خبره وأهمه شأنه الا أنه كان يرجو أن يفتح تلمسان عن قريب ثم ينهض اليه فعاجله الحمام دون ذلك ولما أفضى الامر الى السلطان أبى ثابت وقدم حضرة فاس شغله عن عثمان بن أبى العلاء ما كان من ثورة يوسف بن محمد بن أبى عياد بمراكش كما قدمناه فعقد على حرب عثمان بن أبى العلاء لابن عمه عبد الحق ابن عثمان بن محمد بن عبد الحق فزحف اليه ونهض عثمان بن أبى العلاء الى لقائه منتصف ذى الحجة سنة سبع وسبعمائة فهزمه عثمان بن أبى العلاء واستلحم من كان معه من جند الفرنج وهلك فى تلك الوقعة عبد الواحد الفودودى من رجالات الدولة المرشحين للوزارة ، وسار عثمان بن أبى العلاء الى قصر كتامة فدخله واستولى على جهاته وكان بطلا من الابطال وعلى اثر ذلك كان رجوع السلطان أبى ثابت من غزاة مراكش وقد حسم الداء ومحى أثر النفاق فاعتزم على النهوض الى بلاد غمارة ليمحو منها أثر دعوة ابن أبى العلاء التى كادت تلج عليه دار ملكه ويستخلص سبتة من يد ابن الاحمر المتغلب عليها لانها صارت ركابا لمن يروم الخروج على السلطان من القرابة المستقرين وراء البحر غزاة فى سبيل الله

فنهض السلطان أبو ثابت من فاس عقب عيد الاضحى من سنة سبع وسبعمائة حتى انتهى الى قصر كتامة فتلوم به ثلاثا حتى تلاحق به قبائل مرين والعرب والرماة من سائر البلاد فعرض جيشه وارتحل قاصدا جبال غمارة ، وكان عثمان بن أبى العلاء قد فر أمامه الى ناحية سبتة فسار السلطان أبو ثابت فى اتباعه حتى نازل حصن علودان واقتحمه عنوة واستلحم به زهاء أربعمائة ، ثم نازل بلد الدمنة على شاطىء البحر فقتل الرجال وسبى النساء والذرية وانتهب الاموال وكانوا قد تمسكوا بطاعة ابن أبى العلاء وأجازوه الى القصر فى وسط

بلادهم وبالغوا فى تضيفه واكرامه ودخلوا معه القصر وآصيلا ونهبوا كثيرا من مال أهلهما ، ثم ارتحل السلطان أبو ثابت الى طنجة فدخلها فاتح سنة ثمان وسبعمائة وتحصن ابن أبى العلاء بسبتة مع أوليائه من ابن الاحمر وسرح السلطان أبو ثابت عسكره فتفرقت فى نواحى سبتة بالغارات واكتساح الاموال

بناء مدينة تطاوين

ثم أمر السلطان باختطاط مدينة تطاوين لنزول عسكره والاخذ بمخنق سبتة هكذا عند ابن أبى زرع وابن خلدون . واعلم أن تطاوين هذه هى تطاوين القديمة وقد تقدم لنا أن قصبتها بنيت فى سنة خمس وثمانين وستمائة وذلك لاول دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، ثم بنى السلطان أبو ثابت هذه المدينة عليها فى هذا التاريخ الذى هو فاتح سنة ثمان وسبعمائة وكان بناؤها خفيفا شبه القرية عدا قصبتها فان بناءها كان محكما وثيقا ، واستمرت هذه المدينة عامرة الى صدر المائة التاسعة فخربت ثم جدد بناؤها بعد نحو تسعين سنة حسبما يأتى الخبر عن ذلك مستوفى ان شاء الله تعالى ، قالوا : ولفظ تطاوين مركب من كلمتين تيط ومعناها فى لسان البربر العين ووين وهى كناية عن المخاطب نحو يافلان وما أشبه ذلك ، قالوا : والسبب فى تسميتها بذلك أنهم فى وقت اختطاطهم لها كانوا يضعون الحرس على أسوارها مخافة فجأة العدو فكان الحرس ينادون بالليل أو بالنهار تطاوين تطاوين ، أى يافلان افتح عينك لان عادة الحارس أن يقول ذلك فصار هذا اللفظ علما عليها ويظهر أن هذا من كلام العامة ولا أصل له ، وكذا قول بعضهم تيط معناها العين ووين معناها المقلة ومعنى مجموع الكلمتين مقلة العين والاضافة مقلوبة كما هى فى لسان بعض الامم العجمية فانه لامستند له والله تعالى أعلم

ولما شرع السلطان أبو ثابت فى بناء مدينة تطاوين أوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن أبى الصبر الى ابن الاحمر صاحب سبتة فى شأن النزول

له عن البلد وأقام هو بقصبة طنجة ينتظر الجواب بماذا يكون ، وفى أثناء ذلك مرض مرض موته وتوفى(*)يوم الاحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمائة ودفن بظاهر طنجة ثم حمل شلوه بعد أيام الى مدفن آبائه بشالة فووري هنالك رحمة الله عليه وعليهم

الخبر عن دولة السلطان أبى الربيع سليمان بن أبى عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

لما هلك السلطان أبو ثابت تصدى للقيام بالامر عمه على بن يوسف المعروف بابن زريقاء وهى أمه ، وعلى هذا هو الذى قتل شيوخ المصامدة بكتاب ابن المليانى كما تقدم وخلص الملأ من بنى مرين أهل الحل والعقد الى أبى الربيع المذكور أخى أبى ثابت فبايعوه واستتب أمره فتقبض على عمه على بن زريقاء وسجنه بطنجة فبقى مسجونا بها الى أن هلك سنة عشر وسبعمائة وبث السلطان أبو الربيع العطاء فى الناس وأجزل الصلات فأرضى الخاصة والعامة وصفا له الامر ، ثم ارتحل نحو فاس واستدعى من كان بمحلة تطاوين من الجند فأقبلوا اليه وأرضاهم بالمال كذلك ، ولما فصل من طنجة تبعه عثمان بن أبى العلاء من سبتة فى جيش كثيف ليضرب فى محلته ليلا فنذر به عسكر السلطان أبى الربيع فأسهروا ليلتهم وباتوا على صهوات خيولهم فوافاهم عثمان بساحة علودان وهم على ذلك فناجزهم الحرب فهزموه وتقبض على ولده وكثير من عسكره وقتل آخرون وكان للسلطان أبى الربيع الظهور الذى لاكفاء له ووصل أبو يحيى بن أبى الصبر من الاندلس وقد أحكم عقدة الصلح مع ابن الاحمر صاحب غرناطة

ولما رأى عثمان بن أبى العلاء ذلك سقط فى يده وأيس من المغرب فعبر

(*) ذكر فى روضة النسرين فى دولة بنى مرين لابن الاحمر أنه توفى مسموما

البحر فيمن معه من القرابة الى الاندلس وولى مشيخة الغزاة بها فكانت له فى جهاد العدو اليد البيضاء وعلا أمره بالاندلس وزاحم بنى الاحمر ملوكها فى رياستهم وجبايتهم حتى كاد يستولى على الامر من أيديهم وشرقوا بدائه ومارسهم ومارسوه مدة طويلة ، وعدلوا فى أمره الى المصانعة والمجاملة فى أخبار ليس جلبها من غرضنا الى أن توفى ، لكنا نذكر من ذلك انموذجا يستدل به الواقف عليه على ما وراءه ، فنقول : « لما توفى عثمان بن أبى العلاء رحمه الله كتب على قبره ما صورته : «هذا قبر شيخ الحماة وصدر الابطال والكماة ، واحد الجلالة ليث الاقدام والبسالة علم الاعلام حامى ذمار الاسلام ، صاحب الكتائب المنصورة والافعال المشهورة والمغازى المسطورة وامام الصفوف ، القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم الاعاد وأسد الآساد العالى الهمم الثابت القدم الهمام الماجد الارضى البطل الباسل الامضى المقدس المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل الهمام الكبير الاصيل الشهير المقدس المرحوم أبى العلاء ادريس بن عبد الله ابن عبد الحق »

كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفقه ما بين روحة فى سبيل الله وغدوة حتى استوفى فى المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهدا مجتهدا فى طاعة الرب محتسبا فى ادارة الحرب ماضى العزائم فى جهاد الكفار ، مصاد ما بين جموعهم تدفق التيار وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ما سار ذكره فى الاقطار أشهر من المثل السيار حتى توفى رحمه الله وغبار الجهاد طى أثوابه ، وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه فمات على ما عاش عليه وفى ملحمة الجهاد قبضه الله اليه واستأثر به سعيدا مرتضى وسيفه على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول واسعاد ونتيجة جهاد وجلاد ودليلا على نيته الصالحة وتجارته الرابحة فارتجت الاندلس لبعده أتحفه الله برحمة من عنده توفى يوم الاحد الثانى لذى الحجة من سنة ثلاثين وسبعمائة رحمه الله .

وأما السلطان أبو الربيع فانه لما سار عن طنجة دخل حضرة فاس حادى

عشر ربيع الاول من سنة ثمان وسبعمائة فأقام بها سنة المولد الكريم وفرق الاموال واستقامت الامور وتمهد الملك وعقد السلم مع صاحب تلمسان أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن وأقام وادعا بحضرته مجتنيا ثمرة ملكه ، وكان فى أيامه غلاء الا أن الناس انفتحت لهم فيها أبواب المعاش والترف حتى تغالوا فى أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين ، وتنافس الناس فى البناء فاتخذوا القصور المشيدة وتأنقوا فيها بالزليج والرخام وأنواع النقوش ، وتناغوا فى لبس الحرير وركوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الحلى من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والامور كلها بيد الله تعالى

نكبة الفقيه الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين
واستئصال بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك

كان الفقيه الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبى مدين شعيب بن مخلوف من بنى أبى عثمان احدى قبائل كتامة المجاورين للقصر الكبير ، وكان بيته بيت العلم والدين واتصلوا بخدمة بنى مرين أيام دخولهم المغرب واستيلائهم عليه وكان أبو محمد هذا من خاصة السلطان يوسف بن يعقوب وجعل بيده وضع العلامة على الرسائل وفوض اليه فى حسبان الخراج والضرب على أيدى العمال وتنفيذ الاوامر بالقبض والبسط فيهم واستخلصه لمناجاته والافضاء اليه بسره ، ولما هلك السلطان يوسف وولى بعده السلطان أبو ثابت ضاعف رتبة هذا الرجل وشفع لديه حظه ومنصبه ورفع على الاقدار قدره ، ثم ولى بعده أخوه أبو الربيع فسلك فيه مذهب سلفه واضطلع أبو محمد بن أبى مدين بأمور دولته ، وكان بنو وقاصة اليهود حين نكبوا أيام السلطان يوسف يرون أن نكبتهم كانت بسعاية أبى محمد فيهم ، وكان خليفة الاصغر منهم قد أفلت من تلك النكبة كما ذكرناه

فلما أفضى الامر الى السلطان أبى الربيع استعمل خليفة هذا بداره فى بعض المهن فباشر الامور وترقى فيها حتى اتصل بالسلطان فجعل غاية قصده السعاية بأبى محمد بن أبى مدين ، وكان يؤثر عن السلطان أبى الربيع أنه يختلى مع حرم حاشيته وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس فدس الى السلطان « بأن ابن أبى مدين يعرض باتهامك فى ابنته وأن صدره قد وغر لذلك وانه مترصد بالدولة ومتربص بها الدوائر » فتمكنت سعايته من السلطان وظن أنه صادق وكان يخشى غائلة ابن أبى مدين بما كان له من الوجاهة فى الدولة ومداخلة القبيل فاستعجل السلطان أبو الربيع دفع غائلته ودس الى قائد جند الفرنج بقتله ، فسار اليه ولقيه بمقبرة الشيخ أبى بكر بن العربى فرصده وأتاه من خلفه فطعنه طعنة كبته على ذقنه واحتز رأسه وألقاه بين يدى السلطان أبى الربيع ، ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن فوجد الرأس بين يديه فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة حسرة وأسفا ، وأيقظ السلطان لمكر اليهودى وأطلعه على خبثه وأخرج له براءة كان بعث بها ابن أبى مدين معه الى السلطان يتنصل فيها ويحلف على كذب مارمى به عنده ، فتنبه السلطان لمكر اليهودى وعلم أنه قد خدعه وندم حيث لم ينفعه الندم ، وفتك لحينه بخليفة بن وقاصة وحاشيته من اليهود المتصدين للخدمة وسطا بهم سطوة الهلكة فاصبحوا مثلا للاخرين

انتقاض أهل سبتة على بنى الاحمر ومراجعتهم طاعة بنى مرين

كان أهل سبتة قد سئموا ملكة أهل الاندلس وثقلت عليهم ولايتهم لاسيما حين رحل عنهم عثمان بن أبى العلاء وعبر البحر بقصد الجهاد كما مر واتصل خبر ذلك بالسلطان أبى الربيع فانتهز الفرصة فيهم وعقد لثقته تاشفين بن يعقوب الوطاسى أخى وزيره عبد الرحمن بن يعقوب على عسكر ضخم من بنى مرين وسائر طبقات الجند وبعثه الى سبتة فأغذ السير اليها ونزل بساحتها ولما أحس به أهل البلد تمشت رجالاتهم فيما بينهم وتنادوا بشعار بنى مرين

وثاروا على من كان بسبتة من حامية ابن الاحمر فاخرجوهم منها ، واقتحم تاشفين بن يعقوب البلد عاشر صفر من سنة تسع وسبعمائة وتقبض على قائد القصبة أبى زكرياء يحيى بن مليلة وعلى قائد البحر أبى الحسن بن كماشة وعلى قائد الحرب بها من القرابة عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، وطير تاشفين بالخبر الى السلطان أبى الربيع فعم السرور وعظم الفرح واتصل ذلك بابن الاحمر فضاق ذرعه وخشى عادية بنى مرين وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة وملكوها ، فقلب رأيه ورأى أن يجنح الى السلم مع السلطان أبى الربيع لشدة شوكته ولكلب الطاغية عليه فى أرضه لولا أن غزاة بنى مرين يكفون من غربه فبادر السلطان ابن الاحمر وهو أبو الجيوش نصر ابن محمد أخو المخلوع الذى كان قبله ، وأوفد رسله على السلطان أبى الربيع راغبين فى السلم خاطبين للولاية وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونها ترغيبا للسلطان أبى الربيع فى الجهاد فقبل منه ذلك وعقد له الصلح على ما أراد ، وخطب منه أخته فأنكحه ابن الاحمر اياها وبعث السلطان أبو الربيع اليه بالمدد للجهاد أموالا وخيولا جنائب مع ثقته عثمان بن عيسى اليرينانى أخى وزيره ابراهيم بن عيسى واتصلت بينهما الولاية الى أن توفى السلطان أبو الربيع رحمه الله

انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يقعوب الوطاسى على السلطان أبى الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب فى ذلك

لما انعقد الصلح بين السلطان أبى الربيع وابن الاحمر وحصلت المصاهرة بينهما والمودة كانت رسل ابن الاحمر لاتزال تتردد الى حضرة السلطان بفاس فقدم منهم ذات يوم بعض المنهمكين فى اللهو المدمنين للشرب والقصف ، فكشف صفحة وجهه فى معاقرة الخمر وتجاهر بذلك بين الناس ، وكان السلطان أبو الربيع قد عزل قاضى فاس أبا غالب المغيلى وولى القضاء مكانه

الشيخ الفقيه أبا الحسن الزرويلى المعروف بالصغير صاحب التقييد على المدونة وكان رحمه الله قد شدد على أهل الفسوق والمناكر ، فسيق اليه ذات يوم هذا الاندلسى وهو سكران فأمر العدول فاستروحوه واشتموا منه رائحة الخمر وأدوا شهادتهم على ذلك ، فأمضى القاضى حكم الله فيه وجلده الحد فاضطرم الاندلسى غيظا وتعرض للوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسى ويقال له رحو باللسان الزناتى فكشف له عن ظهره يريه أثر السياط وينعى عليه سوء هذا الفعل مع رسل الدول ، فضجر الوزير من ذلك وأخذته العزة بالاثم ولعله كان فى قلبه شىء على القاضى فأمر وزعته باحضاره على أسوأ الحالات وعزم على البطش به فتبادروا اليه ، واعتصم القاضى بالمسجد الجامع ونادى فى المسلمين فثارت العامة بهم ومرج أمر الناس وقامت الفتنة على ساق ، واتصل الخبر بالسلطان فتلافى الامر وأحضر أصحاب الوزير فضرب أعناقهم وشرد بهم من خلفهم جزاه الله خيرا ، فأسرها الوزير فى نفسه وداخل الحسن بن على بن أبى الطلاق من بنى عسكر بن محمد وكان من شيوخ بنى مرين وأهل الشورى فيهم ، وداخل قائد الفرنج غنصالو المنفرد برياسة العسكر وشوكة الجند وكان لهؤلاء الفرنج بالوزير اختصاص بحيث آثروه على السلطان ، فدعاهم لخلع طاعة السلطان أبى الربيع وبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد ابن عبد الحق كبير القرابة وأسد الاعياص فأجابوه وبايعوا له وتم أمرهم ، ولما كان يوم السبت الثالث والعشرون من ربيع الآخر من سنة عشر وسبعمائة فر الوزير المذكور وقائده الفرنجى ومن شايعهم على رأيهم فخرجوا الى ظاهر البلد الجديدة وجاهروا بالخلعان وأقاموا الآلة والرسم وبايعوا سلطانهم عبد الحق على عيون الملا وعسكروا بالعدوة القصوى من سبو ، ثم ساروا الى ناحية تازا ولما استقروا برباطها أخذوا فى جمع الجيوش ومكاتبة الخاصة من بنى مرين والعرب يدعونهم الى بيعة سلطانهم والمشايعة لهم على رأيهم وأوفدوا على أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان يدعونه الى المظاهرة على أمرهم واتصال اليد والمدد بالعسكر والمال ، فتوقف أبو حمو ولم يقدم ولم يحجم وبقى ينتظر عماذا ينجلى أمرهم ، واتصل خبر ذلك كله

بالسلطان أبى الربيع فنهض اليهم وقدم بين يديه يوسف بن عيسى الحشمى وعمر بن موسى الفودودى فى جيش كثيف من بنى مرين ، وسار هو فى ساقتهم واتصل خبر خروجه بعبد الحق بن عثمان ووزيره فانكشفوا عن تازا ولحقوا بتلمسان ، وكانوا يظنون أن السلطان لايخرج اليهم وحمد أبو حمو عاقبة توقفه عن نصرهم ويئسوا هم من صريخه اياهم ، ولما ضاقت عليهم الارض بما رحبت أجاز عبد الحق بن عثمان ووزيره الى الاندلس ورجع الحسن بن على ومن معه الى السلطان أبى الربيع بعد أن أخذ منه الامان وهلك رحو بن يعقوب بالاندلس لمدة قريبة ، ولما احتل السلطان أبو الربيع بتازا حسم الداء ومحا أثر الشقاق وأثخن فى حاشية الخوارج وشيعتهم بالقتل والسبى ، ثم اعتل أياما أثناء ذلك فتوفى بتازا بين العشاءين ليلة الاربعاء منسلخ جمادى الاخيرة من سنة عشر وسبعمائة ودفن من ليلته تلك بصحن الجامع الاعظم من تازا رحمه الله

الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

كان هذا السلطان من أهل العلم والحلم والعفاف جوادا متواضعا متوقفا فى سفك الدماء لقبه : السعيد بفضل الله وأمه حرة اسمها عائشة بنت الامير ابى عطية مهلهل بن يحيى الخلطى ، ولما هلك السلطان أبو الربيع بتازا فى التاريخ المتقدم تطاول للامر عمه أبو سعيد الاصغر وهو عثمان بن السلطان يوسف وخب فى ذلك ووضع وأسدى وألحم فلم يحصل على شىء

واجتمع الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هدأة من الليل وتفاوضوا فى أمرهم حتى وقع اختيارهم على أبى سعيد الاكبر وهو عثمان بن السلطان يعقوب بن عبد الحق فاستدعوه فحضر. فبايعوه ليلتئذ ، وتم أمره وأنفذ كتبه الى النواحى والجهات باقتضاء البيعة وسرح ابنه الاكبر الامير أبا الحسن على بن عثمان الى فاس فدخلها غرة رجب من سنة عشر وسبعمائة وملك قصر الخلافة بالحضرة

واحتوى على أمواله وذخيرته ، وفى غد ليلته أخذت البيعة للسلطان أبى سعيد بظاهر تازا على بنى مرين وسائر زناتة والعرب والعسكر والحاشية والموالى والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء ، فقام بالامر واستوسق له الملك وفرق الاعطيات وأسنى الجوائز وتفقد الدواوين ورفع الظلامات وحط المغارم والمكوس وسرح السجون ورفع عن أهل فاس ما كان يلزم رباعهم من الوظائف المخزنية فى كل سنة فصلح حال الناس فى أيامه

ثم ارتحل لعشرين من رجب من السنة فدخل حضرة فاس فاستقر بها وقدم عليه وفود التهنئة من جميع بلاد المغرب ، ثم خرج فى ذى القعدة الى رباط الفتح لتفقد الاحوال والنظر فى أمور الرعية وانشاء الاساطيل الجهادية فعيد هنالك عيد الاضحى وباشر أمور الناس وأمر بانشاء الاساطيل بدار الصناعة من سلا برسم جهاد الفرنج ، ثم رجع الى فاس فعقد سنة احدى عشرة وسبعمائة لاخيه الامير أبى البقاء يعيش على ثغور الاندلس الجزيرة ورندة وما اليهما من الحصون ، ثم نهض سنة ثلاث عشرة وسبعمائة الى ناحية مراكش لما كان بها من اختلال الاحوال وخروج عدى بن هنو الهسكورى ونقضه للطاعة فنازله السلطان أبو سعيد وحاصره مدة ثم اقتحم عليه حصنه عنوة وقبض عليه وبعثه موثقا فى الحديد الى فاس فأودعه المطبق وقفل راجعا الى حضرته فاحتل بها مؤيدا منصورا والله تعالى أعلم

غزو السلطان أبي سعيد ناحية تلمسان

كان بنو مرين قد حقدوا على أبى حمو صاحب تلمسان من أجل توقفه فى أمر عبد الحق بن عثمان ووزيره رحو بن يعقوب الوطاسى وتسهيله الطريق لهم الى الاندلس ومداهنته فى ذلك ، وكان مقتضى الصلح المنعقد بينه وبين السلطان أبى الربيع أن يقبض عليهم ويبعث بهم اليه حالا فحقد بنو مرين على أبى حمو ووجدوا فى أنفسهم عليه ، ولما أفضى الامر الى السلطان أبى سعيد

واستوسق ملكه ودوخ الجهات المراكشية وفرغ من شأن المغرب اعتزم على غزو تلمسان فنهض اليها سنة أربع عشرة ، ولما انتهى الى وادى ملوية قدم ابنيه الاميرين أبا الحسين وأبا على فى عسكرين عظيمين فى الجناحين وسار هو فى ساقتهما فدخل بلاد بنى عبد الواد على هذه التعبية فاكتسح نواحيها واصطلم نعمتها ثم نازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا فامتنعت عليه ، ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها وتحصن أبو حموا بالاسوار وغلب السلطان أبو سعيد على معاقلها وسائر ضواحيها فحطمها حطما ونسفها نسفا ودوخ جبال بنى يزناسن وأثخن فيهم ، وانتهى فى قفوله الى وجدة ففر أخوه أبو البقاء يعيش وكان فى معسكره من أجل استرابة لحقته من السلطان وسار الى تلمسان فنزل على أبى حمو ورجع السلطان أبو سعيد على التعبية فانتهى الى تازا فأقام بها وبعث ابنه الامير أبا على الى فاس فكان من خروجه عليه ما نذكره

خروج الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في ذلك

كان للسلطان أبى سعيد ولدان أحدهما وهو الاكبر من أمته الحبشية وهو أبو الحسن على بن عثمان ، وثانيهما وهو الاصغر من علجة من سبى الفرنج وهو أبو على عمر بن عثمان وكان هذا الاصغر أعلق بقلب السلطان وأحبهما اليه ، ولما استولى على ملك المغرب رشحه لولاية العهد وهو شاب لم يطر شاربه ووضع له ألقاب الامارة وصير معه الجلساء والخاصة والكتاب وأمره باتخاذ العلامة فى كتبه ولم يدخر عنه شيئا من مراسم الرياسة والملك وعقد على وزارته لابراهيم بن عيسى اليرنانى من كبار الدولة ووجوهها ، وكان أخوه الاكبر أبو الحسن شديد البرور بأبيه فلما رأى اقبال أبيه على أخيه على انحاش هو أيضا اليه وصار فى جملته وخلط نفسه بحاشيته طاعة لابيه ومسارعة فى هواه واستمرت حال الامير أبى على على هذا وخاطبه ملوك النواحى وخاطبهم وهادوه وهاداهم وعقد الرايات وأثبت فى الديوان ومحا وزاد فى العطاء ونقص

وكاد يستبد بالامر كله

ولما قفل السلطان أبو سعيد من تلمسان أواخر سنة أربع عشرة وسبعمائة أقام بتازا وبعث ولديه الى فاس فلما استقر الامير أبو على بها حدثته نفسه بالقيام على أبيه وخلع طاعته ، فراوده المداخلون له على التربص حتى يمكر بأبيه ويقبض عليه باليد فأبى واستعجل الامر وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ، ودعا لنفسه فأطاعه الناس ولم يتوقفوا عنه لما كان أبوه جعل اليه من أمرهم ، وعسكر بساحة البلد الجديد يريد غزو أبيه ، فبرز السلطان أبو سعيد من تازا فى عسكره يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، ثم بدا للامير أبى على فى وزيره ابراهيم بن عيسى وعزم على القبض عليه لانه بلغه أنه يكاتب أباه فبعث للقبض عليه عمر بن يخلف الفودودى ، وتفطن الوزير لما أراده من المكر به فقبض هو على الفودودى ونزع الى السلطان أبى سعيد فتقبله ورضى عنه ، وكان الامير أبو الحسن قد لحق بأبيه قبل ذلك نازعا عن جملة أخيه فقوى جناح السلطان بهما وارتحل الى لقاء ابنه أبى على ، ولما تراآ الجمعان بالمقرمدة ما بين فاس وتازا اختل مصاف السلطان وانهزم جريحا الى تازا فتبعه ابنه أبو على وحاصره بها ، ويقال أن أبا الحسن انما لحق بأبيه بعد المحنة ثم سعى الخواص بين السلطان وابنه أبى على بالصلح على أن يخرج له السلطان عن الامر ويقتصر على تازا وجهاتها فقط ، فرضى السلطان بذلك وشهد الملا من مشيخة العرب وزناتة وأهل الامصار واستحكم العقد بينهما وانكفأ الامير أبو على راجعا الى حضرة فاس مملكا على المغرب وتوافت اليه بيعات الامصار ووفودهم واستوسق أمره

ثم تدارك الله السلطان أبا سعيد بلطفه ورد عليه حقه من حيث لايحتسب وذلك أن الامير أبا على اعتل عقب وصوله الى فاس واشتد وجعه حتى أشرف على الهلاك وخشى الناس على أنفسهم اختلال الامر بموته فتسايلوا الى والده السلطان أبى سعيد بتازا ولحق به سائر خواص الدولة وحملوه على تلافى الامر وانتهاز الفرصة ، فنهض من تازا واجتمع اليه كافة بنى مرين والجند وعسكر على البلد الجديد وأقام محاصرا له وابتنى دارا لسكناه وجعل لابنه الامير أبى الحسن ما كان لاخيه أبى على من ولاية العهد وتفويض الامر ولما تبين للامير

أبى على اختلال أمره بعث الى أبيه فى الصلح على أن يعوض سجلماسة وما والاها فأجيب الى ذلك ووفى له السلطان بما اشترط وارتحل الى سجلماسة سنة خمس عشرة وسبعمائة فأقام بها دولة فخيمة واستولى على بلاد القبلة ودون الدواوين واستلحق واستركب واستخدم ظواعن العرب من بنى معقل وافتتح معاقل الصحراء وقصور توات وتيكرارين وتامنطيت وغير ذلك .

وأما السلطان أبو سعيد فانه دخل الى فاس الجديد ونزل بقصره وأصلح شؤون ملكه وأنزل ابنه الامير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره وفوض اليه فى سلطانه تفويض الاستقلال وأذن له فى اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة على كتبه وسائر ما كان لاخيه ووفدت عليه بيعات الامصار بالمغرب ورجعوا الى طاعته ، وفى سنة خمس عشرة وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد ببناء الباب أمام القنطرة من الجزيرة الخضراء ثم بعد ذلك أدار الستارة بالمدينة المذكورة وفيها سار الى مراكش فأقام بها أياما حتى أصلح شؤونها وعاد الى الحضرة .

وفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة نكب السلطان أبو سعيد كاتبه منديل بن محمد الكنانى وكان السبب فى ذلك أنه لما ثار الامير أبو على على أبيه وخلعه انحاش اليه منديل هذا ثم لما اختل أمر أبى على عاد منديل الى السلطان أبى سعيد وترتب فى منزلته التى كان عليها قبل وكان الامير أبو الحسن يحقد عليه لاجل انحياشه الى أخيه لما كان بينهما من المناسفة وكان هو كثيرا ما يوعز صدر أبى الحسن بايجاب حق أخيه عليه وامتهانه فى خدمته ، فطوى له أبو الحسن على البث حتى اذا فصل أبو على الى سجلماسة وانفرد أبو الحسن بمجلس أبيه وخلاله وجهه أحكم السعاية فى منديل عند أبيه وكان منديل كثيرا ما يغضب السلطان فى المحاورة والخطاب دالة عليه وكبرا ، فاعتد السلطان عليه بشىء من ذلك مع ما كان ابنه أبو الحسن يغريه به فسخطه سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وأذن لابنه أبى الحسن فى نكبته فاعتقله واستصفى أمواله وطوى ديوانه وامتحنه أياما ثم قتله بمحبسه خنقا وقيل جوعا وذهب فى الذاهبين ، وأبوه أبو عبد الله محمد الكنانى هو الذى بعثه السلطان يعقوب بن عبد الحق الى المستنصر الحفصى عند فتح مراكش وعاد اليه منه بالهدية صحبة وفد أهل تونس وتلطف أبو عبد

الله الكنانى حتى ذكر المستنصر فى الخطبة على منبر مراكش وفرح الوفد بذلك حسبما تقدم الخبر عنه مستوفى ، ونشأ ابنه منديل هذا فى ظل الدولة المرينية فكان من أمره ما قصصناه عليك

وفادة أهل الاندلس على السلطان ابى سعيد
واستصراخهم اياه على الطاغية وما نشأ عن ذلك

كان الملوك من بنى مرين قد انقطع غزوهم عن الاندلس برهة من الدهر منذ دولة السلطان يوسف بن يعقوب لاشتغاله فى آخر أمره بحصار تلمسان واشتغال حفدته من بعده بأمر المغرب مع قصر مدتهم فتطاول العدو وراء البحر على المسلمين بسبب هذه الفترة واشتد كلبه على ثغورها مع أن القرابة من بنى مرين كانوا شجى فى صدره وقذى فى عينيه فى تلك البلاد حسبما ألمعنا اليه غير مرة ، ولما أفضى الامر الى السلطان أبى سعيد اشتغل فى صدر دولته بأمر ابنه أبى على وخروجه عليه، فاهتبل الطاغية الغرة فى الاندلس وزحف فى جموعه الى غرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وكان من خبر هذه الوقعة أن الطاغية بطرة ابن سانجة ويقال دون بطرة وقد نبهنا على لفظة دون فيما سبق ذهب الى طليطلة ودخل على مرجعهم الذى يقال له البابا وسجد له وتضرع بين يديه وطلب منه استئصال ما بقى من المسلمين بأرض الاندلس وأكد عزمه وتأهب لذلك غاية الاهبة ، فوصلت أثقاله ومجانيقه وآلات الحصار والاقوات فى المراكب وتقدم فى جموعه حتى نزل بأحواز غرناطة وكان رديفه فى ذلك الجند علجا آخر يقال له جوان وانضم اليهم ملوك آخرون من ملوك الاطراف قيل سبعة وقيل أكثر وامتلات الارض بهم وعزموا على استئصال بقية المسلمين بالاندلس ، وكان جيشهم فيما قيل يشتمل على خمسة وثلاثين ألفا من الفرسان وعلى نحو مائة ألف من الرجالة المقاتلة

ولما رأى أهل الاندلس ذلك بعثوا صريخهم الى السلطان أبى سعيد فقدم عليه وفدهم بحضرته من فاس وفيهم من وجوه الاندلس وصلحائها الشيخ أبو عبد الله الطنجالى والشيخ ابن الزيات البلشى والشيخ أبو اسحق بن أبى العاص وغيرهم فاعتذر اليهم السلطان أبو سعيد بمكان عثمان بن أبى العلاء من دولتهم ومحله من دار ملكهم ، وكان عثمان بن أبى العلاء يتولى يومئذ مشيخة الغزاة بالاندلس لان وفاته تأخرت الى سنة ثلاثين وسبعمائة حسبما مر فشرط عليهم السلطان أبو سعيد أن يمكنوه منه ليتأتى له العبور الى تلك البلاد وجهاد العدو بها من غير تشويش ، وقال ادفعوه الينا برمته حتى يتم أمر الجهاد ثم نرده عليكم حياطة على المسلمين وخشية من تفريق كلمتهم ، فاستصعب أهل الاندلس هذا الشرط لما يعلمونه من صرامة عثمان بن أبى العلاء وادلاله ببأسه وبأس عشيرته فأخفق سعيهم ورجعوا منكسرين ، وأطالت الفرنج المقام على غرناطة وطمعوا فى التهامها

ثم ان الله تعالى نفس عن مخنقهم ودافع بقدرته عنهم وهيأ لعثمان بن أبى العلاء فى الفرنج واقعة كانت من أغرب الوقائع ، وذلك أنه لما كان يوم المهرجان وهو الخامس من جمادى الاولى من سنة تسع عشرة وسبعمائة عمد عثمان بن أبى العلاء الى جماعة جنده واختار من أنجاد بنى مرين منهم نحو المائتين وقيل أكثر وتقدم بهم نحو جيش الفرنج فظن النصارى أنهم انما خرجوا لامر غير القتال من مفاوضة أو ابلاغ رسالة أو نحو ذلك حتى اذا سامتوا موقف الطاغية ورديفه جوان صمموا نحوهما حتى خالطوهما فى مراكزهما فصرعوهما فى جملة من الحاشية وانهزم ذلك الجمع من حينه وولوا الادبار واعترضهم من ورائهم مسارب الماء للشرب على نهر شنيل فتطارحوا فيها وهلك أكثرهم واكتسحت أموالهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وخرج أهل غرناطة لجمع الاموال وأخذ الاسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ثلاثة وأربعون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعون قنطارا ومن السبى سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطيين الى الديار المصرية وكان من جملة الاسارى امرأة الطاغية وأولاده فبذلت فى نفسها مدينة طريف وجبل

الفتح وثمانية عشر حصنا فيما حكى بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك ، قلت : « هذا خطأ فى الرأى وضعف فى السياسة » قالوا : وزادت عدة القتلى فى هذه الغزوة على خمسين ألفا» ويقال: «انه هلك منهم بالوادى مثل هذا العددلعدم معرفتهم بالطريق » واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوك السبعة جميعهم ، وقيل خمسة وعشرون واستمر البيع فى الاسرى والسبى والدوا بستة أشهر ، ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد ، ومن العجب أنه لم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر نفسا وقيل عشرة أنفس وسلخ الطاغية بطرة وحشى جلده قطنا وعلق على باب غرناطة وبقى معلقا سنين وطلبت النصارى الهدنة فعقدت لهم والله تعالى أعلم

انتقاض الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد وما نشأ عن ذلك

لما كانت سنة عشرين وسبعمائة انتقض الامير أبو على صاحب سجلماسة والصحراء على أبيه السلطان أبى سعيد وتغلب على درعة وسما الى طلب مراكش فعقد السلطان أبو سعيد على حربه لاخيه الامير أبى الحسن وأغزاه اياه ، ثم نهض على أثره فاحتل بمراكش وثقف أطرافها وحسم عللها وعقد عليها لكندوز ابن عثمان من صنائع دولتهم وقفل الى الحضرة ، ثم لما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة نهض الامير أبو على فى جموعه من سجلماسة وأغذ السير الى مراكش فاقتحمها بعساكره قبل أن يجتمع لكندوز أمره وتقبض عليه وضرب عنقه ورفعه على القناة وملك مراكش وسائر ضواحيها

وبلغ الخبر الى السلطان أبى سعيد فخرج من حضرته فى عساكره بعد أن احتشد وأزاح العلل واستوفى الاعطيات وقدم بين يديه ابنه الامير أبا الحسن ولى عهده وجاء هو على ساقته وساروا على هذه التعبية ، ولما انتهوا الى وادى ملوية اتصل بهم الخبر أن أبا على يريد أن يبيتهم فأسهروا ليلتهم وباتوا على ظهور خيلهم وبعد مضى جزء من الليل طرقهم أبو على فى جموعه فكانت الدبرة

عليه وفل عسكره وارتحلوا من الغد فى أثره وكان قد سلك جبل درن فافترقت جنوده فى أوعاره ولحقهم من المشاق ما يفوت الوصف حتى ترجل الامير أبو على عن فرسه وسعى على قدميه وخلص من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ولحق بسجلماسة ومهد السلطان أبو سعيد نواحى مراكش وعقد عليها لموسى بن على الهنتاتى فعظم غناؤه فى ذلك واضطلاعه وامتدت أيام ولايته ، وارتحل السلطان الى سجلماسة فدافعه الامير أبو على بالخضوع ورغب اليه فى الصفح والرضا والعود الى السلم فأجابه السلطان الى ذلك لما كان قد شغفه من حبه فقد كان يوثر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة وأقام الامير أبو على بمكانه من مملكة القبلة الى أن هلك السلطان أبو سعيد وتغلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن كما نذكره ان شاء الله

بناء مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله

قد تقدم لنا أن السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله كان قد بنى مدرسته التى بفاس مع غيرها مما سبق التنبيه عليه، ووقف عليها كتب العلم التى بعث بها اليه الطاغية سانجة عند عقد الصلح معه ووقف عليها غير ذلك ، واقتفى أثره فى هذه المنقبة الشريفة بنوه من بعده فاستكثروا من بناء المدارس العلمية والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة وأجروا على الطلبة بها الجرايات الكافية ، فأمسكوا بسبب ذلك من رمق العلم وأحيوا مراسمه وأخذوا بضبعيه جزاهم الله عن نيتهم الصالحة خيرا .

ولما كانت سنة عشرين وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد رحمه الله ببناء المدرسة التى بفاس الجديد فبنيت أتقن بناء وأحسنه ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمؤن فى كل شهر ، وحبس عليها الرباع والضياع ابتغاء ثواب الله ورغبة فيما عنده

وفى سنة احدى وعشرين بعدها بنى ولى عهده الامير أبو الحسن المدرسة

التى بغربى جامع الاندلس من حضرة فاس فجاءت على أكمل الهيآت وأعجبها وبنى حولها سقاية ودار الوضوء وفندقا لسكنى طلبة العلم وجلب الماء الى ذلك كله من عين خارج باب الجديد أحد أبواب فاس وأنفق على ذلك أموالا جليلة تزيد على مائة ألف دينار ، وشحنها بطلبة العلم وقراء القرآن وحبس عليها رباعا كثيرة ورتب فيها الفقهاء للتدريس وأجرى عليهم الانفاق والكسوة نفعه الله بقصده .

وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فى فاتح شعبان منها أمر السلطان أبو سعيد أيضا ببناء المدرسة العظمى بازاء جامع القرويين بفاس وهى المعروفة اليوم بمدرسة العطارين ، فبنيت على يد الشيخ أبى محمد عبد الله بن قاسم المزوار وحضر السلطان أبو سعيد بنفسه فى جماعة من الفقهاء وأهل الخير حتى أسست وشرع فى بنائها بمحضره ، فجاءت هذه المدرسة من أعجب مصانع الدول بحيث لم يبن ملك قبله مثلها ، وأجرى بها ماء معينا من بعض العيون هنالك وشحنها بالطلبة ورتب فيها اماما ومؤذنين وقومة يقومون بأمرها ورتب فيها الفقهاء لتدريس العلم وأجرى على الكل المرتبات والمؤن فوق الكفاية ، واشترى عدة أملاك ووقفها عليها احتسابا بالله تعالى ، وسياتى التنبيه على ما بناه ابنه أبو الحسن من ذلك أيام ولايته وحافده أبو عنان وغيرهما ان شاء الله ، وبالجملة ، فقد كان لبنى مرين جنوح الى الخير ومحبة فى العلم وأهله تشهد بذلك آثارهم الباقية الى الآن فى مدارسهم العلمية وغيرها ، وفى مثل ذلك يحسن أن ينشد :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها ... من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه ... أضحى يدل على عظيم الشان

أخبار بنى العزفى أصحاب سبتة

قد تقدم لنا أن الرئيس أبا سعيد فرج بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة كان قد غدر بأهل سبتة وقبض على رؤسائها من بنى العزفى ، وغر بهم الى غرناطة سنة خمس وسبعمائة فاستقروا هنالك فى ايالة السلطان ابن الاحمر المعرف بالمخلوع مدة ولما استولى السلطان أبو الربيع المرينى على سبتة ونفى بنى الاحمر عنها استأذنه بنو العزفى فى الرجوع الى المغرب والقدوم عليه فأذن لهم واستقروا بفاس وكان أبوزكرياء يحيى وأبو زيد عبد الرحمن ابنا أبى طالب عبد الله بن أبى القاسم محمد بن أبى العباس أحمد العزفى من سرواتهم وأهل المروءة والدين فيهم وكانوا يغشون مجالس العلم بمسجد القرويين من فاس لما كانوا عليه من انتحاله، وكان السلطان أبو سعيد أيام ولاية بنى أبيه من قبله يحضر مجلس الشيخ الفقيه أبى الحسن الصغير وكان أبو زكرياء يحيى بن أبى طالب يلازمه ويتودد اليه فاتصل به وصارت له بذلك وسيلة عنده ، فلما أفضى الامر الى السلطان أبى سعيد رعى لبنى العزفى تلك الوسيلة فأنعم عليهم وعقد لابى زكرياء منهم على سبتة وردهم الى موطن سلفهم ومقر رياستهم فقدموها سنة عشر وسبعمائة ، وأقاموا فيها دعوة السلطان أبى سعيد والتزموا طاعته

ولما فوض السلطان أبو سعيد الى ابنه أبى على الامر وجعل له الابرام والنقض عقد أبو على على سبتة لابى زكرياء حيون بن أبى العلاء القرشى وعزل أبا زكرياء يحيى بن أبى طالب منها واستقدمه الى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه أبو حاتم واستقروا فى جملة السلطان وهلك أبو طالب بفاس أثناء تلك المدة * ثم كان من خروج الامير أبى على على أبيه وانتقاضه عليه ما قدمناه فلحق أبو زكرياء بن أبى طالب وأخوه أبو زيد بالسلطان أبى سعيد نازعين اليه ومفارقين لابنه الثائر عليه واستمروا فى جملته الى أن مرض الامير أبو على

---

* فى شعبان عام ثلاثة عشر وسبعمائة كما فى الجذوة

وزحف أبوه اليه وحاصره بفاس حسبما مر ، فحينئذ عقد السلطان أبو سعيد لابى زكرياء على سبتة ثانيا وبعثه اليها ليقيم دعوته فى تلك الجهات وترك ابنه محمد بن أبى زكرياء تحت يده رهنا على الطاعة فاستقل أبو زكرياء بامارتها وأقام دعوة السلطان أبى سعيد بها واتصل ذلك منه نحو سنتين، ثم هلك عمه أبو حاتم بسبتة سنة ست عشرة وسبعمائة وانتقض أبو زكرياء بن أبى طالب على السلطان أبى سعيد ورجع الى حال سلفه من الاستبداد واقامة الشورى بالبلد واستقدم من الاندلس عبد الحق بن عثمان الذى كان خرج على السلطان أبى الربيع مع الوزير عبد الرحمن الوطاسى فقدم عليه وعقد له على الحرب ليفرق به كلمة بنى مرين بالمغرب ويوهن بأسهم فتخف عليه وطأتهم

واتصل ذلك كله بالسلطان أبى سعيد فقام وقعد وجهز الى سبتة العساكر من بنى مرين وعقد على حربها للوزير ابراهيم بن عيسى اليرنانى فزحف اليها وحاصرها فاعتذر اليه أبو زكرياء بحبس ابنه عنه ومفارقته له وانه اذا رجع اليه ابنه بذل الطاعة وراجع الدعوة فأعلم الوزير السلطان بذلك فبعث اليه بالولد ليسلمه الى أبيه بعد أن يقتضى منه موجبات الطاعة وأسبابها وجاء الخبر الى أبى زكرياء بان ابنه قد قدم وانه كائن بفسطاط الوزير بساحل البحر بحيث تتأتى الفرصة فى أخذه فبعث أبو زكرياء الى عبد الحق بن عثمان قائد الحرب وأعلمه بمكان ابنه فواطأه عبد الحق على انتزاعه منهم ، ثم هجم ليلا فى جماعة من حاشيته على فسطاط الوزير فاحتمل الولد وأصبح به عند أبيه وسمع أهل عسكر الوزير بالهيعة فركبوا وتبعوا الاثر فلم يقفوا على خبر وتفقد الوزير الولد الذى كان عنده فلم يجده واتهم الجيش الوزير بانه مالأ شيعة أبيه على أخذه والا فلا يقدم أحد هذا الاقدام بدون مداخلة من بعض الجيش فتقبضوا على الوزير وحملوه الى السلطان ابلاء فى الطاعة وابلاغا فى العذر فشكر لهم ذلك واطلق الوزير لعلمه ببراءته ونصحه

ثم رغب أبو زكرياء بعدها فى رضا السلطان وطاعته وولايته فنهض السلطان أبو سعيد رحمه الله سنة ست عشرة الى طنجة لاختبار طاعة أبى زكرياء فبان له صدقه وعقد له على سبتة واشترط هو على نفسه حمل الجباية الى السلطان واسناء الهدية فى كل سنة واستمر الحال على ذلك الى أن هلك أبو زكرياء سنة عشرين وسبعمائة وقام بالامر بعده ابنه محمد بن أبى زكرياء الى نظر ابن عمه محمد بن على بن الفقيه أبى القاسم شيخ قرابتهم ، وكان قائد الاساطيل بسبتة ولى النظر فيها بعد أن نزع القائد يحيى الرنداحى الى الاندلس وتغلب محمد بن على هذا بسبتة واختلفت كلمة الغوغاء واضطرب الامر على بنى العزفى بها

فانتهز السلطان أبو سعيد الفرصة فيها وأجمع النهوض اليها فنهض سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ونزل عليها فبادر أهل سبتة بايتاء طاعتهم وعجز محمد ابن أبى زكرياء عن المناهضة وظنها محمد بن على من نفسه فتعرض للامر فى أوغاد من لفيفها اجتمعوا اليه فدافعهم الملا من أهل سبتة عن ذلك وحملوهم على الطاعة واقتادوا بنى العزفى الى السلطان أبى سعيد فانقادوا اليه واحتل السلطان بقصبة سبتة وثقف جهاتها ، ورم منثلمها وأصلح خللها واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه فى أعمالها ، فعقد لحاجبه عامر بن فتح الله السدراتى على حاميتها وعقد لابى القاسم بن أبى مدين العثمانى على جبايتها والنظر فى مبانيها واخراج الاموال للنفقات فيها ، وأسنى جوائز الملا من مشيختها ووفر اقطاعاتهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى افراك على سبتة فشرعوا فى بنائها سنة تسع وعشرين وسبعمائة وانكفأ راجعا الى حضرته ، وقد ذكر ابن الخطيب فى كتاب الاكليل محمد بن أبى زكرياء هذا فقال فيه ما صورته : « فرع تأود من الرياسة فى دوحة وتردد بين غدوة فى المجد وروحة نشأ والرياسة العزفية تعله وتنهله والدهر يسر أمله الاقصى ويسهله حتى اتسقت أسباب سعده وانتهت اليه رياسة سلفه من بعده فألقت اليه رحالها وحطت ومتعته بقربها بعد ما شطت ثم كلح له الدهر بعد ما تبسم وعاد زعزعا نسيمه الذى كان تنسم وعاق هلاله عن تمه ما كان من تغلب ابن عمه واستقر بهذه البلاد نازح الدار بحكم

الاقدار وان كان نبيه المكانة والمقدار وجرت عليه جراية واسعة ورعاية متتابعة . »
الى آخر كلامه ويعنى بقوله هذه البلاد بلاد الاندلس والله أعلم

المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن
وبين أبى بكر بن أبى زكريـاء الحفصى والسبب فى ذلك

كان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان قد ضايق بنى أبى حفص أصحاب تونس وافريقية فـى بلادهم واستولى على كثير من ثغورهم وردد البعوث والسرايا الى أطـراف ممالكهم وفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة جهز أبو تاشفين اليهم جيشا كثيفا وعقد عليه ليحيى بن موسى من صنائع دولته ، ونصب مع ذلك لملك تونس وافريقية بعض أعقاب الحفصيين وهو محمد بن أبى عمران كان لجأ اليه فى بعض الفتن التى كانت له مع بنى عمه ، وتقدم هذا الجيش الى أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى فهزموه واقتحموا مدينة تونس فاستولوا عليها ونصبوا لملكها والولاية عليهـا محمد بن أبى عمران المذكور، ليس له من الملك الا الاسم، والامر كله بيد يحيى ابن موسى قائد الجيش ، وخلص السلطان أبو بكر بن أبى زكرياء الحفصى الى بونة جريحا مطرودا عن كرسى ملكه ودار عزه فعزم حينئذ على الوفادة على السلطان أبى سعيد المرينى ليأخذ له حقه من آل يغمراسن المتغلبين عليه وأرادمع ذلك تجديد الوصلة التى كانت لسلفه مع بنى مرين فأشار عليه حاجبه محمد بن سيد الناس بانفاذ ابنه الامير أبى زكرياء صاحب الثغر استنكافا له عن مثلها فقبل اشارته وأركب ابنه المذكور البحر وبعث معه وزيره أبـا محمد عبد الله بـن تافراجين نافضا أمامه طرق المقاصد والمحاورات ونزلوا بمرسـى غساسة مـن ساحل المغرب وقدموا على السلطان أبى سعيد بحضرته فأبلغوه رسالة أبى بكر الحفصى فاهتز لذلك هو وابنه الامير أبو الحسن وقال لوفد الحفصيين :

« والله لابذلن فى مظاهرتكم مالى وقومى ونفسى ولا سيرن بعساكرى الى

تلمسان فأنازلها » وكان فيما شرط عليهم السلطان أبو سعيد مسير أبى بكر الحفصى بعساكره الى منازلة تلمسان معه فقبلوا وانصرفوا الى منازلهم مسرورين

ونهض السلطان أبو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين وسبعمائة ولما انتهى الى وادى ملوية وعسكر بصبرة جاءه الخبر اليقين بعود أبى بكر الحفصى الى تونس وجلوسه على كرسيه بها فاستدعى السلطان أبو سعيد ابنه أبا زكرياء ووزيره أبا محمد بن تافراجين وأعلمهما الخبر وأسنى جوائزهم وأمرهم بالانصراف الى صاحبهم فركبوا أساطيلهم من غساسة

وبعث معهم ابراهيم بن أبى حاتم العزفى والقاضى بحضرته أبا عبد الله بن عبد الرزاق يخطبون بنت السلطان أبى بكر الحفصى لابنه الامير أبى الحسن فوصلوا الى الحفصى وأدوا الرسالة وانعقد الصهر بينهم فى ابنته فاطمة شقيقة الامير أبى زكرياء وزفها اليهم فى أساطيله مع مشيخة الموحدين وكبيرهم أبى القاسم بن عتو ، فوصلوا الى مرسى غساسة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فقام بنو مرين لها على أقدام البر والكرامة وبعثوا بالظهر الى غساسة لركوبها وحمل أثقالها ، وصيغت حكمات الذهب والفضة ومدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب واحتفل السلطان أبو سعيد رحمه الله لوفدها وأعراسها بما لم يسمع بمثله فى دولتهم وتحدث الناس به دهرا وهلك السلطان أبو سعيد بين يدى موصلها كما نذكر

وفاة السلطان أبى سعيد بن يعقوب رحمه الله

كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لما بلغه الخبر بوصول العروس فاطمة بنت السلطان أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ارتحل بنفسه الى تازا ليشارف أحوالها كرامة لها ولابيها وسرورا بعرس ابنه فاعتل هنالك وازداد مرضه حتى اذا أشفا على الهلكة ارتحل به ولى العهد الامير أبو الحسن الى الحضرة ، وحمله فى فراشه على اكتاد الحاشية والجند حتى نزل بوادى

سبوا ، ثم أدخله كذلك ليلا الى قصره فأدركته المنية فى طريقه فتوفى ليلة الجمعة الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ، وكان مرضه بعلة النقرس فوضعوه بمكانه من بيته واستدعى ابنه أبو الحسن الصالحين لمواراته فدفن(*) ببعض قبابه رحمه الله وكانت أيامه أعيادا ومواسم ، ومن أكابر كتابه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى السبتى

الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله ابى الحسن على ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

هذا السلطان هو أفخم ملوك بنى مرين دولة وأضخمهم ملكا وأبعدهم صيتا وأعظمهم أبهة وأكثرهم آثارا بالمغربين والاندلس ، ويعرف عند العامة بالسلطان الاكحل لان أمه كانت حبشية* فكان أسمر اللون والعامة تسمى الاسمر والاسود أكحل وانما الاكحل فى لسان العرب أكحل العينين فقط ، وكان أخوه أبو على لملوكة من سبى النصارى فكان أبيض وانضاف لذلك أن كان أبو الحسن ملكا على الحضرة وأبو على ملكا على بلاد القبلة فكانا أخوين ملكين فى عصر واحد أحدهما أسمر والآخر أبيض فعرف هذا بالاكحل والآخر بالابيض للمقابلة

ولما هلك السلطان أبو سعيد رحمه الله اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة على ولى عهده أبى الحسن المذكور وعقدوا له على أنفسهم وآتوه طاعتهم فأمر للحين بنقل معسكره من ناحية سبو الى الزيتون من ناحية فاس ، ولما فرغ من دفن أبيه خرج الى معسكره بالمحل المذكور واجتمع الناس اليه على طبقاتهم لاداء البيعة بفسطاطه ، وتولى أخذ البيعة له يومئذ على الناس الشيخ أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار والمزوار فى لسان زناتة معناه الرئيس وكان هذا الرجل رئيس الوزعة والمتصرفين وحاجب الباب السلطانى قديم الولاية فى ذلك منذ

(*) الذى فى كتاب روضة النسرين فى دولة بنى مرين أنه دفن بشالة

* تسمى العنبر

عهد السلطان يوسف بن يعقوب ، ثم زفت على السلطان أبى الحسن زوجته الحفصية فبنى بها بمكانه من المعسكر المذكور وأجمع رأيه على الانتقام لابيها من عدوه أبى تاشفين الزيانى على ما نذكره

حدوث الفتنة بين الاخوين ابى الحسن وابى على ثم مقتل ابى على والسبب فى ذلك

كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لما عهد بالامر لابنه أبى الحسن وتحقق مصيره اليه كثيرا ما يستوصيه بأخيه أبى على لكلفه به وشفقته عليه فلما خلص الامر الى أبى الحسن وكان موثرا رضا أبيه جهده اعتزم على الحركة الى سجلماسة لمشارفة أحوال أخيه واختبار أمره وما هو عليه من سلم أو حرب ليعمل على مقتضى ذلك ، فارتحل من معسكره بالزيتون قاصدا سجلماسة فتلقته وفود أخيه أبى على أثناء الطريق مؤديا حقه وموجبا مبرته ومهنئا له بماآتاه الله من الملك ويعلمه مع ذلك بأنه متجاف عن المنازعة له قانع من تراث أبيه بما فى يده طالب منه أن يعقد له بذلك ، فأجابه السلطان أبو الحسن الى ما سأل وعقد له على سجلماسة وما والاها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيه وأشهد على ذلك الملأ من بنى مرين وسائر زناتة والعرب ، وانكفأ السلطان أبو الحسن راجعا الى تلمسان عازما على الانتقام من أبى تاشفين الزيانى فسار حتى انتهى الى تلمسان ثم تجاوزها الى جهة الشرق حتى نزل بتاسالت منتظرا لقدوم صهره السلطان أبى بكر الحفصى عليه وفاء بالعهد الذى كان انعقد له مع السلطان أبى سعيد أيام وفادة ابنه ابى زكرياء عليه من انهما يكونان يدا واحدة على حصار تلمسان حتى يحكم الله بينهما وبين صاحبها فعسكر أبو الحسن بتاسالت ثم بعث بحصة من جنده فى البحر الى صهره الحفصى مددا له وهو يومئذ ببجاية يقاتل جيش بنى زيان عليها .

ولما اتصل الخبر بأبى تاشفين صاحب تلمسان فكر فى أمر أبى الحسن وأعمل الحيلة بأن دس الى أخيه الامير أبى على صاحب سجلماسة فى اتصال اليد به والاتفاق معه على أخيه أبى الحسن وأن يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه ويشغله عنه حتى يتمكنا منه ووعده أبو تاشفين ومناه ولم يزل به حتى انتقض على أخيه ونهض من سجلماسة الى درعة فقتل عاملها وولى عليها عاملا من قبله ، ثم سرح العساكر الى جهة مراكش وأجلب عليها بخيله ورجله

واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن وهو بمعسكره من تاسالت ينتظر قدوم الحفصى عليه فانكفأ راجعا الى الحضرة مجمعا الانتقام من أخيه ، ولما انتهى فى طريقه الى حصن تاوريرت شحنه بالعسكر وعقد عليه لابنه تاشفين بن أبى الحسن ووقف أمره على نظر منديل بن حمامة شيخ بنى تيربعين ثم أغذ السير الى سجلماسة فنزل عليها وأخذ بمخنقها وحشر الفعلة والصناع لصنع الآلات والبناء بساحتها وأقام عليها يغاديها بالقتال ويراوحها حولا كاملا ونهض أبو تاشفين فى عساكره من تلمسان يريد الغارة على أطراف المغرب كى يشغل أبا الحسن عن أخيه بذلك فانتهى الى تاوريرت فبرز اليه تاشفين بن أبى الحسن فى عساكر مرين فهزموه وردوه على عقبه الى تلمسان ، ثم بعث بحصة من جنده مددا للامير أبى على فتسربوا الى سجلماسة جماعات وأفذاذا حتى تكاملوا لديه فلم يغنوا شيئا وطاولهم السلطان أبو الحسن الحصار وأنزل بهم أنواع النكال حتى اقتحم البلد عنوة تاسع عشر محرم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وتقبض على الامير أبى على عند باب قصره وجىء به الى أخيه أبى الحسن وقد خامره الجزع فلما مثل بين يديه تضرع اليه وقبل حافر فرسه فأمر أبو الحسن بتثقيفه وحمله على بغل الى فاس وانكفأ هو راجعا الى الحضرة فلما دخلها اعتقل أخاه ببعض حجر القصر أشهرا ثم قتله فصدا وخنقا وكانت سن أبى على يومئذ سبعا وثلاثين سنة وكانت دولته بسجلماسة تسع عشرة سنة وأشهرا وكان رقيق الحاشية ينتمى الى الادب وهو الذى استقدم أبا محمد عبد المهيمن الحضرمى من سبتة واستكتبه أيام أبيه ومن شعر الامير أبى على يخاطب أخاه أبا الحسن أيام حصاره له بسجلماسة وقد أيقن بزوال أمره

فلايغرنك الدهر الخؤون فكم أباد من كان قبلى يا أبا الحسن
الدهر مذ كان لا يبقى على صفة لابد من فرح فيه ومن حزن
أين الملوك التى كانت تهابهم أسد العرين ثووا فى اللحد والكفن
بعد الاسرة والتيجان قد محيت رسومها وعفت عن كل ذى حسن
فاعمل لاخرى وكن بالله مؤتمرا واستغن بالله فى سر وفى علن
واختر لنفسك أمرا أنت آمره كأننى لم أكن يوما ولم تكن

وفادة السلطان ابن الاحمر على السلطان ابى الحسن بحضرة فاس و فتح جبل طارق

لما هلك السلطان أبو الوليد اسماعيل بن الرئيس أبى سعيد فرج بن الاحمر المتغلب على ملك الاندلس من يد ابن عمه أبى الجيوش ، قام بالامر بعده ابنه محمد طفلا صغيرا واستبد عليه وزيره محمد بن المحروق فقتله بعد ما شب وعقل وكان الطاغية قد استولى على جبل الفتح وهو جبل طارق سنة تسع وسبعمائة وزاحم الفرنج به ثغور المسلمين وصار شجى فى صدر الدولتين المرينية والاحمرية واستمر الحال على ذلك الى أن بويع الامير السلطان أبو الحسن وكان له رغبة فى الجهاد اقتداء بمذهب جده يعقوب بن عبد الحق فبادر السلطان محمد بن اسماعيل بن الاحمر الى الوفادة عليه لاحكام عقد المودة معه وللمفاوضة فى أمر الجهاد وغير ذلك مما فيه صلاح لدولته فقدم عليه بدارملكه بفاس سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فأكبر السلطان أبو الحسن موصله وأركب الناس للقائه وأنزله بروض المصارة لصق داره واستبلغ فى اكرامه ، وفاوضه ابن الاحمر فى شأن المسلمين وراء البحر وما أهمهم من عدوهم وشكى اليه حال الجبل واعتراضه شجى فى صدور الثغور وقبل وشكى اليه أمر بنى عثمان بن أبى العلاء لانهم كانوا قد استطالوا عليه فى أرضه فأشكاه أبو الحسن وعامل الله تعالى

فى أسباب الجهاد ، وكان يومئذ مشغولا بفتنة أخيه أبى على ومع ذلك فقد أمده بالجند وعقد لابنه أبى مالك على خمسة آلاف من أنجاد بنى مرين وأنفذهم مع ابن الاحمر لمنازلة جبل الفتح فاحتل أبو مالك بالجزيرة الخضراء وتتابعت اليه الاساطيل بالمدد ، وأرسل ابن الاحمر فى الاندلس حاشرين فتسايل الناس اليه من كل جهة وزحفوا جميعا الى الجبل وأحاطوا به وأبلوا فى منازلته البلاء الحسن الى أن فتحوه سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واقتحمه المسلمون غزوة ونقلهم الله من كان به من النصارى بما معهم ، وشرع المسلمون فى شحنه بالاقوات ينقلونها من الجزيرة الخضراء على خيولهم خوفا من كرة العدو وباشر نقلها الاميران أبو مالك وابن الاحمر بأنفسهما ونقلها الناس عامة وتحيز الامير أبو مالك الى الجزيرة الخضراء وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلى من وزراء أبيه ، ووصل الطاغية بعد ثلاث من فتحه فأناخ عليه وحاصره وبرز أبو مالك بعساكره من الجزيرة فنزل بازائه وزحف ابن الاحمر فنزل بازائه أيضا ثم خاف ابن الاحمر عادية العدو لقرب العهد بارتجاع الجبل وخفة من به من الحامية والسلاح ، فبادر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه عجلا بائعا نفسه من الله فى رضا المسلمين وسد خلتهم فتلقاه الطاغية راجلا حاسرا اعظاما له وأجابه الى ما سأل من الافراج عن هذا المعقل وأتحفه بذخائر مما لديه وارتحل من فوره وشرع الامير أبو مالك فى تحصين ذلك الثغر وسد فروجه

وقال أبو العباس المقرى فى النفح : ارتجع السلطان أبو الحسن جبل طارق بعد أن أنفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين ، واهتم ببنائه وتحصينه وأنفق عليه أحمال المال فى بنائه وحصنه وسوره وبنى أبراجه وجامعه ودوره ومحاريبه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصبر المسلمون وخيب الله سعى الكافرين فأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لايطمع عدو فى منازلته ولايجد سبيلا للتضييق عليه بمحاصرته ، ورأى الناس ذلك من المحال فأنفق الاموال وأنصف العمال فأحاط بمجموعه احاطة الهالة بالهلال ، وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو نيفا وعشرين سنة وحاصره

السلطان أبو الحسن ستة أشهر وزاد فى تحصينه ابنه السلطان أبو عنان رحمهما الله تعالى

وأما ابن الاحمر فان أولاد عثمان بن أبى العلاء شيوخ الغزو بالاندلس لما رأوا ما حصل بينه وبين السلطان ابى الحسن من الوفاق واتصال اليد خافوا أن تعود موافقتهم بالضرر عليهم اذ كانوا أعداء للدولتين معا أما دولة المغرب فبخروجهم عليهم ومنابذتهم اياهم غير مرة ، وأما دولة الاندلس فباستحواذهم على أهلها ومزاحمتهم اياهم فى رياستها فتشاوروا فيما بينهم وفتكوا بابن الاحمر يوم رحيله عن الجبل الى غرناطة فتقاصفوه بالرماح وقدموا أخاه أبا الحجاج يوسف بن اسماعيل مكانه فقام بالامر بعده وشمر للاخذ بثار أخيه فاحتال على بنى أبى العلاء حتى قبض عليهم وأودعهم المطبق ثم غربهم الى تونس الى أن كان من أمرهم ما نذكره

فتح تلمسان ومقتل صاحبها ابى تاشفين
وانقراض الدولة الاولى لبنى زيان بهلكه

لما استقام ملك المغرب للسلطان أبى الحسن بمقتل أخيه أبى على صاحب سجلماسة ونصر الله جنده على الطاغية بالاندلس تفرغ لشأن تلمسان والانتقام من صاحبها أبى تاشفين الذى ضايق أصهاره من بنى أبى حفص فى أرضهم ونازعهم فى ملكهم ، وكان السلطان أبو الحسن قد بعث لاول بيعته شفعاء الى أبى تاشفين فى أن يتخلى عن عمل الموحدين ويرجع الى تخوم أعماله التى ورثها عن سلفه وقال له فى جملة ذلك : « كف عنهم ولو سنة واحدة ليسمع الناس انى نافحت عن صهرى ويقدروا قدرى » فاستنكف أبو تاشفين من ذلك وأغلظ للرسل فى القول وأفحش بعض السفهاء من عبيده فى الرد عليهم بمجلسه ونالوا

من السلطان أبى الحسن بمحضره فعادت الرسل اليه وأعلموه بالقضية على وجهها فحمى لذلك وغضب وتأكد عزمه على النهوض الى تلمسان فكان من نهوضه أولا وانتقاض أخيه عليه وعوده اليه من تاسالت ما قصصناه قبل مستوفى

ثم عاود السلطان النهوض الى تلمسان فى هذه المرة فعسكر بظاهر فاس الجديد وبعث وزراءه ووجوه دولته الى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والجموع ثم تعجل وعرض جنوده وأزاح عللهم وعبى مواكبه وفصل فى التعبية من فاس أواسط خمس وثلاثين وسبعمائة فسار يجر الشوك والمدر من أمم المغرب وجنوده، ومر بوجدة فجمر عليها الكتائب للحصار ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم ثم اقتحمها عنوة فاستولى عليها وقتل حاميتها ، ثم سار على التعبية حتى أناخ على تلمسان ثم بلغه الخبر بتغلب عسكره على وجدة سنة ست وثلاثين وسبعمائة فأوعز اليهم بتخريب أسوارها فأضرعوها بالارض وتوافت لديه امداد النواحى وحشودها ، ووفدت عليه قبائل مغراوة وبنى توجين فأتوه طاعتهم وسرح كتائبه الى القاصية فتغلب على وهران وهنين ثم على مليانة وتنس والجزائر وغيرها واستولى على الضواحى ونزع اليه يحيى بن موسى كبير قواد أبى تاشفين وصاحب الثغور الشرقية من أعماله فلقاه مبرة وكرامة ورفع بساطه ونظمه فى طبقات وزرائه وجلسائه ، وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى بن سليمان العسكرى شيخ بنى عسكر بن محمد وصهر السلطان على ابنته فسار فى الالوية والجنود فطوع ضاحية الشرق وافتتح أمصاره حتى انتهى الى لمدية ونظم البلاد فى طاعة السلطان أبى الحسن واحتشد جموعها فلحقوا بمعسكره واستعمل السلطان أبو الحسن عماله على الجهات

واختط بغربى تلمسان البلد الجديد لسكناه ونزول عساكره ، وأحيا معالم المنصورة التى كان اختطها عمه يوسف بن يعقوب وخربها بنو زيان من بعده فأدار عليها سياجا من السور ونطاقا من الخندق ونصب المجانيق وآلات من وراء خندقه وجعلت رماته تنضح رماة العدو بالنبل ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجا آخر يقرب منهم وترتفع شرفاته فوق خندقهم وتماصع المقاتلة بالسيوف من أعاليه ورتب المجانيق لرجمها وأحكم عملها لدكها فنالت من ذلك فوق الغاية ،

وعظم أثرها فى القصور العظيمة والقباب الرفيعة التى تأنق أبو تاشفين فى تشييدها ، وكان السلطان أبو الحسن يصبح المقاتلة كل يوم ويطوف على البلد من جميع جهاته لتفقد رؤساء العسكر فى مراكزهم وربما انفرد فى طوافه فطاف فى بعض الايام منتبذا عن الحاشية ، فاهتبل بنو عبد الواد غرته حتى اذا سلك ما بين الجبل والبلد فتحوا أبوابهم وأرسلوا عليه عقبان جنودهم يحسبونها فرصة كالتى كانت ليغمراسن بن زيان فى السعيد الموحدى ، واضطروه الى سفح الجبل حتى لحق بأوعاره وكاد ينزل عن فرسه هو ووليه عريف بن يحيى أمير عرب سويد ، وأحس أهل المعسكر بذلك فركبوا زرافات ووحدانا وركب ابناه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك وهما جناحا عسكره وعقابا جحافله وتهاوت اليهم صقور بنى مرين من كل جو فانكشفت عساكر بنى عبد الواد وولوا الادبار منهزمين لايلوى أحد منهم على أحد ، واعترضهم مهوى الخندق فتطارحوا فيه وتهافتوا على ردمه فكان الهالك يومئذ فيه أكثر من الهالك بالسلاح ، وهلك من بنى توجين يومئذ عمر بن عثمان كبير الحشم وعامل جبل وانشريس ومحمد ابن سلامة بن على كبير بنى يدللتن وصاحب قلعة تاوغزوت وهما ما هما فى زناتة الى أشباه لهما استلحموا فى هذه الوقعة فحص هذا اليوم من جناح دولة بنى زيان وحطم منها ، واتصل الحصار مدة من ثلاث سنين حتى اذا كان السابع والعشرون من رمضان من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة اقتحم السلطان أبوالحسن مدينة تلمسان عنوة ، ووقف أبو تاشفين رحمه الله عند باب قصره فى جماعة من أصحابه منهم ولداه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن على ووليه عبد الحق ابن عثمان وهو الذى كان خرج على السلطان أبى الربيع وبايعه عبد الرحمن ابن يعقوب الوطاسى حسبما مر ، فانه لحق به بعد تلك الوقعة بتلمسان ثم منها الى الاندلس ثم حضر انتقاض العزفى بسبتة سنة ست عشر كما مر ثم لحق بأبى بكر الحفصى ثم نزع عنه الى أبى تاشفين واستمر عنده الى هذا اليوم فشهده فى جماعة من بنيه وبنى أخيه وكانوا احلاس حرب وفتيان كريهة فمانعوا دون القصر واستماتوا عليه الى أن استلحموا ورفعت رؤوسهم على عصا الرماح فطيف بها وغصت سكك البلد من داخلها وخارجها بالعساكر وكضت ابوابها بالزحام حتى

لقد كب الناس على أذقانهم وتواقعوا على مساربهم ، فوطئوا بالحوافر وتراكمت أشلاؤهم ما بين البابين حتى ضاق المسلك ما بين السقف ورحبة الباب وانطلقت الايدى على المنازل نهبا واكتساحا

وأما أبو تاشفين فانه قاتل حتى قتل ابناه عثمان ومسعود أمامه وخلصت اليه جراحات فأثخنته وتقبض عليه بعض الفرسان فساقه الى السلطان فلقيه ابنه الامير أبو عبد الرحمن فأمر به فقتل فى الحين واحتز رأسه وسخط السلطان ذلك من فعله لانه كان حريصا على توبيخه وتقريعه ، وقال ابن الخطيب : وقف أبو تاشفين وبنوه بازاء القصر مدافعين عن أنفسهم وقاموا مقام الصبر والاستجماع وصدقوا عن أنفسهم الدفاع الى أن كوثروا وأعجلتهم ميتة العز عن شد الوثاق وامكان الشمات فكان فى شأنهم عبرة رحمهم الله

وخلص السلطان أبو الحسن الى المسجد الجامع بحاشيته واستدعى شيوخ الفتيا بتلمسان وهما الامامان الشهيران أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا الامام فخلصوا اليه بعد الجهد ووعظوه وذكروه بما نال الناس من النهب والعيث فركب لذلك بنفسه وسكن الناس وقبض أيدى الجند عن الفساد وعاد الى معسكره بالبلد الجديد وقد كمل الفتح وعز النصر واستولى السلطان أبو الحسن على تلك الامارة المؤثلة بما اشتملت عليه من نفيس الحلى وثمين الذخيرة وفاخر المتاع وخطير العدة وبديع الآلة وصامت المال وضروب الرقيق وصنوف الاثاث والماعون ، ورفع القتل عن بنى عبد الواد أعدائه وشفا نفسه بقتل سلطانهم وعفا عنهم وأثبتهم فى الديوان وفرض لهم العطاء واستتبعهم على راياتهم ومراكزهم وجمع كلمة بنى واسين من بنى مرين وبنى عبد الواد وبنى توجين وسائر زناتة وصاروا عصبا تحت لوائه وسد بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله ، فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم الى ثغور عمله بالاندلس حامية ومرابطين واندرجوا فى جملته واتسع نطاق مملكته ، وأصبح أبو الحسن ملك زناتة بعد أن كان ملك بنى مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان المغرب فقط وانما الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

مراسلة السلطان ابى الحسن لسلطان مصر
وبعثه المصاحف من خطه الى المساجد الثلاثة شرفها الله

كان للسلطان أبى الحسن مذهب وراى فى ولاية ملوك المشرق والمكلف بالمعاهد الشريفة اقتداء فى ذلك بعمه يوسف بن يعقوب وغيره من سلفه وضاعف ذلك لديه متين ديانته ورفيع همته ، ولما قضى من أمر تلمسان ما قضى واستولى على المغربين خاطب لحينه صاحب مصر والشام والحجاز الملك الناصر محمد بن قلاوون وعرفه بالفتح وارتفاع العوائق عن ركب الحاج فى سابلتهم ، وكان سفيره فى ذلك فارس بن ميمون بن وردار وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين الخلف كما كانت بين السلف ، فأجمع السلطان أبو الحسن حينئذ على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف حرم مكة قربة الى الله تعالى وابتغاء للمثوبة فانتسخها بيده وجمع الوراقين لتنميقها وتذهيبها والقراء لضبطها وتهذيبها ، وصنع لها وعاء مؤلفا من الآبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشى بصفائح الذهب ورصع بالجوهر والياقوت واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب ومن فوقها غلائف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينها لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها ، وأوفد على الملك الناصر خواص مجلسه وكبار أهل دولته مثل عريف بن يحيى أمير بنى زغبة من عرب بنى هلال ومثل السابق المقدم فى بساطه على كل خالصة عطية بن مهلهل بن يحيى كبير أخواله من عرب الخلط وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد بن أبى مدين وعريف الوزعة بابه الشيخ أبا محمد عبد الله بن قاسم المزوار

واحتفل فى الهدية للسلطان صاحب مصر احتفالا تحدث الناس به دهرا قال ابن خلدون . « وقفت على برنامج الهدية بخط أبى الفضل بن أبى مدين الرسول المذكور ووعيته ثم أنسيته وذكر لى بعض قهارمة الدار أنه كان فيها

خمسمائة من عتاق الخيل المقربات بسروج الذهب والفضة ولجمها خالصا ومغشى ومموها وخمسمائة حمل من متاع المغرب وما عونه وأسلحته ومن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعمائم وأزرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملونا وغير ملون وساذجا ومنمقا ومن الدرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة الدبغ المنسوبة الى اللمط ومن خرثى المغرب وماعونه ما تستطرف صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجوهر والياقوت واعتزمت حظية من حظايا أبيه على الحج فى ذلك الركب فاذن لها واستبلغ فى تكرمتها واستوصى بها وفده وسلطان مصر فى كتابه ، وفصلوا من تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ووصلوا الى مصر فى الثانى والعشرين من رمضان من السنة المذكورة وأدوا رسالتهم الى الملك الناصر وقدموا هديتهم اليه فقبلها وحسن موقعها لديه وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوما مشهودا تحدث الناس به دهرا ولقاهم سلطان مصر فى طريقهم أنواع البر والكرامة حتى قضوا فرضهم ووضعوا المصحف الكريم حيث أمرهم صاحبه ، وأسنى الملك الناصر هدية السلطان من الفساطيط المشرقية الغريبة الشكل والصنعة بالمغرب ومن ثياب الاسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ، ورجعهم بها الى مرسلهم وقد استبلغ فى تكرمتهم وصلتهم وبقى حديث هذه الهدية مذكورا بين الناس لهذا العهد » اه كلام ابن خلدون ببعض ايضاح

وقد ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق فى كتابه «المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبى الحسن» هذه الهدية وفصل منها بعض ما أجمله ابن خلدون فقال أرسل السلطان أبو الحسن للناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرذ مائة وثمانية وعشرين ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجوهر النفيس الملوكى ثلاثمائة وأربعة وستين وأرسل حللا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الانان عشرين مذهبة ومن الخلادى ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة ومن الاكسية المحررة أربعة وعشرين ومن البرانس المحررة ثمانية عشر ومن

المشققات مائة وخمسين ومن أحارم الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضالى المنوعة والفرش والمخاد المنبوق والحلل ثمانمائة ومن أوجه اللحف المذهبة عشرين وحائطين حلة وحنابل مائة واثنى عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلات بالذهب المنظم بالجوهر عشرة والسروج عشرة بركب الذهب كذلك ومهاميز الذهب وثلاثة ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضمتان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية حديد بذهب مكلل بالجوهر ومن لزمات الفضة عشرة وسروج مخروزة بالفضة عشرة وعشر علامات مغشاة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة وعشر أمثلة مرقومة وثلاثون جلدا شرك وأربعة آلاف درقة لمط منها مائتان بنهود الذهب وثمانمائة بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة وهى من حرير أبيض ومرابطها حرير ملون وعمودها عاج وآبنوس واكبارها من فضة مذهبة ومن البزات الاحرار المنتقات أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العراب ثلاثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة ، وتوجهت مع هذه الهدية أمم برسم الحج مع الربعة المكرمة يعنى ربعة المصحف الكريم ، وأعطى السلطان الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهبا ولقاضى الركب ثلاثمائة وكسوة ولقائد الركب أربعمائة وكساوى متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ، ولشيخ الركب أحمد ابن يوسف بن أبى محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة ، وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء الرباع ستة عشر ألفا وخمسمائة ذهبا اه ، وذكر فى الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن أهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك منها لصاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية فى مرات ، ومنها للملوك النصارى بعد هداياهم ، ومنها لسلاطين السودان كصاحب مالى ، ومنها لصاحب افريقية ومنها لصاحب تلمسان اه ، وقال العلامة المقريزى مؤرخ مصر فى «كتاب السلوك» ما نصه: «وفى ثان وعشرين من رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة قدمت الحرة من عند السلطان أبى الحسن على بن عثمان

ابن يعقوب المرينى صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جليلة الى الغاية نزل لحملها من الاسطول السلطانى ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سروجها وركبها ذهب وكذلك لجمها وعدتها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياصة ذهب مرصع وفيها مائة كساء وغير ذلك من القماش العالى ، وكان قد خرج المهمندار الى لقائهم وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح وهم جمع كثير جدا وكان يوم طلوع الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء بأسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها سوى الجوهر واللؤلؤ فانه اختص به ، فقدرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار ، ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلواء والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشية ما عمهم وفضل عنهم ، فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف أردب أرزا وقنطار حب رمان وربع قنطار سكرا وثمان فانوسيات شمعا وتوابل الطعام ، وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين قادوا الخيول ، وحمل الى الحرة من الكسوة ما يجل قدره وقيل لها أن تملى ما تحتاج اليه ولا يعوزها شىء وانما تريد عناية السلطان اكرامها واكرام من معها حيث كانوا ، فتقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أن بغا بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك واستخدما لها السقائين والضوءية وهيأ كل ما تحتاج اليه فى سفرها من أصناف الحلاوات والسكر والدقيق والبجماط وطلبا الحمالة لحمل جهازها وأزودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجيزة وأمره أن يرحل بها فى مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمتثل كلما تأمر به وكتب لاميرى مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة اه وفيه بعض مخالفة لما وصفه ابن مرزوق فى الهدية والخطب سهل

ثم انتسخ السلطان أبو الحسن رحمه الله نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراء بالمدينة وبعث بها من تخيره لذلك العهد من أهل دولته سنة أربعين وسبعمائة وفعل مثل ذلك بحرم بيت المقدس ، قال العلامة أبو العباس المقرى فى نفح الطيب « كان السلطان أبو الحسن المرينى قد كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال ، ووقف عليها أوقافا جليلة كتب سلطان مصر والشام توقيعه بمسامحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصرى ، ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله :

«وهو الذى مد يمينه بالسيف والقلم فكتب فى أصحابها وسطر الختمات الشريفة فأيد الله حزبه بما سطره من أحزابها ، واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح ، وكثرت فتوحه لامليا الغرب فقالت أوقاف الشرق لابد للفقراء من فتوح ، ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدى وخط سطورها بالعربى وطالما خط فى صفوف الاعداء بالهندى ، ورتب عليها أوقافا تجرى أقلام الحساب فى اطلاقها وطلقها وحبس أملاكا شامية تحدث بنعم الاملاك التى سرت من مغرب الارض الى مشرقها ، والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له فى أكرم الصحائف ، وينفع الجالس من ولاة الامور فى تقريرها ويتقبل من الواقف » اه ، قال المقرى : وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذى ببيت المقدس وربعته فى غاية الصنعة اه والله تعالى أعلم

واتصلت الولاية بين السلطان أبى الحسن وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى وأربعين وسبعمائة وولى أمر مصر من بعده ابنه أبو الفداء اسماعيل ابن محمد بن قلاوون فخاطبه السلطان أبو الحسن أيضا على ما نذكره بعد ان شاء الله

نكبة الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن السلطان ابى الحسن وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسى والسبب فى ذلك

كان السلطان أبو الحسن رحمه الله عند ما نهض الى تلمسان أولا وثانيا ينتظر قدوم صهره السلطان أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى عليه لما كان انعقد بينه وبين أبيه أبى سعيد رحمه الله من الاجتماع على تلمسان والتعاون على حصارها ، ولما فتح أبو الحسن تلمسان فى التاريخ المتقدم كان وزير الحفصيين الشيخ أبو محمد بن تافراجين شاهدا لذلك الفتح قدم رسولا من عند مخدومه السلطان أبى بكر المذكور ، فأسر الى السلطان أبى الحسن بأن مخدومه قادم عليه للقائه وتهنئته بالظفر بعدوه فتشوف السلطان أبو الحسن اليها لما كان يحب الفخر ويعنى به ، وارتحل عن تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وعسكر بمتيجة منتظرا لوفادة صهره عليه فتكاسل الحفصى عن القدوم بسبب تثبيط محمد بن الحكيم من رجال دولته اياه عن ذلك وقال له : « ان لقاء سلطانين لا يتفق الا فى يوم على أحدهما » فكره الحفصى ذلك وتقاعد عنه وطال مقام السلطان أبى الحسن فى انتظاره ثم طرقه بفسطاطه مرض ألزمه الفراش حتى تحدث أهل العسكر بمهلكه

وكان ابناه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغيين فى ولاية عهده منذ أيام جدهما أبى سعيد وكان أبوهما قد جعل لهما لاول دولته ألقاب الامارة وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين واثبات العطاء واستلحاق الفرسان ، وانفراد كل بعكسره على حدة وجعل لهما مع ذلك الجلوس بمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الاوامر السلطانية فكانا لذلك رديفين له فى سلطانه ، ولما اشتد وجع السلطان فى هذه المرة تمشت سماسرة الفتن بينهما وتحزب أهل العسكر لهما حزبين وشوشوا بواطنهما ، فبث كل واحد منهما المال وحمل على المقربات وصار الجيش شيعا ، وهم الامير أبو عبد الرحمن

بالتوثب على الامر قبل أن يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطانته بذلك . وتفطن خاصة السلطان لما وقع فأخبروه الخبر وحضوه على الخـــروج الى الناس قبل أن يتفاقم الامر ويتسع الخرق ، فبرز السلطان الى فسطاط جلوســه وتسامع أهل المعسكر به فازدحموا الى بساطه وتقبيل يده ، وتقبض على أهــل الظنة من الجيش فأودعهم السجن وسخط على الاميرين وأمر برحيل من كان معهما من الجند فردهم الى معسكره ، ثم رجع الى فسطاطه وطفئت نار الفتنــة وسكن سعى المفسدين وانتبذ الناس عن الاميرين المذكورين فبقيا أوحش من وتد بقاع ، فاشتد جزع الامير أبى عبد الرحمن وركب من فسطاطــه وخاض الليل فأصبح بحلة أولاد على أمراء بنى زغبة من هلال الموطنين بأرض حمزة فتقبض عليه أميرهم موسى بن أبى الفضل ورده الى أبيه فاعتقله بوجدة ورتب العيون لحراسته ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاســى بالموحديــن أصحاب تونس فأجاروه ، ورضى السلطان صبيحة فرار أبى عبد الرحمن عن أخيه أبى مالك وعقد له على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وانكفأ راجعا الى تلمسان والله أعلم

ثورة ابن هيدور الجزار وما كان من امره

لما تقبض السلطان أبو الحسن على ابنه أبى عبد الرحمن وأودعه السجن تفرق خدمه وحشمه فى الجهات ، وكان منهم رجل جزار مرتب فى مطبخه ، يعرف بابن هيدور وكان له شبه فى الصورة بأبى عبد الرحمن فلحق ببنى عامر ابن زغبة وكانوا لذلك العهد منحرفين عن طاعة السلطان أبى الحسن لاختصاصه عريف بن يحيى أمير بنى سويد أعدائهم ، فلما لحق بهم ابن هيدور هذا انتسب لهم الى السلطان أبى الحسن وأنه ابنه أبو عبد الرحمن فشبه لهم وبايعوه وأجلبوا به على نواحى لمدية فبرز اليهم قائدها فهزموه ، ثم جمع لهــم ونزمــر بــن عريف بن يحيى فهزمهم وافترق جمعهم ونبذوا للجزار عهده ، فلحــق ببــنى

يزناتن من زواوة فنزل على شيختهم شمسى من بنى عبد الصمد منهم ، وكانت هذه المرأة قد ملكتهم وغلبت عليهم بقومها ورجالها وكان لها بنون عشرة فاستفحل أمرها بهم ولما نزل عليها الجزار المذكور وانتسب لها الى السلطان أبى الحسن قامت بأمره وشمرت عزائمها لاجارته وحملت قومها على طاعته وشاع فى الناس خبره فمن مصدق ومن مكذب وسرب السلطان أبو الحسن الاموال فى قومها وبنيها على اسلامه اليه فأبت ثم نمى اليها الخبر بكذبه وتمويهه فنبذت اليه عهده وخرج عنها الى بلاد العرب فلحق بالدواودة أمراء رياح من بنى هلال ونزل على سيدهم يعقوب بن على وانتسب له فى مثل ذلك فأجاروه ان صدق نسبه وأوعز السلطان أبو الحسن الى صهره أبى بكر الحفصى فى شأن الجزار فبعث الحفصى الى يعقوب بن على فى ذلك ، فأشخصه الى السلطان أبى الحسن مع بعض حاشيته ، فلحق به بمكانه ببسبتة يريد الجهاد فامتحنه وقطعه من خلاف وانحسم داؤه وبقى المغرب تحت جراية من الدولة الى أن هلك فى بعض السنين ، وأما الامير أبو عبد الرحمن فانه لما سجن بوجدة بقى هنالك الى سنة اثنتين واربعين وسبعمائة فوثب ذات يوم بالسجان فقتله واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن فأنفذ حاجبه علان بن محمد فقضى عليه رحم الله الجميع

اخبار السلطان ابى الحسن فى الجهاد وما كان من وقعة طريف التى محص الله فيها المسلمين وغير ذلك

لما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وعلت على الايدى يده وانفسح نطاق ملكه دعته همته الى الجهاد وكان كلفا به فأوعز الى ابنه الامير أبى مالك أمير الثغور الاندلسية سنة أربعين وسبعمائة بالدخول الى دار الحرب وجهز اليه العساكر من حضرته وأنفذ اليه الوزراء ، فشخص أبو مالك غازيا وتوغل فى بلاد النصرانية واكتسحها وخرج بالسبى والغنائم الى أدنى صدر من أرضهم ،

وأناخ بها فاتصل به الخبر ان النصارى قد جمعوا له وأنهم أغدوا السير فى اتباعه فأشار عليه الملأ بالخروج من أرضهم وعبور الوادى الذى كان تخما بين أرض المسلمين ودار الحرب ويتحيز الى مدن المسلمين فيمتنع بها فلج فى ابايته وصمم على التعريس وكان قرما ثبتا الا أنه غير بصير بالحرب لصغر سنه ، فصبحتهم عساكر النصرانية فى مضاجعهم قبل أن يركبوا وخالطوهم فى بياتهم وأدركوا الامير أبا مالك بالارض قبل أن يستوى على فرسه فجدلوه* واستلحموا الكثير من قومه واحتووا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم ورجعوا على أعقابهم ، واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن فتفجع لهلاك ابنه واسترحم له واحتسب عند الله أجره ، ثم أنفذ وزراءه الى سواحل المغرب لتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء وعرض الجنود وأزاح عللهم واستنفر أهل المغرب كافة ، ثم ارتحل الى سبتة ليباشر أحوال الجهاد وتسامعت به أمم النصرانية فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية أسطوله الى الزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان اساطيل المسلمين من مراسى المغرب ، وبعث الى أصهاره الحفصيين بتجهيز أسطولهم اليه فعقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية ووافى سبتة فى ستة عشر أسطولا من أساطيل افريقية كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية وتوافت أساطيل المغربين بمرسى سبتة تناهز المائة ، وعقد السلطان عليها لمحمد بن على العزفى الذى كان صاحب سبتة يوم فتحها أيام السلطان أبى سعيد وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق وقد تكامل عديدهم وعدتهم ، فاستلأموا وتظاهروا فى السلاح وزحفوا الى أسطول النصارى وتواقفوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها من بعض وقرنوها للمصاف ، فلم يمض الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين بعدوهم وخالطوهم فى أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف وطعنا بالرماح وألقوا أشلاءهم فى اليم وقتلوا قائدهم الملند ، واستاقوا أساطيلهم مجنوبة الى

* وحملت جثته الى شالة وأقبر بها وقد وقف القنصل الفرنساوى شينيى Chénier على رخامة ضريحه انظر تاليفه المسمى أبحاث فى تاريخ المغاربة ج ٣ ص ٢٨٧ فقد استقصى ذلك واستدل عليه بالاثر الذى عثر عليه بنفسه

مرسى سبتة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤوسهم فى جوانب البلد ونظمت أصفاد الاسرى بدار الانشاء ، وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشد الشعراء بين يديه وكان ذلك يوم السبت سادس شوال سنة أربعين وسبعمائة فكان من أعز أيام الاسلام ، ثم شرع السلطان أبو الحسن فى اجازة العساكر من المتطوعة والمرتزقة ، وانتظمت الاساطيل سلسلة واحدة من العدوة الى العدوة ، ولما تكاملت العساكر بالعبور وكانت نحو ستين ألفا أجاز هو فى أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين وسبعمائة ونزل بساحة طريف وأناخ عليها ثالث محرم من السنة بعدها وشرع فى منازلتها ، ووافاه سلطان الاندلس أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن الاحمر فى عسكر الاندلس من غزاة بنى مرين وحامية الثغور ورجالة البدو ، فعسكروا حذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بها أنواع القتال ونصبوا عليها الآلات ، وجهز الطاغية أسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر ، وطال مقام المسلمين بمكانهم حول طريف ففنيت أزوادهم وقلت العلوفات فوهن الظهر واختلت أحوالهم ، ثم احتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس وزحفوا الى المسلمين لستة أشهر من نزولهم على طريف ولما قرب الطاغية من معسكر المسلمين سرب الى طريف جيشا من النصارى أكمنه بها الى وقت الحاجة اليه فدخلوها ليلا على حين غفلة من العسس الذين أرصدوا لهم وأحسوا بهم آخر الليل فثاروا بهم من مراصدهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا وقد نجا أكثرهم فلبسوا على السلطان أنه لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته ، ثم زحف الطاغية من الغد فى جموعه الى المسلمين وعبأ السلطان مواكبه صفوفا وتزاحفوا ولما نشبت الحرب برز الجيش الكمين من البلد وهو الذى دخل ليلا وخالفوا المسلمين الى معسكرهم وعمدوا الى فسطاط السلطان فدافعهم عنه الناشبة الذين كانوا على حراسته فاستلحموهم لقلتهم ، ثم دافعهم النساء عن أنفسهن فقتلوهن كذلك وخلصوا الى حظايا السلطان منهن عائشة بنت عمه أبى بكر بن يعقوب بن عبد الحق وفاطمة بنت السلطان أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى وغيرهما من حظاياه فقتلوهن واستلبوهن ومثلوا

بهن وانتهبوا سائر الفسطاط وأضرموا المعسكر نارا ثم أحس المسلمون بماوراءهم فى معسكرهم فاختل مصافهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان تاشفين بن السلطان أبى الحسن صمم فى طائفة من قومه وحاشيته حتى خالطهم فى صفوفهم فأحاطوا به وتقبضوا عليه وعظم المصاب بأسره ، وكان الخطب على الاسلام قلما فجع بمثله وذلك ضحوة يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة من سنة احدى وأربعين وسبعمائة وولى السلطان أبو الحسن متحيزا الى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة وتقدم الطاغية حتى انتهى الى الى فسطاط السلطان من المحلة فانكر قتل النساء والولدان وكان ذلك منتهى أثره ، ثم انكفأ راجعا الى بلاده ولحق ابن الاحمر بغرناطة وخلص السلطان أبو الحسن الى الجزيرة الخضراء ثم منها الى جبل الفتح ثم ركب الاسطول الى سبتة فى ليلة غده ومحص الله المسلمين وأجزل ثوابهم

استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء

لما رجع الطاغية من طريف استأسد على المسلمين بالاندلس وطمع فى التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل أولا قلعة بنى سعيد ثغر غرناطة وعلى مرحلة منها ، وجمع الآلات والايدى على حصارها وأخذ بمخنقها فأصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، وأدال الله الطيب منها بالخبيث وانصرف الطاغية الى بلاده ، وكان السلطان أبو الحسن لما أجاز الى سبتة أخذ نفسه بالعود الى الجهاد لرجع الكرة فأرسل فى المدائن حاشرين وأخرج قواده الى سواحل المغرب لتجهيز الاساطيل فتكامل له منها عدد معتبر ، ثم ارتحل الى سبتة لمشارفة ثغور الاندلس وقدم عساكره اليها مع وزيره عسكر بن تاحضريت وعقد على الجزيرة الخضراء لمحمد بن العباس بن تاحضريت من قرابة الوزير وبعث اليها مددا من العسكر مع موسى بن ابراهيم

البريناني من المرشحين للوزارة نيابة ، وبلغ الطاغية خبره فجهز أسطوله وأجراه الى بحر الزقاق لمدافعته وتلاقت الاساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم أعداد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق فملكه دون المسلمين ، وأقبل الطاغية من اشبيلية فى عساكر النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفا أساطيل المسلمين وفرضة المجاز ورجا أن ينظمها فى مملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع للآلات وجمع الايدى عليها وطاولها الحصار واتخذ أهل المعسكر بيوتا من الخشب للمطاولة ، وجاء السلطان أبو الحجاج ابن الاحمر بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح فى سبيل المانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة يسرب الى أهل الجزيرة المدد من الفرسان والمال والقوت فى أوقات الغفلة من أساطيل العدو وتحت جناح الليل وأصيب كثير من المسلمين فى ذلك ، ولم يغن عن أهل الجزيرة ذلك المدد شيئا واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد ، وأجاز السلطان أبو الحجاج الى السلطان أبى الحسن يفاوضه فى شأن السلم مع الطاغية بعد أن أذن الطاغية له فى الاجازة مكرا به وأصدر له بعض الاساطيل فى طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق ، وضاقت أحوال أهل الجزيرة ومن كان بها من عسكر السلطان فسألوا الطاغية الامان على أن ينزلوا له عن البلد فبذله لهم وخرجوا فوفى لهم وأجازوا الى المغرب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، فأنزلهم السلطان بلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامة ما عوضهم بما فاتهم وخلع عليهم وحملهم ووصلهم بما تحدث الناس به ، وتقبض على وزيره عسكر بن تاحضريت عقوبة له على تقصيره فى المدافعة مع تمكنه منها ، وانكفأ السلطان أبو الحسن راجعا الى حضرته موقنا بظهور أمر الله وانجاز وعده والله متم نوره ولو كره الكافرون

بقية اخبار بنى ابى العلاء

قد تقدم لنا أن عثمان بن أبى العلاء كان يلى مشيخة الغزاة بالاندلس وانه استشهد سنة ثلاثين وسبعمائة * وقام بأمره ابنه أبو ثابت فاستحوذ بعصبيته وقومه على بنى الاحمر ، فقتلوا محمد بن اسماعيل منهم مرجعه من فتح جبل الفتح ونصبوا للامر أخاه يوسف بن اسماعيل حسبما تقدم الالماع بذلك ، ثم ان السلطان أبا الحجاج هذا بقى بين جنبيه داء دخيل من بنى أبى العلاء الذين فتكوا بأخيه فلم يزل يسعى فى أمرهم حتى قبض عليهم وأودعهم المطبق ، ثم غربهم الى تونس فنزلوا على السلطان أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن فكتب اليه باعتقالهم ففعل ، ثم بدا له فبعث اليه مع عريف الوزعة بابه ميمون بن بكرون فى اشخاصهم الى حضرته فتوقف الحفصى عن ذلك وأبى من اخفار ذمتهم ، فأشار عليه وزيره أبو محمد بن تافراجين ببعثهم اليه وانه لايريد بهم الا الخير فبعثهم وبعث كتابه بالشفاعة فيهم فقدموا على السلطان أبى الحسن مرجعه من الجهاد سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فتلقاهم بالبر والكرامة اكراما لشفيعهم وأنزلهم بمعسكره وحملهم على الخيول المسومة بالمراكب الثقيلة وضرب لهم الفساطيط وأسنى لهم الخلع والجوائز وفرض لهم فى أعلى رتب العطاء وصاروا فى جملته ، ولما احتل بسبتة لمشارفة أحوال الجزيرة الخضراء سعى عنده فيهم بان كثيرا من المفسدين يداخلونهم فى الخروج والتوثب على الامر فتقبض عليهم وأودعهم السجن بمكناسة الزيتون ، واستمروا هنالك الى أن قام أبو عنان فأطلقهم واستعان بهم على أمره حسبما نذكره ان شاء الله

---

* بل مات حتف أنفه

مراسلة السلطان ابى الحسن لصاحب مصر

ابى الفداء اسمعيل بن محمد بن قلاوون

قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن راسل الملك الناصر صاحب مصر وهاداه بما عظم وقعه عند الخاصة والعامة ، واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى واربعين وسبعمائة وولى الامر من بعده ابنه أبو الفدا اسماعيل ، فخاطبه السلطان أبو الحسن أيضا وأتحفه وعزاه عن أبيه وأوفدعليه كاتبه وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل ابن أبى عبد الله ابن أبى مدين وفى صحبته الحرة أخت السلطان أبى الحسن فقضى من وفادته ما حمل ، وأصحبه السلطان أبو الحسن كتابا الى الملك الصالح أبى الفداء وكان وصوله الى مصر منتصف شعبان سنة خمس وأربعين وسبعمائة

ونص الكتاب بعد البسملة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : «من عند أمير المسلمين المجاهد فى سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد فى جميع أموره لديه سلطان البرين حامى العدوتين موثرالمرابطة والمثاغرة موازر حزب الاسلام حق الموازرة ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العلام ابن أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامى حوزة الدين ملك البرين امام العدوتين ممهد البلاد مبدد شمل الاعاد مجند الجنود المنصور الرايات والبنود محط الرحال مبلغ الآمال أبى سعيد ابن أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين حسنة الايام حسام الاسلام أبى الاملاك مشجى أهل العناد والاشراك مانع البلاد رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء دين الحق أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أخلص الله لوجهه جهاده ويسر فى قهر عداة الدين مراده الى محل ولدنا الذى طلع فى أفق العلا بدرا تما وصدع بأنواع الفخار فجلى ظلاما وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية

فاعلى منها علما وأحيى رسما حائط الحرمين القائم بحفظ القبلتين باسط الامان قابض كف العدوان الجزيل النوال الكفيل تأمينه بحياطة النفوس والاموال قطب المجد وسماكه حسب الحمد وملاكه السلطان الجليل الرفيع الاصيل الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم الافخم المعان المؤزر المؤيد المظفر الملك الصالح أبى الوليد اسماعيل ابن محل أخينا الشهير علاؤه المستطير فى الآفاق ثناؤه زين الايام والليال كمال عين انسان المجدوانسان عين الكمال وارث الدول النافث بصحيح رأيه فى عقود أهل الملل والنحل حامى القبلتين بعدله وحسامه النامى فى حفظ الحرمين أجر اضطلاعه بذلك وقيامه هازم أحزاب المعاندين وجيوشها هادم الكنائس والبيع فهى خاوية على عروشها السلطان الاجل الهمام الاحفل الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد المرابط المقسط عدله فى الجائر والقاسط المؤيد المظفر المنعم المقدس المطهر زين السلاطين ناصر الدنيا والدين أبى المعالى محمد بن الملك الارضى الهمام الامضى والد السلاطين الاخيار عاقد لواء النصر فى قهر الارمن والفرنج والتتار محيى رسوم الجهاد معلى كلمة الاسلام فى البلاد جمال الايام ثمال الاعلام فاتح الاقاليم صالح ملوك عصره المتقادم الامام المؤيد المنصور المسدد قسيم أمير المؤمنين فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون مكن الله له تمكين أوليائه ونمى دولته التى أطلعها له السعد شمسا فى سمائه وأحسن ايزاعه للشكر أن جعله وارث آبائه سلام كريم يفاوح زهر الربى مسراه وينافح نسيم الصبا مجراه يصحبه رضوان يدوم ما دامت تقل الفلك حركاته ويتولاه روح وريحان تحييه به رحمه الله وبركاته أمابعد حمد الله مالك الملك جاعل العاقبة للتقوى صدعا باليقين ودفعا للشك وخادل من أسر النفاق فى النجوى فاصر على الدخن والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذى محى بأنوار الهدى ظلم الشرك ونبيه الذى ختم به الانبياء وهو واسطة ذلك السلك ودعا به حجة الحق فمادت بالكفرة محمولة الافلاك وماجت بهم حاملة الفلك والرضا عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيل هداه

فسلك فى قلوبهم أجمل السلك وملكوا أعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب أنجح السلك وصابروا فى جهاد الاعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب يزيد خلوصا على السبك والدعاء لاولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر لمضائه فى العدى أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك الدرك فكتبناه اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا مدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب الالطاف ويكيف مواهب تلهج الالسنة فى القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف من أمره العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكون بين النون والكاف ومكانكم العتيد سلطانه وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه وعلاؤكم الفسيح فى مجال الجلال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكينا وأفاد مقامكم تحصينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفتموه سبيلا مبينا فلا خفاء بما كانت عقدته أيدى التقوى ومهدته الرسائل التى على الصفاء تطوى بيننا وبين والدكم نعم الله روحه وقدسه وبقربه مع الابرار فى عليين أنسه من مؤاخاة أحكمت منها العهود تالية الكتب والفاتحة وحفظ عليها محكم الاخلاص معوذتاها المحبة والنية الصالحة فانعقدت على التقوى والرضوان واعتضدت بتعارف الارواح عند تنازح الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت كلحمة النسب لحمة الاخاء فما كان الا وشيكا من الزمان ولاعجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه الخلان ورد وارد أورد رنق المشارب وحقق قول « ومن يسأل الركبان عن كل غائب » أنبأ باستثارة الله تعالى بنفسه الزكية واكنان درته السنية وانقلابه الى ما أعد له من المنازل الرضوانية بجليل ما وقر لفقده فى الصدور وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور حنانا للاسلام بتلك الاقطار واشفاقا من أن يعتور قاصدى بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض الاضرار ومساهمة فى مصاب الملك الكريم والوصى الحميم ثم عميت الاخبار وطويت طى السجل الآثار فلم نر مخبرا صدقا ولا معلما بمن استقر له ذلكم الملك حقا وفى أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ أهل الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بأن النصارى أجمعوا على خراب

أوطانها ونحن أثناء ذلك الشأن نستخبر الوراد من تلكم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان فبعد لأى وقعنا منها على الخبير وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم فى نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفاتح الخير من أبوابه فأطفأ بكم نار الفتنة واخمدها من أدواء النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وعبر طريقه لمن جاء قاصدا وقافلا ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر بنقل الحاضر المعاين أثار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجره حقا المواريث فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الاطوار الجامعة بين الخبر والاستخبار الملبسة من العزاء والهناء ثوبى الشعار والدثار ومثل ذلك الملك رضوان الله عليه من تجل المصائب لفقدانه وتحل عرى الاصطبار بموته ولات حين أوانه ولكن الصبر أجمل ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى ما اقتناه ذودين متين ومثلكم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ومن خلفتموه فما مات ذكره ومن قمتم بأمره فما زال بل زاد فخره وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب وطاب بين مبداه ومحتضره هنيئا بما من الاجر اكتسب وصار حميدا الى خير منقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقنا ووهب فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة وحماية زوار بيته مقيلة أومعرسة ونحن بعد بسط هذه التعزية نهنيكم بما خولكم الله أجمل التهنية وفى ذات الله الايراد والاصدار وفى مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا دولة ألقى العز عليها رواقه وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاها أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقة وموالاة محققة وثناء كمائمه عن أذكى من الزهر غب القطر مفتقه ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين خطتهما منا اليمين وآوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه فى ذلكم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكل فضله من البر الذى لا يضيع حتى طبق فعله الآفاق ذكرا وطوق أعناق الوراد والقصاد برا وكان

من أجمل ما به تحفى وأتحف واعظم ما بعرفه الى الملك العلام فى ذلك تعرف اذنه للمتوجهين اذ ذاك فى شراء رباع توقف على المصحفين ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فجرت أحوال القراء فيهما بذلك الخراج المستفاذ ريثما يصلهم من خراج ما وقفنه عليهم بهذه البلاد على ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصلة واحترام فى تلك الاوقاف فوائدها به متوفرة متحصلة وقد أمرنا مؤدى هذا لكمالكم وموفده على جلالكم كاتبنا الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم أبى عبد الله بن أبى مدين حفظ الله عليه رتبته ويسر فى قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد أحوال تلك الاوقاف ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وأن يتخير لها من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيما هنالك وخاطبنا سلطانكم فى هذا الشأن جريا على الود الثابث الاركان واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى فى ذلك من الافعال الحسان وكمالكم يقتضى تخليد ذلكم البر الجميل وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشييد ما اشتمل عليه من الشراء الاصيل والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطانى فى اعانة هذا الوافد بهذا الكتاب على ما يتوخاه فى ذلك الشأن من طرق الصواب وثناؤنا عليكم الثناء الذى يفاوح زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاة ومقتضى الموالاة نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات وننبئكم بموجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجناب وذلك أنه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منالجهاد عزما لمثل ندائه يصيخ أنبأنا أن الكفار قد جمعوا أحزابهم من كل صوب وفرض عليهم باباهم اللعين التناصر من كل أوب وان تقصد طوائفهم البلاد الاندلسية بايجافها وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها ليمحو كلمة الاسلام منها ويقلصوا ظل الايمان عنها فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القواد وسرنا على أثرهم الى سبتة منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فما وصلناها الا وقد أخذ أخذه العدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور وأتوا من أجفانهم بما لايحصى عددا وأرصدوها بمجمع البحرين حيث المجاز

الى دفع العدا وتقلصوا عن الانبساط فى البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل من جمعوه من الاعاد لكنا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها فى ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد وأصرخناهم بما أمكن من الجند وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازة تتردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه وأمرنا لصاحب الاندلس من المال **بما يجهز به حركته لمداناة محلة حزب الضلال واجرينا له ولجيشه العطاء** الجزل مشاهرة وأرضخنا لهم من النوال ما نرجو به ثواب الآخرة وجعلت أجفاننا تتردد فى مينا السواحل وتلج أبواب الخوف العاجل لاحراز الامن الآجل مشحونة بالعدد الموفورة والابطال المشهورة والخيل المسومة والاقوات المقومة فمن ناج حارب دونه الاجل وشهيد مضى لما عند الله عز وجل وما زالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ثم لم نقنع بهذا العمل فى الامداد فبعثنا أحد أولادنا أسعدهم الله مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر وارتجاجه والحاح العدو ولجاجه ما به الامثال تضرب وبمثله يتحدث ويستغرب ولما خلص لتلك العدوة بمن أبقته الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصابح العدو ويماسيه بحرب بها يمنى وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت فى الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء فى البعير الاورق الا أن المطاولة بحصارها فى البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ومنازلتها فى البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف أدى الى فناء الاقوات فى البلد حتى لم يبق لاهليه قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس يرغب فى الاذن له فى عقد الصلح ووقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجح فأذنا له فيه الاذن العام اذفى اصراخه واصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد **كانوا علموا فناء القوت وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج من**

بها من فرسان ورجال وأهل وبنيـن ولا رزئوا مالا ولا عـدة ولا لقوا فـى خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شدة ووصلوا الينا فأجزلنا لهم العطاء وأسليناهم عما جرى بالحباء فمن خيل تزيد على الالـف عتاقها وخلع تربى على عشـرة آلاف أطواقها وأموال عمت الغنـى والفقير ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله ضر الطواغيت عما عداهـا وما انقلبوا بغير مدرة عفا رسمها وصم صداها وقد كـان من لطف الله حيـن قضى بأخذ هذا الثغر ان قدر لنا فتح جبل طارق من أيدى الكفر وهو المطل على هذه المدرة والفرصة منه ان شاء الله تعالى متيسرة حتى يفرق عقدالكفار ويفرج بهذه الجهة منهم مجاوروا هذه الاقطار فلولا اجلابهم من كل جانب وكونهم سدوا مسلك العبور بما لجميعهم من الاجفان والمراكب لما بالينا بأصفاقهم ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم ولكن للموانع أحكام ولا راد لما جرت بـه الاقلام وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد وتخيرنا له ولسائر تلك البلادالعدد والعدد وعدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعـثاء السفـر ونرتبط **الجياد وننتخب العدد لوقت الظهور المنتظر ونكون على أهبة الجهاد وعـلى** مرقبة الفرصة عند تمكنها فى الاعاد وعند عودنا من تلك المحاولة نيسرالركب **الحجازى موجها الى هناكم رواحله فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار الـود** الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند أحنى الآباء واعتقادنا فيـكم فـى ذات الله لايخشى جديده من البلاء ومالكم من غرض بهذه الانحاء موفـى قصده على أكمل الاهواء موالى تـتميمه على أجمل الآراء والبلاد باتحاد الود متحدة والقلوب والايدى على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقدة جعل الله ذلكم خالصا لرب العباد مدخورا ليوم التناد مسطورا فى الاعمال الصالحة يوم المعاد بمنه وفضله هو سبحانه يصل اليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب وتتقاصر عن نيـل مجـده متطاولات المناكب والسلام الاتم يخصكم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكتب فى يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعيـن **وسبعمائة وصورة العلامة وكتب فى التاريخ المؤرخ**

قال ابن خلدون : « فقضى أبو الفضل ابن أبى عبد الله بن أبى مدين من وفادته ما حمل وكان شأنه عجبا فى اظهار أبهة سلطانه والانفاق على المستضعفين من الحاج فى طريقه واتحاف رجال الدولة التركية بذات يده والتعفف عما فى أيديهم رحمه الله » وقال العلامة المقريزى : « وفى منتصف شعبان من سنة خمس وأربعين وسبعمائة قدمت الحرة أخت صاحب المغرب فى جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبى الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له الخطباء فى يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بالنصر على عدوهم ويكتب الى أهل الحرمين بذلك»اه ولعل هذا الكتاب آخر غير الذى سردناه يتضمن ما ذكره والله أعلم

ونسخة الجواب عن الكتاب الذى سردناه من انشاء خليل الصفدى شارح لامية العجم : بعد البسملة فى قطع النصف بقلم الثلث : « عبد الله وليه » صورة العلامة ، ولده اسماعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المظفر المنصور ، عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار، اسكندر الزمان مملك اصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه مالك البحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ، ولى أمير المومنين أبو الفداء اسماعيل بن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبى الفتح محمد بن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة انصاره وأعوانه يخص المقام العالى الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد المرابط المثاغر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد **الاوحد الامجد السنى السرى المنصور أبا الحسن على بن أمير المسلمين أبى** سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أمده الله بالظفر وقرن عزمه بالتأييد فى الآصال والبكر سلام وشت البروق وشائعه وادخرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناء

اتخذ النفحات المسكية طلائعه ونبه بالتغريد فى الروض سواجعه وجلى فى كأسه من الشفق المحمر مدامه ومن النجوم فواقعه «أما بعد» حمد الله على نعم ادت لنا الامانة فى عود سلطنة والدنا الموروثة وأجلستنا على سرير مملكة زرابيها بين النجوم مبثوثة ، واحسنت بنا الخلف عن سلف عهوده فى الاعناق غير منكورة ولا منكوثة ، وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم فى الكفرة غاية أمله وسؤله صلاة تحط بالرضوان سيولها وتجر بالغفران ذيولها ما تراسل أصحاب وتواصل أحباب فيوضح للعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق على الدر النظيم تفاخر الخمائل سطوره ، ويصبغ خد الورد بالخجل منثوره ويحكى الرياض اليانعة فالالفات غصونه والهمزات عليها طيوره ويخلع على الآفاق حلل الايام والليالى فالطرس صباحه والنقس ديجوره لفظه يطرب ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على أنه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب فاتخذنا سطوره ريحانا ورجعنا ألفاظه ألحانا ورجعنا الى الجد فشبهنا الفاته بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بافواه الجراح وسطوره المنتظمة بالفرسان المزدحمة يوم الكفاح وانتهينا الى ما أود عتموه من اللفظ المسجوع والمعنى الذى يطرب طائره المسموع والبلاغة التى فضح التطبع بيانها المطبوع فاما العزاء باخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده واحسن لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله اسوة حسنة ولولا الوثوق بانه فى عدة الشهداء ما رام القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيد ايملك الارض ومات شهيدا يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس فى الآفاق ويوقف عند نظارة حدائقه الاحداق وورثا منه حسن الاخاء لكم والوفاء بعهود مودة تشبه فى اللطف شمائلكم ـ واما الهناء بوراثة ملكه والانخراط مع الملوك فى سلكه فقد شكرنا لكم منحى هذه المنحة وقابلناها بثناء يعطر النسيم فى كل نفحه **ووقفنا عليها حمدا جعل الود علينا ايراده وعلى انفاس سرحة الروض شرحه** وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذى لا يميد طود رسوخه ولا يميل

وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الكريمين الشريفين اللذين وقفتموهما على الحرمين المنيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسنى الاسمى ابا المجد ابن كاتبكم ابى عبد الله بن ابى مدين اعزه الله لتفقد احوالهما والنظر فى أمر أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه فى حرز السلامة واكرمنا نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان اليهم شملهم وحضر المذكور بين ايدينا وقربناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وامرنا فى أمر المصحفين الشريفين بما اشرتم ورسمنا لنوابنا فى توخى اوقافهما بما ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على احسن عادة ألفها واثبت قاعدة عرفها مرعى الجوانب محمى المنازل والمضارب آمن ازلة رسمه أو اذالة حكمه بدره ابدا فى مطالع تمه وزهره دائما يرقص فى كمه لا يزداد الا تخليدا ولا اطلاق ثبوته الاتقييداولاعنق اجتهاده الا تقليدا جريا على قاعدة أوقاف ممالكناوعادة تصرفاتنا فى مسالكنا وله مزيدالرعاية وافادة الحمايةووفادة العناية. وأما ماوصفمتوه من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومنى به من الكفارحزنها وسهلها فانه شق علينا سماعه الذى انكى اهل الايمان وعدد به نوب الزمان كل قلب بانامل الخفقان وطالما فزتم بالظفر ورزقم النصر على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر ولكن الحرب سجال وكل زمان لدوائره دولة ولرجائه رجال ولو امكنت المساعدة لطارت بنا اليكم عقبان الجياد المسومة وسالت على عدوكم اباطحهم بقسينا المعوجة وسهامناالمقومة وكحلنا عين النجوم بمراود الرماح وجعلنا ليل العجاج ممزقا ببروق الصفاح واتخذنا رؤوسهم لصوالج القوائم كرات وفرجنا مضايق الحرب بتوالى الكرات وعطفنا عليهم الاعنة وخضنا جداول السيوف ودسنا شوك الاسنة وفلقنا الصخرات بالصراخات واسلنا العبرات بالرعبات ولكن اين الغاية من هذا المدى المتطاول واين الثريا من يدالمتناول ومالنا غيرامدادكم بجنودالدعاءالذى نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذى تعرفه ملائكة القبول من سجايانا ـ وأما ـ ما فقدتموه من الاجفان التى طرقها طيف الاتلاف وام حرم فنائها الفناء وطاف به بعد الالطاف فقد روع هذا الخبر قلب الاسلام ونوع له الحزن على اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار لايخلو صفوها من كدر القدر وطالما

أنامت بالامن أول الليل وخاطبت بالخطب فى السحر ولكن فى بقائكم ما يسلى عن خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامر هين لان الدر يفدى بالذهب ـ وأما ـ ما رأيتموه من الصلح فراى عقده مبارك وامر ما فيه فارط عزم وان كان فيتدارك والامر يجىء كما يحب لا كما نحب والحروب يزورها نصرها تارة ويغب مع اليوم غدا وقد يرد الله الردا ويعيد الظفر بالعدا وأما عودكم الى فاس المحروسة طلبا لاراحة من عندكم من الجنود وتجهيزا لمن يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضرورى التدبير سرورى التشمير لان النفوس تمل وثير المهاد فكيف ملازمة صهوات الجياد وتسأم من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب وتعرض عن دوام اللذة فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذى فتح الله به عليكم وساق هدى هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما شرد وحسما لهذا الطاغية الذى مرد وردا لهذا النازل الذى كدر ورد الصبر لما ورد فعادة الالطاف بكم معروفة وعزماتكم الى جهات الجهاد مصروفة وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن يطرق وجبل يعصم من سهم يمر من قسى الكفار ويمرق وأما ما منحتموه من الخيل العتاق والملابس التى تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق والاموال التى زكت عند الله تعالى ونمت على الانفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم فى منازل الدنيا والاخرة سرفها وشرفها واليكم تساق هدايا أثنيتها وتحفكم تحفها واذا وصل وفدكم الحاج وأنار له بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا يتخولون تحفا أنتم سببها ويتناولون طرفا فى كؤوس الاعتناء بهم ينضد حببها واذا كان أوان الرحيل الى الحج فسحنا لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم ممن اذا زاروا حجراته الشريفة حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسيهم **مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لامسافة لمسافر بين الشرق** والغرب وغمرناهم بالاحسان فى العود اليكم وأمرناهم بما ينهونه شفاها

لديكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لاخذ الثار حماتكم وتخصكم بتأييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليانع من ورق الحديد الاخضر وتتحفكم بسعد لايبلى قشيبه وعز لايمحو شبابه مشيبه وتحيته المباركة تغاديكم وتراوحكم وتفاوحكم أنفاسها المعتبرة وتنافحكم بمنه وكرمه ، فى سادس رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة »

قال ابن خلدون : « ثم شرع السلطان أبو الحسن بعد استيلائه على افريقية كما نذكره فى كتب نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها ببيت المقدس فلم يقدر اتمامها وهلك قبل فراغه من نسخها » اه وهو يقتضى أن السلطان المذكور ما كتب سوى مصحفين اثنين ويؤيده ظاهر الكتابين المسرودين آنفا مع أنه تقدم النقل عن الشيخ أبى العباس المقرى أنه وقف على النسخة الموقوفة ببيت المقدس والله تعالى أعلم بحقيقة الامر .

هدية السلطان ابى الحسن الى ملك مالى من السودان المجاورين للمغرب

أعلم أن أرض السودان المجاورة للمغرب تشتمل على ممالك منها مملكة غانة ومنها مملكة مالى ومنها مملكة كاغو ومنها مملكة برنو وغير ذلك، وكان ملك مالى وهو السلطان منسا موسى بن أبى بكر من أعظم ملوك السودان فى عصره ، ولما استولى السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط وغلب بنى زيان على ملكهم عظم قدره وطال ذكره وشاعت أخباره فى الآفاق فسما هذا السلطان وهو منسى موسى الى مخاطبة السلطان أبى الحسن وكان مجاورا لمملكة المغرب على نحو مائة مرحلة فى القفر ، فأوفد عليه جماعة من أهل مملكته مع ترجمان من الملثمين المجاورين لبلادهم من صنهاجة ، فوفدوا على السلطان أبى الحسن فى سبيل التهنئة بالظفر فأكرم وفادتهم وأحسن مثواهم ومنقلبهم ونزع الى مذهبه فى الفخر فانتخب طرفا من متاع المغرب وماعونه وشيأ من ذخيرة داره وأسنى الهدية وعين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب

الديوان أبو طالب بن محمد بن أبى مدين ومولاه عنبر الخصى فأوفدهم بها على ملك مالى منسا سليمان لمهلك أخيه موسى قبل مرجع وفده وأوعز الى أعراب الفلاة من بنى معقل بالسير معهم ذاهبين وجاءين فشمر لذلك على بن غانم أمير أولاد جرار من معقل وصحبهم فى طريقهم امتثالا لامر السلطان وتوغل ذلك الركب فى القفر الى بلد مالى بعد الجهد وطول الشقة فأحسن منسا سليمان مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم ، وعادوا الى مرسلهم فى وفد من كبار مالى يعظمون السلطان أبا الحسن ويوجبون حقه ويؤدون طاعته ويذكرون من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان أبى الحسن واعتماله فى مرضاته ما استوصاهم به

واعلم أن منسا موسى الذى ذكرناه كان من كبار الملوك كما قلنا وهو الذى صحبه أبو اسحاق الساحلى المعروف بالطويجى (*)من شعراء الاندلس ، كان قد لقيه فى الموسم بعرفة فحلى بعينه وحظيت منزلته عنده فصحبه الى بلاده وأقام عنده مصحوبا بالبر والكرامة وبنى للسلطان المذكور قبة رائعة فازدادت حظوته عنده ، قال ابن خلدون : « أطرف أبو اسحق الطويجن السلطان منسا موسى ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها اجادته وكان صناع اليدين وأضفى عليها من الكلس ووالى عليها بالاصباغ المشبعة ، فجاءت من أتقن المبانى ووقعت من السلطان منسا موسى موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم ووصله باثنى عشر ألفا من مثاقيل التبر مثوبة عليها » اه وكانت وفاة أبى اسحق بتنبتكوا يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة

(*)صوابه الطويجن تصغير طاجين الاناء المغربى المعروف

مصاهرة السلطان ابي الحسن ثانيا مع السلطان ابي بكر الحفصى رحمهما الله

قد تقدم لنا ما كان من وقعة طريف وانه هلك فيها حرم السلطان أبى الحسن من جملتهن فاطمة بنت السلطان أبى بكر الحفصى فلما فقدها أبو الحسن بقى فى نفسه منها حنين الى ما شغفته به من خلالها ولذاذة العيش فى عشرتها فسما أمله من الاعتياض عنها ببعض أخواتها ، فأوفد فى خطبتها وليه عريف بن يحيى أمير عرب سويد من بنى زغبة الهلاليين وكاتب الجباية والعسكر بدولته أبا الفضل بن محمد بن أبى مدين وفقيه الفتوى بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطى ومولاه عنبر الخصى ، فوفدوا على السلطان أبى بكر سنة ست وأربعين وسبعمائة فأنزلهم منزل البر والكرامة ثم دس اليه حاجبه أبو محمد عبد الله بن تافراجين غرض وفادتهم وانهم قدموا خاطبين بعض كرائمه لسلطانهم فأبى من ذلك صونا لحرمه عن جولة الاقطار وتحكم الرجال مثل ما وقع فى ابنته الاولى ، فلم يزل حاجبه المذكور يخفض عليه الشأن ويعظم عليه حق السلطان أبى الحسن فى رد خطبته مع ما بينهما من الصهر السابق والمخالصة القديمة والعهود المتأكدة الى أن أجاب وأسعف وجعل ذلك للحاجب المذكور فانعقد الصهر بين السلطانين على ابنته عزونة شقيقة ابنه أبى العباس الفضل بن أبى بكر صاحب بونة ، وأخذ الحاجب فى شوار العرس وتأنق فيه واحتفل واستكثر وطال مقام الرسل بتونس الى أن استكمل الجهاز فارتحلوا منها فى ربيع سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأوعز السلطان أبو بكر الى ابنه الفضل شقيق العروس المذكورة أن يزفها على السلطان أبى الحسن قياما بحقه وبعث من بابه جماعة من مشيخة الموحدين فوفدوا جميعا على السلطان أبى الحسن واتصل بهم الخبر فى طريقهم بوفاة السلطان أبى بكر فجأة ليلة الاربعاء ثانى رجب من السنة المذكورة ، فعزاهم السلطان أبو الحسن عنه عند ما وصلوا اليه واستبلغ فى اكرامهم وأجمل موعد

أخيها الفضل بسلطانه ومظاهرته على تراث أبيه فاطمأنت به الدار عند السلطان أبى الحسن الى أن سار فى جملته وتحت لوائه الى افريقية كما نذكره ان شاء الله

غزو السلطان ابى الحسن افريقية واستيلاؤه على تونس واعمالها

كان السلطان أبو بكر الحفصى رحمه الله قد عهد بالامر بعده لابنه أبى العباس أحمد ، وكان أوفد على السلطان أبى الحسن حاجبه أبا القاسم بن عتوا فى غرض له وأصحبه كتاب العهد الى السلطان المذكور ليوافق عليه فوقف عليه السلطان أبو الحسن وكتب على حاشيته بخطه ووافق عليه رحمه الله وأحكم العقد فى ذلك ، ولما مات السلطان أبو بكر كان ولى العهد غائبا عن الحضرة فبايع أبو محمد بن تافراجين لابنه عمر .

ذكر الشيخ أبو العباس الوانشريسى فى أقضية «المعيار» عن الشيخ ابن عرفة أن سلطان افريقية أبا بكر الحفصى كتب العهد لولده أحمد فلما توفى السلطان المذكور أحضر أبو محمد بن تافراجين قاضى تونس قاضى الجماعة أبا عبد الله محمد بن عبد السلام وقاضى الانكحة أبا عبد الله الآجمى وأمرهما أن يبايعا ولد الخليفة عمر فقالا : « كيف نبايعه ونحن شهدنا بيعة أخيه احمد والتزمناها » وكان الحاجب ابن تافراجين نبيلا فلما رأى امتناعهما قال : «ادخلا دار السلطان واشتغلا بغسله وتكفينه» فلما دخلا أحضر الحاجب المذكور أهل العقد والحل وأمرهم أن يبايعوا عمر فبايعوه ، فلما خرج القاضيان وجدا البيعة قد حصلت وكان فى انتظار أحمد المشهود له بالعهد وهو غائب بقفصة خوف الفتنة فبايع القاضيان ، وكان ابن عرفة يستصوب فعل الحاجب وامتناع القاضيين أولا وبيعتهما ثانيا ، ثم قدم ولى العهد ووقع بينه وبين أخيه قتال وجرت خطوب كان فى آخرها قتل ولى العهد وقتل وليه

أبى الهول بن حمزة أمير الكعوب من عرب سليم فى ءاخرين منهم وقطع عمر أيضا أخويه عبد العزيز وخالدا من خلاف فهلكا ، وكان الحاجب أبو محمد ابن تافراجين قد أحس بالشر من جهة عمر المتغلب وتوقع النكبة من جانبه فسلل الى قصره وأخذ ما خف من ذخيرته ولحق بالسلطان أبى الحسن وقص عليه الخبر وأغراه بتملك افريقية وأوجب عليه النظر للمسلمين فيها وكان السلطان أبو الحسن يتمنى ذلك لولا مكان صهره أبى بكر فأقام يتحين لها الاوقات ويترقب لها الفرص حتى كانت هذه ، (وانما تنجع المقالة فى المرء اذا صادفت هوى فى الفؤاد) فأظهر أبو الحسن الامتعاض لما فعله عمر بأخيه ولى العهد من منعه من حقه أولا ثم اراقة دمه ثانيا لاسيما وقد كان أعطى خط يده بالموافقة على العهد المذكور ، فأجمع الحركة الى افريقية ولحق به خالد بن حمزة بن عمر أخو أبى الهول المقتول مع ولى العهد فاستعداه على عدوه ، ففتح السلطان أبو الحسن ديوان العطاء ونادى فى الناس بالمسير الى افريقية وأزاح عللهم وعسكر بظاهر تلمسان ثم نهض فى صفر من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة يجر الدنيا بما حملت ، بعد أن عقد لابنه الامير أبى عنان على المغرب الاوسط وعهد اليه بالنظر فى أموره كافة وجعل اليه جبايته وقدمت عليه فى طريقه أعراب افريقية وولاة قابس وبلاد الجريد وأطاعته طرابلس والزاب وبجاية وصاحبها يومئذ أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء ابن ابى بكر ولما وصل الى قسنطينة خرج اليه ابناء الامير أبى عبد الله بن أبى بكر فبايعوه فأقبل عليهم وصرفهم الى المغرب وأنزلهم بوجدة وأقطعهم جبايتها ، وأنزل بقسطنطينة خلفاءه وعماله وقد كان صرف أبا عبد الله صاحب بجاية الى ندرومة فأنزله بها وأقطعه الكفاية من جبايتها ، ثم وفد عليه بنو حمزة بن عمر أمراء الكعوب من سليم فأخبروه باجفال عمر المتغلب بتونس مع ظاعنة أولاد مهلهل واستحثوه فى اعتراضهم قبل لحاقهم بالقفر ، فسرح معهم العساكر فى طلبه لنظر حمو بن يحيى العسكرى

وتلوم السلطان أبو الحسن بقسنطينة وعرض جيوشه بسطح الجعاب منها ، ثم ارتحل على أثرهم وأغذ حمو بن يحيى السير مع ناجعة أولاد أبى

الليل فلحقوا بعمر صاحب تونس بارض الحامة من ناحية قابس فدافعوا عن أنفسهم بعض الشيء ثم انهزموا وكبا بعمر جواده فى نافقاء بعض اليرابيع وانجلى الغبار عنه وعن مولاه ظافر راجلين فتقبض عليهما وأوثقهما قائد العسكر بيده حتى اذا جن الليل ذبحهما خوفا من أن تفتكهما العرب من يده وبعث برأسيهما الى السلطان أبى الحسن فوصلا اليه بباجية وخلص الفل من تلك الوقعة الى قابس ، فتقبض عبد الملك بن مكى صاحبها على رجالات من أهل الدولة كان فيهم أبو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وصخر ابن موسى من رجالات سدويكش وغيرهما من أعيان الدولة ، فبعث بهم ابن مكى الى السلطان أبى الحسن مقرنين فى الاصفاد فأما ابن عتو وصخر بن موسى وعلى بن منصور فقطعهم من خلاف لفتيا الفقهاء بجرابتهم واعتقل الباقى

وسرح السلطان عساكره الى تونس وعقد عليهم لصهره على ابنته يحيى ابن سليمان من بنى عسكر فاحتلوا بتونس ، ثم جاء السلطان على أثرهم فنزل بظاهرها يوم الاربعاء الثامن من جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وتلقاه وفد تونس وشيوخها من أهل الفتيا وأرباب الشورى فآتوه طاعتهم وانقلبوا مسرورين بولايته مغتبطين بملكته ، وكانت تونس يومئذ مشحونة بالاعلام الاكابر منهم ابن عبد السلام وابن عرفة وابن عبد الرفيع وابن راشد القفصى وابن هرون وأعلام آخرون ، ثم عبا السلطان أبوالحسن يوم السبت مواكبه لدخول الحضرة فصف جنوده سماطين من معسكره بسيجوم الى باب البلد نحو أربعة أميال وركبت بنو مرين من مراكزهم من جموعهم وتحت راياتهم ، وركب السلطان من فسطاطه وعن يمينه وليه عريف بن يحيى كبير سويد ويليه أبو محمد عبد الله بن تافراجين وعن يساره الامير أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء وهو أخو السلطان أبى بكر ويليه الامير أبو عبد الله ابن أخيه خالد كانا معتقلين بقسنطينة فأطلقهما السلطان أبو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طراز ذلك الموكب فيمن لا يحصى من أعياص بنى مرين وكبرائهم ، وهدرت طبوله وخفقت راياته

وكانت يومئذ نحو المائة وجاء السلطان والمواكب تجتمع عليه صفاصفا الى أن وصل الى البلد وقد ماجت الارض بالجيوش ، قال ابن خلدون : وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه ، قلت : كان سن ابن خلدون يومئذ ست عشرة سنة لانه ولد غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة

وكان قدم فى جملة السلطان أبى الحسن جماعة كبيرة من أعلام المغرب كان يلزمهم شهود مجلسه ويتجمل بمكانهم فيه ثم ذخل القصر الخلافى وخلع على أبى محمد بن تافراجين وقرب اليه فرسا بسرجه ولجامه وطعم الناس بين يديه وانتشروا الى منازلهم ثم دخل السلطان أبو الحسن مع ابن تافراجين الى حجر القصر ومساكن الخلفاء فطاف عليها ودخل منها الى الرياض المتصلة بها المدعوة برأس الطابية فطاف على تلك البساتين وسرح نظره فيها واعتبر بحالها ثم أفضى منها الى معسكره وأنزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس فى عسكر لحمايتها ثم ارتحل من الغد الى القيروان فجال فى نواحيها ووقف على آثار الاولين ومصانع الاقدمين والطلول الماثلة لضهاجة والعبيديين والتمس البركة فى زيارة القبور التى تذكر للصحابة والسلف من التابعين والاولياء فى ساحتها ثم سار الى سوسة ثم الى المهدية ووقف على ساحل البحر منها وتطوف فى معالمها ونظر فى عاقبة الذين كانوا من قبله أشد قوة وآثارا فى الارض واعتبر بأحوالهم ومر فى طريقه بقصر الاجم ورباط المنستير وانكفأ راجعا الى تونس فاحتل بها غرة رمضان من السنة ونزل المسالح على ثغور افريقية وأقطع بنى مرين البلاد والضواحى وأمضى اقطاعات العرب التى كانت لهم من قبل الحفصيين واستعمل على الجهات وخفتت الاصوات وسكنت الدهماء وانقبضت أيدى أهل الفساد وانقرض أمر الحفصيين فى هذه المدة الا أنه عقد على بونة لصهره الفضل ابن السلطان أبى بكر اكراما لصهره ووفادته عليه واتصلت ممالك السلطان أبى الحسن ما بين مسراته الى السوس الاقصى من هذه العدوة والى رندة من عدوة الاندلس ودخل المغرب بأسره فى طاعته وحذر ملوك مصر والشام ما شاع من بسطته وانفساح دولته ونفوذ كلمته والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده

والعاقبة للمتقين وقد كان الشعراء رفعوا اليه قصائد فى سبيل التهنئة بالفتح وكان سابق الحلبة يومئذ أبو القاسم الرحوى فى قصيدة يقول فى مطلعها

أجابك شرق اذ دعوت ومغرب فمكة هشت للقاء ويثرب

وهى طويلة تخطيناها اختصارا والله تعالى ولى التوفيق بمنه

انتقاض عرب سليم بافريقية على السلطان ابى الحسن وما نشأ عن ذلك

قد تقدم لنا عند الكلام على العرب الداخلين الى المغرب أن جمهورهم كان من بنى جشم بن معاوية بن بكر وبنى هلال بن عامر بن صعصعة وبنى سليم بن منصور ، وان الذين بقوا منهم بافريقية هم بنو سليم وبعض هلال وكان لهم استطالة على الدول واعتزاز عليها ، فكان ملوك الحفصيين يتألفونهم بالولايات والاقطاعات ونحو ذلك ، وكان السلطان أبو الحسن المرينى حاله مع عرب المغرب الاقصى غير حال الحفصيين مع عرب افريقية وملكته لاهل باديته غير ملكتهم لاهل باديتهم ، فلما ورد افريقية واستولى عليها رأى من اعتزاز العرب بها على الدولة وكثرة اقطاعاتهم من الضواحى والامصار ما تجاوز الحد المعتاد عنده ، فأنكر ذلك وضرب على أيديهم وعوضهم عنه باعطيات فرضها لهم فى الديوان من جملة الجند واستكثر جبايتهم فنقصهم الكثير منها ، ثم شكا اليه الرعية من أولائك العرب وما ينالونهم به من الظلامات وضرب الاتاوة التى يسمونها الخفارة فقبض أيديهم عن ذلك كله وتقدم الى الرعايا بمنعهم منها ، فارتابت العرب لذلك وفسدت ضمائرهم وثقلت وطأة الدولة المرينية عليهم فتربصوا بها وتحزبوا لها وتعاوت ذئابهم فى بواديهم فاجتمعوا وأغاروا على قياطين بنى مرين ومسالحهم فى ثغور افريقية حتى انهم أغاروا على ضواحى تونس فاستاقوا الظهر الذى كان فى مرعاها والسلطان يومئذ بها فعظم عليه ذلك وحقد على كبرائهم وأظلم الجو بينه وبينهم ، ثم وفد عليه أيام

الفطر من رجالاتهم خالد بن حمزة أمير بنى كعب وأخوه أحمد وخليفة بن عبد الله من بنى مسكين وابن عمه خليفة بن أبى زيد من أولاد القوس فأنزلهم السلطان أبو الحسن وأجمل لقاءهم مغضيا عما صدر من غوغائهم ، ثم رفع اليه عبد الواحد بن اللحيانى من أولاد الملوك الحفصيين انهم بعثوا اليه مع بعض حاشيته يطلبون منه الخروج معهم لينصبوه للامر بافريقية وانه خشى على نفسه بادرة السلطان فتبرأ اليه من ذلك ، فقامت قيامة السلطان أبى الحسن عند سماعه ذلك فأحضرهم وأحضر الحفصى معهم وقرره بما دار بينه وبينهم فبهتوا وأنكروا فوبخهم وأمر بهم فسجبوا الى السجن ثم فتح ديوان العطاء وعرض الجند لغزوهم وعسكر بسيجوم من ظاهر تونس وذلك بعد قضاء نسك الفطر من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

واتصل الخبر بأولاد أبى الليل وأولاد القوس باعتقال وفدهم وجمع السلطان لغزوهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت وانطلقوا فى أحيائهم يحزبون الاحزاب ويستثيرون الثوار وعطفوا على أعدائهم من أولاد مهلهل فوصلوهم بعد القطيعة وكانوا بعد مقتل سلطانهم عمر بن أبى بكر قد لحقوا بالقفر خوفا من أبى الحسن لانهم كانوا شيعة لعمر المذكور ، فلما وقع بين أبى الحسن وبين أولاد أبى الليل ما وقع ركب قتيبة بن حمزة اليهم ومعه أمه ونساء أولادها فتطارحوا عليهم ورغبوا اليهم فى الاجتماع معهم على الخروج على السلطان ومنابذته ، فكان أولاد مهلهل اليها مسرعين فارتحلوا معهم وتوافت أحياء سليم من بنى كعب وبنى حكيم بتوزر من بلاد الجريد فتذامروا وتصافوا وأهدروا الدماء بينهم وتبايعوا على الموت وصاروا نفسا واحدة على تباين أغراضهم وفساد ذات بينهم ، والتمسوا من أعياص الملك من ينصبونه للامر فدلهم بعض سماسرة الفتن على رجل من بنى عبد المومن وهو أحمد ابن عثمان بن أبى دبوس آخر ملوك بنى عبد المومن وكان يحترف بالخياطة فى توزر بعد ما طوحت به الطوائح فانطلقوا اليه وجاءوا به ونصبوه للامر وجمعوا له شيأ من الفساطيط والخيل والآلات والكسوة وأقاموا له رسم السلطان وعسكروا عليه بقياطينهم وحللهم وتحالفوا على نصره

ولما قضى السلطان أبو الحسن نسك عيد الاضحى من السنة المذكورة ارتحل من ساحة تونس يريد العرب فوافاهم بالموضع المعروف بالتينة بين بسيط تونس وبسيط القيروان فأجفلوا أمامه فأتبعهم وألح عليهم الى أن وصلوا الى القيروان فلما رأوا أن لا ملجأ لهم منه عزموا على الثبات له وتحالفوا على الاستماتة وكان عسكر السلطان أبى الحسن يومئذ مشحونا بأعدائه من بنى عبد الواد المغلوبين على ملكهم ومغراوة وبنى توجين وغيرهم ، فدسوا الى العرب أثناء هذه المناوشة بأن يناجزوا السلطان غدا حتى يتحيزوا اليهم ويجروا عليه الهزيمة فأجابوهم الى ذلك وصبحوا معسكر السلطان من الغد فركب اليهم فى التعبية ، ولما تقابلوا تحيز اليهم الكثير ممن كان معه واختل مصافه فانهزم هزيمة شنعاء وبادر الى القيروان فدخلها فيمن معه من الفل مستجيرا بها ودافع عنه أهلها ، وتسابقت العرب الى معسكره فانتهبوه بما فيه من المضارب والعدد والآلات ودخلوا فسطاط السلطان فاستولوا على ذخيرته والكثير من حرمه ، وأحاطوا بالقيروان وزحفت اليها حللهم فدارت بها سياجا واحدا وتعاوت ذئابهم بأطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة منهم بكل قاع واضطرمت افريقية نارا ، وكانت الهزيمة يوم الاثنين سابع محرم من سنة تسع وأربعين وسبعمائة وبلغ الخبر الى تونس وكان السلطان قد خلف بها عند رحيله الكثير من أبنائه وحرمه ووجوه قومه وأمناء بيت ماله وبعض الحاشية من جنده فتحصنوا بالقصبة وأحاط بهم الغوغاء كى يستنزلوهم عنها فامتنعوا عليهم وكانوا بها أملك منهم ، وكان الامير أبو سالم ابراهيم بن السلطان أبى الحسن قد جاء من المغرب فى هذا التاريخ فوافاه الخبر قرب القيروان فانفض معسكره ورجع الى تونس فكان معهم فى القصبة ، ثم نزع أبو محمد بن تافراجين عن السلطان أبى الحسن وكان محصورا معه بالقيروان وكان قد سئم صحبته ومل خدمته لانه كان أيام حجابته للسلطان الحفصى مستبدا عليه مفوضا اليه فى جميع أموره ، فلما استوزره السلطان أبو الحسن لم يجره على تلك العادة لانه كان قائما على أموره بنفسه وليس التفويض للوزراء من شأنه ، وكان ابن تافراجين يظن أنه سيكل اليه أمر

إفريقية وينصب معه لملكها الفضل ابن السلطان أبى بكر شقيق زوجته وربما زعموا أنه عاهده على ذلك فكان فى قلبه من الدولة المرينيـة مرض وكـان العرب أيام عزمهم على الخروج يفاوضونه بذات صدورهم فلما حصلوا على البغية من الظهور على السلطان وحصاره بالقيروان احتالوا فـى أمر ابـن تافراجين ، فبعثوا الى السلطان يطلبون منه بعثه الهيم ليفاوضوه فى الرجـوع الى الطاعة والانخراط فى سلك الجماعة ، فاذن له فخرج اليهم ووصل يـده بيدهم ولم يرجع الى السلطان أبى الحسن ، فقلدوه حجابة سلطانهم ابن أبى دبوس ثم سرحوه الى حصار من بالقصبة من بنى مرين وطمعوا فى الاستيلاء عليها وفض ختامها فسار ابن تافراجين اليها وانضم اليه أشياخ الموحدين فى زعانف من الغوغاء وأحاطوا بالقصبة ، ثم لحق به ابن أبـى دبوس فعاودوها القتال ونصبوا عليها المجانيق فامتنعت عليهم ولم يغنوا شيأ ، وابن تافراجين فى أثناء ذلك يحاول الفرار بنفسه لاضطراب الامور واختلال الرسوم الى أن بلغه خلوص السلطان أبى الحسن من القيروان الى سوسة

وكان من خبره أن العرب بعد حصارهم اياه بالقيروان اختلفت كلمتهم لديه وكان قد دخل أولاد مهلهل فى الافراج عنه واشترط لهم على ذلـك أموالا ونذر بنو أبى الليل بذلك فاضطربت كلمتهم ودخل عليه قتيبة بـن حمزة منهم بمكانه من القيروان زعيما بالطاعة فتقبله وأطلـق أخويـه خالدا وأحمد ومع ذلك فلم يطمئن اليهم ثم جاء اليه محمد بن طالـب مـن أولاد مهلهل وخليفة بن أبى زيد وأبو الهول بن يعقوب من أولاد القوس وعاهدوه على الافراج عنه والقيام معه حتى يصل الى مأمنه فخرج معهم ليلا على التعبية وذؤبان العرب تطأ أذياله وضباعها تنوشه الى أن استقر بسوسة وأمن علـى نفسه وقد أتى النهب على جل ما كان معه ولما سمع ابن تافراجين وهـو محاصر للقصبة بوصول السلطان الى سوسة تسلل من أصحابه وركب البحر الى الاسكندرية فأصبحوا وقد فقدوه فاضطرب أمرهم وارتاب سلطانهم ابـن أبى دبوس لما علم بخبره فانفض جمعهم عن القصبة وأفرجوا عنها وخـرج بنو مرين فملكوا البلد وخربوا منازل الحاشية بها ، ثم ركب السلـطان أبـو

الحسن من سوسة البحر فاحتل بتونس فى ربيع الاخر سنة تسع وأربعين وسبعمائة فاجتمع شمله واستتب أمره ، وكتب الى صاحب مصر فى التقبض على ابن تافراجين فأجاره بعض الامراء وانصرف لقضاء فريضة الحج واعتمل السلطان أبو الحسن فى اصلاح أسوار تونس وادارة الخندق عليها وأقام لها من الصيانة والحصانة رسما دفع به فى نحر عدوه وبقى له ذكره من بعده ثم أجلب العرب وسلطانهم ابن أبى دبوس على تونس ونازلوا أبا الحسن بها واستبلغوا فى حصاره وخلصت ولاية أولاد مهلهل للسلطان فعول عليهم ، ثم راجع بنو حمزة بصائرهم وصاروا الى مهادنته فعقد لهم السلم ودخل عليه عمر بن حمزة وافدا فحبسه حتى قبض اخوانه على أميرهم ابن أبى دبوس وقادوه اليه استبلاغا فى الطاعة وامحاضا للولاية، فتقبل فئتهم وأودع ابن أبى دبوس السجن وعقد الصهر بينه وبين عمر بن حمزة فزوج ابنة عمر بابنه أبى الفضل ، واختلفت أحوال هؤلاء العرب على السلطان أبى الحسن فى الطاعة تارة والانحراف أخرى مدة اقامته بتونس الى أن كان ما نذكره والله غالب على أمره

انتقاض الاطراف وثورة ابى عنان بن السلطان ابى الحسن واستيلاؤه على المغرب

قد تقدم لنا أن السلطان أبا بكر الحفصى رحمه الله لما زوج ابنته من السلطان أبى الحسن بعث معها فى زفافها شقيقها أبا العباس الفضل بن أبى بكر وأن خبر وفاة والده أدركه وهو بالطريق ، ولما وصل الى السلطان أبى الحسن عزاه عن مصاب أبيه ووعده بالمظاهرة على ملكه فبقى عنده بتلمسان الى أن نهض فى صحبته الى افريقية فلما غلب السلطان أبو الحسن على بجاية وقسنطينة وارتحل الى تونس عقد له على بونة التى كان يلى عملها أيام أبيه فانقطع أمله وفسد ضميره وطوى على البث حتى اذا كانت نكبة القيروان

سما الى التوثب على ملك سلفه وكان أهل قسنطينة وبجاية قد سئموا ملكة بنى مرين وبرموا بولايتهم لمخالفتهم بعض العوائد التى كانت لهم مع الملوك الحفصيين ولان الصبغة الحفصية كانت قد رسخت فى نفوسهم جيلا بعد جيل فصعب عليهم نزعها

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى وحنينه أبدا لاول منزل

فأشرأبوا الى الثورة على المرينيين لما سمعوا بنكبة القيروان واتفق أن قدم قسنطينة ركب من أهل المغرب قاصدين الى السلطان أبى الحسن وكان فيهم عمال الجباية قدموا بجايتهم عند راس الحول كما جرت به عادتهم فى ذلك ومعهم ابن صغير للسلطان اسمه عبد الله وفيهم وفد من رؤساء الفرنج بعثهم طاغيتهم بقصد التهنئة بفتح افريقية ومعهم تاشفين بن السلطان الذى أسر يوم طريف أطلقه الطاغية بعد أن أصابه خبال فى عقله وأرسل معه بهدية نفيسة وفيهم أيضا وفد من أهل مالى بعثهم السلطان منسا سليمان بقصد التهنئة أيضا فتوافت هؤلاء الوفود بقسنطينة وقد طم عباب الفتنة على افريقية فأراد غوغاؤها انتهاب ما معهم ثم تخلصوا منهم فى خبر طويل

وفى أثناء ذلك ثار الفضل بن السلطان ابى بكر صاحب بونة فراسله أهل قسنطينة فى القدوم عليهم والقيام بأمرهم فقدمها وجرت خطوب واتصل بأهل بجاية ما فعله أهل قسنطينة فتبعوهم على رأيهم من الانتقاض ووثبوا على من كان عندهم من حامية بنى مرين فاستلبوهم وأخرجوهم عراة واستدعوا الفضل بن أبى بكر من قسنطينة فبادر اليهم واستولى على بجاية واستتب أمره بها وأعاد ألقاب الخلافة وبينما هو يحدث نفسه بغزو تونس ثار عليه أبناء أخيه أبى عبد الله بن أبى بكر فانتزعوا منه بجاية وردوه الى عمله الاول وانتقض على السلطان أبى الحسن أيضا سائر زناتة من بنى عبد الواد ومغراوة وبنى توجين وبايع بنو عبد الواد لعثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن ابن زيان وساروا الى تلمسان فاستجدوا بها ملك سلفهم فى أخبار طويلة

وجرت هذه الخطوب والسلطان أبو الحسن مقيم بتونس تغاديه العرب

بالقتال وتراوحه وتعوج عليه تارة وتستقيم أخرى وطال مقامه بها وعميت أنباؤه على أهل المغرب وحدث فى الخلق الوباء العظيم الذى عم المشرق والمغرب فارجف بموته واضطربت الاحوال بالمغارب الثلاثة الادنى والاوسط والاقصى واتصل ذلك بالامير أبى عنان وهو يومئذ بتلمسان كان أبوه قد ولاه عليها عند ذهابه الى افريقية حسبما مر ، فلما أرجف بمهلك أبيه وتساقط اليه الفل من عسكره عراة زرافات ووحدانا تطاول الى الاستئثار بملك أبيه دون سائر اخوته وكان مرشحا عنده لذلك لمزيد فضله عليهم فى غير وصف ، واتفق أن كان عنده رجل من بنى عبد الواد اسمه عثمان بن يحيى بن محمد بن جرار وكان ينسب الى علم الحدثان ، ولما سافر السلطان الى افريقية كان هذا الرجل أول المرجفين به وانه لايرجع من سفرته وأن الامر صائر الى أبى عنان ونجع ذلك فى أبى عنان لموافقته هواه ، فاشتمل على ابن جرار وخلطه بنفسه فلما ورد الخبر بنكبة السلطان وانحصاره أولا بالقيروان ثم بتونس لم يسترب أبو عنان فى صدق ابن جرار وانه على بصيرة من أمره فتحفز للوثبة وصمم على الثورة ، ثم أكد عزمه على ذلك ما اتصل به من خبر ابن أخيه منصور بن أبى مالك عبد الواحد بن أبى الحسن بفاس الجديد وانه ثار بها وفتح ديوان العطاء واستلحق واستركب ورام التغلب على المغرب واحتياز الامر لنفسه دون غيره ووري فى ذلك بأنه انما عزم على الذهاب الى افريقية لاستنقاذ السلطان من هوة الحصار يسر من ذلك حسوا فى ارتغاء وتفطن لشأنه الحسن بن سليمان بن يرزيكن عامل القصبة بفاس وصاحب الشرطة بالضواحى ، فاستأذنه فى اللحاق بالسلطان فأذن له راحة منه فلحق بأبى عنان على حين أمضى عزيمته على التوثب فأخرج ما كان بقصر السلطان بالمنصورة من المال والذخيرة وجاهر بالدعاء لنفسه وجلس للبيعة بمجلس السلطان من قصره فى ربيع الثانى من سنة تسع وأربعين وسبعمائة فبايعه الملأ وقرأ كتاب بيعتهم على الاشهاد ، ثم بايعه العامة وانفض المجلس وقد استتب سلطانه ورست قواعد ملكه وركب فى التعبية والالة حتى نزل بقبة الملعب وطعم الناس وانتشروا وعقد على وزارته للحسن بن سليمان بن يرزيكن القادم عليه ، ثم

لفارس بن ميمون بن وردار وجعله رديفا له ورفع مكان ابن جرار عليهم كلهم واختص لمناجاته كاتبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبى عمرو ، ثم فتح الديوان وجعل يستركب كل من تساقط اليه من قبل أبيه ويخلع عليهم وارتحل الى المغرب وعقد على تلمسان لابن جرار وأنزله بالقصر القديم منها فاستمر بها واستبد الى أن قدم عليه بنو عبد الواد مجتمعين على سلطانهم عثمان ابن عبد الرحمن فقتلوه غرقا فى خبر طويل ، ولما انتهى الامير أبو عنان الى وادى الزيتون وشى اليه بالوزير الحسن بن سليمان وانه عازم على الفتك به بتازا تقربا الى السلطان أبى الحسن ووفاء بطاعته ، وانه قد داخل فى ذلك حافده منصور بن أبى مالك الثائر بفاس وأطلعه هذا الواشى على كتاب الوزير فى ذلك فلما قرأه تقبض عليه ثم قتله خنقا فى مساء ذلك اليوم وأغذ السير الى المغرب

وانتهى الخبر الى منصور صاحب فاس فزحف للقائه والتقى الجمعان بوادى أبى الاجراف من ناحية تازا فاختل مصاف منصور وانهزمت جموعه ولحق بفاس الجديد فتحصن بها وتبعه أبو عنان فأناخ عليه خارجها وقد تسايل الناس على طبقاتهم اليه وآتوه طاعتهم وكان قد سلك مع الرعية والجند من البذل والاستيلاف طريقا لم يسبق اليه ، وكانت منازلته لفاس الجديد فى ربيع الاخر من السنة المذكورة فأخذ بمخنقها وأجمع الايدى والفعلة على الالات لحصارها ، ثم أرسل الى مكناسة باطلاق أولاد أبى العلاء المعتقلين بالقصبة منها فأطلقوا ولحقوا به وحاصروا معه فاس الجديد وضيقوا عليها الى أن ضاقت أحوال أهلها واختلفت أهواؤهم ونزع الى أبى عنان أهل الشوكة منهم ، ثم أن ادريس بن عثمان بن أبى العلاء احتال فى فتح البلد بأن أظهر النزوع عن أبى عنان الى منصور المحصور فدخل البلد وتمكن منه وثار به فيمن معه من حاشيته واقتحمه الامير أبو عنان عليهم ونزل منصور على حكمه فاعتقله الى أن قتله بمحبسه واستولى على ذلك الملك ، وتسابقت اليه وفود الامصار للتهنئة بالبيعة وتمسك أهل سبتة بطاعة السلطان أبى الحسن ثم رجعوا عن ذلك وثاروا على عاملهم عبد الله بن على بن سعيد من طبقة الوزراء

فقبضوا عليه وقادوه الى أبى عنان مبايعين له متقربين به اليه وتولى كبر ذلك فيهم زعيمهم الشريف أبا العباس أحمد بن محمد بن رافع الصقلى من آل الحسين السبط رضى الله عنه كان سلفه قد انتقلوا من صقيلة الى سبتة فاستوطنوها ، ثم استوطنوا بعدها حضرة فاس واستوسق للامير أبى عنان ملك المغرب واجتمع اليه قومه من بنى مرين الا من أقام مع أبيه بتونس وفاء بحقه وحص جناح أبيه عن الكرة على بنى كعب الناكثين لعهده الناكبين عن طاعته فاقام السلطان أبو الحسن رحمه الله بتونس يرجو الايام ويأمل الكرة والاطراف تنتقص والخوارج تتجدد وقنط من كان معه من حاشيته وسئموا المقام بارض ليست لهم بدار مقام فحسنوا له النهوض الى المغرب فأسعفهم وعزم على الرحلة كما نذكره ان شاء الله ، وفى هذه المدة كتب اليه السلطان ابو الحجاج يوسف بن الاحمر كتابا من انشاء وزيره لسان الدين ابن الخطيب يسائله عن أحواله ويعزيه عن مصابه ويتأسف له ونص الكتاب : « المقام الذى أقمار سعده فى انتظام واتساق ، وجياد عزه الى الغاية القصوى ذات استباق ، والقلوب على حبه ذات اتفاق ، وعناية الله تعالى عليه مديدة الرواق ، وايادیه الجمة فى الاعناق الزم من الاطواق ، وأحاديث مجده سمر النوادى وحديث الرفاق ، مقام محل ابينا الذى شأن قلوبنا الاهتمام بشأنه ، وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه ، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحط ببابه والالطاف الخفية تعرس فى جنابه والنصر العزيز يحف بركابه وأسباب التوفيق متصلة باسبابه والقلوب الشجية لفراقه مسرورة باقترابه ، معظم سلطانه الذى له الحقوق المحتومة ، والفواضل المشهورة المعلومة ، والمكارم المسطورة المرسومة والمفاخر المنسوقة المنظومة الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومة وحفظها على هذه الامة المرحومة الامير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر سلام كريم ، طيب عميم ، كما سطعت فى غياهب الشدة انوار الفرج وهبت نواسم ألطاف الله عاطرة الارج ، يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله

وبركاته ، أما بعد حمد الله جالى الظلم بعد اعتكارها ، ومقيل الايام من عثارها ومزين سماء الملك بشموسها المحتجبة وأقمارها ، ومريح القلوب من وحشة افكارها ، ومنشى سحاب الرحمة على هذه الامة بعد افتقارها ، وشدة اضطرابها واضطرارها ، ومتداركها باللطف الكفيل بتمهيد اوطانها وتيسير أوطارها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ، ولباب مجدها السامى ونجارها ، نبى الملاحم وخائض تيارها ، ومذهب رسوم الفتن ومطفىء نارها ، الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها ، حتى بلغت كلمة الله ما شاءت من سطوع انوارها ، ووضوح اثارها والرضا عن آله واصحابه الذين تمسكوا بعهده على احلاء الحوادث وامرارها وباعوا نفوسهم فى اعلاء دعوته الحنيفية واظهارها والدعاء لمقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها وانسحاب العناية الالهية واسدال استارها حتى تقف الايام بابكم موقف اعتذارها وتعرض على مثابتكم ذنوبها راغبة فى اغتفارها فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب السعادة وعرفكم عوارف الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المبين للصالحين من عباده من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى الشدائد الاعتماد . والى كنف فضله الاستناد ثم ببركة جاه نبينا الذى وضح بهدايته سبيل الرشاد الا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبر سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن مآلها فلله الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدر عذب زلالها وعندنا من الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة أيامه والدعاء الى الله تعالى فى اظهاره واتمامه ما لاتفى العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه والى هذا أيد الله تعالى أمركم وعلاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر والغائب وخلص الخلوص الذى لاتغيره الشوائب ما عندنا من الحب الذى وضحت منه المذاهب وانه لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التى صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمة وجعل على العباد والبلاد الوقاية

والنعمة لايستقر بقلوبنا القرار ولا تتأتى بأوطاننا الاوطار تشوفا لما تتيحه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا فى استئناف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بأن العاقبة للتقوى وفى هذه الايام عميت الانباء وتكالبت فى البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء وعاقت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجدللاتصال بكم سببا أو نلفى لاعانتكم مذهبا لما شغلنا البعد الذى بيننا اعترض والعدو بساحتنا فى هذه الايام ربض وكان خديمكم الذى رفع من الوفاء راية خافقة واقتنى منه فى سوق الكساد بضاعة نافقة الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلص الاصفى على أبو محمد ابن آجانا سنى الله مأموله وبلغه من سعادة أمركم سؤله وقد ورد على بابنا وتحيز الى اللحاق بجانبنا ليتيسر له من جهتنا القدوم ، ويتأتى له باعانتنا الغرض المروم فبينما نحن ننظر فى تتميم غرضه واعانته على الوفاء الذى قام بمفترضه اذ اتصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان التى استعنتم بها على الحركة والعزمة المقترنة بالبركة حطت احداهما بمرسى المنكب والاخرى بمرسى المرية فى كنف العناية الالهية فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة بعد التباسها والاخبار التى يغنى نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم المقرونة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى فى اللحاق بالاوطان التى يؤمن قدومكم خائفها ويؤلف طوائفها ويسكن راجفها ويصلح أحوالها ويذهب أهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقرة عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التى ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدتها قلائد السير الحسان وما منها الا من باح بمايخفيه من وجده وجهر بشكر الله تعالى وحمده وابتهل اليه فى تيسير غرض مقامكم الشهير وتتميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل الانتظار بديون آمالها والمطاولة من اعتلالها وأما نحن فلا تسألوا عمن استشعر دنو

حبيبه بعد طول مغيبه انما هو صدر راجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخديمكم المذكور من الوعد واغتنمنا ميقات هذا السعد ليصل سببه بأسبابكم ويسرع لحاقه بجنابكم فعنده خدم نرجو أن ييسر الله تعالى بحوله أسبابها ويفتح بنيتكم الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذى ندين له بالتشيع الكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الاقطار سبب الاعتداد ما يغنى عن القلم والمداد وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يلقيه الى مقامكم الرفيع العماد وكتبنا الى من بالسواحل من ولاتنا نحد لهم ما يكون عليه عملهم فى برمن يرد عليهم من جهة أبوتكم الكريمة ذات الحقوق العظيمة والايادى الحديثة والقديمة وهم يعملون فى ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جميل الاعتقاد ويعلم الله تعالى اننا لو لم تعق العوائق الكبيرة والموانع الكثيرة والاعداء الذين غصت بهم فى الوقت هذه الجزيرة ما قدمنا عملا على اللحاق بكم والاتصال بسببكم حتى نوفى لابوتكم الكريمة حقها ونوضح من المسرة طرقها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والى الله تعالى نبتهل فى أن يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل لكم السعد مصباحا ورفيقا ولا يعدمكم عناية منه وتوفيقا ويتم سرورنا عن قريب بتعريف أنبائكم السارة وسعودكم الدارة فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه أعمال ضراعتنا وابتهالنا هذا ما عندنا بادرنا لاعلامكم به أسرع البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم الاخبار بسعادة ملككم السامى المقدار وييسر ما له من الاوطار ويصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته » اهـ

ركوب السلطان ابى الحسن البحر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من المحن فى ذلك

كان الامير أبو العباس الفضل أبو السلطان أبى بكر الحفصى بعد أن لحق بعمله القديم من بونة قد وفد عليه مشيخة العرب من أولاد أبى الليل وأغروه بملك افريقية والنهوض الى تونس ومحاصرة السلطان أبى الحسن بها فأجابهم الى ذلك ونهض اليها بعد عيد الفطر سنة تسع وأربعين وسبعمائة فحاصرها مدة ثم انفض عنها ثم عاود حصارها ، ثم انفض عنها ودخل القفر مع أولاد أبى الليل الى أن بايعه أهل بلاد الجريد باشارة أبى القاسم بن عتو المقطوع ، ودخل فى طاعته توزر وقفصة ونفطة والحامة وقابس وجربة وانتهى الخبر الى السلطان أبى الحسن باستيلاء الفضل على هذه الامصار واستفحال أمره بها وانه ناهض الى تونس فاهمه شأنه وخشى على الامر ، وكانت بطانته توسوس اليه بالرحلة الى المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه مع ما أصابهم بتونس من الغلاء والموت الذريع فأجابهم الى ذلك وشحن أساطيله بالاقوات وأزاح علل المسافرين ، ولما قضى نسك عيد الفطر من سنة خمسين وسبعمائة ركب البحر فى فصل الشتاء وهيجان البحر وكلب البرد بعد أن عقد لابنه أبى الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين عمر بن حمزة من المصاهرة وتفاديا بمكانه من معرة الغوغاء وثورتهم به ، وكانت مدة محاصرة السلطان أبى الحسن بتونس سنة ونصفا ، واتصل خبر رحيله بالفضل بن أبى بكر وهو ببلاد الجريد فاغذ السير الى تونس ونزل بها على أبى الفضل المرينى ومن كان معه من حاشيته وأهل دولته ثم اقتحمها واتصلت يده بيد أهل البلد ثم أحاطوا بالقصبة يوم منى حتى استنزلوا أبا الفضل على الامان فخرج الى دار أصهاره من بنى حمزة فبقى عندهم حتى أنفذوا معه من أوصله الى أبيه فلحق به بثغر الجزائر

وأما السلطان أبو الحسن وجيشه الراكب البحر معه فانهم لما لججوا احتاجوا الى الماء فدخلوا مرسى بجاية لخمس ليال من اقلاعهم عن تونس

فمنعهم صاحب بجاية الحفصى من النورود وأوعز الى سائر سواحله بمنعهم فزحفوا الى الساحل وقاتلوا من صدهم عن الماء الى أن غلبوهم واستقوا وأقلعوا ثم عصفت بهم الريح فى تلك الليلة وجاءهم الموج من كل مكان وتكسرت الاجفان وغرق الكثير من بطانة السلطان وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان فألقاه على حجر قرب الساحل من بلاد زواوة عارى الجسد مباشرا للموت ، وقد هلك من كان معه من الفقهاء والعلماء والكتاب والاشراف والخاصة وهو يشاهد مصارعهم واختطاف الموج لهم من فوق الصخور التى تعلقوا بها فمكثوا ليلتهم على ذلك وصبحهم جفن من بقية الاساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف فبادر أهل الجفن اليه حين رأوه فاحتملوه وقد تصايح به البربر من الجبال وتواثبوا اليه حين وضح النهار وأبصروه ، فتداركه الله بهذا الجفن فاحتملوه وقذفوا به فى مدينة الجزائر

وفى نفح الطيب أن أساطيل السلطان أبى الحسن كانت نحو الستمائة فغرقت كلها ونجا هو على لوح وهلك من كان معه من أعلام المغرب وهم نحو أربعمائة عالم منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان السطى شارح الحوفى ، وأبو عبد الله محمد بن الصباغ المكناسى الذى أملى فى مجلس درسه بمكناسة على حديث يا أبا عمير ما فعل النغير أربعمائة فائدة ، والاستاذ الزواوى أبو العباس وغير واحد وكان غرق الاسطول على ساحل تدلس . وذكر الشيخ أبو عبد الله الابى فى شرح مسلم كلامه على أحاديث العين ما معناه : أن رجلا كان بتلك الديار معروفا باصابة العين فسأل منه بعض الموتورين للسلطان أبى الحسن أن يصيب أساطيله بالعين وكانت كثيرة نحو الستمائة فنظر اليها الرجل العائن فكان غرقها بقدرة الله الذى يفعل ما يشاء ونجى السلطان بنفسه وجرت عليه محن اهـ

ولما احتل بالجزائر وقد تمسك أهلها بطاعته استنشق ريح الحياة ولأم الصدع وأقام الرسم وخلع على من وصل اليه من فل الاساطيل واستلحق واستركب ولحق به ابنه الناصر من بسكرة والتف عليه بعض العرب من أحواز الجزائر ووفد عليه أولياؤه من عرب سويد فنهض الى جهة تلمسان

وقد استولى عليها بنو زيان وسلطانهم عثمان بن عبد الرحمن فبرز اليه أبو ثابت أخو عثمان المذكور ولما التقى الجمعان اختل مصاف السلطان أبى الحسن واستبيح معسكره وانتهبت فساطيطه وقتل ابنه الناصر ، وظهر يومئذ من بسالته وصدق دفاعه وشدة حملاته حتى أنه اركب ظعائنه وخلص محاميا عنها واحتمل ولده جريحا فتوفى بالطريق فواراه فى التراب وأخفى قبره ، ثم خلص الى الصحراء مع وليه ونزمار بن عريف بن يحيى السويدى ولحق بحلل قومه قبلة جبل وانشريس وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت عزه ودار ملكه فارتحل معه وليه ونزمار بالناجعة من قومه وخرجوا الى جبل راشد ثم قطعوا المفاوز الى سجلماسة فى القفر ، فلما أطلوا عليها وعاين أهلها السلطان تهافتوا عليه تهافت الفراش على ضوء السراج حتى خرج اليه العذارى من ستورهن ميلا اليه ورغبة فى ولايته ، وفر العامل بسلجماسة الى منجاته

وكان الامير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصد أبيه سجلماسة نهض اليه فى قومه وجموعه بعد أن أزاح عللهم وأفاض عطاءه فيهم ، وكانت بنو مرين نافرة عن السلطان أبى الحسن حاذرة من عقوبته لجنايتهم بالتخاذل فى المواقف والفرار عنه فى الشدائد ولما كان يبعد بهم فى الاسفار ويتجسم بهم المهالك والاخطار فكانوا لذلك مجمعين على منابذته ومخلصين فى طاعة ابنه ، ولما اتصل خبر قدومهم بالسلطان أبى الحسن علم من حاله أنه لايطيق دفاعهم وكان ونزمار قد أجفل عنه فى قومه سويد لان أباه عريف بن يحيى كان قد نزع الى أبى عنان قبل قدوم السلطان من تونس فأكرم محله ورفع منزلته فكتب الى ابنه ونزمار ينهاه عن ولاية السلطان أبى الحسن ومظاهرته له وأقسم له لئن لم يفارق السلطان ليوقعن بابنه عنتر وكان معه فى جملة الامير أبى عنان فآثر ونزمار رضا أبيه وعلم أن غناءه عن السلطان فى وطن المغرب قليل فأجفل عنه ولحق ببسكرة فكان بها الى أن رجع الى أبى عنان بعد هذا ، ولما قرب أبو عنان من سجلماسة أجفل السلطان عنها الى ناحية مراكش ودخل أبو عنان سجلماسة فثقف أطرافها وسد فروجها وعقد عليها ليحتاتن بن عمر بن عبد المومن كبير بنى ونكاسن وبلغه أن أباه قد سار الى مراكش فاعتزم على اتباعه اليها فلم تطاوعه بنو مرين فرجع بهم الى فاس الى أن كان ما نذكره

استيلاء السلطان أبي الحسن على مراكش ثم انهزامه عنها إلى هنتاتة اهل جبل درن ووفاته هنالك

لما أجفل السلطان أبو الحسن عن سجلماسة سنة احدى وخمسين وسبعمائة قصد مراكش وركب اليها الاوعار من جبال المصامدة ، ولما شارفها تسارع اليه أهل جهاتها بالطاعة من كل أوب ونسلوا اليه من كل حذب ، وفر عامل مراكش الى أبى عنان ونزع الى السلطان أبى الحسن صاحب ديوان الجباية أبو المجد بن محمد بن أبى مدين بما كان فى الخزانة من مال الجباية فاختصه واستكتبه وجعل اليه علامته ، واستركب واستلحق وجبى الاموال وبث العطاء ودخل فى طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة ، وثاب له بمراكش ملك رجى معه أن يستولى على سلطانه ويرتجع فارط أمره

وكان أبو عنان لما رجع الى فاس عسكر بساحتها وشرع فى العطاء وازاحة العلل ، ثم ارتحل فى جموع بنى مرين الى مراكش وبرز السلطان أبو الحسن للقائه وانتهى كل واحد من الفريقين الى وادى أم الربيع وتربص كل واحد بصاحبه عبور الوادى فعبره أبو الحسن ، وكان اللقاء بتامدغوست فى آخر صفر من سنة احدى وخمسين وسبعمائة فاختل مصاف السلطان وانهزم عسكره ، ولحق به أبطال بنى مرين ثم راجعوا عنه حياء وهيبة وكبى به فرسه يومئذ فى مفره فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله ، فاعترضهم دونه أبو دينار سليمان بن على بن أحمد أمير الذواودة من عرب رياح ورديف أخيه يعقوب كان هاجر مع السلطان من الجزائر ولم يزل فى جملته الى هذا اليوم فدافع عنه حتى ركب وسار من ورائه ردأ له ، وأسر حاجبه علال بن محمد فأودعه أبو عنان السجن ثم امتن عليه بعد وفاة أبيه

وخلص السلطان أبو الحسن رحمه الله الى جبل هنتاتة من جبال درن ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن على الهنتاتى فنزل عليه وأجاره واجتمع اليه الملأ من قومه هنتاتة ومن انضاف اليهم من المصامدة وتآمروا وتعاهدوا

على المدافعة عنه وبايعوه على الموت وجاء أبوعنان على أثره حتى احتل بمراكش وأنزل عساكره على جبل هنتاتة ورتب المسالح لحصاره وحربه وطال عليه ثواؤه حتى طلب السلطان من ابنه الابقاء عليه وأن يبعث اليه حاجبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبى عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الامير أبى عنان والتمس له الرضا منه فرضى عنه وكتب له بولاية عهده وأوعز اليه بأن يبعث له مالا وكسى فسرح الحاجب ابن أبى عمر باخراجها من المودع بدار ملكهم واعتل السلطان خلال ذلك فمرضه أولياؤه وخاصته وافتصد لاخراج الدم ثم باشر الماء للطهارة فورم محل الفصادة ومات رحمه الله فى الثالث والعشرين من ربيع الثانى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (*) هكذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما ، والذى رأيته مكتوبا بالنقش على رخامة قبره بشالة أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الاول من السنة المذكورة وبعث أولياء السلطان بالخبر الى ابنه وهو بمعسكره من ساحة مراكش ورفعوه على أعواد نعشه اليه فتلقاه حافيا حاسرا ، وقبل أعواده وبكى واسترجع ورضى عن أوليائه وخاصته وأنزلهم بالمحل الذى رضوه من دولته ؛ ثم دفن أباه بمراكش قبلى جامع المنصور من القصبة بالموضع الذى به اليوم قبور الملوك الاشراف السعديين ، ثم لما نهض أبو عنان الى فاس احتمل شلو أبيه معه حتى دفنه بشالة مقبرة سلفهم ولا زال ضريحه قائم العين والاثر الى الان رحمه الله تعالى

بقية أخبار السلطان ابى الحسن وسيرته

كان السلطان أبو الحسن رحمه الله أسمر طويل القامة عظيم الهيكل معتدل اللحية حسن الوجه ، وكان عفا مائلا الى التقوى ، مولعا بالطيب لم يشرب الخمر قط لافى صغره ولا فى كبره ، محبا للصالحين عدلا فى رعيته

(*) حكى المؤلف قولا آخر فى كتابه « كشف العرين عن ليوث بنى مرين » انه مات مسموما ، وفى الروضة انه مات بذات الجنب والله أعلم .

يحب الفخر ويعنى به ، وقال بعض المشارقة فى حقه ما صورته : «ملك أضاء المغرب بأنوار هلاله ، وجرت الى المشرق أنواء نواله وطابت نسماته واشتهرت عزماته كان حسن الكتابة كثير الانابة ذا بلاغة وبراعة وشهامة وشجاعة» . اه وبنى رحمه الله عدة مدارس منها المدرسة العظمى بمراكش قبلى جامع ابن يوسف ، قال العلامة اليفرنى فى «النزهة» : «ان الذى بناها هو السلطان أبو الحسن المذكور» قلت : «ومن وقف على هذه المدرسة وتأمل تنجيدها وتنميقها قدر قدر هذا السلطان وعلم عظم أهميته ومحبته للعلم وأهله» ومنها المدرسة العظمى بطالعة سلا قبلى المسجد الاعظم منها ، بناها رحمه الله على هيئة بديعة وصنعة رفيعة ؛ وأودع جوانبها من أنواع النقش وضروب التخريم ما يحير البصر ويدهش الفكر ، ووقف عليها عدة أوقاف رصع أسماءها بالنقش والاصباغ على رخامة عظيمة ثم نصب الرخامة بالحائط الجوفى منها كل ذلك محافظة على تلك الاوقاف أن تغير ، وأما المسجد الاعظم ومدرسته الجوفية فهما من بناء يعقوب المنصور الموحدى حسبما تقدم ذلك فى أخباره وعندى أن السور المحمول عليه الماء الداخل الى سلا المعروف عندهم بسور الاقواس من بناء السلطان أبى الحسن رحمه الله ، ولى فى ذلك مستند غريب: وهو أنى كنت ذات يوم أفاوض بعض القناقنة بسلا ممن كان يباشر أمر المياه بها ويصلح ما احتاج الى الاصلاح منها ، فقلت كالمستفهم لنفسى من غير قصد توجيه الخطاب اليه . يا ترى من الذى بنى سور الماء الداخل الى البلد ، فقال على البديهة : الذى بنى المدرسة هو الذى بنى سور الماء ، فقلت له وكنت متشوفا يومئذ لتحقيق ذلك . وما علمك بهذا ؟ فقال : ان بيلة المدرسة بنيت يوم بنيت المدرسة بدليل الزليج المرصوف حولها بالعمل الكبير الموجود نظيره فى سائر حيطان المدرسة وسواريها ، وهذه البيلة لم تتغير عن حالها الى أن باشرت اصلاحها فى هذه الايام ؛ فحفرت عن قنواتها وتتبعت مادة الماء الواصل اليها فاذا عمل تلك القوادس وصنعة بنائها حتى الكلس المفرغ عليها الجامع بينها مماثل لعمل قنوات مبنية بالسور المذكور ، داخلة فيه بحيث بنى عليها يوم تاسيسه من غير فرق بين هذه وتلك فى جميع عملهما ، وليس شىء

من القنوات الحادثة بعدهما يشبههما، فعلمت أن الذى بناهما واحد فأعجبنى كلامه وباحثته فى ذلك فصمم على معتقده وحاولت تشكيكه بكل وجه فلم يتشكك فظهر لى صدق دليله وغلب على ظنى ما جزم به وعند الله علم حقيقة الامر

واعلم أن هذا السور من المبانى العادية والهياكل العظيمة التى تدل على فخامة الدولة وكمال قوتها مثل ما يقال عن حنايا قرطاجنة ونحوها ، وهذا السور مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على أميال كثيرة ممتدا من القبلة الى الجوف على أضخم بناء وأحكمه ، موزون سطحه بالميزان الهندسى ليتأتى جريان الماء فوقه على استواء ولذلك ينخفض الى الارض متى ارتفعت ويعلو عنها اذا انخفضت ، ويجرى على متنه من الماء مقدار النهر الصغير فى ساقية قد اتخذت له ، ولما شارف البلد عظم ارتفاعه جدا لاجل انخفاض الارض عنه وكلما مر فى سيره بطريق مسلوك نتحت له فيه أقواس فسمى لذلك سور الاقواس ، وبالجملة فهو شاهد لبانيه بضخامة الدولة وعظم الهمة ،

وللسلطان أبى الحسن رحمه الله بفاس ومكناسة وغيرهما من بلاد المغرب آثار كثيرة ، فمن آثاره بفاس بيلة الرخام الابيض المجلوبة من المرية زنتها مائة قنطار وثلاثة وأربعون قنطارا ، سيقت من المرية الى مرسى العرائش ثم طلعت فى وادى قصر كتامة ؛ ثم حملت على عجل الخشب تجرها القبائل الى منزل أولاد محبوب الذين على ضفة وادى سبو فوسقت فيه الى أن وصلت الى ملتقاه مع وادى فاس ، ثم حملت على عجل الخشب أيضا يجرها الناس الى أن وصلت الى مدرسة الصهريج التى بعدوة الاندلس ؛ ثم نقلت منها بعد ذلك بأعوام الى مدرسة الرخام التى أمر رحمه الله ببنائها جوف جامع القرويين المعروفة اليوم بمدرسة مصباح ، ومصباح هذا هو ابو الضياء مصباح ابن عبد الله الياصلوتى الفقيه المشهور ، وانما نسبت اليه لان السلطان أبا الحسن لما بناها كان أبو الضياء أول من تصدى للدرس بها فنسبت اليه وقد تقدم لنا خبر المدرسة التى بناها غربى جامع الاندلس ايام أبيه وانفق عليها اكثر من مائة الف دينار ، ومن آثاره بمكناسة الزيتون الزاويتان القدمى والجديدة وكان بنى القدمى فى زمان أبيه والجديدة حين ولى الخلافة ، وله

فى هذه المدينة عدة آثار سوى الزاويتين من القناطر والسقايات وغيرها ، ومن أجل ذلك المدرسة الجديدة بها وكان قدم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ولما تم بناؤها جاء اليها من فاس ليقف عليها ويرى عملها وصنعتها فقعد على كرسى من كراسى الوضوء حول صهريجها ، وجىء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها ، فغرقها فى الصهريج قبل أن يطالع ما فيها وأنشد :

لا بأس بالغالى اذا قيل حسن ليس لما قرت به العين ثمن

وكان له معرفة بالشعر فمن شعره قوله :

أرضى الله فى سر وجهر وأحمى العرض عن دنس ارتياب
وأعطى الوفر من مالى اختيارا وأضرب بالسيوف طلى الرقاب

وأخباره كثيرة ومن أراد الوقوف على تفاصيلها فعليه بكتاب الخطيب بن مرزوق الذى الفه فى دولته وسيرته وسماه « المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبى الحسن » ولما ذكر الوزير ابن الخطيب فى كتابه رقم الحلل هذا السلطان وصفه بقوله :

الملك المعدود من خير سلف ومجموع القول اذا القول اختلف
الدين والعفاف والجلاله والعز والقدرة والجزاله
والعلم والحلم وفضل الدين وصفوة الصفوة من مرين
ممهد الملك ومسدى المنن وواحد الدهر وفخر الزمن
بانى المبانى النخبة الشريفة بمقتضى همته المنيفه
وتارك المدارس الظريفة شاهدة بأنه الخليفه
وقاطع الدهر بغير لهو فى مجلس معظم أو بهو
اما لتدريس وعلم يدرس أو لبلاد من عدو تحرس
أو لاياد فى عباد تغرس أو لثواب ورضا يلتمس
أو نسخ قرآن وعرض حزب أو عدة معدة لحرب

ومن أعيان وزرائه عامر بن فتح الله السدراتى ، وعبد الله بن ابراهيم الفودودى ومن أعيان كتابه أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى

وابو محمد بن عبد الله بن ابى مدين العثمانى ، وابو الحسن على بن القبايلى التينمللى رحم الله الجميع بمنه

ولنذكر ما كان من الاحداث فى هذه المدة :

ففى سنة سبعمائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق تلمسان الجديدة المسماة بالمنصورة حسبما تقدم الخبر عنها مستوفى

وفى سنة احدى عشرة وسبعمائة كان القحط بالمغرب فاستسقى الناس وخرج السلطان أبو سعيد ماشيا على قدميه لاقامة سنة الاستسقاء وذلك يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وتقدمت أمامه الصلحاء والفقهاء والقراء يدعون الله تعالى ، وقدم بين يدى نجواه صدقات ، وفرق اموالا ، وفى يوم السبت بعده خرج فى جنده الى قبر الشيخ ابى يعقوب الاشقر بجبل الكندرتين فدعا هنالك ورحم الله تعالى عباده وغاث ارضه وبلاده

وفى سنة تسع عشرة وسبعمائة توفى الشيخ أبو الحسن على بن محمد بن عبد الحق الزرويلى المعروف بالصغير بضم الصاد وفتح الغين وكسر الياء المشددة قاله ابن الخطيب فى الاحاطة ، وكان ربعة آدم اللون خفيف العارضين يلبس أحسن زى ، ويدرس بجامع الاجدع من فاس يقعد على كرسى عال ليسمع القريب والبعيد على انخفاض كان فى صوته وكان حسن الاقراء وقورا صبورا ثبتا ، وكان أحد الاقطاب الذين تدور عليهم الفتيا بالمغرب فيحسن التوقيع عليها على طريق الاختصار وترك فضول

---

* قد ذكر صاحب روضة النسرين بعض اولادالسلطان ابى الحسن فقال :« اولاده الذكور السلطان ابو عمر تاشفين والسلطان ابو عنان فارس والسلطان ابو سالم ابراهيم والسلطان ابو فارس عبد العزيز وابو مالك عبد الواحد وابو عبد الرحيم يعقوب وابو عامر عبد الله وسعود وداوود ويوسف وعبد الحق وابو غالب محمد وأحمد ومحمد المنتصر بالله ومحمد المسعود بالله . بناته : حضرية وام العز وتابو وتاعزنت وسونة وريمة ويامنة والزهراء وصفية وزروا وكان جميع ما ولد بين ذكر وانثى وسقط وغيره الفا وثمانمائة واثنين وستين اخبرنى بذلك ثقته الشيخ المعمر علال بن محمد بن« مصمود الهسكورى ».

القول ولاه السلطان ابو الربيع القضاء بفاس وشد عضده فجرى فى العدل على صراط مستقيم ،

وفى سنة احدى وعشرين وسبعمائة توفى الشيخ أبو العباس احمد ابن محمد بن عثمان الازدى المراكشى المعروف بابن البناء الامام المشهور فى علم التعاليم والهيئة والنجوم والازياج وغير ذلك ، وكان رحمه الله عز وجل معروفا باتباع السنة موسوما بطهارة الاعتقاد منعوتا بالصلاح وكان انتفاعه بصحبة الشيخ ابى زيد الهزميرى رضى الله عنه

وفى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فى ذى القعدة منها هبت ريح شديدة بفاس ومكناسة واحوازهما واستمر هبوبها يومين وليلتين فعاقت عن الاسفار وهدمت الدور وقلعت الاشجار .

وفى سنة ثلاث وعشرين بعدها فى المحرم منها جرت العين الموالية للمشرق من عيون صنهاجة باحواز فاس بدم عبيط من وقت العصر الى نصف الليل ثم عادت الى حالها وفيها كان المطر العظيم واالثلج الكثير بالمغرب وعدم الفحم والحطب حتى بيع الفحم بفاس بدرهمين للرطل ، وفى جمادى الاولى منها احترق سوق العطارين الكبرى بفاس فجدده السلطان ابو سعيد من باب مدرسة العطارين الى رأس عقبة الجزارين ، وعقد عليه هنالك بابا ضخما وافرده للعطارين دون غيرهم

وفى سنة أربع وعشرين وسبعمائة كانت المجاعة بالمغرب وارتفعت الاسعار فى جميع البلاد فبلغ المد من القمح بفاس خمسة عشر درهما والصحفة منه تسعين دينارا وغلا الادام وعدمت الخضر بأسرها ، وكسى السلطان ابو سعيد واطعم فى هذه المسغبة شيأ كثيرا ، ودام ذلك الى قرب منتصف السنة بعدها ، وفيها فى يوم الثلاثاء ثالث عشر رمضان منها نشأ خارج فاس من جهة جوفيها سحاب عظيم وظلمة شديدة ورياح عاصفة أعقب ذلك برد كثير عظيم الجرم تزن الواحدة منه ربع رطل واقل واكثر ونزل فى خلاله مطر وابل جاءت منه السيول طامية حملت الناس والدواب واهلكت جميع ما بجبل زالغ من الكروم والزيتون وسائر الشجر

وفى سنة خمس وعشرين بعدها ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادى منها دخل السيل العظيم مدينة فاس وكاد ياتى عليها بحيث هدم الدور والمساجد والاسواق واهلك ءالافا من الخلق حتى خيف على البلد التلف

وفى سنة ست وعشرين وسبعمائة انتهى تاريخ ابن أبى زرع المسمى « بالانيس المغرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » ومما هو الغاية فى باب الاغراب ما ذكره ابن خلدون قال : « حضر أشياخنا بمجلس السلطان ابى الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل الجزيرة الخضراء ورندة حبستا أنفسهما عن الاكل جملة منذ سنين وشاع أمرهما ووقع إختبارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان ماتتا وذكرهما ايضا الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرى فى كتابه المسمى بـ « المحاضرات » قال : « وردت على تلمسان فى العشرة الخامسة من المائة الثامنة امرأة من رندة لا تأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تتغوط وتحيض فلما اشتهر هذا من امرها انكره الفقيه ابو موسى ابن الامام وتلى: «كانا ياكلان الطعام» فأخذ الناس يبثون ثقات نسائهم ودهاتهن اليهافكشفوا عنها بكل وجه يمكنهن فلم يقفن على غير ما ذكر ، وسئلت هل تشتهين الطعام ، فقالت : « هل تشتهون التبن بين يدى الدواب » وسئلت هل ياتيها شىء فاخبرت « انها صامت ذات يوم فادركها الجوع والعطش فنامت فأتاها آت فى النوم بطعام وشراب فأكلت وشربت فلما أفاقت وجدت نفسها قد استغنت فهى على تلك الحال تؤتى فى المنام بالطعام والشراب الى الان » ، ولقد جعلها السلطان فى موضع بقصره وحفظها بالعدول ومن يكشف عما عسى تجىء أمها به اذا أتت اليها أربعين يوما فلم يوقف لها على أمر ، قال : « بيد انى اردت ان يزاد فى عدد العدول ويضم اليهم الاطباء ومن يخوض فى المعقولات من علماء الملل المسلمين وغيرهم ويوكل من نساء الفرق من يبالغ فى كشف من يدخل اليها ولا يترك احدا يخلو بها (وبالجملة) يبالغ فى ذلك ويستدام رعيها عليه سنة لا حتمال ان يغلب عليها طبع فتستغنى فى فصل دون فصل ، ثم يكتب هذا فى العقود

ويشاع أمره فى العالم ، وذلك لانه يهدم حكم الطبيعة الذى هو اضر الاحكام على الشريعة ، ويبين كيفية غذاء أهل الجنة ، وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ويبطل التأثير والتولد ، ويوجب أن الاقترانات بالعادات لا باللزوم ، وعند الاسباب لابها الى غير ذلك ، الا انى لما أشرت بهذا انقسم من أشرت عليه بتبليغه الى من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع به راسا لايثار الدنيا على الدين فانا لله وانا اليه راجعون .

قال المقرى : « وقد ذكر أن أمرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة » وحدثنى غير واحد من الثقات ممن ادرك عائشة الجزرية انها كانت كذلك ، وان عائشة بنت أبى بكر يعنى زوجة السلطان ابى الحسن التى استشهدت فى طريف اختبرتها اربعين يوما ايضا وكم من آية أضيعت وحجة نسيت مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة ، وكذلك الوباء العام القريب فروطه يوشك ان يطول أمره فينسى ذكره ويكذب المحدث به اذا انقضى عصره ، وكم فيه من ادلة على اصول الملة » اه كلام الشيخ ابى عبد الله المقرى رحمه الله ويعنى بالوباء القريب فروطه: وباء منتصف المائة الثامنة أيام كان السلطان أبو الحسن بتونس فانه كان وباء عظيما لم يعهد مثله قد عم أقطار الارض وتحيف العمران جملة حتى كاد ياتى على الخليقة أجمع والامور كلها بيد الله لايسئل عما يفعل وهم يسئلون

الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن ابي الحسن رحمه الله

كان السلطان محبوبا فى قومه وعشريته ، أثيرا عند والده متميزا بذلك عن سائر اخوته لفضله وعمله وصيانته وعفافه واستظهار القرآن الكريم وغير ذلك من الاوصاف الحسنة ، أمه ام ولد رومية اسمها شمس الضحى وقبرها بشالة معروف الى الان رأيت مكتوبا عليه بالنقش : « انها توفيت ليلة السبت رابع رجب الفرد سنة خمسين وسبعمائة ، ودفنت اثر صلاة

الجمعة في الخامس والعشرين من الشهر المذكور وحضر لدفنها أعيان المشرق والمغرب » ، اه وكان مولد السلطان أبى عنان بفاس الجديد فى الثانى عشر من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وسبعمائة وبويع فى حياة والده يوم ثار عليه بتلمسان حسبما قدمنا الخبر عنه وذلك يوم الثلاثاء منسلخ ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبعمائة . ولما هلك والده أبو الحسن بجبل هنتاتة وانقضى شأن الحصار ارتحل السلطان أبو عنان الى فاس ونقل شلو أبيه الى شالة فدفنه بها ، وأغذ السير الى فاس وقد استتب أمره وخلا له الجو فاحتل بدار ملكه وأجمع (*) أمره على غزو بنى عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذى تطاولوا اليه . ولما دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة نادى بالعطاء وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد وعرض جيشه ثم نهض يريد تلمسان

واتصل خبره بسلطانها أبى سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزيانى فجمع له قومه ومن شايعهم من زناتة والعرب ، ثم نهض اليه ومعه أخوه ووزيره أبو ثابت فكان اللقاء بسيط انكاد آخر ربيع الثانى من السنة المذكورة ، وأجمع بنوعبد الواد على صدمة المرينيين وقت القائلة وعند ضرب الابنية وسقاء الركاب وافتراق أهل المعسكر فى حاجاتهم ، فحملوا عليهم وأعجلوهم عن ترتيب المصاف وركب السلطان أبو عنان لتلافى الامر وخاض بحر القتال وقد أظلم الجو بالغبار ، حتى اذا خلص اليهم وخالطهم فى صفوفهم ولوا الادبار ، واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوهم قتلا وسبيا وصفدوهم أسرى ولم يزالوا فى اتباعهم الى الليل ، وتقبضوا على سلطانهم أبى سعد فساقوه الى السلطان أبى عنان فاعتقله ، وتقدم على التعبية الى تلمسان فدخلها فى ربيع المذكور واستوت فى ملكها قدمه ، وأحضر أبا

(*) فى بغية الرواد أن الامر كان على ما ينبغى بين أبى عنان وملك تلمسان أبى سعيد إلى أن كتب أبو عنان لابى سعيد متشفعا فى مغراوة الذين كان محاصرا لهم فرد شفاعته فحنق علي بنى عبد الواد من أجل ذلك واستنفر الناس لغزو تلمسان الخ بغية الرواد ص ١٥٨ وما بعدها جزء أول طبع الجزائر ١٣٢١ .

سعيد فوبخه وأراه أعماله حسرات عليه ، ثم أحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فأفتوا بحرابته وقتله فأمضى حكم الله فيه فذبح فى محبسه لتاسعة من اعتقاله

وفر أخوه الزعيم أبو ثابت الى قاصية الشرق بعد أن احتمل معه حرمه وحرم أخيه ومتخلفهم ، واحتل بوادى شلف من بلاد مغراوة فعسكر هنالك واجتمع عليه أوشاب من زناتة وحدث نفسه باللقاء ووعدها بالصبر والثبات

واتصل خبره بالسلطان أبى عنان فسرح اليه وزيره فارس بن ميمون فى عساكر بنى مرين والجند فأغذ السير اليهم ، ثم ارتحل السلطان أبو عنان من تلمسان على أثره ، ولما تراءى الجمعان تصادقا الحملة وخاض النهر بعضهم الى بعض ثم صدق بنو مرين الحملة فاجتازوا النهر وانكشفت بنو عبد الواد واتبع بنو مرين آثارهم فاستلحموهم ثانية واستباحوا معسكرهم واستاقوا نساءهم وأموالهم ودوابهم ، وكتب الوزير بالفتح الى السلطان أبى عنان وفر أبو ثابت الى قاصية الشرق فى نفر من عشيرته وبنى أبيه فاعترضتهم قبائل زواوة فانتهبوا أسلابهم وأرجلوهم عن خيولهم ومروا على وجوههم حفاة عراة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، وكتب الوزير الى أمراء الثغور فى شأن أبى ثابت وأصحابه فأذكوا العيون عليهم وقعدوا لهم بالمراصد حتى عثر عليهم بعض الحشم ، فقبضوا على أبى ثابت وابن أخيه أبى زيان بن أبى سعيد المقتول ووزيرهم يحيى بن دواد ، فرفعوهم الى أمير بجاية أبى عبد الله محمد ابن أبى زكرياء بن أبى بكر الحفصى وكان خالصة للسلطان أبى عنان منذ أيام والده فاعتقلهم عنده حتى وفد بهم عليه بلمدية ، فأكرم السلطان أبو عنان وفادته وركب للقائه ، ولما تراءيا نزل الحفصى عن فرسه اعظاما للسلطان فنزل السلطان مكافأة له ولقاه مبرة وكرامة ، وأودع أبا ثابت السجن وتوافت اليه وفود الذواودة بمكانه من لمدية فاكرم وفادتهم ، وأسنى عطاياهم من الخلع والحملان والذهب والفضة وانقلبوا خير منقلب ، ووافته بمكانه ذلك بيعة ابن مزنى عامل بسكرة والزاب مع وفدهم فأكرمهم ووصلهم ، وفرغ السلطان أبو عنان من شأن المغرب الاوسط وبث عماله فى نواحيه وثقف أطرافه وسمى الى تملك افريقية على ما نذكره ان شاء الله

تملك السلطان ابى عنان بجاية وتولية عمر بن على الوطاسى عليها

لما وفد أبو عبد الله الحفصى على السلطان أبى عنان بلمدية فى شعبان من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وبالغ فى اكرامه ناجاه بذات صدره ، وشكا اليه ما يلقاه من رعيته من الامتناع من الجباية والسعى فى الفساد وما يتبع ذلك من شقاق الحامية واستبداد البطانة ، وكان السلطان أبو عنان متشوفا لمثلها فأشار عليه بالنزول عنها وان يعوضه عنها ما شاء من بلاده ، فسارع الى قبول ذلك ودس اليه السلطان مع حاجبه محمد بن أبى عمرو أن يشهد بذلك على رؤوس الملأ ففعل وعوضه عنها مكناسة الزيتون ، ونقم بطانة الحفصى عليه ونزع بعضهم عنه الى افريقية وأمره السلطان أبو عنان أن يكتب بخطه الى عامله على بجاية بالنزول عنها وتمكين عمال السلطان منها ففعل ، وعقد أبو عنان عليها لعمر بن على الوطاسى من بنى الوزير الذين قدمنا خبر ثورتهم بحصن تازوطا أيام يوسف بن يعقوب ، ولما قضى السلطان أبو عنان حاجته من المغرب الاوسط واستولى على بجاية ثغر افريقية انكفأ راجعا الى تلمسان لشهود عيد الفطر بها ودخلها فى يوم مشهود ، وحمل أبا ثابت الزيانى ووزيره يحيى بن داوود على جملين ودخل بهما تلمسان يخطوان بهما فى ذلك المحفل بين السماطين فكانا عبرة لمن حضر ، ثم جنبا من الغد الى مصارعهما فقتلا قعصا بالرماح والى الله عاقبة الامور

ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن على الوطاسى بها

لما قدم عمر بن على الوطاسى بجاية واستقر بها ثقل أمره على نفوس أهلها لالفهم ملكة الحفصيين وانصباغهم بالميل اليهم ، فتربصوا بالوطاسى الدوائر وكان أبو عبد الله الحفصى قد استصحب معه فى وفادته على السلطان أبى عنان حاجبه فارحا مولى ابن سيد الناس ، فلما نزل للسلطان عن بجاية

نقم فارح عليه ذلك وأسرها فى نفسه الى أن بعثه الحفصى المذكور مع الوطاسى لينقل حرمه ومتاعه وماعون داره الى المغرب ، فانتهى الى بجاية وبينما هو يحاول ما أرسل فى شأنه شكا اليه الصنهاجيون سوء ملكة بنى مرين فنجع كلامهم فيه ونفث لهم بما عنده من الضغن ودعاهم الى الثورة بالمرينيين والقيام بدعوة الحفصيين ، فأجابوه الى ذلك وتواعدوا للفتك بعلى ابن عمر الوطاسى بمجلسه من القصبة ، وتولى كبرها منصور بن ابراهيم بن الحاج من مشيختهم وباكره فى داره على عادة الامراء ، ولما أكب عليه ليلثم أطرافه طعنه بخنجره ثم ولج عليه الباقون فاستلحموه وذلك فى ذى الحجة من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وثارت الغوغاء بالبلد وهتف الهاتف بدعوة أبى زيد بن محمد بن أبى بكر الحفصى صاحب قسنطينة ، وطيروا اليه بالخبر واستدعوه فتثاقل عنهم وبلغ الخبر الى السلطان أبى عنان فاتهم أبا عبدالله الحفصى بمداخلة حاجبه فارح فى ذلك فاعتقله بداره واعتقل وفدا من أشراف بجاية كانوا ببابه ، ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا أمرهم فى الرجوع الى طاعة السلطان أبى عنان واتفق رأيهم على أن يرقعوا هذا الخرق ويسدوا هذه الثلمة برأس الحاجب فارح وصنهاجة الثائرين معه ، وداخلهم فى ذلك القائد هلال مولى ابن سيد الناس ولما عزموا على أمرهم دعوا الحاجب فارحا الى المسجد ليفاوضوه فيما نزل بهم فأحس بالشر ولجأ الى دار الشيخ أبى العباس أحمد بن ادريس البجائى امام بجاية ومفتيها ، فاقتحموا عليه الدار وباشره مولاه محمد بن سيد الناس بطعنة فانفذه ورمى بشلوه من أعلا الدار ، فاحتزوا رأسه وبعثوا به الى السلطان أبى عنان وفر منصور بن ابراهيم بن الحاج وقومه صنهاجة عن البلد ، وسرح السلطان أبو عنان اليها حاجبه أبا عبد الله محمد بن أبى عمرو فى الكتائب فدخلها فاتح سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، وذهبت صنهاجة فى كل وجه ولحق أصحاب الفعلة منهم بتونس وتقبض الحاجب ابن أبى عمرو على جماعة من غوغاء بجاية المتهمين بالخوض فى الفتنة يناهزون المائتين فاعتقلهم وأركبهم الاسطول الى المغرب فأطمأن الناس وسكنوا ، وتوافت لديه وفود الذواودة من كل جهة فأجزل

صلاتهم ، ووفد عليه عامل الزاب يوسف بن مزنى فأكرم وفادته ، ثم ارتحل الى تلمسان غرة جمادى الاولى من السنة ومعه شيوخ الذواودة ووجوه بجاية

قال ابن خلدون : وكنت يومئذ فى جملتهم فجلس السلطان للوفد وعرض ما جنب اليه من الجياد والهدايا وكان يوما مشهودا ، وانصرفوا الى مواطنهم فاتح شعبان من السنة المذكورة ، قال : وانقلبت مع الحاجب بعد اسناء الجائزة والخلع والحملان من السلطان والوعد الجميل بتجديد ما الى قومى ببلدى من الاقطاعات ، ولما احتل الحاجب ابن أبى عمرو ببجاية ضبط أمرها وأقام أودها وألح على قسنطينة بترديد البعوث وتجهيز الكتائب الى أن أذعنوا للطاعة ومكنوه من تاشفين ابن السلطان أبى الحسن المنصوب هناك للفتنة وأوفد أبو زيد الحفصى صاحب قسنطينة ابنه على السلطان أبى عنان فقبل وفادته وشكر سعيه وانكفأ الحاجب ابن أبى عمرو الى بجاية وأقام بها الى أن هلك فى المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة فذهب حميد السيرة عند أهل البلد ، وعقد السلطان أبو عنان على بجاية لعبد الله بن على بن سعيد أحد وزرائه فنهض اليها فى ربيع من سنة ست وخمسين المذكورة فاستقر بها وسلك سنن الحاجب قبله وسيرته وجهز العساكر الى حصار قسنطينة الى أن كان من فتحها ما نذكره بعد ان شاء الله

خروج ابى الفضل ابن السلطان ابى الحسن ببلاد السوس ثم مقتله عقب ذلك

قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن لما ركب البحر من تونس الى المغرب عقد على تونس لابنه أبى الفضل هذا ، وانه لما أقلع عنها ثار أهل البلد وشيعة الحفصيين عليه فأخرجوه عنها ولحق بأبيه فكان معه الى أن هلك وخلص الامر الى السلطان أبى عنان فلحق به هو وأخوه أبو سالم ، ففكر أبو عنان فى أمرهما وخشى عاقبة ترشيحهما فأشخصهما الى الاندلس ليكونا مع الغزاة

والقرابة فى ايالة السلطان أبى الحجاج يوسف بن الاحمر ثم ندم على ذلك ولما استولى على تلمسان والمغرب الاوسط ورأى أن قد استفحل أمره واعتز سلطانه أنفد الرسل الى أبى الحجاج فى أن يشخصهما اليه لان مقامهما عنده أحوط لجمع الكلمة بخلاف ما اذا غابا عن حضرته ، وخشى أبو الحجاج غائلته عليهما فأبى من اسلامهما اليه وأجاب الرسل بأنه لايخفر ذمته ولايسىء جوار المسلمين المجاهدين لديه ، فغضب السلطان أبو عنان لذلك وقام وقعد وأمر حاجبه ابن أبى عمرو أن يكتب اليه ويبالغ فى التوبيخ واللوم ففعل الحاجب المذكور

قال ابن خلدون : وقد أوقفنى الحاجب على ذلك الكتاب ببجاية فقضيت عجبا من فصوله وأغراضه ، ولما قرأه أبو الحجاج ابن الاحمر دس الى أبى الفضل وكان أكبر الاخوين باللحاق بالطاغية وكانت بينهما ولاية ومخالصة فنزع اليه أبو الفضل وجهز الطاغية له أسطولا أركبه فيه وأنزله بساحل السوس من أرض المغرب ، ونذر السلطان أبو عنان بذلك فأوعز الى قائد أسطوله باعتراض أسطول الطاغية فاعترضه وأوقع به وكتب ابن الاحمر أثناءذلك كتابا الى السلطان أبى عنان يعتذر عن أمر أبى الفضل من انشاء وزيره لسان الدين ابن الخطيب ونصه :

«المقام الذى شهد الليل والنهار بأصالة سعادته وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن يناويه فاطرد والحمد لله جريان عادته فوليه متحقق لافادته وعدوه مرتقب لابادته وحلل الصنائع الالهية تضفو على اعطاف مجادته مقام محل أخينا الذى سهم سعده صائب وأمل من كاده خاسر خائب وسير الفلك المدار فى مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تصحبها الالطاف العجائب فسيان شاهد منه فى عصمة وغائب السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسددالسهم ماضى العزم، تجل سعوده عن تجور الوهم ولا زال مرهوب الحد ممتثل الرسم موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم ، فائزا بفلج الخصام عند لد الخصم معظم قدره وملتزم بره مبتهج بما يسببه الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره

فلان ، سلام كريم طيب بر عميم ، يخص مقامكم الاعلى ، ومثابتكم الفضلى التى حازت فى الفخر الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى فسح للككم الرفيع فى العز مدى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ، وجعل نجح آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب مريد ضره ضر نفسه وهاد اليه الجيش أهدى وما هدى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذى ملأ الكون نورا وهدى وأحيا مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا أعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا الذى بجاهه نلبس أثواب السعادة جددا ونظفر بالنعيم الذى لاينقطع أبدا والرضا عن آله وأصحابه الذين رفعوا السماء سنته عمدا وأوضحوا السبيل اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا وأصبح بناؤها مديدا مخلدا والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يتوالى مثنى وموحدا كما جمع للككم ما تفرق من الالقاب على توالى الاحقاب فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم منصورا ورأيكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيفى أودا وعزما يملأ أفئدة الكفر كمدا وجعلكم ممن هيأ له من أمره رشدا ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى كتابه العزيز والله أصدق موعدا من حمراء غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم فى آفاق العناية واعتقاد جميل صنع الله فى البداية والنهاية والعلم بأن ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بآية وأجرى جياد السعد فى ميدان لا يحد بغاية وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولاية ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز للككم المنصور عطفا ويسدل عليه من العصمة سجفا فقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ونعقد بين أنباء مسرته وبين الشكر لله حلفا ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله

زلفى ونؤمل من امداده ونرتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفى ونروى غلل النفوس وتشفى والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم وعضدكم فانا من لدن صدر عن أخيكم أبى الفضل ما صدر من الانقياد لخدع الآمال والاغترار بموارد الآل وفال رأيه فى اقتحام الاهوال وتورط فى هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الاحوال وناصب من أمركم السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقلال ومن ذا يزاحم الاطواد ويزحزح الجبال وأخلف الظن منا فى وفائه وأضمر عملا استأثر عنا باخفائه واستعان من عدو الدين بمعين فلا ورى لمن استنصر به زند ولا خفق لمن تولاه بالنصر بند وان الطاغية أعانه وأنجده ورأى أنه سهم على المسلمين سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك فأورده الهلك والظلم الحلك علمنا أن طرف سعادته كاب وسحائب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم يستقر من السداد فى غرز ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها وغايات الامور تظهر فى بداياتها وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لاتجهل ومن غالب أمر الله خاب منه المعول فبينما نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة وخمود تلك الشعلة الموقودة وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار ويهدى طرف المسرات على أكف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقق بخلوصنا الذى يعلمه عالم الاسرار فأعاد فى الافادة وأبدا وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى فعلم منه مآل من رام يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ويثير عجاجة المنازعة من بعد ركوب القتام هيهات تلك قلادة الله تعالى التى ما كان ليتركها بغير نظام ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حبالة لايفلتها قنيص وسددتم له من السعد سهما ماله عنه من محيص بما كان من ارسال جوارح الاسطول السعيد فى مطاره حائلا بينه وبين أوطاره فما كان الا التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقتياد والاستعمال فياله من زجر استنطق لسان الوجود مجدله واستنصر البحر فخذله وصارع القدر

فجدله لما جدله وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة ومنتسب الى نسبة غير سعيدة وشانىء غمرته من الكفار خدام الماء وأولياء النار تحكمت فيهم أطراف العوالى وصدور الشفار وتحصل منهم من تخطاه الحمام فى قبضة الاسار فعجبنا من تيسير هذا المرام واخماد الله لهذا الضرام وقلنا تكييف لايحصل فى الاوهام وتسديد لاتستطيع اصابته السهام كلما قدح الخلاف زندا أطفأ سعدكم شعلته أو أظهر الشتات ألما أبرأ يمن طائركم علته ماذاك الا لنية صدقت معاملتها فى جنب الله تعالى وصحت واسترسلت بركتها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التى أهمت فنحن نهنيكم بمنح الله ومنه ونسأله أن يلبسكم من اعانته أوقى جنه فأملنا أن تطرد آمالكم وتنجح فى مرضات الله أعمالكم فمقامكم هو العمدة التى يدافع العدو بسلاحها وتبلج ظلماته بصفاحها وكيف لانهنئكم بصنع على جهتنا يعود وبشابقنا تطلع منه السعود فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذى رسومه قد استقلت واكتفت وديمه بساحة الود قد وكفت والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عادة ولا يعدمكم عناية وسعادة وهو سبحانه يعلى مقامكم وينصر أعلامكم ويهنى الاسلام أيامكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته» اه

ولما نزل أبو الفضل بساحل السوس لحق بعبد الله السكسيوى صاحب الجبل المنسوب اليه ودعا لنفسه ، وكان ذلك اثر مقدم الحاجب ابن أبى عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، فجهز السلطان أبوعنان اليه عسكره من تلمسان وعقد على حرب السكسيوى وأبى الفضل لوزيره فارس بن ميمون بن وردار فسار حتى نزل على جبل السكسيوى وأحاط به وأخذ بمخنقه واختط مدينة لمعسكره وتجمير كتائبه بسفح ذلك الجبل سماها القاهرة ، ولما اشتد الحصار على السكسيوى بعث الى الوزير يسأله الرجوع الى طاعته المعروفة وأن ينبذ العهد الى أبى الفضل ، ففارقه وانتقل الى جبال المصامدة ، ودخل الوزير فارس أرض السوس فدوخ أقطارها ومهد

أكنافها وسارت الالوية والجيوش فى جهاتها ورتب المسالح فى ثغورها وأمصارها

وسار أبو الفضل يتنقل فى جبال المصامدة الى أن انتهى الى صناكة وألقى بنفسه على ابن الحميدى منهم مما يلى بلاد درعة فأجاره وقام بأمره ونازله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالى من مشيخة بنى عبد الواد كان السلطان أبو الحسن رحمه الله قد اصطنعه أيام فتحه لتلمسان فاستقر فى دولتهم واندرج فى صنائعهم ، فأخذ بمخنق ابن الحميدى وأرهبه بوصول العساكر والوزراء اليه ، وداخله فى التقبض على أبى الفضل وأن يبذل له من المال فى ذلك ما أحب ، فأجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الامير أبا الفضل ووعده من نفسه الدخول فى الامر وطلب لقاءه ، فركب اليه أبو الفضل ولما استمكن منه ابن مسلم تقبض عليه ودفع لابن الحميدى ما اشترط له من المال وأشخصه معتقلا الى أخيه السلطان أبى عنان سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله لليال يسيرة من اعتقاله خنقا بمحبسه وانقضى أمر الخوارج وتمهدت الدولة الى أن كان ما نذكره ان شاء الله

وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطانه الغنى بالله على السلطان أبى عنان رحمهم الله

كان السلطان أبو الحجاج يوسف بن الاحمر قد أوفد وزيره لسان الدين ابن الخطيب على السلطان أبى عنان اثر مهلك السلطان أبى الحسن معزيا له بمصابه ، فقدم ابن الخطيب وأدى الرسالة وجلى فى أغراض تلك السفارة وعاد الى غرناطة ، ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة بمصلى عيد الفطر وهو ساجد طعنه بعض الزعانف فأصماه لوقته ، وبايع الناس ابنه محمد بن يوسف الغنى بالله وقام بأمر دولته

مولاه رضوان الراسخ القدم فى قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالامر وانفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه من قبل ، واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديفا لرضوان فى أمره وتشاركا فى الاستبداد معا ، فجرت الدولة على أحسن حال ، ثم أن السلطان الغنى بالله بعث وزيره ابن الخطيب سفيرا عنه الى السلطان أبى عنان مستمدا له على عدوه الطاغية على عادة سلفه فى ذلك ، قال ابن الخطيب : لما أشرفت على مدينة فاس فى غرض هذه الرسالة خاطبنى الخطيب الرئيس أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمسانى بمنزل الشاطبى على مرحلة منها بما نصه :

ياقادما وافى بكل نجاح أبشر بما تلقاه من أفراح
هذى ذرى ملك الملوك فلذ بها تنل المنى وتفز بكل سماح
مغنى الامام أبى عنان يممن تظفر ببحر بالندا طفاح
من قاس جود أبى عنان فى الندا بسواه قاس البحر بالضحضاح
ملك يفيض على العفاة نواله قبل السؤال وقبل بسطة راح
فلجود كعب وابن سعد فى الندا ذكر محاه عن نداه ماح
ما أن سمعت ولا رأيت بمثله من أريحى للندا مرتاح
بسط الامان على الانام فأصبحوا قد ألحفوا منه بظل جناح
وهمى على العافين سيب نواله حتى حكى سح الغمام الساح
فنواله وجلاله وفعاله فاقت وأعيت السن المداح
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت كل المنى تنقاد بعد جماح
من كان ذا ترح فرؤية وجهه متلافة الاحزان والاتراح
فانهض أبا عبد الاله تفز بما تبغيه من أمل ونيل نجاح
لا زلت ترتشف الامانى راحة من راحة المولى بكل صباح

فالحمد لله يا سيدى وأخى على نعمه التى لاتحصى ، حمدا يؤم به جميعنا المقصد الاسنى فيبلغ الامد الاقصى ، فطالما كان معظم سيدى للاسى فى خبال وللاسف بين اشتغال بال واشتعال بلبال ولقدومكم على هذا المحل المولوى فى ارتقاب ولمواعيدكم بذلك فى تحقق وقوعه من غير شك

ولا ارتياب ، فها أنت تجتنى من هذا المقام العلى بتشيعك وجوه المسرة صباحا وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحا بحول الله تعالى ولسيدى الفضل فى قبول مركوبه الواصل اليه بسرجه ولجامه فهو من بعض ما لدى المعظم من احسان مولاه وانعامه ولعمرى لقد كان وافد على سيدى فى مستقره مع غيره فالحمد لله الذى يسر فى ايصاله على أفضل أحواله

قال ابن الخطيب : فراجعته بما نصه :

« راحت تذكرنى كؤس الراح ... والقرب يخفض للجنوح جناح
وسرت تدل على القبول كأنما ... دل النسيم على انبلاج صباح
حسناء قد غنيت بحسن صفاتها ... عن دملج وقلادة ووشاح
أمست تحض على الليادبمن جرت ... بسعوده الاقلام فى الالواح
بخليفة الله المؤيد فارس ... شمس المعالى الازهر الوضاح
ما شئت من شيم ومن همم غدت ... كالزهر أو كالزهر فى الادواح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه ... أنى يقاس الغمر بالضحضاح
أسنى بنى عباسهم بلوائه الـ ... ـمنصور أو بحسامه السفاح
وغدت مغانى الملك لما حلها ... تزرى ببدر هدى وبحر سماح
وحياة من أهداك تحفة قادم ... فى العرف منها راحة الارواح
ما زلت أجعل ذكره وثناءه ... روحى وريحانى الاريح وراح
ولقد تمازج حبه بجوارحى ... كتمازج الاجسام بالارواح
ولو أننى أبصرت يوما فى يدى ... أمرى لطرت اليه دون جناح
فالان ساعدنى الزمان وأيقنت ... من قربه نفسى بفوز قداح
ايه أبا عبد الاله وانه ... لنداء ود فى علاك صراح
أما اذا استنجدتنى من بعد ما ... ركدت لما جنت الخطوب رياح
فاليكها مهزولة وأنا امرؤ ... قررت عجزى واطرحت سلاح

سيدى أبقاك الله لعهد تحفظه ، ووﻻء بعين الوفاء تلحظه ، وصلتنى رقعتك التى ابتدعت وبالحق من مولى الخليفة صدعت والفتنى وقد سطت بى الاوحال حتى كادت تتلف الرحال والحاجة الى الغداء قد شمرت عن

كشح البطين وثانية العجماوين قد توقع فوات وقتها وان كانت صلاتها صلاة الطين والفكر قد غاض معينه وضعف وعلى الله جزاء المولى الذى يعينه ، فغزتنى بكتيبة بيان اسدها هسور وعلمها منصور وألفاظها ليس فيها قصور ومعانيها عليها الحسن مقصور واعتراف مثلى بالعجز فى المضايق حول ومنة وقول لا أدرى للعالم فكيف بغيره جنة لكنها بشرتنى بما يقل لمؤديه بذل النفوس وان جلت وأطلعتنى من السراء على وجه تحسده الشمس اذا تجلت بما أعلمتنى به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله فى عبده وصدق المخيلة فى كرم مجده وهذا هو الجود المحض والفضل الذى شكره هو الفرض وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للاسباب ولا مجازات للاعمال نسأل الله تعالى أن يبقى منها على الاسلام أوفى الظلال ويبلغها من فضله أقصى الآمال ووصل ما بعثه سيدى صحبتها من الهدية والتحفة الودية وقبلتها امتثالا واستجليت منها عتقا وجمالا وسيدى فى الوقت أنسب باتخاذ ذلك الجنس وأقدر على الاستكثار من اناث البهم والانس وأنا ضعيف القدرة غير مستطيع لذلك الا فى الندرة فلو رأى سيدى ورأيه سداد وقصده فضل وودادٌ أن ينقل القضية الى باب العارية من باب الهبة مع وجود الحقوق المترتبة لبسط خاطرى وجمعه وعمل فى رفع المؤنة على شاكلة حالى معه وقد استصحبت مركوبا يشق على هجره ويناسب مقامى شكله ونجره ، وسيدى فى الاسعاف على الله أجره ، وهذا أمر عرض وفرض فرض ، وعلى نظره المعول ، واعتماد أغضائه هو المعقول الاول والسلام على سيدى من معظم قدره وملتزم بره ابن الخطيب فى ليلة الاحد السابع والعشرين لذى القعدة سنة خمس وخمسين وسبعمائة والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الاجفان وظن أنه طوفان واللحاق فى غدها بالباب المولوى مؤمل بحول الله» اهـ

ولما قدم الوزير المذكور على السلطان المذكور تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها ومثل بين يديه واستأذنه فى انشاد شىء من الشعر

يقدمه بين يدى نجواه فاذن له وأنشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القـــدر علاك ما لاح فى الدجا قمـــر
ودافعت عنك كف قدرتـــه ما ليس يستطيع دفعه البشـــر
وجهك فى النائبات بدر دجـا لنا وفى المحل كفك المطـــر
والناس طرا بأرض أندلـس لولاك ما أوطنوا ولا عمـروا
ومن به مذ وصلت حبلهـــم ما جحدوا نعمة ولا كفـــروا
وجملة الامر انه وطـــن فى غير عليك ما له وطر
وقد أهمتهم نفوسهـــم فوجهونى اليك وانتظـــروا

فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الابيات وأذن له فى الجلوس وقال له قبل أن يجلس : « ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم » ثم أدى الرسالة ودفع الكتاب ولما عزموا على الانصراف أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوه

قال ابن خلدون: قال شيخنا القاضى أبو القاسم الشريف وكان معه فى ذلك الوفد « لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا »

ونص الكتاب الذى قدم به ابن الخطيب : «المقام الذى يغنى عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جميل العوائد أعطاف بأسه وجوده ونستضىء عند اظلام الخطوب بنور سعوده ونرث من الاعتماد عليه أسنى ذخر يرثه الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أبينا الذى رعى الاذمة شأنه وصلة الراعى سجية انفرد بها سلطانه ومواعد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل فى ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بوابه ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التى تدخرها لاولادها أولياؤه وأحبابه ويسطر فى صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كتائبه وكتابه معظم ما عظم من حقه السائر من اجلاله وشكر خلاله

على لاحب طرقه المستضىء فى ظلمة الخطب بنور أفقه الامير عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج ابن نصر سلام كريم بر عميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى لاراد لامره ولا معارض لفعله مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق الذى بيده ملاك الامر كله مقدر الآجال والاعمار فلا يتأخر شىء عن ميقاته ولا يبرح عن محله ، جاعل الدنيا مناخ نقلة ، لا يغتبط العاقل بمائه ولا بظله ، وسبيل رحلة فما أكثب ظعنه من حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبائه وسيد رسله الذى نعتصم بسببه الاقوى ونتمسك بحبله ونمد يد الافتقار الى فضله ونجاهد فى سبيله من كذب به أو حاد عن سبله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأحزابه وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره ومضاء فضله فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لاتطرق الخطوب حماها وعصمة ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورماها ، وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها وعزا يزاحم أجرام الكواكب منتماها من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم الله سبحانه تتواتر لدينا دفعا ونفعا وألطافه نتعرفها وترا وشفعا ومقامكم الابوى هو المستند الاقوى والمورد الذى ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى ومثابتكم العدة التى تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وأبقى مجدكم فانا لما نعلم من مساهمة مجدكم التى يقتضيها كرم الطباع وطباع الكرم وتدعو اليها ذمم الرعى ورعى الذمم ، نعرفكم بعد الدعاء لمككم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه وامتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه تعالى بالسعادة التى ألبسه حلتها والشهادة التى فى أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التى حتمها له وأوجبها وبما تصير لنا من أمره وضم بنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها لعبرة لمن ألقى السمع وموعظة تهز الجمع وترسل الدمع وحادثة أجمل الله تعالى فيها الدفع وشرح مجملها وان

أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة قوتها وحولها انه رضى الله تعالى عنه لما برز لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا سمة الخضوع للمولى الذى تضرع بين يديه رقاب العبيد آمنا بين قومه وأهله متسربلا فى حلل نعم الله تعالى وفضله قرير العين باكتمال عزه واجتماع شمله قد احترس بأقصى استطاعته واستظهر بخلصان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد أنفذت القضاء والقدر وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله لميقاته على حين الشباب غض جلبابه والسلاح زاخر عبابه والدين بهذا القطر قد أينع بالامن جنابه وأمر من يقول للشىء كن فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات الى فضله المطلوب الاشقى قيضه الله تعالى لسعادته غير معروف ولا منسوب وخبيث لم يكن معتبر ولا محسوب تخلل الصفوف المعقودة وتجاوز الابواب المسدودة وخاض الجموع المشهودة والامم المحشورة الى طاعة الله المحشودة لاتدل العين عليه شارة ولا بزة ولا تحمل على الحذر من مثله أنفة ولا عزة وانما هو خبيث ممرور وكلب عقور وحية سمها وحى محذور وآلة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأثبته وأعلق به شرك الحين فما أفلته قبض عليه من الخلصان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند الاستفهام جوابا يعقل ولا عثر على شىء عنه ينقل لطفا من الله أفاد براءة الذمم وتعاورته للحين أيدى التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد رحمه الله الى القصر وبه ذماء لم يلبث بعد الفتكة العمرية الا أيسر من اليسير وتخلف الملك بنظر من الطرف الحسير وينهض بالجناح الكسير وقد عاد جمع السلامة الى جمع التكسير الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب أن أقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع عماد بناء ملكه ولما شعث دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومشروفهم وأعلامهم ولفيفهم قدجمعه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم تختلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى فرى

ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس و لانبض للفتنة عرق ولا أغفل للدين حق فاستند النقل الى نصه ولم يعدم من فقيدنا غير شخصه وبادرنا الى مخاطبة البلاد نمهدها ونسكنها ونقرر الطاعة فى النفوس ونمكنها وأمرنا الناس بها بكف الايدى ورفع التعدى والعمل من حفظ شروط المسالمة المعقودة بما يجدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه بالانكار وصرفنا على النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخاطبنا صاحب قشتالة نرى ماعنده فى صلة السلم الى أمدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعفى على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واستبقوا تطير بهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار وكان على حذر من تصاريف الاقدار واختلاف الليل والنهار وأعاننا على اقامة دينه فى هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى والبحر الزخار وألهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد كرمه وان فقدنا والدنا فانتم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد والحب يتوارث كما ورد فى الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أعد مثلكم لبنيه فقد تيسرت من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشيدت مبانيه فالاعتقاد الجميل موصول والفروع لها فى التشيع اليكم أصول وفى تقرير فخركم محصول وأنتم ردء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى يعينهم بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند ما استقر هذا الامر الذى تبعت المحنة فيه المنحة وراقت من فضل الله تعالى ولطفه فيه الصفحة وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم وأعيانهم وتزاحمت على رقها المنشور خطوط أيمانهم وتأصلت قواعد ألفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء وسر وأحلى وأمر عملا بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقر والحب الذى ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كنا قد

خاطبنا من خدامكم من يبادر اعلامكم بالامور الا أنه أمر له ما بعده وحادث يأخذ حده ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها الى استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور بأعماله الكريمة ومقاصده الحسان ليكون أبلغ فى البر وأشرح للصدر وأوعب للبيان فوجهنا اليكم وزير أمرنا وكاتب سرنا الفقيه الاجل أبا عبد الله محمد بن الخطيب وألقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشيع اليه الى الركن الوثيق المبنى ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاغنى والثمرة العذبة المجنى فلاهتمامه بهذا الغرض الاكيد الذى هو أساس بنائنا وقامع أعدائنا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومضار الحال عليه والمرغوب من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية المعالى والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدكم من غير الايام والليالى وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويوالى نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته اه

وللسلطان الغنى بالله هذا مع السلطان أبى عنان رحمهما الله مراسلات عديدة ومكاتبات مديدة قد ذكر صاحب نفح الطيب منها جملة وافرة مع التنبيه على أسبابها فانظرها فيه ان شئت وأكرم السلطان أبو عنان الوزير ابن الخطيب فى هذه الوفادة وغيرها اكراما بليغا ولما انصرف عنه مدحه بقصيدة طويلة طنانة يقول فى أولها :

أبدى لداعى الفوز وجه منيب ... وأفاق من عذل ومن تانيب

ويقول فى أثنائها :

يا ناصر الدين الحنيف وأهله ... انضاء مسغبة وفل خطوب
حقق ظنون بنيه فيك فانهم ... يتعللون بوعدك المرقوب
ضاقت مذاهب نصرهم فتعلقوا ... بجناب عز من علاك رحيب
ودجا ظلام الكفر فى آفاقهم ... أوليس صبحك منهم بقريب
فانظر بعين العز من ثغر غدا ... حذر العدا يرنو بطرف مريب
نادتك أندلس ومجدك ضامن ... ألا يخيب لديك ذو مطلوب

وهى طويلة .

وفى سنة ست وخمسين وسبعمائة انتقض على السلطان أبى عنان وزيره وصاحب شوراه عيسى بن الحسين بن على بن أبى الطلاق من شيوخ بنى مرين ووجوهها ، وكان السلطان أبو عنان قد استعمله على جبل طارق فتمكنت رياسته به وانتقض على السلطان لاسباب يطول شرحها ، ثم التاثت حاله وضاقت مذاهبه فقبض عليه وأحضر بين يدى السلطان أبى عنان هو وابنه يوم منى من سنة ست وخمسين المذكورة فتنصلا واعتذرا فلم يقبل منهما وأودعهما السجن وضيق عليهما ، ولما كان آخر السنة أمر بهما فجنبا الى مصارعهما وقتل عيسى قعصا بالرماح وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف وأبى من مداواة قطعه فلم يزل يتخبط فى دمه الى أن هلك بعد ثلاثة أيام من قطعه وعقد السلطان على جبل طارق وسائر ثغور الاندلس لسليمان بن داوود ، ثم عقد بعده لولده أبى بكر السعيد وهو الذى تولى الملك بعده والله أعلم

رحلة السلطان أبي عنان إلى سلا وتطارحه (*) على وليها الاكبر أبى العباس ابن عاشر رضى الله عنه

كان لبنى مرين عموما وللسلطان أبى عنان خصوصا جنوح الى الخير ومحبة فى أهله وتعرض لمن يشار اليه بالصلاح واستمطار لطله ووبله ، وكان الشيخ الاشهر أبو العباس أحمد بن عاشر الاندلسى رضى الله عنه قد استوطن فى هذا التاريخ مدينة سلا ، وكان من الافراد الجامعين بين العلم والعمل المتمسكين بالكتاب والسنة ، الناهجين سنن السلف الصالح فى الزهد

(*) ما وقع لابى عنان مع ابن عاشر وقع نظيره لمولاى اسماعيل العلوى مع سيدى أحمد بن محمد بن عبد الله معن الاندلسى راجع ذلك في الجزء الاول من المقصد الاحمد لسيدى عبد السلام القادرى ص . ١٥٠ وما يليها فإنه مما يحسن الوقوف عليه والتنظير به رحم الله الجميع ولله در القائل: فقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

والورع والانقطاع عن الخلق جملة بحيث طار ذكره وعظم لدى الخاص والعام قدره ، فتحركت همة السلطان أبى عنان لزيارته والاقتباس مما يفتح الله به من وعظه واشارته ، فارتحل سنة سبع وخمسين وسبعمائة الى سلا فقدمها وحرص على الاجتماع بالشيخ المذكور ووقف ببابه مرارا فلم يأذن له وترصده يوم الجمعة بعد الصلاة ولما انفض الناس تبعه على قدميه والناس ينظرون اليه وهو لايراه فقال السلطان عند ذلك لقد منعنا من هذا الولى ، ثم أرسل اليه ولده راغبا ومستعطفا فأجابه بما قطع رجاءه من لقائه غير أنه كتب اليه كتابا وعظه فيه وذكره فسر السلطان أبو عنان بذلك الكتاب وحزن لما فاته من الاجتماع بالشيخ ، وقد ذكر الفقيه العلامة البركة أبو العباس أحمد ابن عاشر بن عبد الرحمن السلاوى المدعو بالحافى فى كتابه «تحفة الزائر فى مناقب الشيخ ابن عاشر» نص هذا الكتاب ولم يحضرنى الآن فانظره فيه وبالله تعالى التوفيق

غزوة السلطان أبي عنان افريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها

لما كان أيام التشريق من سنة سبع وخمسين وسبعمائة اعتزم السلطان أبو عنان على النهوض الى افريقية واضطرب معسكره بساحة فاس الجديد ، وبعث فى الحشد الى مراكش وأوعز الى بنى مرين بأخذ الاهبة للسفر وجلس للعطاء وعرض الجنود من لدن عزمه على النهوض الى شهر ربيع الاول من سنة ثمان وخمسين بعدها ، ثم ارتحل من فاس وسرح فى مقدمته وزيره فارس بن ميمون فى العساكر وسار هو فى ساقته على التعبية الى أن احتل ببجاية وتلوم لازاحة العلل ، ثم نازل الوزير قسنطينة وجاء السلطان على أثره ولما أطلت راياته وماجت الارض بجنوده ذعر أهل البلد وألقوا بأيديهم الى الاذعان ، وانفضوا من حول سلطانهم أبى العباس أحمد بن محمد ابن أبى بكر الحفصى وجاءوا مهطعين الى السلطان أبى عنان ، وتحيز

الحفصى فى خاصته الى القصبة ثم طلبوا الامان من السلطان أبى عنان فبذله لهم وخرجوا وأنزلهم بمعسكره أياما ، ثم بعث بأبى العباس فى الاسطول الى سبتة فاعتقله بها ، وعقد على قسنطينة لمنصور بن الحاج خلوف اليابانى من شيوخ بنى مرين وأهل الشورى منهم وأنزله بالقصبة فى شعبان من السنة المذكورة ، ووصلت اليه بيعات أمراء الاطراف من توزر ونفطة وقابس وغيرها ، ووفد عليه أولاد مهلهل أمراء بنى كعب من سليم وأقيال بنى أبى الليل منهم يستحثونه لملك تونس فسرح معهم العساكر وعقد عليها ليحيى ابن عبد الرحمن بن تاشفين * وبعث أسطوله فى البحر مددالهم وعقد عليه للرئيس محمد بن يوسف المعروف بالابكم من أمراء بنى الاحمر

وكان سلطان تونس يومئذ أبا اسحق ابراهيم بن أبى بكر الحفصى ولما اتصل به خبر بنى مرين أخرج حاجبه أبا محمد بن تافراجين لقتالهم فزحفت الجيوش الى تونس ووصل الاسطول الى مرساها فقاتلهم ابن تافراجين يوما أو بعض يوم ثم ركب الليل الى المهدية فتحصن بها ، ودخل أولياء السلطان الى تونس فى رمضان من سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وأقاموا بها الدعوة المرينية ، واحتل يحيى بن عبد الرحمن بالقصبة وأنفذ الاوامر وكتب الى السلطان أبى عنان بالفتح فعظم سروره ، ونظر بعد ذلك فى أحوال ذلك القطر وقبض أيدى العرب من رياح عن الاتاوة التى يسمونها الخفارة ، فارتابوا وطالبهم بالرهن عن الطاعة ، فأجمعوا الخلاف والتفوا على أميرهم يعقوب بن على ولحقوا بالزاب ؛ وارتحل السلطان فى أثرهم فأجفلوا أمامه الى القفر فخرب حصونهم التى بالزاب ورجع عنهم وحمل له ابن مزنى عامل بسكرة والزاب جبايته وأطلق المؤن للعسكر من الادام والحنطة والحملان والعلوفة ثلاثة أيام ، وكافأه السلطان على صنيعه فخلع عليه وعلى أهله وولده وأسنى جوائزهم

ورجع الى قسنطينة واعتزم على الرحلة الى تونس ، وضاقت العساكر ذرعا بشأن النفقات والابعاد فى الرحلة وارتكاب الخطر فى دخول

(*) التيربدى

افريقية ، فتمشت رجالاتهم فى الانفضاض عن السلطان وداخلوا الوزير فارس بن ميمون فى ذلك فوافقهم ؛ ثم أذن شيوخ العسكر ونقباؤه لمن تحت أيديهم من القبائل فى اللحاق بالمغرب حتى يبقوا منفردين وأنهى الى السلطان أبى عنان أن شيوخ العسكر قد عزموا على قتله ونصب ادريس بن عثمان بن أبى العلاء للامر فأسرها فى نفسه ولم يبدها لهم ، ورأى قلة من معه من الجند فارتاب وكر راجعا الى المغرب بعد أن كان ارتحل عن قسنطينة الى جهة تونس مرحلتين ؛ فانكفأ وأغذ السير الى فاس فاحتل بها غرة ذى الحجة من سنة ثمان وخمسين المذكورة ، وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون لانه اتهمه بمداخلة بنى مرين فى شأنه وقتله رابع أيام التشريق قعصا بالرماح ، وتقبض على مشيخة بنى مرين فاستلحمهم وأودع طائفة منهم السجن

ولما رجع السلطان أبو عنان من افريقية بلغ خبره الى الجهات ؛ فارتحل أبو محمد بن تافراجين من المهدية الى تونس ولما أطل عليها ثارت شيعة الحفصيين على من كان بها من جيش بنى مرين فنجوا الى السفن وركبوا البحر الى المغرب ، وجاء على أثرهم يحيى بن عبد الرحمن فيمن كان معه من العساكر وأولاد مهلهل وكان يوم الهيعة بناحية الجريد لاقتضاء جبايته فصوب الى المغرب واجتمعوا كلهم بباب السلطان أبى عنان فارجأ حركته الى العام القابل وكان ما نذكره ان شاء الله .

وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية

لما رجع السلطان أبو عنان من افريقية ولم يستتم فتحها بقى فى نفسه منها شىء وخشى على ضواحى قسنطينة من يعقوب بن على ومن معه من الذواودة المخالفين فأهمه شأنهم واستدعى سليمان بن داود من مكانه بجبل طارق وعقد له على وزارته وسرحه فى العساكر الى افريقية فنهض اليها فى ربيع من سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وكان السلطان أبو عنان لما خالف عليه يعقوب بن

على وفر الى القفر أقام مكانه أخاه المنازع له فى رياسة رياح ميمون بن على وقدمه على أولاد محمد من الذواودة وأحله بمكانه من رياسة البدو فنزع اليه عن أخيه يعقوب الكثير من قومه ، وتمسك بطاعة السلطان أيضا طوائف من أولاد سباع بن يحيى فانحاشوا جميعا للوزير ونزلوا بحللهم على معسكره

ثم ارتحل السلطان أبو عنان من فاس حتى احتل بتلمسان فأقام بها لمشارفة أحوال الوزير المذكور واحتل الوزير بوطن قسنطينة وبعث الى عامل بسكرة والزاب يوسف بن مزنى بأن تكون يده معه وأن يفاوضه فى أحوال الذواودة لرسوخه فى معرفتها؛ فارتحل اليه من بسكرة ونازلوا جبل أوراين(*) واقتضوا جبايته ومغارمه وشردوا المخالفين من الذواودة عن العيث فى الوطن فتم غرضهم من ذلك؛ وانتهى الوزير وعساكر السلطان الى أول أوطان افريقية من آخر مجالات رياح ، وانكفأ راجعا الى المغرب فوافى السلطان أبا عنان بتلمسان ووصلت معه وفود العرب الذين أبلوا فى الخدمة فوصلهم السلطان وخلع عليهم وحملهم وفرض لهم فى العطاء بالزاب وكتب لهم بذلك وانقلبوا الى أهليهم فرحين مغتبطين ، ووفد على أثرهم أحمد بن يوسف بن مزنى أوفده أبوه بهدية الى السلطان من الخيل والرقيق والدرق فتقبلها السلطان وأكرم وفادته ، ثم استصحبه الى فاس ليريه أحوال كرامته وليستبلغ فى الاحتفاء به واحتل بدار ملكه منتصف ذى القعدة من سنة تسع وخمسين وسبعمائة

وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله

لما وصل السلطان أبو عنان الى دار ملكه بفاس احتل بها بين يدى العيد الاكبر حتى اذا قضى الصلاة من يوم الاضحى أدركه المرض بالمصلى وأعجله طائف الوجع عن الجلوس للناس يوم العيد على العادة فدخل قصره ولزم فراشه

وذكر ابن خلدون ما حاصله : « انه كانت بين الوزير حسن بن عمر

(*) صوابه أوراس

الفودودى وبين ولى العهد أبى زيان محمد بن السلطان أبى عنان نفرة مستحكمة لسوء طويته وشر ملكته فاتفق الوزير المذكور مع من كان على رايه من أهل مجلس السلطان على تحويل الامر عنه الى غيره من ابناء السلطان فأجمعوا الفتك به والبيعة لاخيه أبى بكر السعيد طفلا خماسيا ، ثم أغروا الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى بتطلب أبى زيان ولى العهد فى نواحى القصر والتقبض عليه فدخل اليه وتلطف فى اخراجه من بين الحرم وقاده الى أخيه السعيد فبايع وثل الى بعض حجر القصر فأتلفت فيها مهجته واستقل الحسن بن عمر بالامر يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذى الحجة والسلطان أبو عنان أثناء ذلك يجود بنفسه ، وارتقب الناس دفنه يوم الاربعاء والخميس بعده فلم يدفن فارتابوا وفشى الكلام فدخل الوزير زعموا اليه بمكانه من قصره ثم غطه حتى أتلفه ودفن(*)يوم السبت وحجب الحسن بن عمر الولد المنصوب للامر وأغلق عليه بابه وتفرد بالامر والنهى دونه » انتهى وهذا أول مرض نزل بالدولة المرينية .

وقال فى الجذوة : « توفى السلطان أبو عنان قتيلا خنقه وزيره الحسن ابن عمر الفودودى يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة متم سنة تسع وخمسين وسبعمائة وسنه يوم توفى ثلاثون سنة »

بقية أخبار السلطان أبى عنان وسيرته

كان السلطان أبو عنان رحمه الله أبيض اللون تعلوه صفرة ؛ طويل القامة يشرف على الناس بطوله نحيف البدن عالى الانف حسنه ؛ أعين أدعج جهورى الصوت فى كلامه عجلة حتى لا يكاد السامع يفهم ما يقول ، عظيم اللحية تملأ صدره أسودها واذا مرت بها الريح تفرقت نصفين حتى يستبين موضع الذقن ؛ وكان فارسا شجاعا يقوم فى الحرب مقام جنده ، وكان فقيها

---

[*] بجامع المدينة البيضاء [فاس] وكانت دولته تسعة اعوام وتسعة أشهر .

يناظر العلماء الجلة عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من علمى العربية والحساب ؛ وكان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه ، حافظا للحديث عارفا برجاله ، فصيح القلم كاتبا بليغا ، حسن التوقيع شاعرا أنشد له صاحب الجذوة أشعارا حسنة من ذلك فى الحكمة قوله :

واذا تصدر للرياسة خامل * جرت الامور على الطريق الاعوج

وقال ابن الاحمر : «كنت يوما جالسا معه بمقعد ملكه من المدينة البيضاء بفاس فدخل عليه رجل يتصلح فلما نظر اليه قال بديهة :

تراهم فى ظواهرهم كراما ويخفون المكيدة والخداعا»

وللسلطان أبى عنان رحمه الله آثار دينية من بناء المدارس والزوايا وغير ذلك ، ومدرسته العنانية بفاس مشهورة الى الآن ؛ ومن مدارسه المدرسة العجيبة بحومة باب حسين من سلا وقد صارت اليوم فندقا يعرف بفندق اسكور ومما قاله أبو بكر بن جزى فى بعض ما أنشأه السلطان المذكور من الزوايا قوله :

هذا محل الفضل والايثار والرفق بالسكان والزوار
دار على الاحسان شيدت والتقى فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
هى ملجأ للواردين ومورد لابن السبيل وكل ركب سارى
آثار مولانا الخليفة فارس أكرم بها فى المجد من آثار
لا زال منصور اللواء مظفرا ماضى العزائم سامى المقدار
بنيت على يد عبدهم وخديم با بهم العلى محمد بن حدار
فى عام أربعة وخمسين انقضت من بعد سبعمئين فى الاعصار

وقال صاحب الجذوة: « حدثنى شيخنا أبو راشد اليدرى أن السلطان أبا عنان هو الذى أحدث بفاس العلم الازرق فى الصومعة يوم الجمعة »

وقال فى موضوع آخر منها :«حكى أن السلطان أباعنان المرينى صعد الصومعة يعنى بالقرويين ليعتبر المدينة وترتيبها ووقف على المنجانة وما اتصل بها فاستحسن ذلك وأنعم على الناظر فيها بمرتب وسع عليه فيه ليستعين به على القيام بشعائر الاسلام » وذلك فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، قال : وأمر باثر

ذلك بأن ينصب بأعلى الصومعة صارى من خشب وينشر فيه علم فى الاوقات التى يصلى فيها ، وفنار فيه سراج مزهر فى أوقات صلاة الليل ليستدل بذلك من بعد ومن لم يسمع النداء ، وفى ذلك اعتناء بأمور الاوقاف وما يتعلق بها من وجوب الصلوات ويترتب عليها من وجوه الحقوق فى العادات والعبادات ومما قيل فى ذلك

نور به علم الايمان مرتفع ... للمهتدين به للحق ارشاد
يأتون من كل صوب نحوه فلهم ... لديه للرشد اصدار وايراد

وقد لخص ابن الخطيب رحمه الله فى رقم الحلل سيرة السلطان أبى عنان فقال :

وخلص الامر لكف فارس ... بانى الزوايا الكثر والمدارس
الاسد المفترس المصنوع له ... من نال من كل المساعى أمله
واحد آحاد الملوك العظما ... ومطلع النصر اذا ما أقدما
ومخجل الغيث اذا الغيث هما ... وعالم الملك وملك العلما
أوجب حق الشعر والكتابة ... فاملت أعلامها جنابه
واستجلب الاماثل الكبارا ... والنبهاء العلية الاخيارا
يجبرهم على حضور الدولة ... فهم بدور وشموس حوله
وكان جبارا على خدامه ... ينالهم بالقسر فى أحكامه
مذهبه ألا يقيل عثرة ... حتى لارباب التقى والاثرة
فطرة السيف تناغى الدرة ... اذ غلبت على المزاج المرة
ومات فيما قيل شر ميتة ... بغيلة لنفسه مفيته
لم يغن عنه الباس والبسالة ... وأصبحت مهجته مسالة
وألقيت أزمة التدبير ... من بعده فى راحة الوزير

ومن أعيان كتابه : أبو القاسم بن رضوان وأبو القاسم البرجى

ومن أعيان قضاته : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرى وهو جد أبى العباس المقرى صاحب نفح الطيب وغيره من التآليف الحسان ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالى وغيرهما رحم الله الجميع (*)

(*) ذكر صاحب روضة النسرين اولاد السلطان ابى عنان فقال : اولاده الذكور السلطان ابو زيان محمد والسلطان ابو يحيى ابو بكر السعيد والسلطان موسى والمهدى بالله والمعتمد على الله محمد والمعتصم بالله محمد والمنتصر بالله محمد والمكتفى بالله محمد والواثق بالله محمد ومحمد المدعو بأبى طريق . بناته : فاطمة الصالحة وست العرب ورقية وعائشة وزنو وسكينة وسما وأم جعفر وأم هانى وجندوزة ولمة العزيز المدعوة بمديلة . وكان جميع ما ولد ثلاثمائة ونحو خمسة وعشرين ما بين سقط وغيره .

تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله :

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله

ابى بكر بن ابى عنان بن ابى الحسن المرينى

فهرس الموضوعات

	صحيفة
الخبر عن دولة بنى مرين ملوك فاس والمغرب وذكر اوليتهم وأصلهم	٣
الخبر عن دخول بنى مرين ارض المغرب الاقصى واستيلائهم عليه والسبب فى ذلك	٤
الخبر عن رياسة أبى محمد عبد الحق بن محيو المرينى رحمه الله	٥
حرب بنى مرين مع عرب رياح ومقتل الامير عبد الحق رحمه الله	٧
بقية أخبار الامير عبد الحق وسيرته	٨
الخبر عن رياسة الامير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله	٩
الخبر عن رياسة الامير أبى معرف محمد بن عبد الحق	١٠
الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله	١١
استيلاء الامير أبى بكر عن مكناسة وبيعة أهلها لابن أبى حفص بواسطته	١٢
استيلاء الامير أبى بكر على فاس وبيعة أهلها له	١٤
انتقاض فاس على الامير أبى بكر ومحاصرته اياهم	١٥
استيلاء الامير أبى بكر على مدينة سلا ثم ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك	١٧
استيلاء الامير أبى بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة	١٨
وفاة الامير أبى بكر رحمه الله	١٩
الخبر عن دولة أبى حفص الامير عمر بن أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله	١٩

الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله	٢٠
استيلاء نصارى الاسبنيول على مدينة سلا وايقاع السلطان يعقوب بهم وطردهم عنها	٢١
خروج بنى ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله	٢٣
حصار السلطان يعقوب حضرة مراكش ونزوع أبى دبوس منها اليه وهلاك المرتضى بعد ذلك	٢٤
وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان	٢٥
فتح حضرة مراكش ومقتل أبى دبوس وانقراض دولة الموحدين بها	٢٦
مراسلة السلطان أبى عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصى للسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله	٢٨
عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبى مالك بسلا وما نشأ عن ذلك من خروج قرابته عليه	٢٩
هجوم النصارى على العرائش وتيشمس من ثغور المغرب	٣١
وقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان	٣١
وفاة الامير أبى مالك بن أمير المسلمين أبى يوسف	٣٣
فتح طنجة وسبتة وما كان عن أمر العزفى بهما	٣٤
فتح سجلماسة وما كان من أمرها	٣٦
تاريخ وجود البارود	٣٦
أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المرينى فى الجهاد وما كان له بالاندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل رحمه الله	٣٧

الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد	٣٩
فتح جبل تينملل ونبش قبور بنى عبد المومن على يد المليانى عفا الله عنه	٤٢
بناء المدينة البيضاء المسماة بفاس الجديد	٤٤
الجواز الثانى للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد	٤٥
حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاحمر وما نشأ عن ذلك	٤٩
الجواز الثالث للسلطان يعقوب الى الاندلس مغيثا للطاغية ومغتنما فرصة الجهاد	٥٥
انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الاحمر والسبب فى ذلك	٥٦
الجواز الرابع للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد	٥٨
وفادة الطاغية على السلطان يعقوب باحواز الجزيرة الخضراء وعقد الصلح بينهما والسبب فى ذلك	٦٢
وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله	٦٥
بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته	٦٥
الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله تعالى	٦٦
قدوم بنى اشقيلولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم قصر كتامة والسبب فى ذلك	٦٨
حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان	٦٨
انتفاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه	٧٠
حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الاحمر واستيلاء الطاغية على الطريق بمظاهرة ابن الاحمر له	٧١
ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسى بحصن تازوطا	٧٢
انعقاد الصلح بن السلطان يوسف وابن الاحمر ووفادته عليه بطنجة	٤٧

فتكة ابن المليانى بشيوخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب فى ذلك	٧٧
الحصار الطويل على تلمسان وما تخلل ذلك من الاحداث	٧٩
نكبة بنى وقاصة يهود فاس	٨٠
انتقاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبى سعيد على سبتة	٨٢
ثورة عثمان بن أبى العلاء بجبال غمارة	٨٣
وفاة السلطان يوسف رحمه الله	٨٥
بقية أخبار السلطان يوسف وسيرته	٨٨
دخول الشريف المولى حسن جد الملوك العلويين من الينبع الى سجلماسة	٨٨
بناء قصبة تطاوين	٨٩
وفاة أبى يعقوب الاشقر	٨٩
عمل المولد النبوى بالمغرب	٩٠
رفع أيدى الموثقين من الشهادة بفاس	٩٠
الخبر عن دولة السلطان أبى ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله	٩١
ثورة يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد الحق وما كان من أمره	٩٣
غزو السلطان أبى ثابت بلاد غمارة وسبتة ومحاصرته لعثمان بن أبى العلاء	٩٥
بناء مدينة تطاوين القديمة	٩٦
الخبر عن دولة السلطان أبى الربيع سليمان بن أبى عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله	٩٧
نكبة الفقيه الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين واستئصال بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك	٩٩
انتفاض أهل سبتة على بنى الاحمر ومراجعتهم طاعة بنى مرين	١٠٠

انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسى على السلطان أبى الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب فى ذلك	١٠١
قضية أبى الحسن الصغير	١٠٢
الخبر عن دولة السلطان أبى سعيد يعقوب بن عبد الحق رحمه الله	١٠٣
غزو السلطان أبى سعيد ناحية تلمسان	١٠٤
خروج الامير أبى على على أبيه السلطان أبى سعيد والسبب فى ذلك	١٠٥
وفادة أهل الاندلس على السلطان أبى سعيد واستصراخهم أياه على الطاغية وما نشأ عن ذلك	١٠٨
انتقاض الامير أبى على على أبيه السلطان أبى سعيد وما نشأ عن ذلك	١١٠
بناء مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله	١١١
أخبار بنى العزفى أصحاب سبتة	١١٣
المصاهرة بين السلطان أبى سعيد فى ابنه أبى الحسن وبين أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى والسبب فى ذلك	١١٦
وفاة السلطان أبى سعيد بن يعقوب رحمه الله	١١٧
الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله	١١٨
حدوث الفتنة بين الاخوين أبى الحسن وابى على ثم مقتل أبى على والسبب فى ذلك	١١٩
وفادة السلطان ابن الاحمر على السلطان أبى الحسن بحضرة فاس وفتح جبل طارق	١٢١
فتح تلمسان ومقتل صاحبها ابن تاشفين وانقراض الدولة الاولى لبنى زيان	١٢٣

مراسلة السلطان أبى الحسن لسلطان مصر وبعثه المصاحف من خطه الى المساجد الثلاثة شرفها الله	١٢٧
نكبة الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبى الحسن وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسى والسبب فى ذلك	١٣٢
ثورة ابن هيدور الجزار وما كان من أمره	١٣٣
أخبار السلطان أبى الحسن فى الجهاد وما كان من وقعة طريف التى محض الله فيها المسلمين وغير ذلك	١٣٤
استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء	١٣٧
بقية أخبار بنى العلاء	١٣٩
مراسلة السلطان أبى الحسن لصاحب مصر أبى الفداء اسماعيل ابن محمد بن قلاوون	١٤٠
هدية السلطان أبى الحسن الى ملك مالى من السودان المجاورين للمغرب	١٥١
مصاهرة السلطان أبى الحسن ثانيا مع السلطان أبى بكر الحفصى رحمهما الله	١٥٣
غزو السلطان أبى الحسن افريقيا واستيلاؤه على تونس وأعمالها	١٥٤
انتقاض عرب بسليم بافريقية على السلطان أبى الحسن وما نشأ عن ذلك	١٥٨
انتقاض الاطراف وثورة أبى عنان ابن السلطان أبى الحسن واستيلاؤه على المغرب	١٦٢
أصل الاشراف الصقليين	١٦٦
ركوب السلطان أبى الحسن البحر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من المحن	١٧٠
استيلاء السلطان أبى الحسن على مراكش ثم انهزامه عنها الى هنتاتة أهل جبل درن ووفاته هناك	١٧٣
بقية أخبار السلطان أبى الحسن وسيرته	١٧٤

بناء المدرسة العظمى بطالعة سلا	١٧٥
سور الماء الداخل الى سلا المعروف بالاقواس	١٧٥
المدرسة المصباحية بفاس	١٧٦
وفاة أبى الحسن الصغير	١٧٨
وفاة ابن البناء	١٧٩
الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبى عنان فارس بن أبى الحسن رحمه الله	١٨١
تملك السلطان أبى عنان بجاية وتولية عمر بن على الوطاسى	١٨٤
ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن على الوطاسى بها	١٨٤
خروج أبى الفضل بن السلطان أبى الحسن ببلاد السوس ثم مقتله عقب ذلك	١٨٦
مدينة القاهرة بأرض السوس	١٩٠
وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطانه الغنى بالله على السلطان أبى عنان رحمهم الله	١٩١
رحلة السلطان أبى عنان الى سلا وتطارحه على وليها الاكبر أبى العباس بن عاشر رضى الله عنه	٢٠٠
غزو السلطان أبى عنان افريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها	٢٠١
وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية	٢٠٣
وفاة السلطان أبى عنان رحمه الله	٢٠٤
بقية أخبار السلطان أبى عنان وسيرته	٢٠٥

فهرس الاعلام والقبائل

حرف «أ»

آل زيان ٨٦
آل الحسين السبط ١٦٦
آل عبد المومن ٢٧ - ٣٥ - ٤٤
آل يغمراسن ٨٠ - ١١٦
ابراهيم بن أبى حاتم العزفى ١١٧
ابراهيم بن عيسى اليرينانى ١٠١
١٠٥ - ١٠٦ - ١١٤
ابراهيم بن هشام ١٦
ابراهيم بن وقاصة ٨١
ابن أبى دبوس ١٦١
ابن أبى زرع ٨ - ٤٤ - ٩٦
١٨٠
ابن أبى العلاء ٩٦
ابن أبى عمارة ٦١
ابن أبى عمرو ١٨٦ - ١٨٧
١٩٠
ابن أبى عياد ٩٤
ابن أبى وطاط ١٥ - ١٧
ابن الاثير ٣٥
ابن الاحمر ٢٠٦
ابن الاحمر : أبو الجيوش نصر بن محمد ١٠١ - ١٢١
ابن الاحمر : أبو الحجاج يوسف بن اسمعيل ١٢٣ - ١٣٦ - ١٣٧
١٣٨ - ١٣٩ - ١٦٦ - ١٨٧
١٩١
ابن الاحمر : أبو سعيد فرج بن اسمعيل ٧٣ - ٨٢ - ٨٣ - ٩٥
٩٦ - ١١٣
ابن الاحمر : أبو الوليد اسمعيل بن أبى سعيد فرج ١٢١
ابن الاحمر : عبد الله بن أبى الحجاج ١٩٦
ابن الاحمر : محمد بن اسمعيل بن أبى سعيد فرج ١٢١ - ١٢٢
١٢٣ - ١٣٩
ابن الاحمر : محمد بن محمد الفقيه المخلوع ٨٢ - ١١٣
ابن الاحمر : محمد بن يوسف بن نصر ٣٧
ابن الاحمر : محمد بن يوسف الابكم ٢٠٢
ابن الاحمر : محمد بن يوسف الغنى بالله ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٩

ابن الاحمر : محمد الفقيه ٣٢
٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٧ - ٤٨
٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ -
٥٦ - ٥٧ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٦
٦٨ - ٧٠ - ٧١ - ٧٤ - ٧٥
٨٢
ابن أذفونش ٤٥ - ٥٣
ابن تافرجين ١٦١ - ١٦٢
ابن حجاج ٣٦
ابن جحاف ٨٧
ابن جرار ١٦٥
ابن جشار ١٥ - ١٧
ابن الحميدى ١٩١
ابن خلدون ٣ - ١٧ - ٣٠
٣٦ - ٥٥ - ٥٦ - ٦٢ - ٨٦
٩٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٧
١٥١ - ١٥٢ - ١٥٧ - ١٧٢
١٧٤ - ١٨٠ - ١٨٦ - ١٨٧
١٩٥ - ٢٠٤
ابن الخطيب ٥٥ - ٧٨ - ١١٥
١٢٦ - ١٦٦ - ١٧٤ - ١٧٧
١٧٨ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٩ - ٢٠٧
ابن راشد القفصى ١٥٦
ابن زيان البلشى ١٠٩
ابن عبد الرحمن المغيلى ١٥
ابن عبد الرفيع ١٥٦
ابن عبد السلام ١٥٦
ابن عرفة ١٥٤ - ١٥٦
ابن عطوش ٢٥
ابن عطية المفسر ٦٤
ابن علان ٨٠
ابن كانون ٥١
ابن محلى ٥٠ - ٥٣ ٥٧
ابن مرزوق ١٣٠
ابن مزنى ١٨٣
ابن المليانى ٧٨ - ٩٧
ابن هرون ١٥٦
ابن هيدور الجزار ١٣٣ - ١٣٤
أبو ابراهيم بن يوسف بن عبدالمومن ٦
أبو اسحق ابراهيم بن أبى بكر الحفصى ٢٠٢
أبو اسحق بن أبى الحسن ٦٨
ابو اسحق بن أبى العاص ١٠٩
أبو اسحق ابراهيم بن اشقيلولة ٤٠
٤٥ - ٦٨
أبو اسحق الساحلى ١٥٢
أبو البقاء يعيش ١٠٤ - ١٠٥
أبو بكر بن زكرياء الحفصى ١١٦
١١٧ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٣٢
أبو بكر بن حمامة ٤
أبو بكر بن جزى ٢٠٦
أبو بكر بن عبد الحق ٩ - ١١
١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ ١٦

١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١
٣٥ - ٣٦ - ٣٨ - ٧٤
أبو بكر بن يعقوب ٧٦ - ٧٧
٧٩ - ٩٢
أبو بكر بن يغمراسن ١٦
أبو بكر الحفصى ١٢٥ - ١٣٤
١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦
١٦٢
أبو بكر السعيد بن أبى عنان ٢٠٠
٢٠٥
أبو تاشفين الزيانى ١١٩ - ١٢٠
١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦
أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو
١١٦
أبو ثابت بن عبد الرحمن الزيانى
١٧٢ ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤
أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف
٨٤ - ٨٧ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣
٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٩
١٣٩
أبو حاتم العزفى ٥١ - ١١٣
١١٤
أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمدانى
- ابن الامير - ٣٤ - ٣٥
أبو حديد مفتاح بن أبى بكر ١٨
أبو الحسن بن أبى العافية ١٢
أبو الحسن بن اسحق بن اشقيلولة
٦٨
أبو الحسن بن القطان ٤٤
أبو الحسن بن كماشة ١٠١
أبو الحسن الصغير على بن محمد
الزرويلى ١٠٢ - ١١٣ - ١٨٧
١٧٨
أبو الحسن على بن الحاج ٥٨
أبو الحسن على بن عثمان ١٠٣
أبو الحسن على بن القبائلى التينملل
١٧٨
أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن
يعقوب بن عبد الحق المرينى
السلطان الاكحل ١٠٣ - ١٠٥
١٠٦ - ١٠٧ - ١١٠ -
١١١ - ١١٢ - ١١٦
١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠
١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥
١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩
١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤
١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨
١٤٠ - ١٤٧ - ١٥١ - ١٥٢
١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦
١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠
١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥
١٦٦ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣
١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧
١٨٦ - ١٩١

أبو الحسن على بن يزكاسن ٦٦
أبو حفص بن أبى بكر بن عبد الحق المرينى ١٩ ٣٥
أبو حفص عمر بن يغمراسن ٢٦
أبو حفص عمر المرتضى ٣٤ - ٣٦
أبو حفص عمر المرينى ٢٠
أبو الحكم مالك بن المرحل السبتى ٨٨
أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن ٨٦ - ٨٧ - ٩٢ - ١٠٢ - ١٠٤
أبو خالد محيو بن أبى بكر ٤
أبو الخيل بن عامر بن يحيى ٧٣
أبو دبوس ادريس بن محمد بن أبى حفص بن عبد المومن ١٤ - ٢٤ ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ ٢٦ - ٢٧ - ١٦٢
أبو دينان سليمان بن على ١٧٣
أبو راشد اليدرى ٢٠٦
أبو الربيع سليمان بن أبى عامر عبد الله بن يوسف بن عبد الحق المرينى ٧٤ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٣ - ١١٤ - ١٢٥ - ١٧٩
أبوزكرياء بن أبى بكرالحفصى ١١٦ ١١٧ - ١١٩
أبو زكرياء بن أبى حفص ١٢
أبو زكرياء حيون بن أبى العلاء القرشى ١١٣ - ١١٥
أبو زكرياء يحيى - الواثق - الحفصى ٢٩ - ٥٣
أبو زكرياء يحيى بن أبى طالب العزفى ١١٤
أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد الهنتاتى ٢٨
أبو زكرياء يحيى بن مليلة ١٠١
أبو زيان بن أبى سعيد ١٨٣
أبو زيان بن أبى عنان ٢٠٥
أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن ٨٦ ٨٧ - ٩٢
أبو زيان محمد بن عبد القوى بن العباس بن عطية ٣٣ - ٣٨ - ٣٩
أبو زيان منديل بن يعقوب ٤٨ ٥١ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٤ - ٦٧
أبو زيد عبد الرحمن بن أبى طالب ١١٣ - ١٢٦
أبو زيد الحفصى ١٨٦
أبو زيد الغفارى ٨٣ - ٨٤
أبو زيد الفاسى ٣٦
أبو زيد محمد بن أبى بكر الحفصى ١٨٥
أبو سالم ابراهيم بن يوسف ٨٢ ٩١ - ٩٢
أبو سالم بن أبى الحسن المرينى

١٦٠ - ١٨٦
أبو سالم فتح الله السدراتى ٤٤
أبو سعيد الاصغر ١٠٣
أبو سعيد الاكبر ١٠٣
أبو سعيد بن أبى الربيع القبائلى ٤٣
أبو سعيد عثمان بن أبى العلاء ٩٨
أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المرينى
٩
أبو سعيد عثمان بن عبد الحق الزيانى
١٨٢
أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبدالحق
المرينى ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥
١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ ١١٠
١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤
١١٥ ١١٦ - ١١٧ - ١١٨
- ١١٩ ١٣٢ - ١٣٥ - ١٤٠
١٧٨ - ١٧٩
أبو سلطان عزيز الدانى ٧٤ - ٨٢
أبو الضياء مصباح بن عبدالله الياصلونى
١٧٦
أبو طالب بن محمد أبى مدين ١٥٢
أبو عامر عبد الله بن يوسف ٦٧
٦٩ - ٧٤ - ٧٥ - ٩١
أبو العباس ١٤
أبو العباس أحمد بن أبى بكر الحفصى
١٥٤ - ٢٠١ - ٢٠٢
أبو العباس أحمد بن ادريس البجائى
١٨٥
أبو العباس أحمد ابن عاشر الاندلسى
٢٠٠ - ٢٠١
أبو العباس أحمد بن عاشر السلاوى
- الحافى - ٢٠١
أبو العباس أحمد بن محمد الازدى
- ابن البناء - ١٧٩
أبو العباس أحمد بن رافع
الصقلى ١٦٦
أبو العباس أحمد بن على المليانى ٧٧
أبو العباس الزواوى ١٧١
أبو العباس الغمارى ٢٩ - ٥٣
أبو العباس الفضل بن أبى بكر الحفصى
١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٢ - ١٧٠
أبو العباس المقرى ١٢٢ - ١٥١
٢٠٧
أبو العباس الونشريسى ١٥٤
أبو عبد الرحمن بن أبى الحسن
المرينى ١٢٥ - ١٢٦ - ١٣٢
١٣٣
أبو عبد الرحمن المغيلى ١٥
أبو عبد الرحمن يعقوب بن يوسف
٦٩ - ٧٥
أبو عبد الله الآجمى ١٥٤
أبو عبد الله الابى ١٧١
أبو عبد الله بن أبى بكر الحفصى
١٦٣

أبو عبد الله بن أبـــى الحســـن بن اشقيلولة ٤٥
أبو عبد الله بنانى ٣٦
أبو عبد الله بن الحباك ٤٤
أبو عبد الله بن خالد ١٥٦
أبو عبد الله بن عبد الرزاق ١١٧
أبو عبد الله بن مرزوق ١٢٨
أبو عبد الله بن يعلو ١٧ - ٢١
أبو عبد الله الطنجالى ١٠٩
أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلى ٨٦
أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء بن أبى بكر الحفصـى ١٥٥ - ١٥٦ ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
أبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالى ٢٠٨
أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرى ٢٠٧
أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندى ٨٢
أبو عبد الله محمد بن سليمان السطى ١٧١
أبو عبد الله محمد بن الصباغ المكناسى ١٧١
أبو عبد الله محمد بن عبد الســـلام ١٥٤
أبو عبد الله محمد بن على بن عبد الله ابن الحاج ٢٢
أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبـى عمرو ١٦٥ - ١٨٤
أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرى ١٨٠
أبو عبد الله محمد بن مرزوق ١٩٢
أبو عبد الله محمد الكنـانـى ٢٩ - ١٠٧
أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن أبى زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ٢٨ - ٢٩ - ٣٥ - ١٥٥
أبو عثمان الورياكلى ٢٠
أبو عطية العباس بن يعقوب ٦٦
أبو عطية مهلهل بن يحيى الخلطـــى ١٠٣
أبو على أحمد المليانـى ٤٣ - ٧٧
أبو على بن محمد ١٤
أبو على وانودين ٦
أبو على عمر بن السعود بن خربـاش الحشمى ٨٣
أبو على عمر بن عثمان (أبو سعيد المرينى) ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ ١٠٨ - ١١٠ - ١١١ - ١١٣ ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢ ١٢٣
أبو عنان فارس بن أبى الحسن المرينى ١١٢ - ١٢٣ - ١٣٩ -

١٥٥ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦
١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٨١
١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
١٨٦ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
١٩٥ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١
٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٧
أبو عنان فارس يغمراسن ٣٢
أبو عياد بن أبى يحيى بن حمامة ١٣
أبو عياد بن عبد الحق ٩
أبو غالب المغيلى ١٠١
أبو فارس عبد العزيز الملزوزى ٨٨
٩١
أبوالفداء اسماعيل بن محمد بن قلاوون
١٣١ - ١٤٠ - ١٤٧
أبو الفضل بن أبى الحسن المرينى
١٧٠ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩
١٩٠ - ١٩١
أبو الفضل بن أبى عبد الله محمد بن
أبى مدين ١٢٧ - ١٤٠ - ١٤٧
١٥٣
أبو القاسم البرجى ٢٠٧
أبو القاسم بن أبى العباس العزفى
٣٤ - ٣٥ -
أبو القاسم بن أبى مدين العثمانى
١١٥
أبو القاسم الرحوى ١٥٨
أبو القاسم بن رضوان ٢٠٧
أبو القاسم بن عتو ١١٧ - ١٥٤
١٥٦ - ١٧٠
أبو القاسم الشريف ١٩٥
أبو مالك بن أبى الحسن المرينى ١٢٢
١٢٥ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥
أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب ٢٣
٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٣
أبو محمد بن أجانا ١٦٨
أبو محمد بن اشقيلولة ٤٠ - ٤٨
أبو محمد بن عبد الله بن أبى مدين
العثمانى ١٧٨
أبو محمد عبد الحق ٦٣
أبو محمد عبد الله بن أبى مدين ٧٨
٨١ - ٨٨ - ٩٩ - ١٠٠
أبو محمد عبد الله بن تافراجين
١١٦ - ١١٧ - ١٣٢ -
١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٤ -
١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٠
٢٠٢ - ٢٠٣
أبو محمد عبدالله بن قاسم المزوار ١١٢
١١٨ - ١٢٧
أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى ١٢٠
١٧٧
أبو محمد الفشتالى ١٤ - ١٩
أبو المجد بن أبى عبد الله محمد بن
أبى مدين ١٤٤ - ١٤٩ - ١٧٣
أبو المطرف بن عميرة المخزومى ١٢

أبو معر ف بن يعقوب ٥٩ - ٦٧
أبو معر ف محمد بن عبد الحق ٩
١٠ - ١١
أبو الملوك عبد الحق المرينى ٩ - ٦٤
أبو موسى بن الامام ١٨٠
أبو موسى عيسى ١٢٦
أبو الهول بن حمزة ١٥٥
أبو الهول بن يعقوب ١٦١
أبو الوليد اسماعيل بن محمد بن قلاوون ١٤١
أبو يحيى بن أبى الصبر ٩٠ - ٩٦
٩٧
أبو يحيى بن عيسى بن على بن أبى الطلاق ٢٠٠
أبو يحيى القطرانى ١٩ - ٣٦
أبو يعقوب الاشقر ٨٩ - ٩٠ -
١٧٨
الاثبج ٣١ - ٥٩
أحمد بن عثمان بن أبى دبوس ١٥٩
أحمد بن حمزة ١٥٩
أحمد بن محمد بن أبى بكر الحفصى
٢٠١
أحمد بن يوسف بن أبى محمد صالح
١٢٩
أحمد يوسف بن مزنى ٢٠٤
ادريس بن عبد الحق ٧ - ٩ ٢٣
٨٨
ادريس بن عبد الله بن عبد الحق ٩٨
ادريس بن عثمان بن أبى العلاء ١٦٥
٢٠٣
اسحق ٢٧
الاشراف العلويون ٨٨
الاصبنيول ٢١
اعراب افريقية ١٥٥
الاغزاز ١٣
الاكراد ٦١
أم العز ابنة محمد بن حازم العلوى ٥٨
أهل أزغار ١٠ - ٣٢
أهل الاندلس ٣٢ - ٣٩ - ٤٨
٥٣ - ١٠٠ - ١٠٩ - ١٤٢
أهل بجاية ١٦٣
أهل بلاد الجريد ١٧٠
أهل تاونت ٧٩
أهل تلمسان ٨٥
أهل تونس ١٠٧
أهل الحرمين ١٤٧
أهل الجزيرة ٥١ - ٥٢ - ١٣٨
أهل سبتة ٨٢ - ١٠٠ - ١١٣
١١٥ - ١٦٥
أهل طريف ٧١
أهل طنجة ٣٥
أهل العدوة ٣٠ - ٩٥
أهل غرناطة ١٠٩
أهل فاس ١٥ - ١٦ - ١٠٤

أهل قسنطينة ١٦٣
أهل مالى ١٦٣
أهل المغرب ١١-٢٨-٣١-٣٢
٥٩ - ٦٠ - ٦٩ - ٧٠ - ٨٢
٨٣ - ١٣٥ - ١٦٣ - ١٦٤
أهل مكناسة ١٢
أهل ندرومة ٧٩
أوربة ١٣٩
أولاد أبى العلاء ١٦٥
أولاد أبى الليل ١٥٩ - ١٧٠
أولاد جرار ١٥٢
أولاد سباع بن يحيى ٢٠٤
أولاد على ١٣٣
أولاد القوس ١٥٩ - ١٦١
أولاد محبوب ١٧٦
أولاد محمد ٢٠٤
أولاد محلى ٦٧
أولاد مهلهل ١٥٥ - ١٥٩
١٦١ - ١٦٢ - ٢٠٢ - ٢٠٣
الوليد بن عبد الملك ٩

حرف «ب»

البربر ٣ - ٣٠ - ٣٦
البرتقال ١٣٦
برنيس الفرنجى ٣٢
بطرة بن سانجة ١٠٨
بطوية ٩
بهلولة ٩
بنو أبى حفص ٢٨ - ٨٠
١١٦ - ١٢٣
بنو أبى العلاء ١٢٣ - ١٣٩
بنو أبى عياد بن عبد الحق ٣٠
بنو أبى الليل ١٦١ ٢٠٢
بنو الاحمر ٩٨ - ١١٣ - ٣٩
٢٠٢
بنو ادريس بن عبد الحق ٢٣
٢٩
بنو ادريس بن يعقوب ٦٧
بنو أذفونس ٨٢
بنو أشقيلولة ٤٩ - ٥٣ - ٦٨
بنو أمية ٧٥
بنو أيوب ٨٣
بنو توجين ٢٠ - ٣٣ - ٥٤
١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٦٠
١٦٣ -
بنو تيربعين ٩٢ - ١٢٠
بنو جابر ١٨ - ٣١ - ٩٤
بنو جشم ١٥٨
بنو حكيم ١٥٩
بنو حمزة بن عمر ١٥٥ - ١٦٢
١٧٠
بنو راشد ٣٢
بنو رحو بن عبد الحق ٢٩
بنو زغبة ١٢٧ - ١٣٣ - ١٥٣

بنو زيان ٩٧ - ١١٩ - ١٢٤
١٢٥ - ١٥١ - ١٧٢
بنو سعيد ٧٤
بنو سليم ١٥٨
بنو سويد ١٣٣
بنو عامر ١٣٣
بنو عبد الحق ٢٠ - ٢٩ - ٣٠
٦٧ - ٧٢
بنو عبد الله بن عبد الحق ٢٩
بنو عبد الواد ٣ - ١٦ - ٢٠
٢٦ - ٣٢ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٣
٥٤ - ٧٦ - ٨١ - ٨٥ - ٩٢
١٢٥ - ١٢٦ - ١٦٠ - ١٦٣
١٦٤ - ١٦٥ - ١٨٢ - ١٨٣
١٩١
بنو عثمان بن أبي العلاء ١٢١
بنو العزفي ٨٢ - ٩٠ - ١١٣
١١٥
بنو عبد المومن ١٢ - ١٤
١٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٣١ - ٣٤
٤٣ - ٧٢ - ٧٧ - ١٠٩
بنو عسكر ٧ - ٧٧ - ٧٩ - ١٢٤
١٥٦
بنو كعب ١٥٩ - ١٦٦ - ٢٠٢
بنو مرين ٣ - ٤ - ٥ - ٦ -
٨ - ٩ - ١٠ - ١١ -
١٣ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨
١٩ - ٢٠ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥
٢٨ - ٣٢ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦
٣٨ - ٣٩ - ٤٣ - ٤٨ - ٥٢
٥٤ - ٥٦ - ٥٩ - ٦٦ - ٦٨ - ٧١
٧٢ - ٧٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩١
٩٧ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١
١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٦
١٠٨ - ١٠٩ - ١١٢ ١١٤
- ١١٧ - ١١٨ - ١١٩
١٢٢ - ١٢٥ - ١٢٦ ١٣٦
١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦١
١٦٣ - ١٦٦ - ١٧٢ - ١٧٣
١٨٣ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢
٢٠٣
بنو مسكين ١٥٩
بنو معقل ٣٦ - ١٥٢
بنو واسين ١٢٦
بنو هلال ١٢٧ - ١٣٤
بنو ورتاجين ٨٧
بنو الوزير ٧٢ - ١٨٤
بنو وطاس ١٣ - ٧٢
بنو وقاصة ٨٠ - ٩٩
بنو و نكاسن ١٧٢
بنو يدللتن ١٢٥
بنو يزناسن ١٣ - ١٣٣
بنو يغمراسن ٩٢
بنو يفرن ٣

حرف «ت»

تاشفين بن أبى الحسن ١٢٠ ١٣٧ - ١٦٣ - ١٨٦
تاشفين بن أبى مالك ٥٠
تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب المرينى ٣٩
تاشفين بن يعقوب الوطاسى ١٠٠ ١٠١
الترك ٨٣
تسول ٦ - ٩

حرف (ث)

الثعلبى المفسر ٦٤

حرف «ج»

جشم ١٧٣
الجلالقة ٤٥
جمال الدين ١٣٠
جمال الدين بن نباتة المصرى ١٣١
جوان ١٠٨ - ١٠٩

حرف «ح»

الحاج أبو الزبير طلحة بن يحيى ابن محلى ٦١
الحاج المسعود ٩٣
الحرة - أخت أبى الحسن المرينى ١٤٠ - ١٤٧
الحرة - أم المعز ابنة محمد حازم العلوى - أم السلطان يعقوب المرينى ٨٩
الحرة مريم ١٣٠
الحسن بن أبى عامر بن عبد الله بن يعقوب المرينى ٩٣
الحسن بن سليمان بن يرزيكن ١٦٤ ١٦٥
الحسن بن على بن أبى الطلاق ١٠٢
حسن بن قاسم الحسنى ٨٨
الحسن بن عمر الفودودى ٢٠٤ ٢٠٥
الحشم ١٢٥
الحفصيون ٢٨ - ٢٩ - ٤٣ ٧٢ ١١٦ ١٣٢ ١٣٥ ١٥٧ ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٣ - ١٨٤ ١٨٥ - ٢٠٣
حمامة بن محمد ٤ - ٧
حمو بن يحيى العسكرى ١٥٥
حميضة بن أبى نمى ٨٣

حرف «خ»

خالد بن أبى بكر الحفصى ١٥٥
خالد بن حمزة بن عمر ١٥٥

١٥٩ - ١٦١
الخضر الغزى ٦١
الخطيب بن مرزوق ١٧٧
الخلط ٣١ - ٥٩
خليفة الاصغر ٨١ - ٩٩
خليفة بن أبى زيد ١٥٩ - ١٦١
خليفة بن وقاصة ٨١ - ١٠٠
خليفة بن عبد الله ١٥٩
خليل الصفدى ١٤٧

حرف « د »

داود بن السلطان يوسف ٧٤
دعد ٨٦
الدولة الاحمرية ١٢١
دولة الاندلس ١٢٣
دولة زناتة ١٢٥
الدولة المرينية ١٢١ - ١٥٨
١٦١ - ٢٠٥
دولة الموحدين ٢٢

« حرف ذ »

الذواودة ١٣٤ - ١٧٣ - ١٨٥
١٨٦ ٢٠٣ - ٢٠٤
ذوى حسان ٣١

حرف « ر »

الرشيد بن المامون ١٠
رضوان ١٩٢
رميثة بن أبى نمى ٨٣
رياح ٧ - ٩ - ٢٣ - ١٣٤
٢٠٢

حرف « ز »

زانا بن يحيى ٤
زكارة ٩
زناتة ٣ - ٨ - ١٠ - ١٧ - ٣٢
٣٣ - ٤٠ - ٥٤ - ٨٣ - ١٠٤
١٠٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٦
١٨٢ - ١٨٣
زواوة ١٨٣
زيان بن أبى عياد بن عبد الحق
٤٨ - ٥٠
زيان بن عبد الحق ٩
زيان بن عمر الوطاسى ١٣٣
زيد بن فرحون ١٣٥

حرف « س »

سانجة بن هراندة ٥٥ - ٥٦
٥٧ - ٥٨ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣
٦٦ - ٧٠ - ١١١
سدراتة ٩
سعادة الخصى ٨٥
السعود بن خرباش ١٥
السعيد - على بن المامون الموحدى -

١١ - ١٢ - ١٣ - ٧٢ - ١٢٥
سفيان ٣١ ٥٥ - ٩٤
سليم ١٥٩ - ٢٠٢
سيلمان بن داود ٢٠٠ - ٢٠٣
سيلمان بن عبد الملك ٩
سليمان بن عبد الله بن السلطان يوسف ٧٤
سليمان بن عثمان بن عبد الحق ١٩
سليمان بن يرزيكن ١٠٠
سوط النساء ٢٩
سويد ١٥٦ - ١٧٢

حرف « ش »

الشبانات - ٣١
شريد الفرنجى ١٥
شعيب بن مخلوف بن أبى عثمان ٩٩
شمسى الزواوية ١٢٤
شمس الضحى ١٨١
الشيخ خليل ٣٦

حرف « ص »

صخر بن موسى ١٥٦
صناكة ١٩١
صنهاجة ٣١ - ٣٩ ١٥١ - ١٥٧ - ١٧٩ - ١٨٥
الصنهاجيون ١٨٥

حرف « ط »

طلحة بن محلى ٢٤ - ٤٣

حرف « ظ »

ظافر ١٥٦

حرف « ع »

عائشة ابنة أبى بكر بن يعقوب المرينى ١٣٦
عائشة ابنة أبى بكر الحفصى ١٨١
عائشة ابنة الامير أبى عطية مهلهل بن يحيى الخلطى ١٠٣
عائشة الجزرية ١٨١
عام المشعلة ٦
عامر بن ادريس ٢٣ - ٢٨ ٣٠
عامر بن فتح الله السدراتى ١١٥ ١٧٧
عامر بن يحيى بن الوزير ٧٢ ٧٣
عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق المرينى ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٣ ١١٤ - ١٢٥
عبد الحق بن محمد بن عبد الحق ١٦
عبد الحق بن محيو المرينى ٤ - ٥

٧ - ٨ - ٩ - ١٩ - ٢٣
عبد الرحمن بن عبد الحق ٩
عبد الرحمن الوطاسى ١١٤
عبد الحق بن يعقوب الوطاسى - رحو
١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٤
١٢٥
عبد السلام الاوربى ١٩
عبد العزيز بن أبى بكر الحفصى ١٥٥
عبد العزيز بن محمد القدميوى ٧٨
عبد العزيز بن محمد بن على الهنتاتى
١٧٣
عبد الكريم بن عيسى ٧٧ ٧٨
عبد الله بن ابراهيم الفودودى ١٧٧
عبد الله بن أبى الحسن المرينى ١٦٣
عبد الله بن عبد الحق ٩
عبد الله بن على بن سعيد ١٦٥
١٨٦
عبد الله بن مسلم الزردالى ١٩١
عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ٢٤
عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد
الحق المرينى ٩٧
عبد الله السكسيوى ١٩٠
عبد الملك بن محمد العبد الوادى
- ابن حنينة - ٣٢ - ٣٧
عبد الملك بن مكى ١٥٦
عبد الملك بن مروان ٩
عبد المومن بن على ٤ - ٢٢ - ١٧٢
عبد الواحد بن اللحيانى ١٥٩
عبد الواحد بن يعقوب ٣٢
عبد الواحد السكسيوى ٥١ - ٩٤
عبد الواحد الفودودى ٩٥
العبيديون ١٥٧
عثمان بن أبى تاشفين ١٢٥
١٢٦
عثمان بن أبى العلاء أدريس بن عبد
الحق ٨٣ - ٩٢ - ٩٥ - ٩٧
١٠٠ - ١٠٩ - ١٢٢ - ١٣٩
عثمان بن عبد الحق ٧
عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن
يغمراسن بن زيان ١٦٣ - ١٦٥
١٧٢
عثمان بن عفان ٧٥
عثمان بن عيسى اليرينانى ١٠١
عثمان بن يحى بن جرار ١٦٤
عثمان بن يعقوب ١٠٣
عثمان بن يغمراسن ٥٦ - ٦٨
٦٩ - ٧٦ - ٧٩ - ٨١
عثمان بن يوسف ١٠٣
عدى بن هنو الهسكورى ١٠٤
العرب ٣ - ٦ - ١١ - ٢٦ ٣١
٣٢ - ٣٦ - ٣٩ - ٥٠ - ٤٥ - ٦٦
٥٨ - ٩١ - ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٤
١٠٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٩
١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٠

١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٧٠
١٧١ - ١٧٣ - ١٨٢ - ٢٠٢
٢٠٤
عرب افريقية ١٥٨
عرب بنى رغبة ٣٢
عرب جشم ٥٠ - ٦١ - ٩٤
عرب الحارث ٥٠
عرب الخلط ٢٦ - ٥٩ - ١٢٧
عرب رياح ٧ - ١٠ - ٩٤
١٧٣
عرب سليم ١٥٥
عرب سويد ١٢٥ - ١٥٣ - ١٧١
١٧٢
عرب العاصم ٣١ - ٥٩ - ٩٤
عرب معقل ٦٧
عرب المغرب الاقصى ١٥٨
عرب المنبات ٣٦ - ٣٧
العرب الهلاليون ٣
عريف بن يحيى ١٢٥ - ١٢٧
١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٦ - ١٧٢
العزفى ٣٨ - ٥٩ - ١٢٥
عزونة أبنة أبى بكر ١٥٣
عسكر بن تاحضريت ١٣٧ - ١٣٨
عسكر بن محد ٤
عطية بن مهلهل ١٢٧
عطارد بن حاجب التميمى ٥٥
علان بن محمد ١٣٤ - ١٧٣
على بن زيان ٢٣
على بن عبد الكريم ٧٨
على بن عثمان بن عبد الحق ١٨
على بن عمر الوطاسى ١٨٥
على بن غانم ١٥٢
على بن محمد الهنتاتى ٧٧ - ٧٨
على بن منصور ١٥٦
على بن يوسف بن زريقاء ٩٧
على بن يوسف بن يزكاتن ٧٠-٧٧
عمر بن أبى بكر الحفصى ١٥٤
١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٩
عمر بن حمزة ١٦٢ - ١٧٠
عمر بن رحو بن عبد الله بن عبدالحق
١٠١
عمر بن السعود بن خرباش ٧٥
عمر بن عبد الواحد بن يعقوب ٥٩
عمر بن عثمان ١٢٥
عمر بن على الوطاسى ١٨٤
عمر بن موسى الفودودى ١٠٣
عمر بن يحيى بن محلى ٤٨ - ٥٠
٦١
عمر بن يحيى بن الوزير ٧٢
٧٣
عمر بن يخلف الفودودى ١٠٦
عنبر الخصى ١٥٢ - ١٥٣
عنتر بن ونزمار ١٧٢
عياد بن أبى عياد الفاطمى ٦١

عيسى بن الحسن بن على بن أبى الطلاق ٢٠٠
عيسى بن عبد الكريم ٧٨
عيسى بن عبد الواحد بن يعقوب ٥٧
عيسى بن ماساى ٣٣

حرف « غ »

الغر ٥٩
غمارة ٣٩
غنصالو الفرنجى ١٠٢

حرف « ف »

فارح مولى سيد الناس ١٨٤ ١٨٥
فارس بن ميمون بن وردار ١٢٧ ١٦٥ - ١٨٣ - ١٩٠ - ٢٠١ ٢٠٣
فاطمة ابنة أبى بكر الحفصى ١١٧ ١١٩ - ١٣٦ - ١٥٣
فتح الله السدراتى ٤٥
الفرنج ١١، ٣١-٣٢- ٤١-٤٢ ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٩٣ ٩٥ - ١٠٩ - ١٦٣
فشتالة ٩
الفضل بن أبى بكر الحفصى ١٥٧ ١٦١ - ١٦٣
الفنش ٤٨

حرف « ق »

القاضى المغيلى ١٧
قبائل بنى مرين ٩٥
قبائل تازا ٨٢
قبائل الخلط ٩٤
قبائل رياح ٣٢
قبائل الريف ٨٢
قبائل زكنة ٩٤
قبائل المغرب ٣٦
قتيبة بن حمزة ١٥٩ - ١٦١
قدميوة ٧٧

حرف « ك »

كتامة ٩٩
الكعوب ١٥٥
كندوز بن عثمان ١١٠

حرف « ل »

لبيدة بن أبى نمى ٨٣

حرف « م »

المتوكل العباسى ٧٤
محمد بن أبى زكرياء العزفى ١١٤ ١١٥
محمد بن أبى عمرو ١٨٤
محمد بن أبى عمران ١١٦

محمد بن ادريس بن عبد الحق ١٠
٢٣ - ٦٧
المرابطون ٤
محمد بن اسماعيل بن الاحمر ١٢١
١٣٩
محمد بن الحكيم ١٣٢
محمد بن اشقيلولة ٤٨
محمد بن سلامة بن على ١٢٥
محمد بن سيد الناس ١١٦ ١٨٥
محمد بن العباس بن تاحضريت ١٣٧
محمد بن عبد القوى ٣٣ - ٤٤
٥٤ - ٦٩
محمد بن عبد الله بن أبى الحسن ٦٨
محمد بن عثمان بن يغمراسن ٨١
محمد بن عطو الجاناتى ٥٩ - ٦٧
محمد بن على أبى القاسم العزفى
١١٥ - ١٣٥
محمد بن على بن يحيى ٢٧
محمد بن على بن محلى ٦٧
محمد بن عمران ٥٩
محمد بن طالب ١٦١
محمد بن المحروق ١٢١
محمد بن يوسف الابكم ٢٠٢
محمد بن ورزير ٣ - ٤
محمد بن يغمراسن ٥٦ - ٦٩
محمد بن يوسف بن هود الجذامى
٣٧ - ٣٨
المخضب بن عسكر ٤
مخلوف بن هنو الهسكورى ٩٣
المرتضى ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨
٢٤ - ٢٥
مريم أم ولد أبى سعيد المرينى
١٢٩
مرين ٤ - ٦٦
المرينيون ١٦٣ - ١٨٢ - ١٨٥
المستنصر بالله الحفصى ٢٨ - ٢٩
٣٥ - ١٧٠ - ١٠٨
مسعود بن أبى تاشفين ١٢٥ -
١٢٦
مسعود بن كانون السفيانى ٣٠
٥٠ - ٥٤
المشرف بن أبى عبد الرحمن المغيلى
١٥
المصامدة ١١ - ٢٦ - ٢٨ - ٣١
٣٩ - ٦٠ - ٧٧ - ٩٧ - ١٧٣
المعتمد بن عباد ٤٩
معقل ١٥٢
مغراوة ٣ - ٢٠ - ١٢٤ - ١٦٠
مكناسة ٦ - ٩ - ٣٩
١٦٣
المقريزى ١٤٧
المقرى ١٨١
الملثمون ١٥١
الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى

٨٣ - ٨٤ - ١٢٧ - ١٢٨ -
١٣١ - ١٤٠ - ١٤٣
الملند ٥٢ - ١٣٥
منديل بن حمامة ١٢٠
منديل بن محمد الكتانى ١٠٧
منسا سليمان ١٥٢ - ١٦٣
منسا موسى بن أبى بكر ١٥١
١٥٢
المنصور بن أبى مالك المرينى ١٦٤
١٦٥
منصور بن ابراهيم بن الحاج ١٨٥
منصور بن الحاج خلوق اليابانى
٢٠٢
المنصور بن عبد الكريم ٧٨
المنصور بن عبد الواحد بن يعقوب ٧٢
٧٣
المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق ٤
٨ - ١٢ - ١٤ - ١٧ - ١٨ - ١٩
٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤
٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٠
٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٦
٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١
٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦
٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥١ - ٥٣
٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٨ - ٦١
٦٢ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٧ - ٨٨
٨٩ - ١٠٧ - ١١١ - ١٤٠
١٧٥
المنصور الموحدى ٩٠
المهمندار ١٣٠
مهلهل بن يحيى الخلطى ٦١
الموحدون ٤ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠
١١ - ١٣ - ١٥ ١٧ - ١٨
٢١ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٩ - ٣١
٣٧ - ٣٩ - ٤٢ - ٥٦ - ١١٧
١٢٣ - ١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٦
١٦١
موسى بن أبى الفضل ١٣٣
موسى بن ابراهيم اليرينانى ١٣٧
موسى بن السبتى ٨١
موسى بن سعيد الصبيحى ٩٣
موسى بن على الهنتاتى ١١١
١٢٥
ميمون بن بكرون الحفصى ١٣٩
ميمون بن على ٢٠٤

حرف « ن »

الناصر ٤
الناصر بن أبى الحسن المرينى ١٧١
١٧٢
الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب
٣٠ - ٣٢ - ٣٥ - ٤٠ - ٤٣
٤٦ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤
٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١

٦٣ - ٦٤ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩
٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤
٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠
٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥
٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١
٩٩ - ١١٩ - ١٢٤ ١٢٧
١٧٨
نونة ٤٠ - ٤١

حرف « هـ »

هراندة بن سانجة ٥٨ - ٨٢
هشام بن عبد الملك ٩
هلال مولى سيد الناس ١٨٥
هنتاتة ٢٨ - ٧٧ - ١٧٣
هوارة ٩

حرف (و)

الوطاسى ١٨٥
ونزمار بن عريف يحيى ١٣٣
١٧٢

حرف (ي)

يحتاتن بن عمر بن عبد المومن ١٧٢
يحيى بن داود ١٨٣ - ١٨٤
يحيى بن سليمان العسكرى ١٢٤
١٥٦ - ١٥٧
يحيى بن طلحة بن محلى ١٢٢
يحيى بن عبد الرحمن بن تاشفين
٢٠٢ - ٢٠٣
يحيى بن عبد الله بن وانودين ٢٤
يحيى بن موسى ١١٦ - ١٢٤
يحيى بن حازم العلوى
يحيى الرندامى ١١٥
يزيد بن عبد الملك ٩
يعقوب بن آصناك ٩٣ - ٩٤
يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق ٢١
٢٢ - ٢٤
يعقوب بن على ١٣٤-٢٠٢-٢٠٣
يغمراسن بن زياد ١٢ - ١٣ -
١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٣
٢٥ - ٢٦ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣
٣٥ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٤ - ٥٠
- ٥٣ - ٥٦٥٤ - ٦٨ - ١٢٥
اليفرنى ١٧٥
يوسف بن تاشفين ٤٨-٤٩-٧٢
يوسف بن عيسى الحشمى ٩٣
١٠٣
يوسف بن قيطون ٦٠ - ٦١
يوسف بن مزنى ١٨٦ - ٢٠٤
يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد
الحق ٩٣ - ٩٥
يوسف بن يزكاسن ١٩
يوسف بن يعقوب ٩٥-٩٩-١٠٨
يوسف المنتصر ٤ - ٥

فهرس الاماكن

حرف « أ »

آزمور ٢١ - ٢٥
آنفا - الدار البيضاء - ٢٣ - ٥٢
آنكاد ٣٢
أبدة ٤٠ - ٥٧
أبو سليط ١٨
أبو طويل ٩٤
أرجونة ٤٧
أرض الاندلس ١٠٨
أرض الحامة ١٥٦
أرض حمزة ١٣٣
أرض السودان ١٥١
أرض السوس ٤٥ - ١٩٠
أرض المغرب ١٨٧
أغمات ٤٣ - ٩٤
الاسكندرية ١٢٨ - ١٦١
استجة ٦١
أسطبونة ٦٤
أشبونة ١٣٦
اشبيلية ٢٢ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٥
٤٦ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٣
٧٠ - ١٣٨
أصيلا ٣٤ - ٣٥ - ٨٣ - ٩٦
أفراك ١١٥
افريقية ٥ - ١٢ - ٢٨ - ٣٤ - ٩٠
١١٦ - ١٢٩ - ١٣٥ - ١٥١
١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٧ ١٥٨
١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣
١٦٤ - ١٧٠ - ١٨٣ - ١٨٤
٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤
كرسيف ٥ - ١٣ - ٢٥
أم الربيع ٢٠
الاندلس ٤ - ٨ - ١٢ - ٢٣
٣٧ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٤
٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧
٥٨ - ٦١ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩
٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٥ -
٨٢ - ٨٣ - ٩٥ - ٩٧ - ٩٨
١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٨ ١١٤
١١٥ - ١١٨ - ١٢١ - ١٢٢
١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٩
١٣٣ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨
١٣٩ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٨٦
١٩٤ - ٢٠٠

حرف (ب)

باب تحسينت بسجلماسة ١٨
باب الجديد ١١٢
باب الجيزيين بفاس ١٩
باب الشريعة بتازا ٦٧
باب الشريفة بفاس ١٧
باب الشريفة بمراكش ٤٣
باب الرب بمراكش ٩٤
باب الفتوح ٧٤
باديس ٤٢ - ٥٢
بحر الزقاق ٧٠ - ٧١ - ١٣٨
بجايـــة ٨٠ - ١١٩ - ١٣٥
١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٢ - ١٦٣
١٧١ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٠ - ٢٠١
البرت ٥٧
برج دار الحرة عزونة ٩٤
برشيك ٨٠
بسانط الفرنتينة ١٦
بستان المطارة ٨٩
بسكره ١٧١ - ١٨٣ - ٢٠٤
بسيط انكاد ١٨٢
بسيط وجدة ١٦
البطحاء ٨٠
بطوبة ١٩
بغداد ٣٤
بلاد الاندلس ٧٥
بلاد بطوية ٦ - ٢٠
بلاد بنى بهلول ٩٠
بلاد بنى توجين ٨٠
بلاد بنى حسن ٨٤
بلاد بنى عبد الواد ٨٠ - ١٠٥
بلاد بنى يزناسن ٦٩ - ٧٢
بلاد تادلا ١٨
بلاد تامسنا ٢٢ - ٥٠ - ٩٤
بلاد حاحة ٩٤
بلاد درعة ٢٧ - ١٩١
بلاد الجريد ١٥٥ - ١٥٩ - ١٧٠
بلاد الريـــف ١٣ - ٦١ - ٧٢
٩٠
بلاد الزاب ٣
بلاد زناتة ١٥
بلاد زواوة ١٧١
بلاد الســـوس ٢٧ - ٥١ - ٥٨
بلاد الصحراء ١١ - ١٢٨
بلاد صنهاجة ٢٦ - ٩٤
بلاد العرب ١٣٤
بلاد العدوة ٦٥
بلاد غمـــارة ٣٠ - ٤٢ - ٦١
٩٥ - ١٢٦
بلاد فازاز ١٠ - ١٥ - ١٧
٤٣
بلاد القبلة ٥ - ١٩ - ٩٤ - ١٠٧

١١٨ - ١١٩
بلاد مالى ١٥٢
البلاد المراكشية ١٢٤
بلاد المشرق ٨٤
بلاد مغراوة ٨٠
بلاد المغرب ١٠ - ١١ - ٢٠
٣٤ - ٣٦ - ٣٧ - ٥٣ ١٠٤
١٧٦
بلاد النخيل ٣
بلاد الهبط ١٠ - ٣٢ - ٩٤
بلاد هسكورة ٦٧
البلد الجديد بتلمسان ١٢٤

البلد الجديد - فاس الجديد ١٠٦
بلد الدمنة ٩٥
بلد مالى ١٥٢
بونة ١١٦ - ١٣٥ - ١٥٣
١٥٧ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٧٠
بياسة ٤٠ - ٥٧

حرف (ت)

تازة ١١ - ١٤ - ١٩ - ٢٠
٢١ - ٢٢ - ٥٤ - ٦٩ - ٧٠
٩٠ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥
١٠٦ - ١٦٥ - ١٧١
تادلا ٢٦
تاسالت ٨٥ - ١١٩ - ١٢٠ ١٢٤
تافرجينت ٨٠
تافرطاست ٧ - ٢٤ - ٦٤
تافريست ٢٠
تالموت ٨٠
تامدغوست ١٧٣
تامزوارت ٩٤
تامزردكت ٨٠
تامسنا ٣١ - ٥٠
تامنطيت ١٠٧
تاوريرت ٧٧ - ١٢٠
تطاوين ٩٦ - ٩٧
تكساس ٨٣
تلمسان ٣ - ١٢ - ١٣ -
١٦ - ٢٥ - ٣٠ - ٣٢ -
٣٣ - ٣٩ - ٥٤ -
٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٣ - ٧٤
٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠
٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٩١
٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٤
١٠٥ - ١٠٨ - ١١٦ - ١١٧
١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤
١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩
١٣٢ - ١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٥
١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥
١٧١ ١٧٨ ١٨٠ ١٨٢ ١٨٣
١٨٤ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٠
١٩١ - ٢٠٤

تلمسان الجديدة ١٧٨
تلمطيت ١٥٢
تنبكتو ١٥٢
تنس ٨٠ - ١٢٤
توزر ١٥٩ - ١٧٠ - ١٧٢ ٢٠٢
تونس ٢٨ - ٣٥ - ٥٦ - ٦١ - ٨٠
١١٦ - ١١٧ - ١٢٣ - ١٣٣
١٣٥ - ١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٤
١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٩
١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤
١٦٦ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢
١٨١ - ١٨٥ - ١٨٦ - ٢٠٢
٢٠٣
تيشمش ٣١
تيكرارين ١٠٧
التينة ١٠٦
تينملل ٢٧

حرف (ج)

جامع الاندلس ١١٢
جامع بن يوسف ١٧٥
جامع تازة ٧٥
جامع القرويين ٩٠ - ١١٢
١٧٦
جامع المنصور بمراكش ١٧٤
جبال بنى يزناسن ١٠٥
جبال الشرف ٤٦ - ٦١
جبال طرابلس ٣
جبال بهلولة ١٧
جبال غمارة ٢٣ - ٧٤ - ٩٢
٩٥
جبال غياثة ١١
جبال المصامدة ١٧٣ - ١٩٠
١٩١
جبال هسكورة ٩٣
جبال هنتاتة ١٧٣ - ١٧٤
١٨٢
جبل ورغة ٦٧
جبل آصرو ٤٣
جبل اوراس ٣
جبل أوراين ٢٠٤
جبل بيونش ٧٥
جبل تينملل ٤٢ - ٤٣ - ٤٤
٧٧
جبل جيلير ٢٤
جبل درن ٦٧ - ١١١ - ١٧٣
جبل راشد ١٧٢
جبل زالغ ١٧٩
جبل زرهون ١٢
جبل سكسيوة ٥٠ - ١٩٠
جبل طارق - جبل الفتح - ٥١
٥٢ - ١٠٩ - ١٢١ - ١٢٢
١٢٣ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤٦
١٥٠ - ٢٠٣

جبل علوان ٣٠
جبل الكندرتين ١٧٨
جبل وانشريس ٤٥ - ٥٤ - ١٢٥
١٧٢
جربة ١٣٥ - ١٧٠
الجريد ٢٠٣
الجزائر ٨٠ - ١٧٠ - ١٧١
١٧٣
الجزيرة الاندلسية ٥٣
الجزيرة الخضراء ٣٩ - ٤٠ -
٤١ - ٤٢ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٨
٤٩ - ٥٠ - ٥٢ - ٥٥ - ٥٦
٥٧ - ٥٨ - ٦٢ - ٦٤ - ٦٥
٦٦ - ٧٠ - ٧٥ - ١٠١ -
١٠٤ - ١٠٧ - ١٢٢ - ١٣٧
١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٥ - ١٤٩
١٨٠
جزيرة كبتور ٦١
جنوة ٧٤
الجيزة ١٣٠
جيان ٤٧ - ٥٦

حرف (ح)

الحامة ١٧٠
الحجاز ١٢٧ - ١٥٠
الحرم الشريف ١٢٧
حصون ملوية ١٣ - ١٤
حصون الوادى الكبير ٤٦
حصن اسطبونة ٧١
حصن بركونة ٤٧
حصن بجير ٧٠
حصن بلمة ٤٠
حصن بنى بشير ٤٧
حصن تازوطا ٦ - ١٣ - ٧٢
٧٣ - ٧٤ - ٧٥ ١٨٤
حصن جليانة ٤٦
حصن الحمراء ٣٨
حصن ذكوان ٦٤
حصن روطة ٤٦
حصن ركش ٥٩
حصن الزهراء ٤٧
حصن سطبونة ٧٥
حصن شلوقة ٤٦
حصن الصخرات ٦٣
حصن فركونة ٤٧
حصن قطنيانة ٤٦
حصن القناطر ٥٩
حصن القليعة ٤٦
حصن علودان ٢٣ - ٩٥
حصن غليانة ٤٦
حصن مرتقوط ٦٠
حصن المدور ٤٠ -
حصن بجير - ٧٠

حرف (د)

الدار السبضاء ـ بفاس الجديد ١٠٧
دار الصناعة بسلا ٢٢
درعة ١٨- ١٩ - ٣٦ - ١١٠
١٢٠ - ١٩١
الديار المصرية ١٢٨

حرف (ذ)

ذراع الصابون ٦٩

حرف (ر)

الرابطة ١٤
رباط تازا ٦ - ١٣ - ٢٦ - ٣٣
٤٥ - ٦٧ - ١٠٤
رباط الفتح ٨ - ٢١ - ٢٢
٢٤ - ٤٥ - ٥٨ - ٦١ - ٦٥
٩٤ - ١٠٤
رباط المنستير ١٥٧
رندة ٤٠ - ٤٥ - ٦٦ - ٧٥
١٠١ - ١٠٤ - ١٠٧
روض المصاره ١٢٠ - ١٥١
روطة ٥٩
الريف ٦ - ٩١

حرف (ز)

الزاب ١٥٥ - ١٨٣ - ١٨٦
٢٠٢ - ٢٠٤
الزقاق ٤٩ - ٥٢ - ٧٠ - ٧١
١٣٥ - ١٣٦
الزيتون ـ بناحية فاس - ١١٨
١١٩

حرف [س]

ساحل السوس ١٨٧ - ١٩٠
الساقية الحمراء ٥٨
ساقية غبولة ٢٤
سبتة ٢٢- ٢٤- ٣٥- ٣٨- ٥١
٥٩- ٦٠- ٦١- ٧٥- ٨٣- ٩٠
٩٤- ٩٥- ٩٦- ٩٧- ١٠٠
١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١٢٥
١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨
١٤٤ - ١٦٦ - ٢٠٢
سبو ١٠٢
سجلماسة ٣ - ٥ - ١٨ - ١٩
٢٠ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٦٧
٨٨ - ٨٩ - ١٠٧ - ١١٠
١١١ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣
١٧٢ - ١٧٣
١٧٣
سطح الجعاب ١٥٥
سلا ٣ - ١٧ - ٢١ - ٢٢
٢٣ - ٢٤ - ٢٩ - ٥٢ - ١٧٥
١٧٦ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٦

سواحل المغرب ١٣٥ - ١٣٧
سور الاقواس بسلا ١٧٥
السودان ١٢٩ - ١٥١
السوس ٥٤ - ١٢٦
السوس الاقصى ٣ - ٣٢ - ١٥٧
سوسة ١٥٧ - ١٦١ - ١٦٢
سوق العطارين بفاس ١٧٩
سيجوم ١٥٦ - ١٥٩

حرف [ش]

شالة ٥٨ - ٦٥ - ٨٥ - ٩٧ - ١٧٤ - ١٨١ - ١٨٢
الشام ١٢٧ - ١٥٧
شدرونة ٤٧
الشرق ١٥٨ - ١٨٣
شرشال ٨٠
شريش ٤٢ - ٤٦ - ٥٧ - ٥٩ ٦٠ - ٦١ - ٧٠

حرف [ص]

صبرة ٧٤ - ٩٠ - ١١٧
الصحراء ٣ - ١٠٧ - ١١٠ ١٧٢
صحراء درعة ٦٧
صحراء الزاب ٤
صخرة أبى بياش ١١
صخرة عباد ٥٥
صقيلة ١٦٦

حرف [ض]

ضواحى افريقية ٣

حرف [ط]

طرابلس ١٣٥ - ١٥٥
طريف ٣٩ - ٤٠ - ٤٥ ٥٨ ٦١ - ٦٦ - ٧٠ - ٧١ - ٧٤ ٧٥ - ١٠٩ - ١٣٦ - ١٣٧ ١٣٨ - ١٥٣ - ١٦٣ - ١٨١
طليطلة ٥٦ - ٥٧ - ١٠٨
طنجة ٣٤ - ٣٥ - ٣٨ - ٥١ ٥٢ - ٥٣ - ٥٨ - ٦١ - ٦٦ ٧٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ١١٥ ١٥٣

حرف [ع]

العدوة ٤٢ - ١٥٧
عدوة الاندلس ١٩ - ١٥٧ ١٧٦
العدوتان ٩٤ - ١٢٦ - ١٤٠
العدوة المغربية ٣١ - ٦٠
العرائش ٣١ - ٨٣
عرفة ١٥٢
عقبة الجزارين بفاس ١٧٩
علودان ٩٧

عين غبولة ٢١ - ٥٨
عين الصفا ١٣ - ٦٩ - ٧٢
عيون البركة ١٧٦

حرف [غ]

غابة المعمورة ٢٢
غدامس ٣
غرب الاندلس ١٣٦
غرناطة ٣٨ - ٤٨ - ٥٢ - ٥٣
٦٧ - ٨٢ - ١٠٩ - ١١٠
١١٣ - ١٢٣ - ١٣٦ - ١٣٧
١٦٧ - ١٨٨ ١٩١ - ١٩٦
غساسة ١١٧

حرف [ف]

فاس ٣ - ٨ - ١٠ - ١١ - ١٣
١٤ - ١٥ - ١٨١٧ - ١٩ - ٢٠
٢١ - ٢٢ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦
٢٧ - ٣١ - ٣٣ - ٣٥ ٣٦
٣٨ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٥٢
٥٣ - ٥٤ - ٥٨ - ٦٦ - ٦٧
٦٩ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٦ - ٧٩
٨٠ - ٨٨ - ٩٠ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤
٩٥ - ٩٧ - ٩٨ - ١٠١ - ١٠٣
١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ ١١٠
١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤
١١٨ - ١٢٠ - ١٢٤ - ١٣٠
١٤٦ - ١٥٠ - ١٦٥ - ١٧٢
١٧٤١٧٦ - ١٧٧ -
٧٩ - ١٨٠ - ١٨٢ - ١٩٢
٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٦
فاس الجديد ١٠٧ - ١١١
١٢٤ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٨٢
٢٠١
فحص ازغار ٩٤
فرضة المجاز ٤٢ - ١٣٨

حرف [ق]

قابس ١٣٥ - ١٥٥ - ١٥٦
١٧٠ - ٢٠٢
القاهرة ٨٤
القاهرة بالسوس ١٩٠
قبة مكناسة الزيتون ٩٠
قبة الملعب ١٦٤
القرافة ١٣٠
قرطاجنة ١٧٦
قرطبة ٣٧-٤٦-٤٧-٥٦-٧٥
قرمونة ٥٩ - ٦٠ - ٦١
القرويين ٢٠٦
قرية مكول ٥٠
قسنطينة ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٢
١٦٣ - ١٨٥ - ١٨٦ - ٢٠١
٢٠٢ - ٢٠٣ ٢٠٤
قشتالة ٨٢

القصبات ٥٤ - ٨٠
القصبة - بتطاوين ٨٩
القصبة (بتونس) ١٥٧ ١٦١، ١٧٠ - ١٨٥ - ٢٠٢
القصبة (بسبتة) ١١٥
القصبة - بطنجة - ٦٧
القصبة بفاس ١٤ - ١٥ - ٨٩ - ١٦٤
القصبة (بمراكش) ٢٧ - ١٧٤
القصبة (بمكناس) ٤٤
القصر ٦٨ - ٩٦ - ٩٩
قصر الاجم ١٥٧
قصر كتامة ١٠ - ٢٠ - ٢٣ - ٨٣ - ٩٥
قصر المجاز ٣٨ - ٣٩ - ٤٥ ٥٥ - ٥٨ - ٦٧ - ٧٠ - ٨٩
قصر مصمودة ٤٢ ٥٥
قصور نوات ٢٠٧
القطر المغربى ٤
قفصة ١٥٤ - ١٧٠
قلعة بنى سعيد ١٣٧
قلعة تازوطا ١٣
قلعة تاغزوت ١٢٥
قلعة تامزدكت ١٣
قمارش ٤٠
قنطرة ماريج ٨٩
قنطرة وادى النجاة ٨٩
القيروان ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦١ ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤
كلدمان ٢٠

حرف [ك]

كلدمان ٢٠
الكندرتان ٨٩

حرف [ل]

لبلة ٦١
لمدية ٨٠ - ١٢٤ - ١٣٣ - ١٨٣ - ١٨٤

حرف [م]

مازونة ٨٠
مالى ١٢٩
مالقة ٤٠ - ٤٥ - ٤٨ - ٤٩ ٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٥٧ - ٦١ - ٦٤ - ٦٨ - ٧١ - ٧٣ - ٨٢ ١١٣
مالى ١٢٩
مجربط ٤٦
مدرسة باب حسين بسلا ١٧٥
مدرسة الرخام - المدرسة المصباحية بفاس ١٧٦
مدرسة الصهريج بفاس ١٧٦
مدرسة العطارين بفاس ١١٢

المدرسة العظمى بطالعة سلا ١٧٥
المدرسة العظمى بمراكش ١٧٥
المدرسة العنانية بفاس ٢٠٦
المدينة ١٣٠ - ١٣١
المدينة البيضاء - فاس الجديد ٤٤
٤٥ - ٨٩ - ٢٠٦
مدينة شريش ٤٦
مديونة ٩
مراكش ٥ - ١٠ - ١٢ - ١٥
١٧ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨
٢٩ - ٣١ - ٣٤ - ٣٥ - ٤٢
٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٥٠ -
٥١ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦
٥٨ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٢ - ٧٧
٨٥ - ٩٢ ٩٣ - ٩٤ - ٩٥
٩٤ - ٩٥ - ١٠٧ - ١١٠ -
١١١ - ١٢٠ - ١٧٢ - ١٧٣
١٧٤ - ٢٠١
مرس بجاية ١٧٠
مرسى غساسة ٧٣ - ١١٦
مرسى سبتة ١٣٦
مرسى المرية ١٦٨
مريالة ٦٦
مرسى المنكب ١٦٨
المرية ٥١ - ١٧٦
مرفأ سبتة ٥٢ - ١٧٦
مستغانم ٨٠
المسجد الجامع بتازا ٩٠
المسجد الجامع بفاس الجديد ٨٩
مسجد الفتح ١٣٠
مسجد القرويين ١١٣
مسراته ١٥٧
مشرع كتامة ٩٤
المشرق ١٢٧ - ١٢٨ - ١٦٤
١٧٥ -
مصر ٨٣ - ٨٤ - ٩٠ - ١٢٧
١٢٨ - ١٢٩ - ١٣١ - ١٤٠
١٥٧
المعاهد الشريفة ١٢٧
معدن العوام ١٥
معقل ٣١
المغرب ٣ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩
١٠ - ١٥ - ١٦ - ٢٠ - ٢١ -
٢٣ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٣١
٣٣ - ٣٤ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٤
٤٥ - ٤٨ - ٥٤ - ٥٧ - ٥٨ -
١٦٠ ١٦١ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦
٧١ - ٧٢ - ٧٦ - ٧٧ - ٨٠
٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٧ ٨٨ ٨٩
٩٠ - ٩٣ - ٩٧ - ٩٩ - ١٠١
١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨
١١٣ ١١٤ ١٢٠ ١٢٣ ١٢٤
١٢٦ - ١٢٨ - ١٣٨ - ١٤٧
١٥١ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨

١٦٠، ١٦١، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦
١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٥
١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٥ - ١٨٦
١٨٧ - ٢٠٣ - ٢٠٤
المغارب الثلاثة ١٦٤
المغرب الاقصى ٣ - ٣٥ - ٦٨
٨٨ - ١٤٤
المغربان ١٢ - ١١٨ - ١٢٧
١٣٥
المغرب الاوسط ٣ - ١٥١ - ١٥٥
١٨٣
مقبرة الشيخ أبى بكر بن العربى ١٠٠
المقرمدة ١٨ - ١٠٦
مكة ٨٣ - ١٣٠ - ١٥٨
مكناسة ١٠ - ١٢ - ١٣ - ١٨
٢٠ - ٧٢ - ٧٦ - ١٣٩ - ١٥٦
١٦٥ - ١٧١ - ١٧٦ - ١٧٩
١٨٤
مليلة ٣
ملوية ١٩ - ٢٠ - ٥٣ - ٧٤
مليانة ٤٣ - ٨٠ - ١٢٤
مملكة برنو ١٥١
مملكة غانة ١٥١
مملكة كاغو ١٥١
مملكة المغرب ١٥١
مملكة مالى ١٥١
المنصورة ٨٠ - ٨٤ - ٩١ -
٩٢ - ١٢٤ - ١٦٤ - ١٧٨
المنكب ٥١ - ٦١
المهدية ١٥٧ - ٢٠٢ - ٢٠٣

حرف [ن]

ندرومة ٧٦ - ٨٠ - ١٢٤
١٥٥
نفطة ١٧٠ - ٢٠٢
نهر شنيل ١٠٩

حرف [هـ]

هنين ٨٠ - ١٢٤

حرف [و]

وادى آش ٤٠ - ٦٠
وادى أبى الاجراف ١٦٥
وادى أم الربيع ١٤ - ٢٤ - ٢٦
٣٢ - ٩٣ - ٩٤ - ١٧٣
وادى أم الرجلين ٢٤
وادى ايسلى ١٦ - ٣٢
وادى بهت ١٢
وادى تافنا ٥٤
وادى تلاغ ٥٤
وادى الزيتون ١٦٥
وادى سبو ٧ - ١١٨ - ١٧٦
وادى شلف ١٨٣
وادى العبيد ٢٦

ودغفو ٢٧
وطاط ١٣
وطاط الحاج ١٩
وهران ٨٠ - ١٢٤
الوادى الكبير ٤٥ - ٦٠
وادى لك ٥٩ - ٦٣
وادى ملويـــــة ١٠٥ - ١١٠
١١٧
وادى مكور ٦
واقعة أم الرجلين ٢٤
وانشريش ٨٠
وجـــدة ٧٦ - ٧٧ - ٧٩
٩٢ - ١٠٥ - ١٢٤ - ١٣٣
١٣٤ - ١٥٥

حرف [ي]

يثرب ١٥٨
ينبع الحجاز ٨٨
وادى فاس ٨٩ - ١٧٦
وادى قصر كتامة ١٧٦

فهرس الخطإ والصواب

صفحة	سطر	خطـا	صواب
٣	٢٢	ظواغن	ظواعن
٤	٣	ثير بعين	تير بعين
٧	٢٤	نى	بنـى
٩	١٣	شفا	شفى
١٦	٤	انجاش	انحاش
٢٥	٥	فراره	فراره
٤١	٢٣	كثر	كثرة
٦٠	٦	وحرفه	وحرقه
٧٢	٧	لحقو	لحقوا
٧٧	٨	والبعث	والعبث
٧٧	٨	عاضهم	غاظهم
٨٣	٦	الحق	لحق
١٠٠	٨	السطلان	السلطان
١٠٥	٣	أبا الحسين	أبا الحسن
١٠٧	١٧	يوعز	يوغر
١١٠	١٦	أغد	أغذ
١١٣	٥	المعرف	المعروف
١٢٠	١٠	أغد	اغذ
١٢١	٢١	وقبل	قبل
١٢٢	٧	نقلهم	نفلهم

باب ما جاء في الغلاة وذمهم

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٢٥	٢٢	عشر	عشرة
١٢٥	٢٦	وكضت	وكظت
١٤٠	٦	أبظا	أيظا
١٤١	٢١	رحمه	رحمة
١٤٤	٤	وقفنه	وقفناه
١٤٩	٩	ازله	ازالة
١٤٩	١٣	سي	شق
١٥٠	١١	فنح	فتح
١٥٤	١٣	قاضى	قاضيى
١٥٥	٢٠	بقسطنطينية	بقسنطينة
١٦٦	١	كر	كبر
١٨١	١٩	كان السلطان	كان هذا السلطان
١٨١	١٩	وعشرتيه	وعشيرته
١٨٢	٢١	سعا.	سعيد
١٨٨	١١	رافعوا السماء	رفعوا لسماء
١٨٨	١١	وأوضحوا السبيل	واوضحوا لسبيل
١٩٦	٨	أنبائه	أنبيائه
١٩٧	١١	معتبر	بمعتبر
١٩٧	٢١	بنظر	ينظر
١٩٧	٢٣	لما	لم
١٩٩	٩	ومظار	ومدار
٢٠٦	٢٦	ذلك	وذلك

AHMED AN-NACIRI

AL-ISTIQÇA

TOME III

DAR EL KITAB
PLACE DE LA MOSQUÉE * B. P. 4018 Derb SIDNA
CASABLANCA (Maroc)

Dépositaires :

ÉDITIONS LAROSE
11, RUE VICTOR COUSIN
PARIS (Ve)

LIBRAIRIE D'AMÉRIQUE & D'ORIENT
11, RUE SAINT-SULPICE
PARIS (VIe)

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصرى

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة المرينية

القسم الثانى

الجزء الرابع

تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبى السعادة :

الاستاذ جعفر الناصرى — والاستاذ محمد الناصرى

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصرى

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة المرينية

(القسم الثانى)

الجزء الرابع

تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السعادة :

الاستاذ جعفر الناصرى — والاستاذ محمد الناصرى

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة المرينية

القسم الثانى

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله
ابى بكر بن ابى عنان بن ابى الحسن المرينى

٩٢٥ ح ٢-١١-٤

هذا السلطان أول من استبد عليه من ملوك بنى مرين . أمه : أم ولد اسمها الياسمين. كنيته : أبو يحيى، وهى كنية كل من اسمه أبوبكر: لقبه. السعيد بالله . صفته : درى اللون مستدير الوجه حسن الانف ألعس الشفتين ، براق الثنايا ، جعد الشعر . بويع وابوه مريض فى التاريخ المتقدم ، وكان محجوبا بوزيره حسن بن عمر الفودودى لا يملك معه ضرا ولا نفعا ، ولما بويع لحق أخوه عبد الرحمن (*) بن أبى عنان بجبل الكاى وكان أسن منه ، وانما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى من وزارته ، فبعثوا اليه من لاطفه واستنزله على الامان وجاء به الى اخيه فاعتقله الحسن بن عمر بقصبته من فاس ، وبعث على ابناء السلطان الاصاغر الامراء بالثغور ، فجاء المعتصم من سجلماسة ، وامتنع المعتمد بمراكش وكان بها فى كفالة عامر(*)بن محمد الهنتاتى ، وكان عامر هذا من بيوتات هنتاتة واهل الرياسة والشرف فيهم ، وكان السلطان أبو عنان قد أوصى اليه بولده المذكور وجعله هنالك لنظره ، فلما بعثوا عليه منعه من الوصول اليهم ، وخرج به من مراكش الى حصنه من جبل هنتاتة فجهز اليه الوزير حسن بن عمر الجيوش لنظر الوزير سليمان بن داود مشاركه فى الاستبداد ، وسرحه فى المحرم سنة

(*) عبد الرحمن هذا لم يعده صاحب روضة النسرين فى جملة اولاد السلطان ابى عنان.

(*) انظر ترجمة عامر هذا عند ابن خلدون ج اول طبع الجزائر ص ٣٥٩ والتى تليها

ستين وسبعمائة، فسار الى مراكش فاستولى عليها ثم تخطى الى الجبل فأحاط به وضيق على عامر حتى أشرف على اقتحام الحصن الى ان بلغه خبر افتراق بنى مرين بفاس ،وظهور منصور بن سليمان بها على ماذكره ، فانفض العسكر من حوله وتسابقوا الى منصور فلحقوا به ، ولحق به سليمان بن داود أيضا وتنفس الحصار عن عامر ومكفوله ، والله غالب على أمره

ظهور ابى حمو موسى بن يوسف الزيانى واستيلاؤه على تلمسان ونهوض مسعود بن عبد الرحمن اليه وطرده عنها

كان بنو عامر بن زغبة من عرب هلال خارجين على السلطان ابى عنان منذ استيلائه على تلمسان وكانت رياستهم الى صغير بن عامر بن ابراهيم ، ولما رجع أبو عنان الى فاس اعتزم صغير على الرحلة بقومه الى وطنهم من صحراء المغرب لانهم كانوا منتبذين عنها باطراف افريقية ، فدعوا أبا حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان الى الرحلة معهم لينصبوه للامر ويجلبوا به على تلمسان فأجابهم الى ذلك ، واغذوا السير الى المغرب للعيث فى نواحيه ، فجمع لهم أعداؤهم من سويد وكانوا خالصة لبنى مرين فالتقوا بقبلة تلمسان فانهزمت سويد ، وهلك كبيرهم عثمان بن ونزمار ، واتصل بهم فى أثناء ذلك خبر وفاة السلطان ابى عنان بفاس ، فاغذوا السير الى تلمسان وقاتلوا عليها حامية بنى مرين ثم اقتحموها عليهم لليال خلون من ربيع الاول سنة ستين وسبعمائة ، واستباحوا من كان بها منهم ،وامتلأت ايديهم من أسلابهم ، واستولى ابو حمو على ملك تلمسان واستأثر بما الفاه بها من متاع بنى مرين ومن جملته هدية كان السلطان ابو عنان أعدها هنالك ليبعث بها الى طاغية برشلونة وفيها فرس أدهم من مقرباته بمركب ولجام مذهبين ثقيلين فاتخذ أبو حمو الفرس لركوبه ، وصرف باقى الهدية فى وجوه مقاصده ولما انتهى الى الوزير حسن

ابن عمر خبر تلمسان واستيلاء أبى حمو عليها جمع شيوخ بنى مرين واخبرهم بالنهوض اليها فأبوا عليه من النهوض بنفسه ، واشاروا بتجهيز العساكر ووعدوه من انفسهم المسير كافة ففتح ديوان العطاء وفرق الاموال واسنى الصلات وازاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد ، ثم عقد عليهم لمسعود بن عبد الرحمن بن ماساى وحمل معه المال وأعطاه الآلة وسار فى العساكر والالوية ولما اتصل خبر مسيره بابى حمو أفرج له عن تلمسان ودخلها مسعود فى ربيع الثانى من السنة المذكورة فاستولى عليها وخرج ابو حمو الى الصحراء الى ان كان ما نذكره .

ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبد الرحمن له وما نشأ عن ذلك

منصور هذا هو منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق ، وكان الناس يرجفون بان ملك المغرب سائر اليه بعد وفاة أبى عنان وشاع ذلك على السنة الناس حتى تحدث به السمر والندمان وخشى منصور على نفسه من ذلك فجاء الى الوزير حسن بن عمر وشكا اليه ذلك فنهاه أن يختلج بفكره هذا الوسواس وانتهره انتهارا خلا عن وجه السياسة فانزجر واستكان . قال ابن خلدون : « ولقد شهدت هذا الموطن فرحمت ذلة انكساره وخضوعه فى موقفه » . ثم لما نهض مسعود بن عبد الرحمن الى تلمسان واستولى عليها كان منصور هذا فى جملته ، ولما فر ابو حمو الى الصحراء اجتمعت عليه جموع العرب من بنى زغبة وبنى معقل ثم خالفوا بنى مرين الى المغرب واحتلوا بانكاد بحللهم وظواعنهم ، فجهز اليهم مسعود بن عبد الرحمن عسكرا من جنوده انتقى فيه مشيخة بنى مرين وامراءهم ، وعقد عليهم لابن عمه عامر بن عبد الله بن ماساى وسرحه ، فزحف

الى العرب بساحة وجدة فصدقه العرب القتال ، فانكشفت بنو مرين واستبيح معسكرهم واستلبت مشيختهم وأرجلوا عن خيولهم ودخلوا الى وجدة عراة وبلغ الخبر الى بنى مرين الذين بتلمسان وكان فى قلوبهم مرض من استبداد حسن بن عمر عليهم وحجره لسلطانهم فكانوا يتربصون بالدولة الدوائر ، فلما بلغهم هذا الخبر حاصوا حيصة حمر الوحش وخلصوا نجيا بساحة البلد ، فاتفقوا على البيعة ليعيش بن على بن أبى زيان بن يوسف بن يعقوب فبايعوه ، وانتهى الخبر الى مسعود بن عبد الرحمن وكان فى جملته منصور ابن سليمان كما قلنا فاكرهه على البيعة ، وبايعه معه الرئيس الابكم من بنى الاحمر ، وقائد النصارى القهردور ، وتسايل اليه الناس من كل جانب ، وتسامع الملا من بنى مرين بالخبر فتهاروا اليه وذهب يعيش بن على لوجهه فركب البحر الى الاندلس ، واستتب أمر منصور بن سليمان واجتمع بنو مرين على كلمته فارتحل بهم من تلمسان يريد المغرب ، واعترضتهم جموع العرب فى طريقهم فاوقعت بهم بنو مرين وامتلأت ايديهم من اسلابهم وظعنهم ، ثم أغذوا السير الى المغرب فاحتلوا بوادى سبو فى منتصف جمدى الآخرة من سنة ستين وسبعمائة ، وبلغ الخبر الى الحسن بن عمر فبرز واضطرب معسكره بساحة البلد ، واخرج السلطان السعيد فى الآلة والتعبية الى أن أنزله بفسطاطه ، ولما غشيهم الليل انفض عنه الملا الى منصور فاوقد الوزير الشموع وأذكى النيران وجمع الموالى والجند حول الفسطاط حتى أركب السلطان وعاد به الى قصره وتحصن بالبلد الجديد ، واصبح منصور بن سليمان فارتحل فى التعبية حتى نزل بكدية العرائس فى الثانى والعشرين من جمدى الآخرة من السنة المذكورة وغدا على فاس الجديد بالقتال وجمع الايدى على اتخاذ الآلات للحصار ، وانثالت عليه وفود الامصار بالمغرب للبيعة ، ولحقت به كتائب بنى مرين التى كانت مجمرة على حصن عامر بن محمد الهنتاتى ، ولحق به أيضا قائدها سليمان بن داود وكاد أمره يتم وأقام على فاس الجديد يغاديها القتال ويراوحها ، ثم بدا الخلل فى عسكره ونزع عنه الى الوزير حسن بن عمر طائفة من بنى مرين ، ولحق آخرون ببلادهم

ووقفوا ينتظرون مآل أمره ، واستمر هذا الحال الى غرة شعبان فبينما الناس فى ذلك اذ ظهر السلطان أبو سالم بجبال غمارة فانصرفت اليه وجوه أهل المغرب ، وبطل أمر السلطانين : أبى بكر السعيد، ومنصور بن سليمان معا، وذابا كما يذوب الملح ، فأما منصور بن سليمان فانه فر الى بادس فقبض عليه وجىء به الى السلطان أبى سالم فقتله ، وأما السعيد فان وزيره الحسن بن عمر لما سمع بظهور السلطان أبى سالم واستفحال أمره نبذ دعوة سلطانه المذكور وبعث بطاعته الى ابى سالم ووعده بالتمكين من دار الملك ان قدم عليه ، فكان الامر كذلك ، وخلع السعيد يوم الثلاثاء الثانى عشر من شعبان سنة ستين وسبعمائة (*) ، ثم قتل بعد ذلك غرقا فى البحر ، فان السلطان ابا سالم بعثه فى جملة الابناء المرشحين من بنى ابى الحسن الى الاندلس ، ووكل بهم من يحرسهم ثم بعد ذلك بعث الى الموكل بهم فحملهم فى سفينة كأنه يريدبهم المشرق ثم غرقهم فى البحر ، والامر لله وحده

الخبر عن دولة السلطان المستعين بالله
أبى سالم ابراهيم بن أبى الحسن المرينى

كان هذا السلطان جوادا ، جم العطاء ، معروفا بالوفاء ، كثير الحياء، كنيته : أبو سالم . لقبه : المستعين بالله . أمه : أم ولد رومية اسمها قمر ، صفته : آدم اللون، معتدل القامة، رحب الوجه، واسع الجبين، بادن الجسم، أعين ادعج، معتدل اللحية أسودها . وكان بعد مهلك والده السلطان ابى الحسن رحمه الله قد استقر بالاندلس. بعثه اليها أخوه أبوعنان كما مر ، ولما مات ابو عنان المذكور وولى ابنه الصبى طمع ابو سالم هذا فى الملك ، فاستاذن الحاجب رضوان مدبر دولة ابن الاحمر بالاندلس فى اللحاق ببلاده فأبى عليه ، فغاظه ذلك

(*) وكانت دولته سبعة اشهر وعشرين يوما

ونزع عنه الى طاغية قشتالة وتطارح عليه فى أن يحمله الى بر العدوة يطلب ملك ابيه فاسعفه وامر به فحمل فى مركب والقى به ملاحه فى ساحل بلاد غمارة بعد أن تردد فى أى السواحل يلقيه ، ووافق ذلك اختلاف الكلمة بفاس ومحاصرة منصور بن سليمان للمدينة البيضاء ، فتسامع الناس بخروجه ببلاد غمارة احوج ماكانوا اليه فتسايلوا اليه من كل وجه ، وانفض الناس من حول منصور ومشى أهل معسكره بأجمعهم على التعبية فلحقوا بالسلطان أبى سالم واستغذوه الى دار ملكه فأغذ السير اليها . وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد من الامر لتسعة أشهر من خلافته ، وأسلمه الى عمه فخرج اليه وبايعه ، ودخل السلطان ابو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين وسبعمائة ، واستولى على ملك المغرب ، وتوافت وفود النواحى بالبيعات وعقد للحسن بن عمر على مراكش ، وجهزه اليها بالعساكر تخففا منه وريبة بمكانه من الدولة ، واستوزر مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى والحسن بن يوسف الورتاجنى ، واصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه ابا عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل الى ابى زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ توقيعه وكتابة سره ، قال : « وكنت نزعت اليه من معسكر منصور ابن سليمان بكدية العرائس لما رأيت من اختلاف احواله ومصير الامر الى السلطان أبى سالم فاقبل على وانزلنى بمحل التنويه واستخلصنى لكتابته اه »

قدوم الغنى بالله ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب مخلوعين على السلطان أبى سالم والسبب فى ذلك

قد قدمنا أن السلطان ابا الحجاج قتل يوم عيد الفطر بالمصلى سنة خمس وخمسين وسبعمائة وولى الامر من بعده ابنه الغنى بالله محمد بن يوسف ، وكان له أخ اسمه اسماعيل فجعله الغنى بالله فى بعض القصور من حمراء غرناطة احتفاظا به الى ان كان رمضان من سنة ستين وسبعمائة فخرج الغنى

بالله الى بعض منتزهاته خارج القصبة ، ولما كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان المذكور أو ثمان وعشرين منه تسور جماعة من شيعة اسماعيل المحبوس عليه القصبة ليلا وأخرجوه من محبسه واعلنوا بدعوته ، ثم اقتحموا على حاجبه رضوان داره فقتلوه على فراشه وبين نسائه ، وضبطوا القصبة ، واعلنوا بالدعوة ، ولم يرع الغنى بالله الا قرع الطبول بالقصبة فى جوف الليل ، فاستكشف الخبر وتسمع فعلم بما تم عليه من خلعه وتولية أخيه ، فركب فرسه وخاض الليل الى وادى آش فاستولى عليها وضبطها ، وبايعه أهلها على الموت ، ثم عمد شيعة اسماعيل الثائر الى الوزير ابن الخطيب فاودعوه السجن بعد أن أغروا به ثائرهم واكتسحوا داره واصطلموا نعمته وأتلفوا موجوده ، وكان شيئا يجل عن الحصر ، واتصل ذلك كله بالسلطان ابى سالم وكانت له مصافاة مع ابن الاحمر من لدن كان عنده بالاندلس ، فكتب اسماعيل الثائر وشيعته يأمرهم بتخلية طريق الغنى بالله للقدوم عليه ، ويشفع فى تسريح ابن الخطيب وتخلية سبيله فأجابوا الى ذلك وقدم الغنى بالله ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب على السلطان أبى سالم فى السادس من محرم فاتح سنة احدى وستين وسبعمائة ، فأجل السلطان أبو سالم قدومه ، وركب للقائة ، ودخل به الى مجلس ملكه وقد احتفل فى ترتيبه وقد غص بالمشيخة والعلية ، ووقف وزيره ابن الخطيب على قدميه فانشد السلطان ابا سالم قصيدته الرائية يستصرخه لسلطانه ، ويستحثه لمظاهرته على أمره واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ونص القصيدة:

سلا هل لديها من مخبرة ذكر ... وهل أعشب الوادى ونم به الزهر
وهل باكر الوسمى دارا على اللوا ... عفت آيها الا التوهم والذكر
بلادى التى عاطيت مشمولة الهوى ... باكنافها والعيش فينان مخضر
وجوى الذى ربى جناحى وكره ... فها أنا ذا مالى جناح ولا وكر
نبت بى لا عن جفوة وملالة ... ولا نسخ الوصل الهنى بها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها ... ولذاتها دأبا تزور وتزور
فمن لى بقرب العهد منها ودوننا ... مدى طال حتى يومه عندنا شهر

ولله عينا من رآنا وللاسى ... ضرام له فى كل جانحة جمر
وقد بددت در الدموع يد النوى ... وللشوق أشجان يضيق لها الصدر
بكينا على النهر الشروب عشية ... فعاد أجاجا بعدنا ذلك النهر
أقول لاظعانى وقد غالها السرى ... وآنسها الحادى وأوحشها الزجر
رويدك بعد العسر يسران أبشرى ... بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
ولله فينا علم غيب وربما ... أتى النفع من حال اريد بها الضر
وان تخن الايام لم تخن النهى ... وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر
وان عركت منى الخطوب مجربا ... نقابا تساوى عنده الحلو والمر
فقد عجمت عودا صليبا على الردى ... وعزما كما تمضى المهندة البتر
اذا أنت بالبيضاء قررت منزلى ... فلا اللحم حل ما حييت ولا الظهر
زجرنا بابراهيم برء همومنا ... فلما رأينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من آل يعقوب كلما ... دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثه ... فلما راته صدق الخبر الخبر
ندى لو حواه البحر لذ مذاقه ... ولم يتعقب مده ابدا جزر
وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى ... وترفل فى اذياله الفتكة البكر
أطاعته حتى العصم فى قنن الربا ... وهشت الى تاميله الانجم الزهر
قصدناك ياخير الملوك على النوى ... لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الايام عن غلوائها ... وقد رابنا منها التعسف والكبر
وعدنا بذاك المجد فانصرم الردى ... ولدنا بذاك العزم فانهزم الذعر
ولما أتينا البحر يرهب موجه ... ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها ... فايمانه لغو وعرفانه نكر
ووصفك يهدى المدح قصد صوابه ... اذا ظل فى أوصاف من دونك الشعر
دعتك قلوب المومنين واخلصت ... وقد طاب منها السر لله والجهر
ومدت الى الله الا كف ضراعة ... فقال لهن الله قد قضى الامر
والبسها النعمى ببيعتك التى ... لها الطائر الميمون والمحتد الحر
فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا ... وقد كان مما نابه ليس يفتر

وامنت بالسلم البلاد وأهلها ... فلا ظبة تعرى ولا روعة تعرو
وقد كان مولانا أبوك مصرحا ... بانك فى اولاده البر
وكنت حقيقا بالخلافة بعده ... على الفور لكن كل شىء له قدر
فأوحشت من دار الخلافة هالة ... أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
فرد عليك الله حقك اذ قضى ... بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
وقاد اليك الملك رفقا بخلقه ... وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزا ورفعة ... وأجرا ، ولولا السبك ما عرف التبر
وانت الذى يدعى اذا دهم الردى ... وأنت الذى يرجى اذا أخلف القطر
وانت اذا جار الزمان محكم ... لك النقض والابرام والنهى والامر
وهذا ابن نصر قد اتى وجناحه ... مهيض ومن علياك يلتمس الجبر
غريب يرجى منك ما انت أهله ... فان كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
ففز يا امير المومنين ببيعة ... موثقة قد حل عروتها الغدر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا ... بيا لمرين جاءه العز والنصر
وخذ يا امام الحق بالحق ثاره ... ففى ضمن ما تاتى به العز والاجر
وانت لها ياناصر الحق فلتقم ... بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
فان قيل مال ، مالك الدثر وافر ... وان قيل جيش ، عندك العسكر المجر
يكف بك العادى ويحيابك الهدى ... ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
أعده الى أوطانه عنك راضيا ... وطوقه نعماك التى مالها حصر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها ... فقد صدهم عنه التغلب والقهر
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة ... تحاولها يمناك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يئودك كلفة ... سوى عرض ما ان له فى العلا خطر
وما العمر الا زينة مستعارة ... ترد ، ولكن الثناء هو العمر
ومن باع ما يفنى بباق مخلد ... فقد انجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ماتبغيه يا ملك الهدى ... جياد المذاكى والمحجلة الغر
وراد وشقر واضحات شياتها ... فاجسامها تبر وارجلها در
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة ... مصممة غارت بها الانجم الزهر

وأسد رجال من مرين أعـــزة عمائمها بيض وآسالها سمـــر
عليها من المأذى كل مفاضـــة تدافع فى أعطافها اللجج الخضـــر
هم القوم ان هبوا لكشف ملمـــة فلا الملتقى صعب، ولا المرتقى وعـر
اذا سئلوا أعطوا، وان نوزعوا سطوا، وان واعدوا وفوا ، وان عاهدوا برروا
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كانهـم نشاوى تمشت فى معاطفهم خمـر
وان سمعوا العوراء فروا بأنفـس حرام على هاماتها فى الوغى الفـر
وتبسم ما بين الوشيج ثغورهـم وما بين قضب الدوح يبتسم الزهـر
أمولاى غاضت فكرتى وتبلـدت طباعى فلا طبع يعين ولا فكـر
ولولا حنان منك داركتنى بـه واحييتنى لم يبق عين ولا أثـر
فأوجدت منى فائتا أى فائـت وانشرت ميتا ضم أشلاءه قبـر
بدأت بفضل لم اكن لعظيمـه بأهل ، فجل اللطف وانشرح الصدر
وطوقتنى النعمى المضاعفة التـى يقل عليها منى الحمد والشكـر
وأنت بتتميم الصنائـع كافـل الى أن يعود الجاه والعز والوفـر
جزاك الذى أسنى مقامك رحمـة يفك بها عان وينعش مضطـر
اذا نحن أثنينا عليك بمدحـة فهيهات يحصى الرمل او يحصر القطر
ولكننا ناتى بما نستطيعـه ومن بذل المجهود حق له العـذر

ثم انفض المجلس وانصرف ابن الاحمر الى منزله المعد له وقد فرشت القصور ، وقربت له الجياد بالمراكب المذهبة ، وبعث اليه بالكسا الفاخرة ، ورتبت الجرايات له ولمواليه من المعلوجى وبطانته من الصنائع وانحفظ عليه رسم سلطانه فى الراكب والراجل ، ولم يفقد من القاب ملكه الا الاداة أدبا مع السلطان ، واستقر فى جملته الى ان لحق بعد بالاندلس ، وعاد له ملكه سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وأرغد السلطان أبو سالم عيش ابن الخطيب ، وأفاض عليه الجرايات ، ورتب له الاقطاعات ، غير انه كان مضمرا لمفارقة السلطان والتخلى عن خدمته والانفراد بنفسه لاغتنام ما بقى من عمره فى طاعة الله تعالى ، فكان من أمره فى ذلك ما نذكره .

١٣

سفر ابن الخطيب الى مراكش وأعمالها وزيارته لاوليائها ورجالها والسبب فى ذلك

كان ابن الخطيب رحمه الله عندما حصلت له هذه النكبة وخلصه الله منها بانتقاله الى بلاد العدوة قد عن له رأى فى التزهد والانقطاع الى الله تعالى واغتنام بقية العمر فيما يعود نفعه فى العاجل والآجل ورفض السلطان واسبابه ، وترك ما يلجئه للوقوف ببابه ، فتلطف فى استئذان السلطان أبى سالم رحمه الله وطلب منه الاذن فى الذهاب الى جهات مراكش والوقوف على آثار الاقدمين بها والتطارح على اوليائها والمثول بأعتابها والتعلق بأذيالها والتمسك باسبابها ، جاعلا ذلك مفتاح العزلة والتخلى عن الدولة فأذن له وكتب الى العمال باتحافه والاعتناء به ، فتباروا فى ذلك كما يفصح عنه بعض شعره الآتى ،وجعل طريقه على مدينة سلا فتأمل أحوالها ورآها أوفق لمراده فى العزلة ،فأضمر الاستيطان بها عند عوده من وجهته . ولما دخل مدينة أنفى – وهى الدار البيضاء – مر بها على دار عظيمة تنسب الى والى جبايتها عبو من بنى الترجمان قارون قومه وغنى صنفه ، وكان قد هلك قبل ذلك فقال ابن الخطيب :

« قد مررنا بدار عبو الـــوالى وهى ثكلى تشكو صروف الليالى
أقصدت ربها الحوادث لمـــا رشقته بصائبات النبـــال
كان بالامس واليا مستطيـــلا وهو اليوم ما لـــه من والى »

واظنه فى هذه الوجهة خاطب شيخ العرب مبارك بن ابراهيم بن عطية بن مهلهل الخلطى ونص ما خاطبه به :

« ساحات دارك للضياف مبـــارك وبضوء نار قراك يهدى السالـــك
ونوالك المبذول قد شمل الورى طرا وفضلك ليس فيه مشـــارك
قل للذى قال الوجود قد انطوى والبأس ليس له حسام فاتـــك
والجود ليس له غمام هاطـــل والمجد ليس له همام باتـك
جمع الشجاعة والرجاحة والندى والبأس والرأى الاصيل مبـــارك

للدين والدنيا وللشيم العـــلا والجود ان شح الغمام السافـــك
عند الهياج ربيعة بـــن مكـــدم والفضل والتقوى الفضيل ومالـك
ورث الجلالة عن ابيه وجـــده فكأنهم ما غاب منهم هالـك
فجياده للآملين مراكـــب وخيامه للقاصدين أرائـــك
فاذا المعالى أصبحت مملوكـــة أعناقها بالحق فهو المالـــك
يافارس العرب الذى من بيتـــه حرم لها حج به ومناســـك
يا من يبشر باسمه قصـــاده فلهم اليه مسارب ومسالـــك
أنت الذى المتأثرت فيك بغبطتى وسواك فيه مآخذ ومتـارك
لا زلت نورا يهتـــدى بضيائـــه من جنه للروع ليل حالـــك
ويخص مجدك من سلامى عاطـر كالمسك صاك به الغوالى صائـــك

الحمد لله تعالى الذى جعل بيتك شهيرا ، وجعلك للعرب اميرا ، وجعل اسمك فالا ، ووجهك جمالا ، وقربك جاها ومالا ، وآل رسول الله صلى الله عليه وسلم آلا ، أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها ، وقطب سادتهـــا وكبرائها ، وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبقى ، ومكرمة لا يضـــل المتصف بها ولا يشقى ، اذ جعل خيمتك فى هذا المغرب على اتساعه ، واختلاف أشياعه ، مأمنا للخائف ، على كثرة المذاهب والطوائف ، وصرف الالسنة الى مدحك والخلود الى حبك ، وما ذلك الا لسريرة لك عند ربك ، ولقد كنت ايام تجمعنى واياك المجالس السلطانية على معرفتك متهالكا ، وطوع الامل سالكا ، لما يلوح لى على وجهك من سيما المجد والحياء ، والشيم الدالة على العلياء ، وزكاء الاصول وكرم الاباء وكان والدى رحمه الله قد عين للقاء خال السلطان قريبكم لما توجه فى الرسالة الى الاندلس نائبا فى تانيسه عن مخدومه ، ومنوها حيث حل بقدومه ، واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة والمعرفة ، والرسائل المختلفة ، فعظم لاجل هذه الوسائل شوقى الى التشرف بزيارة ذلك الجناب الذى حلوله شرف وفخر ، ومعرفته كنز وذخر ، فلما ظهر الان لمحل الاخ القائد فلان اللحاق بك والتعلق بسببك ، رأيت أنه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعضى والله تعالى ييسر فى البعض ، عند تقرير الامر وهدنة الارض ، وهذا الفاضل بركة حيث حل

لكونه من بيت اصالة وجهاد ، وما جدا وابن أمجاد ، ومثلك لا يوصى بحسن جواره ، ولاينبه على ايثاره ، وقبيلك من العرب فى الحديث والقديم ، وهو الذى أوجب لها مزية التقديم ، لم تفتخر قط بذهب يجمع ، ولا ذخر يرفع ، ولا قصر يبنى ، ولا غرس يجنى انما فخرها عدو يغلب وثناء يجلب وجزر تنحر وحديث يذكر وجود على الفاقة وسماحة بحسب الطاقة فلقد ذهب الذهب وفنى النشب وتمزقت الاثواب وهلكت الخيل العراب وكل الذى فوق التراب تراب وبقيت المحاسن تروى وتنقل والاعراض تجلى وتصقل ولله در الشاعر اذ يقول :

انما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

هذه مقدمة ان يسر الله بعدها لقاء الامير فيجلى اللسان عما فى الضمير

ومدحى على الاملاك وقف وانما رايتك منها فامتدحت على وسمى

وما كنت بالمهدى لغيرك مدحتى ولو انه قد حل فى مفرق النجم

وقال فى الشيخ ابن بطان الصنهاجى : صنهاجة آزمور :

« لله درك يا ابن بطان فما لشهير جودك فى البسيطة جاحد

ان كان فى الدنيا كريم واحد يزن الجميع فانت ذاك الواحد

أجريت فضلك جعفرا يحيى به ما كان من مجد فذكرك خالد

فالقوم منك تجمعوا فى مفرد ولد كما شاء العلاء ووالد

وهى الليالى لا تزال صروفها يشقى بموقعها الكريم الماجد

وبمستعين الله يصلح منك ما قد كان أفسده الزمان الفاسد »

وقال رحمه الله عند ما توسط بسيط تامسنا :

« كأنا بتا مسنا نجوس خلالها وممدودها فى سيرنا ليس يقصر

مراكب فى البحر المحيط تخبطت ولا جهة تدرى ولا البر يبصر

وقال رحمه الله يخاطب ابا العباس أحمد بن يوسف حفيد المولى الصالح سيدى ابى محمد صالح النائم فى ظل صيته رضى الله عنه :

« ياحفيد الولى ياوارث الفخـ ـر الذى نال فى مقام وحال

لك يا أحمد بن يوسف جبنا كل قطر يعيى أكف الرحال »

وقال فى نفاضة الجراب : لما خرجت من آسفى سرت الى منزل ينسب الى أبى حدو وفيه رجل من بنى المنسوب اليه اسمه يعقوب فألطف وأجزل وآنس فى الليل وطلبنى بتذكرة تثبت عندى معرفة فكتبت له :

نزلنا عى يعقوب نجل أبى حـــدو ... فعرفنا الفضل الذى ماله حـــد
وقابلنا بالبشر واحتفل القـــرى ... فلم يبق لحم لم ننله ولا زبـــد
يحق علينا أن نقـوم بحقـــه ... ويلقاه منا البر والشكر والحمد »

وقال رحمه الله وقد انتابه البرغوث :

زحفت الى ركائب البرغـــوث ... نم الظلام بركبها المحثـــوث
بالحبة السوداء قابـل مقدمـــى ... لله أى قرى أعد خبيـث
كسحت بهن ذباب سرح تجلـدى ... ليلا فحبل الصبر جد رثيـث
ان صابرت نفسى اذاه تعبـدت ... أوصحت منه أنفت من تحنيثـى
جيشان من ليل وبرغوث فهـل ... جيش الصباح لصرختى بمغيث

وقال رحمه الله وقد أشرف على الحضرة المراكشية حاطها الله تعالى :

« ما ذا أحدث عن بحر سبحت بـه ... من البحار فلا اثم ولا حـرج
دعاه مبتدع الاشياء مستويـا ... ما ان بـه درك كـلا ولا درج
حتى اذا ما المنار الفرد لاح لنـا ... صحت ابشرى يامطايا جاءك الفرج
قربت من عامر دارا ومنزلـة ... والشاهد العدل هذا الطيب والارج

ولما وقف على مصانع مراكش وقصورها وقصبتها واعتبر ما صارالية حالها بعد الموحدين قال :

بلد قد غزاه صرف الليـالى ... وأباح المصون منه مبيـح
فالذى خر من بناه قتيـل ... والذى خر منه بعض جريـح
وكأن الذى يزور طبيـب ... قد تأتى له بهـا التشريـح
أعجمت منه أربع ورسـوم ... كان قدما بها اللسان الفصيـح
كم معان غابت بتلك المغانـى ... وجمال أخفاه ذاك الضريـح
وملوك تعبدوا الدهر لمـا ... أصبح الدهر وهو عبد صريـح
دوخوا نازح البسيطة حتـى ... نال ما شاء ذابل وصفيـح

حين شبت لهم من البأس نـــار ثم هبت لهم من النصر ريـــح
أثـر ينـــدب المؤثـــر لمـــا طال بعد الدنو منه النـــزوح
ساكن الدار روحها كيف يبقى جسد بعد ما تولى الـــروح »

ومما قاله فى الشيخ أبى العباس السبتى رضى الله عنه على لسان سلطانه الغنى بالله وهو يومئذ بفاس :

« ياولى الاله أنت جـواد وقصدنـا الى حمـاك المنيـــع
راعنا الدهر بالخطوب فجئنـا نرتجى من علاك حسن الصنيع
فمددنا لك الاكف نرجى عودة العز تحت شمل جميـع
قد جعلنا وسيلة تربك الـــزا كى وزلفى الى العليم السميـــع
كم غريب أسرى اليك فوافـى برضى عاجل وخير سريـــع »

وقال يخاطب عميد البلاد المراكشية ، المتميز بالرأى والسياسة والهمة وافاضة العدل وكف اليد والتجافى عن مال الجباية عامر بن محمد بن على الهنتاتى :

تقول لى الاظعان والشوق فى الحشا له الحكم يمضى بين ناه وآمـر
اذا جبل التوحيد اصبحت فارعا فخيم قرير العين فى دار عامـر
وزر تربة المعلوم ان مزارهـــا هو الحج يسعى نحوه كل ضامر
ستلقى بمثوى عامر بن محمد ثغور الامانى من ثنايا البشائـر
ولله ما تبلوه من سعد وجهـــه ولله ما تلقاه من يمـن طائـــر
وتستعمل الامثال فى الدهر منكما بخير مزور أو باغبط زائـــر

لم يكن همى أبقاك الله تعالى مع فراغ البال ، واسعاف الآمال ، ومساعدة الايام والليال ، اذ الشمل جميع ، والزمان كله ربيع ، والدهر سميع مطيع ، الا زيارتك فى جبلك الذى يعصم من الطوفان ، ويواصل أمنه بيـن النـــوم والاجفان ، وأن أرى الافق الذى طلعت منه الهداية ، وكانت اليه العودة ومنه البداية ، فلما حم الواقع ، وعجز عن خرق الدولة الاندلسية الراقع ، وأصبحت ديار الاندلس وهى البلاقع ، وحسنت من استدعائك ايای المواقع ، وقوى العزم وان لم يكن ضعيفا ، وعرضت على نفسى السفر بسببك فالفيته خفيفا ، والتمست

الاذن حتى لا نرى فى قبلة السداد تحريفا ، واستقبلتك بصدر مشروح ، وزند للعزم مقدوح ، والله سبحانه وتعالى يحقق السول ، ويسهل بمثوى الامائل المثول ، ويهيىء من قبيل هنتاتة القبول ، بفضله » انتهى .

ولما ذهب الى عامر بن محمد المذكور ورقى الجبل زار الموضع الذى توفى به السلطان أبو الحسن رحمه الله ، وقد ألم بذكر ذلك فى «نفاضة الجراب» اذ قال: وشاهدت بجبل هنتاتة محل وفاة السلطان المقدس أمير المسلمين أبى الحسن رحمه الله حيث أصابه طارق الاجل الذى فصل الخطة ، وأصمت الدعوة ورفع المنازعة ، وعاينته مرفعا عن الابتذال بالسكنى مفروشا بالحصباء ، مقصودا بالابتهال والدعاء فلم أبرح يوم زيارته أن قلت :

ياحسنها من اربع وديار ... أضحت لباغى الامن دار قرار
بجبال عز لاتدل انوفها ... الا لعز الواحد القهار
ومقر توحيد واس خلافة ... آثارها تنبى عن الاخبار
ماكنت أحسب أن انهار الندى ... تجرى بها فى جملة الانهار
ما كنت أحسب ان انوار الحجا ... تلتاح فى قنن وفى احجار
مجت جوانبها البرود وان تكن ... شبت بها الاعداء جذوة نار
هدت بناها فى سبيل وفائها ... فكأنها صرعى بغير عقار
لما توعدها على المجد العدا ... رضيت بعيث النار لا بالعار
عمرت بحلة عامر واعزها ... عبد العزيز بمرهف بتار
فرسا رهان أحرزا قصب الندى ... والباس فى طلق وفى مضمار
ورثا عن الندب الكبير أبيهما ... محض الوفاء ورفعة المقدار
وكذا الفروع تطول وهى شبيهة ... بالاصل فى ورق وفى أثمار
أزرت وجوه الصيد من هنتاتة ... فى جوها بمطالع الاقمار
لله أى قبيلة تركت لها الـ ... ـنظراء دعوى الفخر يوم فخار
نصرت امير المسلمين وملكه ... قد أسلمته عزائم الانصار
وارت عليا عند ما عظم الردى ... والروع بالاسماع والابصار
وتخاذل الجيش اللهام واصبح الا ... بطال بين تقاعد وفرار

كفرت صنائعه فيمم دارها ... مستظهرا منها بعز جوار
واقام بين ظهورها لا يتقى ... وقع الردى وقد ارتمى بشرار
فكأنها الانصار لما أن سمت ... فيما تقدم غربة المختار
لما غدا لحظا وهم أجفانه ... نابت شفارهم عن الاشفار
حتى دعاه الله بين بيوتهم ... فأجاب ممتثلا لامر البارى
لو كان يمنع من قضاء الله ما ... خلصت اليه نوافذ الاقدار
قد كان يأمل ان يكافىء بعض ما ... أولوه لولا قاطع الاعمار
ما كان يقنعه لو امتد المدى ... الا القيام بحقها من دار
فيعيد ذاك الماء ذائب فضة ... ويعيد ذاك الترب ذوب نضار
حتى تفوز على النوى او طانها ... من ملكه بجلائل الاوطار
حتى يلوح على وجوه وجوههم ... أثر العناية ساطع الانوار
ويسوغ الامل القصى كرامها ... من غير ما ثنيا ولا استعصار
ماكان يرضى الشمس أو بدر الدجا ... عن درهم فيهم ولا دينار
أو ان يتوج أو يقلد ها مها ... ونحورها بأهلة ودرارى
حق على المولى ابنه ايثار ما ... بذلوه من نصر ومن ايثار
فلمثلها ذخر الجزاء ، ومثله ... من لا يضيع صنائع الأحرار
وهو الذى يقضى الديون وبره ... يرضيه فى علن وفى اسرار
حتى تحج محلة رفعوا بها ... علم الوفاء لاعين النظار
فيصير منها البيت بيتا ثانيا ... للطائفين اليه أى بدار
تغنى قلوب القوم عن هدى به ... ودموعهم تكفى لرمى جمار
حييت من دار تكفل سعيها الـ ... محمود بالزلفى وعقبى الدار
وضفت عليك من الاله عناية ... ما كر ليل فيك اثر نهار »

ويعنى بالمولى ابنه : السلطان أبا سالم بن أبى الحسن. ثم سار ابن الخطيب الى أغمات فزار مشاهدها وشاهد معاهدها فحكى عن نفسه رحمه الله قال : « وقفت على قبر المعتمد بن عباد فى مدينة اغمات فى حركة اعملتها الى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين ، ومشاهدة الآثار سنة احدى وستين وسبعمائة ، وهو

بمقبرة أغمات فى نشز من الارض ، وقد حفت به سدرة ، والى جنبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك ، وعليهما أثر التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك . فلم تملك العين دمعها عند رؤيتهما فانشدت فى الحال :

قد زرت قبرك عن طوع باغمات ... رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا ... ويا سراج الليالى المدلهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه ... الى حياتى لجادت فيه أبيات
أناف قبرك من هضب يميزه ... فتنتحيه حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا ... فأنت سلطان أحياء وأموات
مارىء مثلك فى ماض ، ومعتقدى ... ألا يرى الدهر فى حال ولا آت

ولما انكفأ ابن الخطيب رحمه الله راجعا من سفرته هذه وانتهى الى سلا أقام بها منتبذا عن سلطانه ، رافضا للملك وأسبابه طول مقامه بالمغرب على ما نذكره ان شاء الله .

بقية أخبار ابن الخطيب بسلا حرسها الله

قد قدمنا ان ابن الخطيب كان قد عزم على التخلى عن الدنيا والانقطاع الى الله تعالى ، وانه اختار أن يكون مقامه بسلا لكونها يومئذ أعون له على مراده من غيرها حسبما يؤخذ ذلك من مواضع من كلامه ، من ذلك انه لما وصف أمصار الاندلس والمغرب فى مقاماته المشهورة ، وصف مدينة سلا بقوله : « العقيلة المفضله ، والبطيحة المخضله ، والقاعدة المؤصله ، والسورة المفصله ، ذات الوسامة والنضاره ، والجامعة بين البداوة والحضاره ، معدن القطن والكتان ، والمدرسة والمارستان ، والزاوية كأنها البستان ، والوادى المتعدد ألاجفان ، القطر الامين عند الرجفان ، والعصير العظيم الشأن ، والاسواق السارة حتى برقيق الحبشان اكتنفها المسرح ، والخصب الذى لا يبرح ، والبحر الذى يأسو ويجرح ، وشقها الوادى الذى يتمم محاسنها ويشرح ، وقابلها الرباط ، الذى ظهر به من المنصور

الاغتباط ، حيث القصبة والساباط ، ثم يقع الانحطاط الى شالة مرعى الدمم ونتيجة الهمم ، ومشمخ الانوف ذوات الشمم ، وعنوان الرمم ، حيث الحسنات المكتتبة ، والاوقاف المرتبة ، والقباب كالازهار ، مجودة بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، وطلل حسان المثل فى الاشتهار ، وهى على الجملة من غيرها أوفق ، ومغارمها لاحترام الملوك الكرام أرفق ، ومقبرتها المنضدة عجب فـــى الانتظام ، معدودة فى المواقف العظام ، ويتأتى بها للعباد الخلوة ، وتوجد عندها للهموم السلوة ، كما قال ابن الخطيب :

وصلت حثيث السير فيمن فلى الفلا فلا خاطرى لما نأى وانجلا انجـلا
ولا نسخت كربى بقلبى سلـــوة فلما سرى فيه نسيم سلا ، ســـلا

وكفى بالشابل رزقا طريا ، وسمكا بالتفضيل حريا ، يبرز عدد قطر الديم ، ويباع ببخس القيم ، ويعم المجاشر النائية والخيم » اه .

وما قاله فى حق سلا من كونها تتأتى بها للعباد الخلوة ، هو كذلك معروف عند صلحاء المغرب وعباده من لدن قديم ، ولذا لما قدم أبو العباس ابن عاشر رضى الله عنه من الاندلس ، وتنقل فى بلاد المغرب مثل فاس ومكناسة ، لم يطب له القرار الا بسلا ، وقد صرح رضى الله عنه بذلك حيث قال :

سلا كل قلب غير قلبى ما سلا أيسلو بفاس والاحبة فى سلا
بها خيموا فالقلب خيم عندهـم فجروا دموعى مرسلا ومسلسلا

ولما ذكر أبو العباس الصومعى رحمه الله فى كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ أبى يعزى رضى الله عنه استحباب زيارة الاولياء قال ما نصه : « ولا سيما فى مشاهد الاخيار اذا اجتمعوا فى مكان من الامكنة المشرفة كما كانوا يجتمعون قبل هذا برباط شاكر ، وبساحل دكالة ، وبسلا ، وبجبل العلم ، وعند الشيخ أبى يعزى فى أيام الربيع وغير ذلك » اه .

وأقول على ذكر سلا: فقد كتب الى ، وأنا بمراكش حرسها الله ، الاخ فى الله الفقيه الاديب المحاضر أبو عبد الله محمد بن عزوز الرباطى أصلا المراكشى دارا ، بطاقة يقول فيها ما نصه : «الحمد لله وحده. السيد الاخ ، الذى ثوب اخائه ما اتسخ ، الفقيه العلامة ، اللابس من أسلحة العلوم الدرع واللامة ، أبـــا

العباس السيد أحمد الناصرى سلام عليك سلاما ذكى العرف رائج الصرف ، وبعد فقد اشتقنا الى لذيذ مذاكرتكم ، وحلو فكاهتكم ، والآن نحب من السيادة أن تشرفونا بنقل قدمكم وتكرمونا بطلعتكم السعيدة ، بكرة غد إن شاء الله وعلى المحبة والسلام فى فاتح رجب الفرد سنة أربع وتسعين ومائتين وألف ، وألحق باسفلها ما نصه :

سلا البحر ما بحر بنيت بشطه ... كبحر علوم فيك أنشىء صالحا
فهذا هو الفياض بالعلم والتقى ... وذاك هو الفياض بالماء مالحا

ولم ندر هل البيتان له أو تمثل بهما ، وعلى كل حال فما قاله حفظه الله انما حمله عليه حسن نيته وصفاء طويته وأما المكتوب اليه بهما فلا والله لا علم ولا تقى ، الا أن يتغمدنا الله برحمته ، ثم أنى أجبته بنثر تركته للاختصار ووصلته بابيات أقول فيها ما نصه :

بعثت أبا عبد الاله مدائحا ... هو الدر حسنا والشذور لوائحا
فنبهت فكرا طالما بات نائما ... وروضت ذهنا طالما ظل جامحا
وشيدت من ذكرى وقد كان خاملا ... وهيجت من قلبى الشجى القرائحا
وطوقتنى النعمى بتقريظك الذى ... به ظل مجدى للنجوم مصافحا
والا فما قدرى وان جد جده ... وما قيمتى لو لم تكن لى مادحا
فانت أديب العصر حقا ومن غدا ... لعمرى لا بواب المعارف فاتحا
فخذ من أخيك العى واستر عيوبه ... وسامح فظنى أن تكون مسامحا
فوصفك يعيى كل أشدق بارع ... ولو ظل فى بحر البلاغة سابحا
فلقيت من ذى العرش كل كرامة ... ووقيت من هذا الزمان الطوائحا
ولا زال هذا الدهر طوعك خادما ... علاك وطرف السعد نحوك طامحا

ومما مدح به سلا وأهلها قول الامام العلامة الهمام أبى على الحسن بن مسعود اليوسى رضى الله عنه :

مرسى سلا مأوى الشمم
والمجد عن طول الامم

بلد بحسبك منظر منه ومخبره أتم
مسرى الهموم ومسرح الابصار مسلاة الغمم
مترفلا فى حلة من حسنه جنب العلم
كالحرة الحسناء فى كنف الهمام المحترم
وتراه من جناته متلألئا بين الاجم
كالدر بين زمرد فى قرط مارية انتظم
وكوجه خود حفه السوالف فى دلم
وكغرة فى أدهم والصبح فى جنح الاحم
والثغر من زنجية ترنو اليه وقد بسم
والبدر ما بين الدجا والشيب فى سود اللمم
يعلو فويق جنبه علم تدلى من أمم
فكأنه تاج اللجين على جبينى ذى عظم
أو كالكبير مزملا أودى بنهضته الهرم
فى رأسه صلع وفيما تحت جبهته غمم
أو كالجواد بأنفه من ذلك القصر الرثم
يكفيك منه هواؤه لا خبث فيه ولا وخم
عجبا صحيح والهوى أبدا عليل ذو سقم
وزلاله العذب الذى يشفى الفؤاد من الضرم
حاكى العقار وفاقها بصفاء لون الشيم
أبناء مجد فى الالى كانوا يراعون الذمم
من نبلهم دون العويص ونبلهم خلف الحرم
ونفيسهم فقع الفلا ونفوسهم بيض الرخم
من كل أبيض وجهه تجلى به سدف الظلم
فى الخطب بدر لامع ولدى الندى بحر خضم
وأحبة كانوا لنا كالماء بالراح التأم
لم يعد بين بيننا ولو الفراق بنا ألم

البين بين جسومنا لا بين أنفسنا يحم
والعهد حبل ما انفصاعنه الوداد ولا انفصم
والصدق نهج قد علا فى كل أوجهه علم
والبر مرعاه قرى من فيه للحسنى قرم
والنفس أرض قد كرا المعين ذوو الكرم
والدين روض قد رعى فيه من العقبى رعم
والعلم ورد ما حلا الا لمن نزع الحلم
والسر برق ما أضا الا لمن غسل الاضم
والدهر دولاب شما فيه سوى أهل الشمم
من ذاق مورده الصرى يوما فللدنيا صرم

ولنرجع الى بقية أخبار ابن الخطيب .

ولما استقر بسلا واطمأن جنبه بها قال :

يا أهل هذا القطر ساعده القطر بليت فدلونى لمن يرفع الامر
تشاغلت بالدنيا ونمت مفرطا وفى شغلى أونومتى سرق العمر

ثم حرص على لقاء الشيخ ابن عاشر رضى الله عنه حتى ظفر به فعظم سروره بذلك وتبجح به اذقال فى «نفاضة الجراب» :«ولقيت من أولياء الله تعالى بسلا الولى الزاهد الكبير ، المنقطع القرين ، فرارا عن زهرة الدنيا وعزوفا عنها، واغراقا فى الورع وشهرة بالكشف، واجابة الدعوة وظهورالكرامات: أبا العباس ابن عاشر، يسر الله تعالى لقاءه، على تعذره، لصعوبة تأتيه وكثافة هيبته ، قاعدا بين القبور فى الخلاء، رث الهيئة مطرق اللحظ ، كثير الصمت مفرط الانقباض والعزلة قد ضرسه أهل الدنيا وتطارحهم فهو شديد الاشمئزاز من قاصده ، مجرمز للوثبة من طارقه نفع الله تعالى به » اه كلامه فى «النفاضة» وقال رحمه الله من قصيدته العينية السلاوية التى وجهها الى سلا أيام خلف بها أهله وولده :

بولى الله فابدأوابتدر واحد الاحاد فى باب الورع

ومراده بولى الله ابن عاشر المذكور .

ثم ان ابن الخطيب بعد رجوعه من مراكش جعل ينتاب رباط شالة مدفن الملوك من بنى مرين ، ومنهم السلطان أبو الحسن رحمه الله للدعاء وقراءة القرآن بها وتعاهدها ، وقد كتب بذلك الى السلطان أبى سالم وطلب منه أن يشفع له عند أهل الاندلس فى رد متاعه الذى أتلفوه عليه أيام النكبة ، ونص الكتاب : «مولاى، المرجو لاتمام الصنيعة وصلة النعمة واحراز الفخر ، أبقاكم الله تعالى تضرب بكم الامثال فى البر والرضا وعلو الهمة ورعى الوسيلة ، مقبل موطىء قدمكم المنقطع الى تربة المولى والدكم ، ابن الخطيب ، من الضريح المقدس بشالة وقد حط رحل الرجاء فى القبة المقدسة وتيمم بالتربة الزكية وقعد بازاء لحد المولى أبيكم ساعة ايابه من الوجهة المباركة ، وزيارة الربط المقصودة ، والترب المعظمة، وقد عزم أن لا يبرح طوعا من هذا الجوار الكريم والدخيل المرعى حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى العزيز على أهل الارض ، ثم عليكم ، والتماس شفاعته فى أمر سهل عليكم ، لا يجر انفاد مال ولا اقتحام خطر انما هو اعمال لسان وخط بنان وصرف عزم واحراز فخر واطابة ذكر وأجر وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم أنه ينقل عنكم الى المولى المقدس بلسان المقال ما يحضر مما يفتح الله تعالى فيه، ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب وقال لى صدر دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم سيدى الخطيب، يعنى ابن مرزوق، سنى الله تعالى أمله من سعادة مقامكم وطول عمركم: «أنت يا فلان والحمد لله ممن لاينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من البشر والقبول والانعام ما صدر ، جزاكم الله تعالى جزاء المحسنين » وقد تقدم تعريف مولاى بما كان من قيام العبد بما نقله الى التربة الزكية عنكم حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم ، والعبد الان يعرض عليكم الجواب وهو : أنى لما فرغت من مخاطبته بمرأى من الملأ الكبير، والجم الغفير ، أكببت على اللحد الكريم داعيا ومخاطبا وأصغيت باذنى نحو قبره وجعل فؤادى يتلقى ما يوحيه اليه لسان حاله ، فكأنى به يقول لى : « قل لمولاك ياولدى وقرة عينى المخصوص برضاى وبرى وستر حريمى ورد ملكى ، وصان أهلى وأكرم صنائعى ، ووصل عملى، أسلم عليك وأسأل الله تعالى أن يرضى عنك ويقبل عليك،

الدنيا دارغرور (والآخرة خيرلمن اتقى) ، (وما الناس الا هالك وابن هالك) ولا تجد الا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة أوثناء يجلب الدعاء بالرحمة ومثلك من ذكر فتذكر وعرف فما أنكر ، وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبرى وتهمم بى ، وسبق الناس الى رثائى ، وأنشدنى ومجدنى وبكى لى ودعا لى وهنأنى بمصير أمرى اليك ، وعفر وجهه فى تربتى ، وأملنى لما انقطعت منى آمال الناس فلو كنت يا ولدى حيا لما وسعنى أن أعمل معه الا ما يليق بى ، وأن أستقل فيه الكثير ،وأحتقرن العظيم لكن لما عجزت عن جزائه وكلته اليك ، وأحلته ياحبيب قلبى عليك ، وقد أخبرنى انه سليب المال كثير العيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر فى عدم نشاطه أثر السن ، وأمل ان ينقطع بجوارى ويستتر بدخيلى وخدمتى ، ويرد عليه حقه بخدمتى ووجهى ، ووجوه من ضاجعنى من سلفى ، ويعبد الله تعالى تحت حرمتك وحرمتى ، وقد كنت تشوفت الى استخدامه فى الحياة حسبما يعلمه حبيبنا الخالص المحبة ، وخطيبنا العظيم المزية القديم القربة ، أبو عبد الله ابن مرزوق فاسأله يذكرك ، واستخبره يخبرك ، فانا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل خديمى بعد الممات الى أن نلحق جميعا برضوان الله تعالى ورحمته التى وسعت كل شىء ، وله ياولدى ولد نجيب يخدم ببابك ، وينوب عنه فى ملازمة بيت كتابك وقد استقر ببابك قراره ، وتعين بامرك مرتبه ودثاره ، فيكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب هذه رغبتى منك وحاجتى اليك ، واعلم أن هذا الحديث لا بد أن يذكر ويتحدث فى الدنيا ، وبين أيدى الملوك والكبراء فاعمل ما يبقى لك فخره ويتخلد ذكره وقد أقام مجاورا ضريحى تاليا كتاب الله تعالى على منتظرا ما يصله منك ويقرأه على من السعى فى خلاص ماله والاحتجاج بهذه الوسيلة فى جبره واجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فالله الله ، يا ابراهيم اعمل ما يسمع عنى وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال . » اه والعبد يامولاى مقيم تحت حرمته وحرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته ولتعلموا وتتحققوا أننى لو ارتكبت الجرائم ، ورزأت الاموال وسفكت الدماء ، وأخذت خسائف الملوك الاعزة ممن وراء النهر من التتار ، وخلف البحر من الروم ووراء الصحراء من الحبشة ، وأمكنهم الله تعالى منى من غير عهد ،

بعد ان بلغهم تذممى بهذا الدخيل ، ومقامى بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحد منهم، من حيث الحياء والحشمة من الاحياء والاموات وايجاب الحقوق التى لايغفلها الكبار للكبار، الا الجود الذى لا يتعقبه البخل ، والعفو الذى لا تفسده المؤاخذة ، فضلا عن سلطان الاندلس أسعده الله تعالى وعلا بموالاتكم ، فهو فاضل وابن ملوك أفاضل ، وحوله أكياس ما فيهم من يجهل قدركم ، وقدر سلفكم لا سيما مولاى والدكم الذى أتوسل به اليكم واليهم ، فقد كان يتبنى مولاى أبا الحجاج ويشمله بنظره وصارخه بنفسه وأمده باموالة ، ثم صير الله تعالى ملكه اليكم، وأنتم من أنتم ذاتا وقبيلا، فقد قرت يامولاى عين العبد بما رأت فى هذا الوطن المراكشى من وفور حشودكم وكثرة جنودكم، وترادف أموالكم وعددكم ، زادكم الله تعالى من فضله ، ولاشك عند عاقل انكم ان انحلت عروة تأميلكم وأعرضت عن ذلك الوطن الاندلسى استولت عليه يد عدوه ،وقد علم تطارحى بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان ، وتعلقى بثوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاى والدكم ، وشهرة حرمة شالة معروفة حاش لله أن يضيعها أهل الاندلس ، وما توسل اليهم قط بها الا الان وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة ، وأملى منكم أن يتعين من بين يديكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة فى رد ما أخذ لى ، ويخبر بمثواى مترامیا على قبر والدكم ، وبقرر ما ألزمتكم بسبب هذا الترامى من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا ، وتطلبون منه عادة المكارمة بحل هذه العقدة ، ومن المعلوم أنى لو طلبت بهذه الوسائل من صلب ما وسعهم بالنظر العقلى الا حفظ الوجه مع هذا القبيل ، وهذا الوطن ، فالحياء والحشمة يأبيان العذر عن هذا فى كل ملة ونحلة، واذا تم هذا الغرض، ولا شك فى اتمامه بالله تعالى ، تقع صدقتكم على القبر الكريم بى ، وتعينونى لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقده ، ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المولد فى جواره وبين يديه وهو غريب مناسب لبركم به ، الى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعيا مثنيا مستدعيا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوض من ذمتى بالاندلس ذمة بهذا الرباط المبارك يرثها ذريتى ، وقد ساومت فى شىء من ذلك منتظرا ثمنه مما يباع

بالاندلس بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوقفون لكم فى مثل هذا ، أو يتوقع فيه وحشة أو جفاء ، والله ما طلبته ، لكنهم أسرى وأفضل ، وانقطاعى أيضا لوالدكم مما لا يسع مجدكم الا عمل ما يليق بكم فيه ، وها أنا أترقب جوابكم بما لى عندكم من القبول ، ويسعنى مجدكم فى الطلب وخروج الرسول ، لا قتضاء هذا الغرض والله سبحانه يطلع من مولاى على ما يليق به والسلام وكتب فى الحادى عشر من رجب سنة احدى وستين وسبعمائة » وفى مدرج الكتاب بعد نشر هذه القصيدة:

مولاى ها أنا فى جوار أبيكا ... فابذل من البر المقدر فيكا
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى ... والله يسمعك الذى يرضيكا
واجعل رضاه اذا نهدت كتيبة ... تهدى اليك النصر أو تهديكا
واجبر بجبرى قلبه تنل المنا ... وتطالع الفتح المبين وشيكا
فهو الذى سن البرور بأمه ... وأبيه فاشرع شرعه لبنيكا
وابعث رسولك منذرا ومحذرا ... وبما تؤمل نيله يأتيكا
قد هز عزمك كل قطر نازح ... وأخاف مملوكا به ومليكا
فاذا سموت الى مرام شاسع ... فغصونه ثمر المنا تجنيكا
ضمنت رجال الله منك مطالبى ... لما جعلتك فى الثواب شريكا
فلئن كفيت وجوهها فى مقصدى ... ورعيتها بركاتها تكفيكا
واذا قضيت حوائجى وأريتنى ... أملا فربك ما أردت يريكا
واشدد على قولى يدا فهو الذى ... برهانه لا يقبل التشكيكا
مولاى ما استأثرت عنك بمهجتى ... انى ومهجتى التى تفديكا
لكن رأيت جناب شالة مغنما ... يضفى على العز فى ناديكا
وفروض حقك لا تفوت فوقتها ... باق اذا استجزيته يجزيكا
ووعدتنى وتكرر الوعد الذى ... أبت المكارم أن يكون أفيكا
أضفى عليك الله ستر عناية ... من كل محذور الطريق يقيكا
بقائك الدنيا تحاط وأهلها ... فالله جل جلاله يبقيكا

وقال أيضا فى الغرض المذكور :

عن باب والدك الرضى لا أبرح يأسو الزمان لاجل دا أو يجرح
ضربت خيامى فى حماه فصبيتى تجنى الحميم به وبهمى تسرح
حتى يراعى وجهه فى وجهتى بعناية تشفى الصدور وتشرح
أيسوغ عن مثواه سيرى خائبا ومنابر الدنيا بذكرك تصدح
أنا فى حماه وأنت أبصر بالذى يرضيه منك فوزن عقلك أرجح
فى مثلها سيف الحمية ينتضى فى مثلها زند الحفيظة يقدح
وعسى الذى بدأ الجميل يعيده وعسى الذى سد المذاهب يفتح

فأجابه السلطان أبو سالم رحمه الله بما صورته : « من عبد الله المستعين بالله ، ابراهيم أمير المسلمين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين ، أبى الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق أيد الله أمره وأعز نصره الى الشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى ، الاوجه الانوه الصدر الاحفل المصنف البليغ الاعرف الاكمل أبى عبد الله ابن الشيخ الاجل الاعز الاسنى الوزير الارفع الانجد الاصيل الاكمل المرحوم المبرور أبى محمد بن الخطيب وصل الله عزته ووالى رفعته ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المصطفى الكريم ، والرضا على آله وصحبه أعلام الاسلام ، وأئمة الرشد والهدى وصلة الدعاء لهذا الامر العلى العزيز المنصور المستعينى بالنصر الاعز والفتح الاسنى ، فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم بلوغ الامل ونجح القول والعمل ، من منزلنا الاسعد بضفة وادى ملوية يمنه الله ، وصنع الله جميل ومنه جزيل ، والحمد لله ، ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المتكفلة برعى الوسائل ، ذلكم بما تميزتم به من التمسك بالجناب العلى المولوى العلوى جدد الله تعالى عليه ملابس غفرانه ، وسقاه غيوث رحمته وحنانه ، وبما أهديتم الينا من التقرب لدينا بخدمة ثراه الطاهر ، والاشتمال بمطارف حرمته السامية المظاهر ، والى هذا وصل الله حظوتكم ووالى رفعتكم ، فانه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابل

بالاسعاف المستعذب ورده، فوقفنا على ما نصه، واستوفينا ما شرحه وقصه ، فآثرنا حسن تلطفكم فى التوسل بأكبر الوسائل الينا ، ورعينا أكمل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا ، وفى الحين عينا لكمال مطلبكم وتمام مأربكم والتوجه بخطابنا فى حقكم والاعتمال بوفقكم خديمينا أبا البقاء بن تاشكورت ، وأبا زكرياء ابن فرقاجة أنجدهما الله وتولاهما ، وأمس تاريخه انفصلا مودعين الى الغرض المعلوم بعد التأكيد عليهما فيه ، وشرح العمل الذى يوفيه ، فكونوا على علم من ذلكم ، وابسطوا له جملة آمالكم ، وانا لنرجو ثواب الله فى جبر أحوالكم وبرء اعتلالكم ، والله سبحانه يصل مبرتكم ، ويتولى تكرمتكم ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتب فى الرابع والعشرين من رجب سنة احدى وستين » فراجعه ابن الخطيب بما نصه : « مولاى خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الارض عن حجة، ومعدن الشفقة والحكمة ببرهان وحكمة ، أبقاكم الله تعالى على الدرجة فى المنعمين، وافرى الحظ عند جزاء المحسنين، وأراكم ثمرة بر أبيكم فى البنين، وصنع لكم فى عدوكم الصنع الذى لا يقف عند معتاد ، وأذاق العذاب الاليم من أراد فى مثابتكم بالحاد ، عبدكم الذى ملكتم رقه ، وآويتم غربته ، وسترتم أهله وولده ، وأسنيتم رزقه ، وجبرتم قلبه ، يقبل موطىء الاخمص الكريم من رجلكم الطاهرة ، المستوجبة بفضل الله تعالى لموقف النصر الفارغة هضبة العز المعملة الخطوة فى مجال السعد ومسير الحظ. ابن الخطيب من شالة التى تأكد بملككم الرضى احترامها ، وتجدد برعيتكم عهدها ، واستبشر بملككم دفينها ، وأشرق بحسناتكم نورها ، وقد ورد على العبد الجواب المولوى البر الرحيم ، المنعم المحسن بما يليق بالملك الاصيل ، والقدر الرفيع ، والهمة السامية ، والعزة القعساء من رعى الدخيل ، والنصرة للذمام والاهتزاز لبر الاب الكريم ، فثاب الرجاء وانبعث الامل ، وقوى العضد وزار اللطف ، فالحمد لله الذى أجرى الخير على يدكم الكريمة ، وأعانكم على رعى ذمام الصالحين ، المتوسل اليكم أولا بقبورهم ومتعبداتهم وتراب أجداثهم ، ثم بقبر مولاى ومولاكم ومولى الخلق أجمعين، الذى تسبب فى وجودكم واختصكم بحبه ، وغمركم بلطفه وحنانه، وعلمكم آداب الشريعة وأورثكم ملك الدنيا ، وهيأتكم دعواته بالاستقامة

الى ملك الآخرة بعد طول المدى وانفساح البقاء ، وفى علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن طائر داست أفراخه ناقة فى جوار رئيس منهم ، وما انتهى اليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه الانفس وهلكت الأموال ، وقصارى من امتعض لذلك أن يكون كبعض خدامكم من عرب تامسنا فما الظن بكم وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم فيمن لجأ أولا الى حماكم بالاهل والولد، عن حسنة تبرعتم بها، وصدقة حملتكم الحرية على بذلها، ثم فيمن حط رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم دامع العين ، خافق القلب ، واهى الفزعة ، يتغطى بردائه ، ويستجير بعليائه ، كأننى ترامیت علیهم فى الحياة، أمام الذعر يذهل العقل ، ويحجب عن التميز بقصر داره ومضجع رقاده، ما من يوم الا وأجهر بعد التلاوة: ياليعقوب، يالمرين ، نسأل الله تعالى أن لا يقطع عنى معروفكم ، ولا يسلبنى عنايتكم ، ويستعملنى ما بقيت فى خدمتكم ، ويتقبل دعائى فيكم ، ولحين وصول الجواب الكريم نهضت الى القبر المقدس ، ووضعته بازائه وقلت : يامولاى يا كبير الملوك، وخليفة الله وبركة بنى مرين صاحب الشهرة والذكر فى المشرق والمغرب عبدك المنقطع اليك المترامى بين يدى قبرك ، المتوسل الى الله ثم ولدك بك ، ابن الخطيب ، وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعى وجهك ، والتقرب الى الله برعيك ، والاشتهار فى مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأنتم من أنتم من اذا صنع صنيعة كملها ، واذا من منة تممها ، واذا أسدى يدا أبرزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقصة ، وأنا بعد تحت ذيل حرمتك وظل دخيلك ، حتى يتم أملى ويخلص قصدى ، وتحف نعمتك بى ويطمئن الى مأمنك قلبى، ثم قلت للطلبة أيها السادة بينى وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ومناسبة النحلة وأخوة التاليف بهذا الرباط المقدس والسكنى بين أظهركم ، فأمنوا على دعائى باخلاص من قلوبكم ، واندفعت فى الدعاء والتوسل الذى أرجو أن يتقبله الله تعالى ولا يضيعه ، وخاطب العبد مولاه شاكرا لنعمته مشيدا بصنيعته ومسرورا بقبوله ،وشأنه من التعلق والتطارح شانه ، حتى يكمل القصد ، ويتم الغرض معمور الوقت بخدمة يرفعها ودعاء يردده والله المستعان » اهـ

ولما وصل كتاب السلطان أبى سالم الى أهل الاندلس أعظموا وسيلته ، وقبلوا شفاعته، وردوا الى ابن الخطيب ما تأتى رده مما كان ضاع له وأتلف عليه ، واستمر مقيما بسلا سنتين وزيادة ، ثم استدعاه سلطانه الغنى بالله الى الاندلس بعد رجوعه اليها واحتوائه على ملكها ، فأجاب حياء لا رغبة ، ومكرها لا بطلا ، الى أن كان ما نذكره من شأنه بعد ذلك ان شاء الله، ونوادره بسلا وما جرياته كثيرة ، وفيما ذكرناه كفاية .

انتقاض الحسن بن عمر الفودودى وخروجه بتادلا ثم مقتله عقب ذلك

قد قدمنا أن السلطان أبا سالم لما استولى على ملك فاس والمغرب عقد للحسن بن عمر على مراكش ، ووجهه اليها تخففا منه وريبة بمكانه من الدولة فاستقر بها وتأثلت له بها رياسة نفسها عليه أهل مجلس السلطان وسعوا فيه عنده حتى تنكر له وأظلم الجو بينهما وأحس الحسن بن عمر بذلك فخشى على نفسه ، وخرج من مراكش فى صفر سنة احدى وستين وسبعمائة فلحق بتادلا منحرفا عن السلطان ومرتكبا للخلاف ، فتلقاه بنو جابر من عرب جشم وأجاروه واعصو صبوا عليه ، فسرح اليه السلطان أبو سالم وزيره الحسن بن يوسف الورتاجنى فاحتل بتادلا ، وانشمر الحسن بن عمر الى الجبل بها فاعتصم به ومعه كبير بنى جابر الحسن بن على الورديغى ، فأحاطت بهم العساكر وأخذوا بمخنقهم ، وداخل الوزير بعض أهل الجبل من برابرة صناكة فى الثورة بهم ، وسرب اليهم المال فثاروا بهم وانفض جمعهم ، وتقبضوا على الحسن بن عمر وقادوه برمته الى الحسن بن يوسف فاعتقله ، وانكفأ راجعا به الى الحضرة فدخلها فى يوم مشهود استركب السلطان فيه الجند وجلس ببرج الذهب مقعده من ساحة البلد ، وحمل الحسن بن عمر على جمل فطيف به بين تلك الجموع، ولما قرب من مجلس السلطان أومأ الى تقبيل الارض من فوق جمله ، ثم ركب السلطان الى قصره ، وانفض الجمع وقد شهر الحسن بن عمر وأصحابه فصاروا

عبرة لمن اعتبر .

ولما دخل السلطان قصره ، جلس على كرسيه واستدعى خاصته وجلساءه ، وأحضر ابن عمر فوبخه ، وقرر عليه ذنوبه ، فتلوى بالمعاذير وفزع الى الانكار . قال ابن خلدون : « وحضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضره من الخاصة فكان مقاما تسيل فيه العيون رحمة وعبرة » . ثم أمر به السلطان فسحب على وجهه ، ونتفت لحيته وضرب بالعصى ، وثل الى محبسه ثم قتل بعد ليال قعصا بالرماح خارج البلد ونصب شلوه بباب المحروق رحمه الله تعالى .

نهوض السلطان أبى سالم الى تلمسان واستيلاؤه عليها

لما استوسق للسلطان أبى سالم ملك المغرب ومحا أثر الخوارج منه سمت همته الى تملك تلمسان كما كان لابيه وأخيه من قبل ، وأكد عزمه على ذلك ما كان من فرار عبد الله بن مسلم الزرد الى عاملهم على درعة اليها فأجمع السطان أبو سالم النهوض اليها ، وعسكر بظاهر فاس الجديد منتصف سنة احدى وستين وسبعمائة، ولما توافت لديه الحشود، وتكاملت بسدته الجنود، ارتحل الى تلمسان

واتصل خبر نهوضه بسلطانها أبى حمو ابن يوسف الزيانى ، ووزيره عبدالله ابن مسلم الزرد الى فنادوا فى العرب من بنى عامر بن زغبة وبنى معقل فأجابوهم كافة الا شرذمة قليلة من الاحلاف ، ثم خرج أبو حمو وشيعته عن تلمسان الى الصحراء والتفت عليه العرب بحللها .

ولما دخل السلطان أبو سالم تلمسان واستولى عليها خالفه أبو حمو فى عربه الى المغرب فنزلوا آكرسيف ووطاط وبلاد ملوية وحطموا زروعها وانتسفوا بركتها وخربوا عمرانها ، وبلغ السلطان أبا سالم ما كان من افسادهم فأهمه أمر المغرب ، وكان فى جملته من بنى زيان محمد بن عثمان ابن السلطان

أبى تاشفين، ويكنى: أبا زيان، فعقد له على تلمسان، وأعطاه الآلة وجمع له جيشا من مغراوة وبنى توجين ، ودفع لهم أعطياتهم ، وانكفأ راجعا الى فاس ، فأجفل أبو حمو والعرب أمامه ، ثم خالفوه الى تلمسان فطردوا عنها أبا زيان واستولوا عليها ، وثبت قدم أبى حمو بها ، وعاد أبو زيان الى المغرب لاحقا بالسلطان أبى سالم قبله ، وعقد المهادنة مع أبى حمو واستقر الامر على ذلك . وقد كان ابن الخطيب عند ما بلغه استيلاء السلطان أبى سالم على تلمسان هنأه بقصيدة طويلة يقول فى مطلعها :

أطاع لسانى فى مديحك احسانى وقد لهجت نفسى بفتح تلمسان

ويقول فى أثنائها وقد ألم بشىء من علم الاحكام النجومية لميل السلطان اليه :

ولله من ملك سعيد ونصبة قضى المشترى فيها بعزلة كيوان
وسجل حكم العدل بين بيوتها وقوفا مع المشهور من رأى يونان
فلم تخش سهم القوس صفحة بدرها ولم تشك فيها الشمس من بخس ميزان
ولم يعترض مبتزها قطع قاطع ولا نازعت نوبهرها كف عدوان
تولى اختيار الله حسن اختيارها فلم يحتج الفرغان فيها لفرغان
ولا صرفت فيها دقائق نسبة ولا حققت فيها طوالع بلدان

وفادة السودان من أهل مالى على السلطان أبى سالم

واغرابهم فى هديتهم بالزرافة الحيوان المعروف

قد تقدم لنا ما جرى من المواصلة بين السلطان أبى الحسن والسلطان منسا موسى وأخيه أو ابنه من بعده مسنا سليمان وتردد الوفود واسناء الهدايا بينهم وقد كان السلطان منسا سليمان قد هيأ هدية نفيسة بقصد أن يبعثها الى السلطان أبى الحسن مكافأة له على هديته فهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك ، ثم هلك السلطان منسا سليمان بعده ، واختلف أهل مالى وافترق أمرهم وتقاتلوا

على الملك الى أن جمع الله كلمتهم على السلطان منسا زاطة ، واستوسق له الامر ثم نظر فى أعطاف ملكه وأخبر بشأن الهدية التى كان منسا سليمان قد هيأها لملك المغرب فأمر بانفاذها اليه وضم اليها الزرافة الحيوان الغريب الشكل العظيم الهيكل المختلف الشبه بالحيوانات ، وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا الى حضرة فاس فى صفر من سنة اثنتين وستين وسبعمائة

قال ابن خلدون : وكان يوم وفادتهم يوما مشهودا جلس لهم السلطان ببرج الذهب بمجلسه المعد لعرض الجنود ، ونودى فى الناس بالبروز الى الصحراء، فبرزوا ينسلون من كل حدب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم بعضا فى الازدحام على الزرافة اعجابا بخلقتها ، وحضر الوفد بين يدى السلطان وأدوا رسالتهم بتأكيد الود والمخالصة والعذر عن ابطاء الهدية بما كان من اختلاف أهل مالى وتواثبهم على الامر ، وتعظيم سلطانهم وما صار اليه ، والترجمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزع فى أوتار قسيهم، عادة معروفة لهم، وحيوا السلطان بان جعلوا يحثون التراب على رؤوسهم على سنة ملوك العجم ، وانشد الشعراء فى معرض المدح والتهنئة ووصف الحال ، ثم ركب السلطان الى قصره، وانفض ذلك الجمع، وقد طار به طائر الاشتهار، واستقر الوفد تحت جراية السلطان أبى سالم الى أن هلك قبل انصرافهم فوصلهم القائم بالامر من بعده وانصرفوا الى مراكش، ثم منها الى ذوى حسان عرب السوس الاقصى من بنى معقل المتصلين ببلادهم ، ومن هناك لحقوا بسلطانهم . والامر كله لله .

وكان مما قيل من الشعر فى ذلك اليوم : قول ابن خلدون من قصيدة يقول فى مطلعها :

قدحت يد الاشواق من زنـد ... وهفت بقلبى زفرة الوجـد

الى ان قال فى وصف الزرافة :

ورقيمة الاعطاف حاليـة ... موشية بوشـائع البـرد
وحشية الانسـاب ما أنسـت ... فى موحش البيداء بالقـرد
تسمو بجيد بالغ صعـدا ... شرف الصروح بغير ما جهـد
طالت رؤوس الشامخات بـه ... ولربما قصرت عن الوهد

قطعت اليك تنائفا وصلت ... اسئادها بالنص والوخد
تحدى على استصعابها ذللا ... وتبيت طوع القن والقد
بسعودك اللائى ضمن لنا ... طول الحياة بعيشة رغد
جاءتك فى وفد الاحابش لا ... يرجون غيرك مكرم الوفد
وافوك انضاء تقلبهم ... أيدى السرى بالغور والنجد
كالطيف يستقرى مضاجعه ... أوكالحسام يسل من غمد
يثنون بالحسنى التى سبقت ... من غير انكار ولا جحد
ويرون لحظك من وفادتهم ... فخرا على الاتراك والهند
يا مستعينا جل فى شرف ... عن رتبة المنصور والمهدى
جازاك ربك عن خليقته ... خير الجزاء فنعم ما تسدى
وبقيت للدنيا وساكنها ... فى عزة أبدا وفى سعد

وقول الكاتب البارع أبى عبد الله بن زمرك الاندلسى من قصيدة يقول فى مطلعها :

لولا تألق بارق التذكار ... ما صاب واكف دمعى المدرار
لكنه مهما تعرض خافقا ... قدحت يد الاشواق زند أوارى

الى أن قال فى الغرض المذكور :

وغريبة قطعت اليك على الونى ... بيدا تبيد بها هموم السارى
تنسيه طيته التى قد أمها ... والركب فيها ميت الاخبار
يقتادها من كل مشتمل الدجا ... فكأنما عيناه جذوة نار
تشدو بحمد المستعين حداتها ... يتعللون به على الاكوار
ان مسهم لفح الهجير أبلهم ... منه نسيم ثنائك المعطار
خاضوا بها لجج الفلا فتخلصت ... منها خلوص البدر بعد سرار
سلمت بسعدك من غوائل مثلها ... وكفى بسعدك حاميا لذمار
وأتتك ياملك الزمان غريبة ... قيد النواظر نزهة الابصار
موشية الاعطاف رائقة الحلى ... رقمت بدائعها يد الاقدار
راق العيون اديمها فكأنه ... روض تفتح عن شقيق بهار

ما بين مبيض وأصفر فاقـــع ... سال اللجين به خلال نضـــار
يحكى حدائق نرجس فى شاهق ... تنساب فيه أراقـــم الانهـــار
تحدو قوائم كالجذوع وفوقها ... جبل أشم بنوره متـــــوارى
وسمت بجيد مثل جذع مائـــل ... سهل التعطف ليـــن خـــوار
تستشرف الجدرات منه ترائبـا ... فكانما هو قائم بمنـــــار
تاهت بكلكلها وأتلع جيدهـــا ... ومشى بها الاعجاب مشى وقار
خرجوا لها الجم الغفير وكلهم ... متعجب من لطف صنع البـارى
كل يقول لصحبه قوموا انظروا ... كيف الجبال تقاد بالاسيـــار
ألقـت ببابـك رحلهـا ولطالمـا ... ألقى الغريب به عصا التسيار
علمت ملوك الارض أنك فخرها ... فتسابقت لرضـــاك فى مضمـار
يتبوأون به وان بعد المـــدى ... من جاهك الاعلى أعز جـــوار
وارفع لواء الفخر غير مدافـــع ... واسحب ذيول العسكر الجرار
واهنأ بأعياد الفتوح مخـــولا ... ما شئت من نصر ومن أنصـار
واليكها من روض فكرى نفحة ... شف الثناء بها على الازهـــار
فى فصل منطقها ورائق رسمها ... مستمتع الاسماع والابصـــار
وتميل من أصغى لها فكأننـــى ... عاطيته منها كؤس عقـــــار

مقتل السلطان أبي سالم رحمه الله والسبب فى ذلك

كان السلطان أبو سالم رحمه الله قد غلب على هواه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق وألقى زمام الدولة بيده ، فنقم خاصة السلطان وحاشيته ذلك عليه وسخطوا الدولة من أجله ، ومرضت قلوب أهل الحل والعقد من تقدمه فتربصوا بالدولة الدوائر الى ان كانت أواخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، فتحول السلطان أبو سالم عن دار الملك من فاس الجديد الى القصبة من فاس القديم ، واختط بها ايوانا فخما لجلوسه ، فلما استولى عمر بن عبد الله بن على بن سعيد الفودودى أحد كبراء الدولة ووزرائها على دار الملك ، اذ كـــان

السلطان أبو سالم قد خلفه أمينا عليها، حدثته نفسه بالتوثب ، وسهل ذلك عليه ما كان قد عرفه من مرض القلوب على السلطان لمكان ابن مرزوق ، فداخل قائد جند النصارى غرسية بن أنطول ، واتعدوا لذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى القعدة من السنة المذكورة ، فعمدوا الى تاشفين الموسوس ابن أبى الحسن فخلعوا عليه ، وألبسوه شارة الملك وقربوا له مركبا وأجلسوه مجلس السلطان، وأكرهوا شيخ الحامية والناشبة محمد بن الزرقاء على البيعة ، وجاهروا بالخلعان وقرعوا الطبول ودخلوا الى بيت المال ففرضوا العطاء من غير تقدير ولا حساب ، وماج الجند بفاس الجديد بعضهم فى بعض ، واختطفوا ما وصلوا اليه من العطاء ثم انتهبوا ما كان بالمخازن الخارجية من السلاح والعدة ،وأضرموا النيران فى بيوتها سترا على ما ضاع منها ، وأصبح السلطان أبو سالم بمكانه من قصبة فاس القديم ، وكان قد تحول اليها فرارا من قاطع فلكى خوفه اياه بعض منجميه فكان البلاء فيه موكلا بالمنطق ، فلما علم بالكائنة ركب واجتمع اليه من حضر من أوليائه ، وغدا على فاس الجديد وطاف بها يروم اقتحامها فامتنعت عليه ، ثم اضطرب معسكره بكدية العرائس لحصارها ونادى فى الناس بالاجتماع اليه ، ولما كان وقت الهاجرة دخل فسطاطه للقيلولة فتسايل الناس عنه الى فاس الجديد فوجا بعد فوج بمرأى منه الى أن انفض عنه خاصته وأهل مجلسه فطلب النجاء بنفسه ، وركب فى لمة من الفرسان وفيهم وزيراه سليمان بن داود ومسعود بن عبد الرحمن بن ماساى ، ومقدم الموالى والجند بابه سليمان بن ونصار ، وأذن لابن مرزوق فى الدخول الى داره ، ومضى هو على وجهه فيمن معه ، ولما غشيهم الليل انفضوا عنه حتى بقى وحده، ورجع الوزيران الى دار الملك فتقبض عليهما رئيس الثورة عمر بن عبد الله الفودودى ، ومشاركه فيها غرسية بن انطول النصرانى ، واعتقلاهما متفرقين ، وبعث عمر بن عبد الله الطلب فى أثر السلطان أبى سالم فعثروا عليه نائما من الغد فى بعض المجاشر بوادى ورغة وقد غير لباسه اختفاء بشخصه وتواريا عن العيون بمكانه ، فتقبضوا عليه وحملوه على بغل وطيروا بالخبر الى عمر بن عبد الله فأزعج لتلقيه شعيب بن ميمون بن داود ، وفتح الله بن عامر بن فتح الله السدراتى وأمرهما بقتله

وانفاذ رأسه ، فلقياه بخندق القصب ازاء كدية العرائس فأمرا بعض جند النصارى أن يتولى ذبحه ففعل ، وحملوا رأسه فى مخلاة ووضعوه بين يـــدى الوزير الثائر ومشيخته ، وكان ذلك يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وستين وسبعمائة ودفن بالقلة خارج باب الجيسة بأعلى جبل العرض المعروف بجبل الزعفران (*)

قال ابن الخطيب فى الاحاطة : « كان السلطان أبو سالم رحمه الله بقية البيت وآخر القوم دماثة وحياء وبعدا عن الشرور وركونا للعافية » قال : وأنشدت على قبره الذى ووريت به جثته قصيدة أديت فيها بعض حقه :

بنى الدنيا بنى لمع السراب * لدوا للموت وابنوا للخراب»

ومن أعيان وزرائه: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسى الخطيب المشهور الذى مر ذكره آنفا .

ومن قضاة عسكره : أبو القاسم محمد بن يحيى الاندلسى البرجى .

ومن أعيان كتابه : الرئيس أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحـــب التاريخ .

وأبو القاسم(*)عبد الله بن يوسف بن رضوان النجارى من أهل مالقة صاحب كتاب السياسة وغيره ، ومما نظمه هذا الفاضل عن اذن السلطان أبى سالم رحمه الله ليكتب فى طرة قبة رياض الغزلان من حضرته قوله :

(*) ومن اولاده : السلطان ابو العباس احمد ،والسلطان ابو الفضل محمد، ومحمد آخر.

(*) ابو القاسم ابن رضوان صاحب كتاب السياسة . لما وقعت هزيمة طريف قرب القيروان على أبى الحسن رجع ابو القاسم هذا الى الاندلس وبقى بها الى ان تم الامر لابي عنان فرجع حينئذ للمغرب وكلفه ابو عنان بكتابة العلامة اما صاحب درة الحجال فانه ذكر كاتبين من هذه العائلة احدهما: اسمه محمدبن يوسف بن رضوان المتوفى سنه٨٦٨ وثانيهما يسمى اباالقاسم بن محمد بن يوسف بن رضوان المتوفى سنة٧٨٣ اما الكاتب ابو القاسم عبد الله فقد ترجمه فى جذوة الاقتباس وذكر انه توفى بآنفا ودفن بمقبرة الحاج صالح سنة ٧٣٣ راجع ترجمته طبع فاس

هذا محل المنى بالامن مغمـــور ... من حله فهو بالامان محبـور
مأوى النعيم به ما شئت من تـرف ... تهوى محاسنه الولدان والحـور
ويطلع الروض منه مصنعا عجبـا ... يضاحك النور من لألائه النـور
ويسطع الزهر من أرجائه أرجـا ... ينافح الند نشر منـه منشـور
مغنى السرور سقاه الله ما حملت ... غر الغمام وحلته الازاهيـر
انظر الى الروض تنظر كل معجبة ... مما ارتضاه لرأى العين تحبيـر
مر النسيم به يبغى القرا فقـرا ... دراهم النور تبديد وتنشـير
وهامت الشمس فى حسن الظلال به ... ففرقت فوقه منها دنانيـر
كأنما الطير فى افنائها صدحت ... بشكر مالكها والفضل مشكـور
والدوح ناعمة تهتز من طـرب ... همسا وصوت غناء الطير مجهـور
والنهر شق بساط الارض تحسبه ... سيفا ولكنه فى السلم مشهـور
ينساب للجنة الخضراء أزرقـه ... كالايم جد انسياب وهو مذعـور
هذى مصانع مولانا التى جمعت ... شمل السرور وأمر السعد مأمـور
وهذه القبة الغراء ما نظـرت ... لشكلها العين الاعز تنظيـر
ولا يصورها فى الفهم ذو فكـر ... الا ومنه لكل الحسن تصويـر
ولا يرام بحصر وصف ما جمعت ... من المحاسن الا صد تقصيـر
فيها المقاصير تحميها مهابتـه ... لله ما جمعت تلك المقاصيـر
كأنها الافق تبدو النيـرات بـه ... ويستقيم بها فى السعد تسييـر
وينشأ المزن فى أرجائه ولـه ... من عنبر الشحر انشاء وتسخيـر
وينهمى القطر منه وهو منسكـب ... ماء من الورد يذكو منه تعطيـر
وتخفق الريح منه وهى ناسمـة ... مما أهب به مسك وكافـور
ويشرق الصبح منه وهو من غرر ... غر تلألأ منهن الاساريـر
وتطلع الشمس فيه من سنا ملـك ... تبسم الدهر منه وهو مسرور

ومضى فى مدح السلطان والله تعالى يتغمد الجميع برحمته بمنه وكرمه.

الخبر عن دولة السلطان أبي عمر تاشفين الموسوس ابن أبي الحسن المريني

هذا السلطان كان محجوبا لوزيره عمر بن عبد الله الفودودى لا يملك معه ضرا ولا نفعا . أمه : أم ولد اسمها ميمونة، صفته: طويل القامة، عظيم الهيكل بعيد ما بين المنكبين ، أعين أدعج ، وكان فارسا بطلا قوى الساعد الا أنه كان ناقص العقل .

ولما ثار عمر بن عبد الله بالسلطان أبى سالم وسعى فى هلاكه الى أن قتل كما مر استبد بامر الدولة ونصب هذا الموسوس يموه به على الناس فبويع ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذى القعدة سنة اثنتين وستين وسبعمائة حسبما سبق ، وكان نقصان عقل تاشفين من أجل الاسر الذى أصابه بوقعة طريف أيام والده السلطان أبى الحسن الى أن افتدى وبقى ناقص العقل مختل المزاج (*) الى أن كان من أمره ما كان .

الفتك بغرسية بن انطول قائد النصارى ومقتل جنده معه والسبب فى ذلك

لما قبض عمر بن عبد الله على الوزيرين مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى ، وسليمان بن داود سجنهما متفرقين فأخذ اليه ابن ماساى لمكان صهره منه ودفع لغرسية سليمان بن داود ، وكان سليمان بن ونصار قد فر مع السلطان أبى سالم كما مر ، ولما رجع عنه فيمن رجع نزل على غرسية فقبله وأكرمه . وكان يعاقره الخمر ففاوضه ذات ليلة فى الثورة بعمر بن عبد الله واعتقاله ،

(*) انظر ما كتبه المؤلف فى هذه المسألة فى كتابه «كشف العرين عن ليوث بنى مرين» اثناء كلامه على دولة السلطان تاشفين الموسوس بن أبى الحسن أيضا

واقامة سليمان بن داود المسجون بداره مقامه لما هو عليه من السن ورسوخ القدم فى الامر ، ونما الخبر بذلك الى عمر بن عبد الله فارتاب ، وكان خلوا من العصبية ففزع الى قائد المركب السلطانى من ناشبة الاندلس ورماتها ، وهو يومئذ ابراهيم البطروجى ، فعاقده على أمره ، وبايعه على الاستماتة دونه ، ثم رأى أن ذلك لا يكفيه ففزع ثانيا الى يحيى بن عبد الرحمن شيخ بنى مرين وصاحب شوارهم ، فشكا اليه فأشكاه ، ووعده الفتك بابن انطول وأصحابه وانبرم عقد ابن انطول ، وسيلمان بن ونصار أيضا على عمر بن عبد الله وغدوا الى القصر ، وداخل ابن انطول طائفة من النصارى استظهارا بهم ، وتوافت بنو مرين بمجلس السلطان على عادتهم ، وحضر ابن انطول ، والبطروجى ، ويحيى ابن عبد الرحمن ، وغير هؤلاء من الوجوه ، فسأل عمر بن عبد الله من ابن انطول تحويل سليمان بن داود من داره الى السجن فأبى ، وضن به عن الاهانة ، حتى سأل مثلها من ابن ماساى صاحبه ، فامر عمر بالتقبض عليه فكشر فى وجوه الرجال ، واخترط سكينه للمدافعة ، فتواثبت بنو مرين عليه وقتلوه لحينه ، واستلحموا من وجدوا بالدار من جند النصارى عند دخولهم مع قائدهم ، وفر بعضهم الى معسكرهم ، ويعرف بالملاح جوار فاس الجديد ، وأرجف الغوغاء بالمدينة أن ابن انطول قد غدر بالوزير ، فقتلوا جند النصارى حيث وجدوهم من سكك المدينة ، وتزاحفوا الى الملاح لاستلحام من بقى به منهم ، وركبت بنومرين لحماية جندهم من معرة الغوغاء ، وانتهب يومئذ الكثير من أموالهم وآنيتهم وأمتعتهم ، وقتل النصارى أيضا كثيرا من مجان المسلمين كانوا يعاقرون الخمر بالملاح ، ثم سكنت الهيعة وما كادت .

واستبد عمر بن عبد الله بدار الملك ، واعتقل سليمان بن ونصار الى الليل ثم بعث من قتله بمحبسه ، وحول سليمان بن داود الى بعض الدور من دار الملك فاعتقله بها واستولى على أمره ، ثم خاطب عامر بن محمد الهنتاتى فى اتصال اليد به واقتسام ملك المغرب بينه وبينه ، وبعث اليه بابى الفضل ابن السلطان أبى سالم اعتده عنده ليوم ما ، ثم فسد ما بينه وبين مشيخة بنى مرين فاجتمعوا على كبيرهم يحيى بن عبد الرحمن وعسكروا بباب الفتوح واستدعوا

عبد الحليم بن أبى على ابن السلطان أبى سعيد من تلمسان على ما نذكره .

ظهور عبد الحليم بن أبي على بن ابي سعيد ومحاصرته لفاس الجديد ثم فراره عنها

قد قدمنا فى أخبار السلطان أبى الحسن أن أخاه أبا على صاحب سجلماسة كان قد انتقض عليه فامكنه الله منه فقتله وكفل أولاده فلم يميز بينهم وبين أولاده فى شىء من الاشياء ، ولما أفضى الامر الى أبى عنان بعث جماعة من اخوته وقرابته الى الاندلس تحت حياطة ابن الاحمر، وكان فيهم أولاد أبى على هؤلاء ثم بعد حين سرحوا وقدموا تلمسان على سلطانها أبى حمو بن يوسف فكانوا عنده الى هذا التاريخ فلما فسد ما بين عمر بن عبد الله وشيوخ بنى مرين بعثوا (*) الى تلمسان جملة منهم لاستقدام عبد الحليم المذكور فسرحه أبو حمو، وأعانه بشىء من الآلة ، وجمع عليه من رغب فى طاعته ، وزحف الى فاس فتلقته جماعة بنى مرين بسبو ، ونزلوا على فاس الجديد يوم السبت سابع محرم سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، واضطربوا معسكرهم بكدية العرائس ، وحاصروا دار الملك سبعة أيام ، وتتابعت وفودهم وحشودهم ، ثم ان عمر بن عبد الله برز يوم السبت القابل فى مقدمة السلطان تاشفين بمن معه من جند المسلمين والنصارى رامحة وناشبة ، ووكل بالسلطان من جاء به فى الساقة على التعبية المحكمة ، وناوشهم الحرب فزحفوا اليه فاستطرد لهم ليتمكن الناشبة من عقرهم من الاسوار حتى فشت فيهم الجراحات ، ثم صمم نحوهم فانفرج القلب وانفضت الجموع ، ثم زحف السلطان تاشفين فى الساقة فابذعروا فى الجهات ، وافترق بنو مرين الى مواطنهم ، ولحق يحيى بن عبد الرحمن بمراكش مع

(*) راجع ماعند يحيى ابن خلدون فى بغية الرواد صحيفة ٩٥ ج ٢ طبع الجزائر سنة ١٣٢٨

مبارك بن ابراهيم شيخ الخلط ، ولحق عبد الحليم واخوته بتازا بعد ان شهد لهم رجال الدولة بصدق الجلاد وحسن البلاء فى ذلك المقام .

ثم ان الوزير عمر بن عبد الله راجع بصيرته فى تقديم المعتوه للامر ، وعلم ان الامر لا يستقيم له بذلك ، فبادر باستقدام أبى زيان محمد بن أبى عبد الرحمن يعقوب ابن السلطان أبى الحسن، وكان عند الطاغية بدار الحرب فقدم ، وخلع الوزير المذكور سلطانه الموسوس يوم الاثنين الحادى والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة فكانت دولته ثلاثة أشهر ويومين ومات وسنه ستون سنة ، والله تعالى أعلم .

الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبى زيان محمد بن أبى عبد الرحمن يعقوب بن أبى الحسن المرينى

هذا السلطان كان محجوبا للوزير عمر بن عبد الله أيضا كنيته: أبو زيان، لقبه: المتوكل على الله ، أمه: أم ولد اسمها فضة . صفته : آدم اللون شديد الادمة، معتدل القامة ، منفرج الانف ، دقيق العينين .

وقال ابن الخطيب فى الاحاطة : حاله فاضل سكون ، منقاد مشتغل بخاصة نفسه ، قليل الكلام حسن الشكل ، درب بركض الخيل ، مفوض للوزراء ، عظيم التأنى لاغراضهم ، وكان قبل ولا يته عند الطاغية (*) بالاندلس فر اليه خوفا على نفسه ، ولما التبست الامور على عمر بن عبد الله طلبه الى الطاغية فسمح به بعد اشتراط واشتطاط، وفصل من اشبيلية فى المحرم فاتح سنة ثلاث وستين وسبعمائة ونزل بسبتة ، وبها سعيد بن عثمان من قرابة الوزير عمر بن عبد الله أرصده لقدومه، فطير اليه بالخبر ، فحينئذ خلع عمر تاشفين الموسوس ، وبعث الى السلطان

(*) انظر ما كتبه المؤلف فى هذا الموضوع فى كتابه « كشف العرين عن ليوث بنى مرين » اثناء الكلام على دولة هذا السلطان رحمه الله

أبى زيان بالبيعة والآلة والفساطيط ، ثم جهز عسكرا للقائه ، فتلقوه بطنجة ، وأغذ السير الى الحضرة فنزل منتصف صفر بكدية العرائس ، واضطرب معسكره بها وتلقاه يومئذ الوزير عمر بن عبد الله اليابانى وبايعه ، وأخرج فسطاطه فاضطرب بمعسكره وتلوم السلطان أبو زيان هنالك ثلاثا ثم دخل فى اليوم الرابع الى قصره واقتعد أريكته وتودع ملكه .

وقال ابن الخطيب فى الاحاطة : « كان دخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان ، وبه السعد الاعظم كوكب المشترى من السيارة السبعة » اه ولما تم له الامر خاطبه ابن الخطيب من سلا مهنئا له بقوله :

يا ابن الخلائف يا سمى محمد ... يامن علاه ليس يحصر حاصر
أبشر فأنت مجدد الملك الذى ... أولاك أصبح وهو رسم داثر
من ذا يعاند منك وارثه الذى ... بسعوده فلك المشيئة دائر
ألقت اليك يد الخلافة أمرها ... اذ كنت انت لها الولى الناصر
هذا وبينك للصريخ وبينها ... حرب مضرسة وبحر زاخر
من كان هذا الصنع أول أمره ... حسنت له العقبى وعز الآخر
مولاى عندى فى علاك محبة ... والله يعلم ما تكن ضمائر
قلبى يحدثنى بانك جابر ... كسرى وحظى منك حظ وافر
بثرى جدودك قد حططت حقيبتى ... فوسيلتى لعلاك نور باهر
وبذلت وسعى واجتهادى مثل ما ... يلقى لملكك سيف أمرك عامر
فهو الولى لك الذى اقتحم الردى ... وقضى العزيمة وهو سيف باتر
وولى جدك فى الشدائد عند ما ... خذلت علاه قبائل وعشائر
فاستهد منه النصح واعلم انه ... فى كل معضلة طبيب ماهر
ان كنت قد عجلت بعض مدائحى ... فهى الرياض وللرياض بواكر

ثم أتبعها بنثر أضربنا عنه اختصارا والله تعالى الموفق .

وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان ابي زيان بن ابي عبد الرحمن رحمهما الله

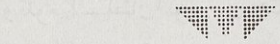

قال فى «الاحاطة» : وفدت على السلطان أبى زيان بن أبى عبد الرحمن بن أبى الحسن من محل الانقطاع بسلا وأنشدته قولى :

لمن علم فى هضبة الملك خفاق ... افاقت به من غشية الهرج آفاق
تقل رياح النصر عنه غمامة ... تمد لها أيد وتخضع أعناق
وبيعة شورى أحكم السعد عقدها ... وأعمل اجماع عليها واصفاق
قضى عمر فيها بحق محمد ... فسجل عهد للوفاء وميثاق
أحلما ترى عيناى أم هى فترة ... أعندكما فى مشكل الامر مصداق
وفاض لفضل الله فى الارض تبتغى ... ومجتمعات لا تريب وأسواق
وسرح تهنيه الكلاءة بالكلا ... وفلح لسقى الغيث قام له ساق
وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا ... وللفتنة العمياء فى الارض اطباق
وللغيث امساك وفى الارض رجة ... وللدين والدنيا وجوم واطراق
فكل فريق فيه للبغى راية ... وكل طريق فيه للعيث طراق
أجل انه من آل يعقوب وارث ... يحن له البيت العتيق ويشتاق
له من جناح الروح ظل مسجف ... ومن رفرف العز الالهى رستاق
أطل على الدنيا وقد عاد ضوءها ... دجى وعلى الاحداق للذعر احداق
فأشرقت الارجاء من نور ربها ... وساح بها لله لطف واشفاق
فمن ألسن بالشكر لله أعلنت ... وكان لها من قبل همس واطباق
وليس لامر أبرم الله ناقض ... وليس لمسعى النجح فى الله اخفاق
محمد قد أحييت دين محمد ... وللخلق أدماء تفيض وارماق
ولو لم تثب غطى على شفق الضحا ... دم لسيوف البغى فى الارض مهراق
فأيمن بمشحون من الفلك سابح ... له باختيار الله حط وإيساق

أقلك والدأماء تظهر طاعـــــة ... اليك وصفح الماء أزرق رقـــراق
الى هدف السعد انبرى منه والدجا ... تضل الحجى سهم من السعد رشاق
فخطت لتقويم القوام جـــداول ... وصحت من التوفيق واليمن أوفاق
تبارك من أهداك للخلق رحمـــة ... ومستبعد أن يهمل الخلق خـــلاق
هو الله يبلو الناس بالخير فتنـــة ... وبالشر والايام سهم وتريـــــاق
سمت منك أعناق الورى لخليفـــة ... له فى مجال السعد عدو واعنـــاق
وقالوا بنان ما استقل بكفـــه ... تفيض على العافين أم هـــى ارزاق
وأطنب فيك المادحون وأغرقـــوا ... فلم يجد اطناب ولم يغن اغـــراق
ألست من القوم الذين أكفهـــم ... غمام ندى ان أخلف الغيث غيداق
ألست من القوم الذين وجوههـــم ... بدور لها فى ظلمة الروع اشـــراق
رياض اذا العافى استظل ظلالهـــا ... ففيها جنى ملء الاكف وايـــراق
أبوك ولى العهد لو سالم الـــردى ... وجدك قد فاق الملوك وان فاقـــوا
فمن ذاله جد كجدك أو أب ... لآلىء والمجد المؤثـــل نســـاق
وحسب العلا فى آل يعقوب أنهم ... هم الاصل فى العلياء والناس الحاق
أسود سروج أو بدور أســـرة ... فان حاربوا راعوا وان سالموا راقوا
يطول لتحصيل الكمال سهادهـــم ... فهم للمعالى والمكارم عشـــــاق

ومنها :

لقد نسيت احسان جدك فرقـــة ... تزر على أعناقهم منه أطـــواق
أجازت خروج ابن ابنه عن تراثه ... ولم تدر ما ضمت من الذكر أوراق
ومن دون ما راموه لله قـــدرة ... ومن دون ما أموه للفتح اغـــلاق
خذ العفو وابذل فيهم العرف ولتسع ... جريرة من أبدى لك العذر أخلاق
فربتما تنبو مهندة الظبـــى ... وتهفو حلوم القوم والقوم حـــذاق
وما الناس الا مذنب وابن مذنـــب ... ولله ارفاد عليهم وارفـــاق
ولا ترج فى كل الامور سوى الذى ... خزائنه ما ضرها قط انفـــاق
اذا هو أعطى لم يضر منع مانـــع ... وان حشدت طسم وعاد وعمـــلاق
عرفت الردى واستأثرت بك للعدا ... تخوم لمختط الصليب وأعمـــاق

فيسر لليسرى وأحيى بك الورى ... وللروع ارعاد عليك وابراق
فجاز صنيع الله وازدد بشكره ... مواهب جود غيثها الدهر دفاق
وأوف لمن أوفى وكاف الذى كفى ... فانت كريم طهرت منك اعراق
وتهنيك يا مولى الملوك خلافة ... شجتها تباريح اليك وأشواق
فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها ... وكم فاز بالوصل المهنا مشتاق
فلا راع منها السرب للدهر رائع ... ولا نال منها جدة السعد اخلاق
أمولاى راع الدهر سربى وغالنى ... فطرفى مذعور وقلبى خفاق
وليس لكسرى غيرك اليوم جابر ... ولا ليدى الا بمجدك اعلاق
ولى فيك ود واعتداد غرسته ... فراقت به من يانع الحمد أوراق
وقد عيل صبرى فى ارتقابى خليفة ... تحل به للضرعنى أوهاق
وأنت حسام الله والله ناصر ... وأنت أمين الله والله رزاق
وأنت الامان المستجار من الردى ... اذا راع خطب أو توقع املاق
وأهون ما يرجى لديك شفاعة ... اذا لم يكن عزم حثيث وارهاق
ودونكها من ذائع الحمد مخلص ... له فيك تقييد يروق واطلاق
اذا قال اما كل سمع لقوله ... فمصغ وأما كل أنف فنشاق
ودم خافق الاعلام بالنصر كلما ... ذهبت لمسعى لم يكن فيه اخفاق

قال : « وعدت منه ببر كبير واحترام شهير » : يشير بذلك الى ما أكرمه به وكتب له من الظهير الذى يتضمن كمال الاحترام والتوقير ، ونصه : « هذا ظهير كريم من أمير المسلمين فلان أيده الله ونصره ، وسنى له الفتح المبين ويسره ، للشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى ، الارفع الامجد الاسمى الاوحد الانور الارقى العالم العلم الرئيس الاعرف المتفنن الابرع ، المصنف المفيد الصدر الاحفل ، الافضل الاكمل ، أبى عبد الله ابن الشيخ الفقيه الوزير الاجل الاسنى الاعز الارفع الامجد الوجيه الانوه الاحفل ، الافضل الحسيب الاصيل الاكمل ، المبرور المرحوم أبى محمد ابن الخطيب قابله أيده الله بوجه القبول والاقبال ، وأضفى عليه ملابس الانعام والافضال ، ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال ، وما تقرر من مقاصده الحسنة

فى خدمة أمرنا العال ، وأمر فى جملة ما سوغه من الآلاء الوارفة الظلال ، الفسيحة المجال ، بان يجدد له حكم ما بيده من الاوامر المتقدم تاريخها ، المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية فى كل شهر عن مرتب له ولولده الذى لنظره من مجبى مدينة سلاحرسها الله ، ومن حيث جرت العادة ان تمشى له ، ورفع الاعتراض بابها فيما يجلب من الادم والاقوات على اختلافها من حيوان وسواه ، وفيما يستفيده خدامه بخارجها واحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك فلا يطلب فى شىء من ذلك بمغرم ولا وظيف ولا يتوجه فيه اليه بتكليف ، يتصل له حكم جميع ما ذكر فى كل عام تجديدا تاما واحتراما عاما ، اعلن بتجديد الحظوة واتصالها ، واتمام النعمة واكمالها ، من تواريخ الاوامر المذكورة الى الآن ومن الآن الى ما يأتى على الدوام واتصال الايام ، وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعى والمحاشاة فى السخر مهما عرضت ، والوظائف اذا افترضت ، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف ، وتتضاعف أسباب المنن والعوارف بفضل الله ، وتحرر له الازواج التى يحرثها بتالماغت من كل وجيبة ، وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة بالتحرير التام بحول الله وعونه ، ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه وليمض ما أمضاه ان شاء الله ، وكتب فى العاشر من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين وسبعمائة » « وكتب فى التاريخ » اه وقوله وكتب فى التاريخ هو العلامة السلطانية فى ذلك الزمان يكتب بقلم غليظ ، وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة : « صح فى التاريخ » .

وفادة عامر بن محمد الهنتاتى على السلطان ابى زيان بن ابى عبد الرحمن رحمهما الله

كان للوزير عمر بن عبد الله اليابانى مودة ومصافاة مع الرئيس الشهير أبى ثابت عامر بن محمد الهنتاتى كبير جبل درن والبلاد المراكشية ، وكان الوزير عمر المذكور قد بعث اليه بصهره وظهيره على الملك مسعود بن عبد الرحمن ابن ماساى يكون عنده عدة وعتادا ليوم ما ، فلما بويع السلطان أبو زيان استقدم عمر بن عبد الله صهره المذكور لوزارته ، وكان عامر بن محمد مجمعا القدوم على السلطان المذكور ، فقدم فى صحبته مسعود ، ونزلا من الدولة بخير منزل .

وعقد السلطان أبو زيان لمسعود المذكور على وزارته باشارة الوزير عمر ابن عبد الله فاضطلع بها ، ودفعه عمر اليها استمالة اليه وثقة بمكانه واستظهارا بعصبيته ، وعقد مع عامر بن محمد الحلف على مقاسمة المغرب شق الابلمة ، وجعل امارة مراكش لابى الفضل ابن السلطان أبى سالم اسعافا لغرض عامر ابن محمد فى ذلك .

وخطب اليهم عامر بنت السلطان أبى بكر الحفصى التى توفى عنها السلطان أبو عنان(*)فاجابوه ، وحملوا أولياءها على العقد عليها ، وانكفأ راجعا الى مكان عمله بمراكش يجر الدنيا وراءه عزا وثروة وتابعا ، وذلك فى جمـــدى الاولى من سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، فاستقل بأمر الناحية الغربية من مراكش وجبال المصامدة وما اليها من الاعمال واستبد بها ، ونصب أبا الفضل ابن السلطان أبى سالم صورة ، واستوزر له وتمكن سلطانه وعلا ذكره ، وصارت كأنها دولة مستقلة ، فصرف اليه النازعون من بنى مرين عن الدولة وجوه مفرهم ،ولجأوا اليه فأجارهم على السلطان واجتمع اليـه منهم مـــلأ ، واتســع الخـــرق

(*) والصحيح ابو الحسن لان المصاهرة لم تنعقد بين ابى عنان والحفصيين راجع ابن خلدون ج ٢ صحيفة ٤٧٢ وتاريخ الدولتين للزركشى صحيفة ٨٣ وصحيفة ٨٤

على الراقع ، واضطربت الاحوال بالمغرب ، وخرج على السلطان أبى زيان الامير عبد الحليم بن أبى على بن أبى سعيد ، وتغلب على سجلماسة وأعمالهـــا ، ثم غلب عليه أخوه عبد المؤمن بن أبى على فخرج عبد الحليم الى المشرق لقضاء فريضة الحج ، واستمر عبد المومن بسجلماسة ، وأقام بها دولة كما كان لوالده من قبل الى أن فتحها الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى وأضافهـــا الى مملكة فاس ، ثم انتقض الوزير مسعود أيضا وبايع الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن بن أبى على ، ونصبه للامر وصار يشوش به على الدولة ، وشرق عمر ابن عبد الله بدائه فى أخبار طويلة ، ولما لم يتم له أمر عبر هو وسلطانه البحر من مرسى غساسة الى الاندلس فاتح سنة سبع وستين وسبعمائة ، وأقبلا عـــلى الجهاد واستراح الوزير عمر وسلطانه أبو زيان من شغبهما . والله غالب على أمره .

مقتل السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن رحمه الله

لما طال استبداد الوزير عمر بن عبد الله على السلطان أبى زيان وحجره اباه اذ كان وضع عليه الرقباء والعيون حتى من حرمه وأهل قصره عزم على الفتك بالوزير المذكور ، وتناجى بذلك مع بعض ندمائه وأعدله طائفة من العبيد كانوا يختصون به ، فنما ذلك الى الوزير بواسطة بعض الحرم كانت عينا له عليه فعاجله ، وكان قد بلغ من الاستبداد عليه ان كان الحجاب مرفوعا له عن خلوات السلطان وحرمه ، فدخل عليه وهو فى وسط حشمه فطردهم عنه ، ثم غطه حتى فاظ ، وأمر به فالقى فى بئر بروض الغزلان ، واستدعى الخاصة فأراهم مكانه بها ، وأنه سقط عن دابته وهو سكران ، وذلك فى محرم فاتح سنة ثمان وستين وسبعمائة كذا عند ابن خلدون . وقال فى «الجذوة»:« توفى يوم الاحد الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة سبع وستين وسبعمائة وله ثمان

وعشرون سنة ، ودفن بجامع قصره فكانت دولته أربع سنين وعشرة أشهر ويوما واحدا » والله أعلم .

الخبر عن دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن رحمه الله

هذا السلطان هو الذى أنعش دولة بنى مرين بعد تلاشيها ، وأعاد اليها شبابها بعد هرمها وتقاضيها ، وأزال عنها وصمة الحجر والاستبداد ، وأعادها من العز الى حالها المعتاد ، وهو الذى ذكره ابن خلدون فى أول تاريخه الكبير وألفه برسمه ، وحلى ديباجته باسمه ، أمه : مولدة اسمها مريم ، صفته : آدم اللون شديد الادمة ، طويل القامة ، يشرف على الناس بطوله ، نحيف الجسم ، أعين أدعج أخنس ، فى وجهه أثر جدرى . وكان عفا متمسكا بالدين ، محبا فى الخير وأهله ، لم يشرب خمرا ولا وقع فى فاحشة قط ، وبالجملة فقد كان من صالحى الملوك رحمه الله .

ولما كان من الوزير عمر بن عبد الله اليابانى الى السلطان أبى زيان رحمه الله ما كان من الخنق والالقاء فى البئر ، استدعى عبد العزيز بن أبى الحسن هذا ، وكان فى بعض الدور من القصبة بفاس محتاطا عليه من قبل الوزير المذكور ، فأحضره بالقصر ، وأجلسه على سرير الملك وبايعه ، وفتحت الابواب لبنى مرين وسائر الخاصة والعامة فازدحموا على تقبيل يده ، معطين الصفقة بطاعته ، فتم أمره وثبت ملكه وذلك يوم الاحد الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة سبع وستين وسبعمائة ، ثم ان الوزير عمر جرى معه على عادته من الاستبداد ، ومنع التصرف فى شىء من أمور الملك فأنف السلطان عبد العزيز من ذلك وتأفف منه ، ودارت بينه وبين الوزير أمور الى ان عمل السلطان على الفتك به فأعد له جماعة من الخصيان بزوايا داره ، ثم أحضره ووبخه وثار به أولئك الخصيان

فتناولوه هبرا بالسيوف ، وصاح الوزير المذكور صيحة أسمع بها بطانته خارج الدار فوثبوا على الابواب فكسروها ، واقتحموا الدار فاذا صاحبهم مضرج بدمائه قد فرغ منه فولوا الادبار هاربين ، ثم تتبع السلطان عبد العزيز حاشية الوزير بالاعتقال والقتل حتى أتى على الجميع فى خبر طويل ، واستبد بملكه واضطلع به وأدار الامور فيه على ما ينبغى والله تعالى أعلم .

انتقاض أبى الفضل بن أبى سالم ثم مقتله بعد ذلك

قد قدمنا أن أبا الفضل بن أبى سالم كان قد عقد له الوزير عمر بن عبد الله على مراكش اسعافا لكافله عامر بن محمد الهنتاتى ، فلما فتك السلطان عبد العزيز بالوزير المذكور سولت لابى الفضل نفسه مثلها فى عامر بن محمد لاستبداده عليه ، وأغراه بذلك بطانته فأحس عامر بالشر فتمارض بداره من مراكش ، ثم استأذنه فى الصعود الى معتصمه من الجبل ليمرضه هنالك حرمه وأقاربه ، فارتحل بجملته واحتل بحصنه وكان أعز من الابلق الفرد ، فيئس أبو الفضل من الاستمكان منه ، ثم أغرته بطانته اذ فاتهم عامر بالفتك بعبد المومن بن ابى على ، وكان قد انضاف اليه بعد اجفاله عن سجلماسة ، فسكر أبو الفضل ذات ليلة وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمره بقتل عبد المومن بمكان معتقله من قصبة مراكش فجاء برأسه اليه ، وطار الخبر بذلك الى عامر فارتاع وحمد الله اذ خلصه من غائلته وبعث ببيعته الى السلطان عبد العزيز ، وأغراه بأبى الفضل ورغبه فى ملك مراكش ، ووعده بالمظاهرة ، فأجمع السلطان أمره على النهوض اليها ، ونادى فى الناس بالعطاء ، وقضى أسباب حركته ، وارتحل من فاس سنة تسع وستين وسبعمائة ، وقد استبد أبو الفضل بمراكش وأعمالها ، وأقام بها رسم الملك ، واستوزر واستلحق وجعل شوراه لمبارك بن ابراهيم ابن عطية الخلطى .

ولما نهض السلطان عبد العزيز من فاس اتصل خبره بأبى الفضل وهو منازل لعامر بن محمد فانفض معسكره ولحق بتادلا ليعتصم بجبل بنى جابر منها ، فتبعه السلطان عبد العزيز اليها ونازله ، وأخذ بمخنقه وقاتله ففل عسكـــره ، ثم داخل بعض بنى جابر فى جر الهزيمة عليه على مال يعطيه لهم ففعلوا ، وانهزمت جيوشه وتقبض على أشياعه وسيق مبارك بن ابراهيم الى السلطان عبد العزيز فاعتقله الى أن قتله مع عامر بن محمد كما نذكر .

ولحق أبو الفضل بقبائل صناكة وراء بنى جابر فداخل بنو جابر فى شانه ، وبذلوا لهم عن السلطان مالا دثرا فى اسلامه فأسلموه ، وبعث السلطان اليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاء به أسيرا ، وأحضره أمام السلطان فوبخه ، ثم اعتقله بفسطاط مجاور له ، ثم غط من الليل فكان مهلكه فى رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة لمضى ثمان سنين من امارته على مراكش ، وبعث السلطان عبد العزيز الى عامر بن محمد يختبر طاعته فأبى عليه ، وجاهر بالخلاف الى ان كان من شأنه ما نذكره .

انتقاض عامر بن محمد الهنتاتى وحصار السلطان عبد العزيز اياه وظفره به

كان عامر بن محمد الهنتاتى مجير السلطان أبى الحسن من ابنه أبى عنان على ما وصفنا من بلوغ الغاية فى الرياسة والاعتزاز على الدولة وطول الاستبداد بمراكش وأحوازها ، وكان قد حصل فى مدة رياسته على ثروة عظيمة وجاه كبير ، وكان له معتصم بجبل درن أعز من بيض الانوق قد حصن فيه مالـــه وسلاحه وذخيرته ، وكان كلما هاجه هائج صعد اليه وأمن على نفسه ، فلمـــا صفا الامر للسلطان عبد العزيز جعل عامرا هذا من أهم أمره فنصب له واستعد لقتاله وعقد على وزارته لابى بكر بن غازى بن يحيى بن الكاس ونهض اليه من فاس سنة سبعين وسبعمائة فحاصره فى جبله سنة كاملة . ولما طال الحصار على

عامر وشيعته اختلفت كلمتهم عليه وفسد ما بينه وبين ابن أخيه فارس بن عبد العزيز بن محمد ، فبعث الى السلطان وسهل له الطريق لاقتحام الجبـــل ، فزحفت العساكر والجنود وشارفت المعتصم ، ولما استيقن عامر أن قد أحيط به بعث الى ابنه أبى بكر أن يلحق بالسلطان مختارا له ومشيرا عليه بالتى هى أحسن وأسلم ، فالقى الولد بنفسه الى السلطان فقبله ، وبذل له الامان وألحقه بجملته ، وانتبذ عامر عن الناس وذهب لوجهه ليخلص الى السوس فرده الثلج ، وقد كانت السماء أرسلت به منذ أيام حتى تراكم بالجبل بعضه على بعض وسد المسالك فاقتحمه عامر حتى هلك فيه بعض حرمه ونفق مركوبه ، وعايـــن الهلكة العاجلة فرجع أدراجه مختفيا حتى آوى الى غار مع أدلاء كـان قـــد استخلصهم ، وبذل لهم مالا على أن يسلكوا به ظهر الجبل الى صحراء السوس ، فأقاموا ينتظرون امساك الثلج وقد شدد السلطان عبد العزيز فى التنقير عنـــه والبحث ، فعثر عليه بعض البربر بالغار المذكور ، فسيق الى السلطان فأحضره بين يده ووبخه فاعتذر واعترف بالذنب ورغب فى الاقالة فحمل الى مضرب بنى له بازاء فسطاط السلطان واعتقل هنالك ، وانطلقت الايدى على معاقل عامر وديارة فانتهب من الاموال والسلاح والذخيرة والزرع والاقوات مالا عين رأت ولا أذن سمعت .

واستولى السلطان على الجبل ومعاقله فى رمضان من سنة احدى وسبعين وسبعمائة لحول من يوم حصاره ، وعقد على هنتاتة لابن أخى عامر ، وهو فارس ابن عبد العزيز بن محمد بن على الهنتاتى ، وارتحل الى فاس فاحتل بها آخر رمضان المذكور ودخلها فى يوم مشهود برز فيه الناس ، وحمل عامر وسلطانه تاشفين من بنى عبد الحق كان نصبه للامر مموها به على عادته ، فحملا معا على جملين وقد أفرغ عليهما لباس رث ، وعبثت بهما أيدى الاهانة فكان ذلك عبرة لمن رآه .

ولما قضى السلطان عبد العزيز نسك عيد الفطر أحضر عامرا فقرعه بذنوبه ، وأتى بكتاب بخطه يخاطب فيه أبا حمو بن يوسف الزيانى ويستنجده على السلطان فشهد عليه به وأمر السلطان بامتحانه فلم يزل يجلد حتى انتثر لحمه وضرب بالعصى

حتى ورمت أعضاؤه، وهلك بين يدى الوزعة، وجنب تاشفين سلطانه الى مصرعه فقتل قعصا بالرماح وجنب مبارك بن ابراهيم الخلطى من محبسه بعد الاعتقال فالحق بهم ، ولكل أجل كتاب ، وصفا الجو للسلطان عبد العزيز من المنازعين وتفرغ لغزو تلمسان على ما نذكره ان شاء الله .

ارتجاع الجزيرة الخضراء من يد الاسبانيول

قد قدمنا ما كان من استيلاء الطاغية على الجزيرة الخضراء أيام السلطان أبى الحسن رحمه الله فاستمرت فى ملكتهم الى هذا التاريخ فنشأت بينهم فتنة وتقاتلوا على الملك وأعروا ثغورهم الموالية للمسلمين من الحامية والجند فبقيت عورة ، وتشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة الخضراء التى قرب عهدهم بانتظامها فى ملكة المسلمين .

وكان السلطان عبد العزيز فى شغل عن ذلك بفتنة أبى الفضل بن أبى سالم وعامر بن محمد وانتقاضهما ، فبعث الى ابن الاحمر صاحب الاندلس أن يزحف اليها بعساكره وعليه عطاؤهم وامدادهم بالمال والاساطيل على أن تكون مثوبة جهاده خالصة له ، فأجاب ابن الاحمر الى ذلك ، وبعث اليه السلطان عبد العزيز باحمال المال ، وأوعز الى أساطيله بسبتة فانعمرت واقلعت حتى احتلت بمرسى الجزيرة الخضراء لحصارها ، وزحف ابن الاحمر بعساكر المسلمين على أثرها بعد ان قسم فيهم العطاء وأزاح العلل وأعد الآلات للحصار ، فنازلها أياما قلائل ، ثم أيقن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريخ ويأسهم من مدد ملوكهم ، فألقوا باليد وسألوا النزول على الصلح ، فأجابهم ابن الاحمر اليه ، ونزلوا عن البلد وأقيمت فيه شعائر الاسلام ومحيت منه كلمة الكفر ، وكتب الله أجرها لمن أخلص فى معاملته (*) وكان ذلك سنة سبعين وسبعمائة ،

(*) انظر الاحاطة ج ٢ - صحيفة ٥٦

وولى ابن الاحمر عليها من قبله ولم تزل الى نظره الى أن وقع الاختيار على هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها مرة أخرى فهدمت أعوام الثمانين وسبعمائة وأصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس .

نهوض السلطان عبد العزيز الى تلمسان و استيلاؤه عليها
وفرار سلطانها ابى حمو بن يوسف عنها

كان أبو حمو بن يوسف الزيانى قد فسد مابينه وبين عرب سويد وقبض على بعض رؤسائهم محمد بن عريف فاستصرخوا عليه السلطان عبد العزيز ، وكانت القوارص لا تزال تسرى اليه من أبى حمو المذكور فصادفوا منه صاغية الى ما التمسوا منه ، واعتزم على النهوض الى تلمسان ، وبعث الحاشرين الى الجهات المراكشية فتوافى الناس اليه على طبقاتهم ، واجتمعوا عنده أيام منى سنة احدى وسبعين وسبعمائة فافاض العطاء وأزاح العلل ، ولما قضى نسك عيد الاضحى عرض الجند ونهض الى تلمسان فاحتل بتازا .

واتصل خبره بابى حمو فجمع الجموع وهم باللقاء ثم اختلفت كلمة أصحابه وتفرق عنه العرب من بنى معقل فاجفل هو وأشياعه من بنى عامر بن زغبة فدخلوا القفر .

وتقدم السلطان عبد العزيز فاحتل بتلمسان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة فدخلها فى يوم مشهود ، واستولى عليها وعقد لوزيره أبى بكر ابن غازى بن الكاس على عساكر مرين والعرب وسرحه فى اتباع أبى حمو فأدركه ببعض بلاد زناتة الشرق فاجهضوه عن ماله ومعسكره فانتهب باسره واكتسحت أموال العرب الذين معه ونجا بذمائه الى مصاب ، وتلاحق به ولده وقومه متفرقين على كل مفازة ، ثم دخلوا القفر بعد ذلك ودوخ الوزير المذكور بلاد المغرب الاوسط وشرد عصاته واستنزل ثواره فى أخبار طويلة .

واستولى السلطان عبد العزيز على سائر الوطن من الامصار والاعمال ، وعقد عليها للولاة والعمال واستوسق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسلفه واستمر مقيما بتلمسان الى أن كان ما نذكره .

نزوع الوزير ابن الخطيب عن سلطانه الغني بالله الى السلطان عبد العزيز بتلمسان

قد قدمنا ما كان من رجوع الغنى بالله ابن الاحمر الى ملكه بالاندلس سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، ولما استولى على غرناطة وثبت قدمه بها بعث عن مخلفه بفاس من الاهل والولد ، والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله فاستقدم عمر ابن الخطيب من سلا وبعثهم الى نظره ، فسر السلطان ابن الاحمر بمدمه ورده الى منزلته ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بينه بندمائه وأهل خلوته ، وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد ، وانصرفت اليه الوجوه وعلقت به الآمال وغشى بابه الخاصة والكافة ، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه ، وقد صم السلطان عن قبولها ، ونما بذلك الخبر الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده للرحلة عن الاندلس واللحاق بالمغرب ، وكان له حنين اليه ورغبة فى الايالة المرينية من قبل ذلك ، فقدم الوسائل الى السلطان عبد العزيز وأوعز اليه بما عزم عليه من اللحاق بحضرته فوعده السلطان بالجميل وبسط أمله ، فحينئذ استأذن السلطان الغنى بالله فى تفقد الثغور الغربية من أرض الاندلس فاذن له ، وسار اليها فى جماعة من فرسانه ، ومعه ابنه على فلما حاذى جبل طارق مال اليه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه ، وقد كان السلطان عبد العزيز أوعز اليه بذلك وجهز اليه الاسطول من حينه ، فاحتل بسبتة ثم سار منها فقدم على السلطان عبد العزيز بتلمسان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، فاهتزت له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه محل الامن والغبطة ،

ومن دولته بمكان الشرف والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبى مدين سفيرا الى الاندلس فى طلب أهله وولده فجاءبهم على أكمل الحالات من الامن والتكرمة ، ثم نزل بعد ذلك مدينة فاس القديمة فاستكثر بها من شراء الضياع وتأنق فى بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظت عليه رسومه السلطانيـــة وتوفيراته ، وأقام مطمئنا بخير دار عند أعز جار .

وفاة السلطان عبد العزيز بن أبى الحسن رحمه الله

كان السلطان عبد العزيز قد أصابه مرض النحول فى صغره ولاجـل ذلك تجافى السلطان أبو سالم عن بعثه مع الابناء الى الاندلس فأقام بالمغرب ، ولما شب أفاق من مرضه وصلح بدنه ثم عاوده وجعه فى مثواه بتلمسان وتزايد نحوله ، ولما كمل الفتح واستفحل الملك اشتد به الوجع فصابره وكتمه عن الناس خشية الارجاف ثم عسكر خارج تلمسان للحاق بالمغرب .

ولما كانت ليلة الخميس الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة أربـع وسبعين وسبعمائة قضى نحبه رحمه الله بظاهر تلمسان بين أهله وولده وسيق الى فاس فدفن بجامع قصره ، وسنه يومئذ أربع وعشرون سنة ، وكانت دولته ست سنين وأربعة أشهر (*) .

ومن نظمه ما ذكره ابن الاحمر فى « نثير الجمان » مذيلا بيتى والده السلطان أبى الحسن اللذين هما قوله :

أرضى الله فى سر وجهـــر وأحمى العرض من دنس ارتياب
وأعطى الوفر من مالى اختيـارا وأضرب بالسيوف طلى الرقـاب

فقال هو وأحسن :

---

[*] ومن اولاده : السلطان محمد السعيد ومحمد وعبد الله .

وأرغب خالقي في العفو عنـــي وأطلب حلمه يوم الحســـاب
وأرجو عونه في عز نصـــر على الاعداء محروس الجنـــاب
وعبدك واقف بالباب فارحـــم عبيدا خائفا ألم العقـــاب

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي زيان محمد بن عبد العزيز ابن أبي الحسن

هذا السلطان ممن ولي الامر وهو صبي ، وفيه ألف ابن الخطيب كتابه المسمى: «باعلام الاعلام بمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام» كنيته: أبو زيان. أمه : عائشة بنت القائد فارح العلج ، صفته : آدم اللون شديد الادمة .

ولما مات السلطان عبد العزيز رحمه الله بظاهر تلمسان خرج الوزير أبو بكر بن غازي بن الكاس على الناس ، وقد احتمل أبا زيان ابن السلطان عبـــد العزيز ، فعزاهم عن سلطانهم ثم طرح ابنه بين أيديهم ، فازدحموا عليه باكين متفجعين يعطونه الصفقة ويقبلون يديه للبيعة ، ثم أخرجوه للمعسكر وأنزلوه بفساطيط أبيه وتم أمره وكفله الوزير المذكور فكان اليه الابرام والنقـــض ، والصبي كالعدم ، اذ لم يكن في سن التصرف .

ثم ان الوزير ارتحل بالناس وجد السير فدخل حضرة فاس وأجلـــس الصبي لبيعة العامة فبايعوا ، ثم توافت لديه وفود الامصار على العادة ، واستبد الوزير أبو بكر واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفصل واشتغل بامر المغرب ابراما ونقضا .

ولما فصل بنو مرين عن تلمسان عاد اليها سلطانها أبو حمو ابن يوسف الزياني ، والتفت عليه بنو عبد الواد من كل جانب ومحا دعوة بني مرين مـــن ضواحي المغرب الاوسط وأمصاره ، واتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازي فهم بالنهوض اليه ثم ثنى عزمه ما كان من خروج الامير عبد الرحمن بن أبي

يفلوسن بن أبى على بن أبى سعيد بناحية بطوية، فان السلطان ابن الاحمر كان قد سرحه من الاندلس صحبة وزيره مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى لطلب ملك المغرب تشغيبا على الوزير أبى بكر بن غازى ، ثم أتبعه بالامير أبى العباس أحمد ابن السلطان أبى سالم الذى كان محتاطا عليه بطنجة ، فزحف الامير أبو العباس المذكور الى فاس وظاهره ابن عمه الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن فحاصروا الوزير أبا بكر بن غازى وسلطانه أبا زيان بن عبد العزيز ، وضربوا على فاس الجديد سياجا بالبناء للحصار ، وأنزلوا به أنواع القتال بعد أن بعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد الرحمن باتصال اليد بابن عمه الامير أبى العباس ومظاهرته على ملك سلفه بفاس واجتماعهما لمنازلتها ، وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة وأن يختص عبد الرحمن بملك سلفه من سجلماسة وأعمالها ، فتراضيا وزحفا الى فاس كما قلناه وأمدهم ابن الاحمر بجمع من جنده، فاستمر الحال على حصار فاس الى أن أذعن الوزير أبو بكر لخلع سلطانه أبى زيان ومبايعة الامير أبى العباس ، فخلعه يوم الاحد السادس من محرم فاتح سنة ست وسبعين وسبعمائة وغرب الى الاندلس فكانت دولته سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما والله غالب على أمره .

الخبر عن الدولة الاولى للسلطان المستنصر بالله

ابى العباس أحمد بن أبى سالم بن أبى الحسن

هذا السلطان يقال له : ذو الدولتين لانه ولى الملك مرتين كما سيأتى . أمه : حرة بنت أبى محمد السبائى . كنيته : أبو العباس ، لقبه : المستنصر بالله ، صفته: أبيض اللون ربعة تعلوه صفرة رقيقة، أدعج أسود الشعر أكحل الحاجبين ضيق البلج أسيل الخدين براق الثنايا جميل الوجه مليح الصورة ظريف المنزع لطيف الشمائل حسن الشكل اذا ركب ، بويع أولا بطنجة فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، ثم بويع البيعة العامة بالمدينة البيضاء بعد استيلائه

عليها يوم الاحد السادس من محرم سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وكان الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن عند ما أشرفوا على فتح فاس شرط عليهم ولاية مراكش عوضا عن سجلماسة فعقدوا له على كره مخافة ان تفترق كلمتهم ولا يتم أمرهم ففعلوا ، وطووا له على النكث فارتحل الى مراكش واستولى عليها ، ثم فارقه وزيره مسعود بن عبد الرحمن وأجاز البحر الى الاندلس فاستقر بها فى ايالة ابن الاحمر .

واستقل السلطان أبو العباس بن أبى سالم بملك فاس وأعمالها ، واستوزر محمد بن عثمان بن الكاس وفوض اليه أموره فغلب على هواه وجعل أمر الشورى الى سليمان بن داود فاستقل بها وحاز رياسة المشيخة ، واستحكمت المودة بينه وبين ابن الاحمر وجعلوا اليه المرجع فى نقضهم وابرامهم ، فصار له بذلك تحكم فى الدولة المرينية وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الاندلس وذلك بما كان لابن الاحمر من اعانة السلطان أبى العباس على ملك المغرب حتى تم له ، وبما كان تحت يده من أبناء الملوك المرشحين للامر ، فكان أبو العباس وحاشيته يصانعونه لاجل ذلك ، والله تعالى أعلم .

محنة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله

لما لجأ ابن الخطيب الى بنى مرين وأصاب عندهم دارا وقرارا عز ذلك على ابن الاحمر ، وسعى بطانته عنده فى ابن الخطيب لعداوتهم له ، ثم بلغه انه يغرى السلطان عبد العزيز بتملك أرض الاندلس وقطع دعوة بنى الاحمر منها ، فعظم عليه ذلك ودبر الحيلة فى قتل ابن الخطيب ، وتتبع أعداؤه كلمات زعموا أنها صدرت منه فى بعض تآليفه فاحصوها عليه ورفعوها الى قاضى غرناطة أبى الحسن النباهى فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة ، وبعث ابن الاحمر برسم الشهادة مع هدية لم يسمع بمثلها الى السلطان عبد العزيز وطلب منه اقامة الحد على ابن الخطيب أو اسلامه اليه ، فصم السلطان عبد العزيز عن ذلك وأنف

لذمته أن تخفر ولجواره أن يؤذى ، وقال للوفد : « هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ، وأما أنا فلا يخلص اليه بذلك أحد ما كان فى جوارى » ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الاندلس فى جملته .

ثم لما مات السلطان عبد العزيز رحمه الله وولى ابنه أبو زيان وقام بأمره الوزير أبو بكر بن غازى عاود ابن الاحمر الكلام فى شأن ابن الخطيب وبعث بهدية أخرى الى الوزير المذكور وطلب منه اسلامه اليه ، فابى الوزير وأساء الرد ، وعادت رسل ابن الاحمر اليه مخفقين ، وقد رهبوا سطوته ، فعند ذلك عمد ابن الاحمر الى الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ، وكان عنده بالاندلس فأطمعه فى ملك المغرب وأركبه البحر ، فقذف به بساحل بطوية من بلاد الريف تشغيبا على الوزير أبى بكر بن غازى كما مر ، ثم ثاب له رأى آخر فأغرى محمد بن عثمان بن الكاس وهو ابن عم أبى بكر بن غازى المذكور ، وكان يومئذ بسبتة قائما على ثغرها ، فداخله فى البيعة لابى العباس بن أبى سالم ، وكان يومئذ بسبتة محتاطا عليه فى جملة من القرابة ، والتزم أن يمده بالمال والرجال حتى يتم أمره ، لكن بشرط أن ينزل له عن جبل طارق ، ويبعث له بالقرابة الذين هم بطنجة ليكونوا تحت يده ، ويسلم اليه ابن الخطيب متى قدر عليه ، فكان الامر كذلك ، فان السلطان أبا العباس لما استولى على الامر نزل لابن الاحمر عن جبل طارق فمحا دعوة بنى مرين من وراء البحر ، ثم ملك بعد ذلك سبتة فاستولى عليها ، وبعث اليه بالقرابة المذكورين فاوسع لهم جنابه بغرناطة ، ثم قبض السلطان أبو العباس ووزيره محمد بن عثمان على ابن الخطيب وطيروا بالاعلام لابن الاحمر ، فحينئذ بعث وزيره أبا عبد الله بن زمرك ، وكان من تلاميذة ابن الخطيب وبه تخرج ، فقدم على السلطان أبى العباس وأحضروا ابن الخطيب بالمشور فى مجلس الخاصة وأهل الشورى من الفقهاء ، وعرضوا عليه بعض كلمات وقعت له فى بعض كتبه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونكل ، وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملأ ، ثم ثل الى محبسه ، وتفاوضوا فى قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه فافتى بعض الفقهاء بقتله ، فدس سليمان بن داود اليه

بعض الاوغاد من حاشيته فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة من أهل الاندلس جاءوا فى لفيف ذلك الوفد فقتلوه خنقا فى محبسه وأخرجوا شلوه من الغد فدفن فى مقبرة باب المحروق ، ثم أصبح من الغد طريحا على شافة قبره وقد جمعوا له أعوادا فأضرموها عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره ، وأعيد الى حفرته ، وكان فى ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه السفاهة التى جاء بها سليمان بن داود واعتدوها من هناته ، وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته .

وكان ابن الخطيب رحمه الله أيام مقامه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بالشعر يبكى نفسه فمما قال فى ذلك :

بعدنا وان جاورتنا البيـــوت ... وجئنا بوعظ ونحن صمـــوت
وأنفسنا سكنـــت دفعـــة ... كجهر الصلاة تلاه القنـــوت
وكنا عظاما فصرنـــا عظامـــا ... وكنا نقوت فها نحن قـــوت
وكنا شموس سماء العـــلا ... غربنا فناحت عليها السمـــوت
فكم جدلت ذا الحسام الظبـــى ... وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر فى خرقـــة ... فتى ملئت من كساه التخـــوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيـب ... وفات ومن ذا الذى لا يفـوت
فمن كان يفرح منكم لـه ... فقل يفرح اليوم من لايمـــوت

وكانت نكبته رحمه الله أوائل سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وعند الله تجتمع الخصوم .

بقية اخبار امير مراكش عبد الرحمن بن ابى يفلوسن رحمه الله

قد تقدم لنا ما كان من معاقدة السلطان أبى العباس والامير عبد الرحمن ابن أبى يفلوسن على ولاية سجلماسة أولا ثم التعويض عنها بمراكش ثانيا ، فلما فتح السلطان أبو العباس فاسا وفى للامير عبد الرحمن بعقده فسار الى مراكش واستولى عليها وعلى أعمالها ، واقتسمت مملكة المغرب الاقصى يومئذ بنصفين .

وكان الحد بين الدولتين ثغر آزمور فكانت فى ايالة صاحب فاس ، وما وراءها الى مراكش فى ايالة صاحب مراكش ، ثم كانت بينهما بعد ذلك مواصلات ومناقضات ومسالمات ومحاربات يطول جلبها ، واتصل ذلك الى منتصف سنة أربع وثمانين وسبعمائة فظفر السلطان أبو العباس بعبد الرحمن بعد محاصرته بقصبة مراكش تسعة أشهر ، ولما أشرف السلطان أبو العباس على فتحها وانفض الناس من حول الامير عبد الرحمن ونزلوا من الاسوار ناجين الى السلطان وبقى هو فى قصبته منفردا بات ليلته يراود ولديه على الاستماتة وهما:سليم وأبو عامر ، وركب السلطان أبو العباس من الغد فى التعبية الى القصبة فاقتحمها بمقدمته ولقيه الامير عبد الرحمن وولداه مسابقين الى الميدان ومباشرين القتال بين أبواب دورهم فجالوا معهم جولة قتل فيها الولدان قتلهم على بن ادريس وزيان بن عمر الوطاسى .

قال ابن خلدون : « وطالما كان زيان يمترى ثدى نعمتهم ويجر ذيله خيلاء فى جاههم فذهب مثلا فى كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم مثقال ذرة» وكان ذلك خاتم جمدى الآخرة سنة أربع وثمانين المذكورة لمضى عشر سنين من امارة عبد الرحمن على مراكش ، ثم رحل السلطان أبو العباس منقلبا الى فاس وقد استولى على سائر أعمال المغرب وظفر بعدوه ودفع النازعين عن ملكه والله غالب على أمره .

ذكر الشاوية وبيان نسبهم وأوليتهم وشرح لقبهم وتسميتهم

ذكر ابن خلدون أن الشاوية من ولد حسان بن أبى سعيد الصبيحى نسبة الى صبيح بالتصغير بطن من سويد ، وسويد احدى قبائل بنى مالك بن زغبة الهلاليين ، وكان دخول حسان وأخيه موسى ابنى أبى سعيد الى المغرب الاقصى أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ، قدموا فى صحبة عبد الله بن كندوز العبد الوادى ثم الكمى ، وكان عبد الله هذا قد نزع عن يغمراسن بن زيان الى السلطان يعقوب المذكور فقدم عليه قبل فتح مراكش ، فاهتز السلطان يعقوب لقدومه وأحله بالمكان الرفيع من دولته وأنزل قومه بجهات مراكش وأقطعهم البلاد التى كفتهم مهماتهم وجعل انتجاع ابله ورواحله وسائر ظهره فى احيائهم ، فقدم عبد الله بن كندوز على رعايتها حسان وأخاه موسى الصبيحيين وكانا عارفين برعاية الابل والقيام عليها فاقاموا يتقلبون فى تلك البلاد ويتعدون فى نجعتها الى أرض سوس ، وكانت ماشية السلطان يعقوب متفرقة فى سائر المغرب فجمعها لعبد الله بن كندوز ، وجمعها عبدالله لحسان الصبيحى المذكور ، فكان حسان يباشر أمور السلطان فى شأن تلك الماشية ويطالعه بمهماته فحصلت له مداخلة معه جلبت اليه الحظ حتى ارتفع قدره ، ونشأ بنوه فى ظل الدولة وعزها وتصرفوا فى الولايات منها وانفردوا بخطة الشاوية فلم تزل ولايتها متوارثة فيهم منقسمة بينهم لهذا العهد الى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات ، وكان لحسان من الولد على ويعقوب وطلحة وغيرهم ، ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم فى ولده

قال ابن خلدون : « وهم لهذا العهد يتصرفون فى الدولة على ما كان لسلفهم من ولاية الشاوية والنظر فى رواحل السلطان والظهر الذى يحمل من الابل ولهم عدد وكثرة ونباهة فى الدولة » اه قلت : ولفظ الشاوية نسبة الى الشاء التى هى جماعة الغنم مثلا قال الصحاح : « والنسبة الى الشاء شاوى قال الراجز :

لا ينفع الشاوى فيها شاته * ولا حماراه ولا علاتـــه

وان سميت به رجلا قلت شائى وان شئت شاوى » اه .

واعلم أن الشاوية اليوم يطلقون على سكان تامسنا من قبائل شتى بعضها عرب وبعضها زناتة وبربر غير أن لسان الجميع عربى ، وكان أصل جمهورهم من هؤلاء الذين ذكر ابن خلدون ، ثم انضافت اليهم قبائل أخر ، واختلطوا بهم فأطلق على الجميع شاوية تغليبا ، وهكذا وقع فى سائر عرب المغرب الاقصى المواطنين بتلوله فانهم وقع فيهم اختلاط كبير حتى نسوا أنسابهم وأصولهم الاولى الا فى النادر ، وذلك بسبب تعاقب الاعصار وتناسخ الاجيال وتوالى المجاعات والانتجاعات ووقعات الملوك بهم فى كثير من الاحيان وتفريق بعضهم من بعض ونقل بعضهم الى بلاد بعض ، ومع ذلك فأسماؤهم الاولى لا زالت قائمة فيهم لم تتغير الى الان فمنها يهتدى الفطن الى التنقير عن أنسابهم والحاق فروعهم باصولهم متى احتاج الى ذلك . والله تعالى أعلم .

نهوض السلطان ابى العباس الى تلمسان وفتحها وتخريبها

لما نهض السلطان أبو العباس الى مراكش وحاصر بها عبد الرحمن بن أبى يفلوسن خالفه الى المغرب أبو حمو بن يوسف الزيانى فى جمع من أولاد حسين عرب معقل وذلك باغراء عبد الرحمن المذكور ، فدخلوا الى أحواز مكناسة وعاثوا فيها ثم عمدوا الى مدينة تازا فحاصروها سبعا وخربوا قصر الملك هنالك ومسجده المعروف بقصر تازروت وبينما هم على ذلك بلغهم الخبر اليقين بفتح مراكش وقتل الامير عبد الرحمن فاجفلوا من كل ناحية ومر أبو حمو فى طريقه الى تلمسان بقصر ونزمار بن عريف السويدى فى نواحى بطوية المسمى بمرادة فهدمه .

ووصل السلطان أبو العباس الى فاس فأراح بها أياما ثم أجمع النهوض الى تلمسان فانتهى الى تاوريرت ، وبلغ الخبر الى أبى حمو فاضطرب رأيه

واعتزم على الحصار وجمع أهل البلد عليه فاستعدوا له ، ثم بدا له فخرج فى بعض تلك الليالى بولده وأهله وخاصته وأصبح مخيما بالصفيصف فأهرع أهل البلد اليه بعيالهم وأولادهم متعلقين به تفاديا من معرة هجوم العسكر عليهم فلم يزعه ذلك عن قصده ، وارتحل ذاهبا الى البطحاء ، ثم قصد بلاد مغراوة فنزل فى بنى بو سعيد قريبا من شلف وأنزل أولاده الاصاغر وأهله بحصن تاجحمومت وجاء السلطان أبو العباس الى تلمسان فملكها واستقر بها أياما ثم هدم أسوارها وقصور الملك بها باغراء وليه ونزمار جزاء بما فعله أبوحمو فى تخريب قصر تازروت وحصن مرادة ، ثم خرج من تلمسان فى اتباع أبى حمو ونزل على مرحلة منها وهنالك بلغه الخبر باجازة موسى بن أبى عنان من الاندلس الى المغرب ، وانه خالفه الى دار الملك فانكفأ راجعا عوده على بدئه ورجع أبو حمو الى تلمسان فاستقر ملكه بها الى أن كان ما نذكره ان شاء الله .

خلع السلطان ابى العباس بن ابى سالم وتغريبه الى الاندلس والسبب في ذلك

قد قدمنا ما كان من تحكم ابن الاحمر فى مملكة المغرب ودالته على السلطان أبى العباس بما أنه كان السبب فى ولايته وبما تحت يده من القرابة المرشحين الذين أرصدهم للتشغيب على دار الملك بالمغرب متى رأى من أحدهم ما لا يوافق هواه ، وكان مع كثرة تحكمه فيهم يتجنى عليهم فى بعض الاوقات بما يأتونه من تقصير فى شفاعة أو مخالفة فى أمر لا يجدون عنها محيصا فيضطغن ذلك عليهم ، وكان يعتد على السلطان أبى العباس بشىء من هذه الهنات .

فلما نهض الى تلمسان واستولى عليها سنة خمس وثمانين وسبعمائة اتصل بابن الاحمر أن دار الملك بفاس قد بقيت عورة من الجند والحامية فانتهز الفرصة وبادر بتسريح موسى ابن السلطان أبى عنان الى المغرب واستوزر له مسعود بن عبد

الرحمن بن ماساى رئيس الفتنة وقطب رحاها ، وكان عنده بالاندلس بعد مفارقة عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ، فنزل موسى بن أبى عنان سبتة فاستولى عليها وسلمها لابن الاحمر فدخلت فى طاعته ، ثم تقدم الى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمه بها .

واتصل الخبر بالسلطان أبى العباس وهو بتلمسان فجاء مبادرا ونزل بتازا فأقام بها أربعا ثم تقدم الى الموضع المعروف بالركن فانتقض عليه رؤساء جيشه وتسللوا الى موسى طوائف وأفرادا ولما رأى ما نزل به رجع الى تازا بعد ان انتهب معسكره وأضرمت النار فى خيامه وذلك يوم الاحد الموفى ثلاثين من ربيع الاول سنة ست وثمانين وسبعمائة .

ثم بعث موسى بن أبى عنان من أتاه بالسلطان أبى العباس فى الامان فقدم عليه وقيده وبعث به الى ابن الاحمر فبقى عنده محتاطا عليه الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله .

وكانت دولته هذه عشر سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما ، ومن وزرائه فى هذه الدولة : محمد بن عثمان بن الكاس المجذولى ومن كتابه : عبد المهيمن بن أبى سعيد بن عبد المهيمن الحضرمى تغمد الله الجميع برحمته .

الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله ابى فارس موسى ابن ابى عنان بن ابى الحسن

أمه: مولدة اسمها تاملالت ، صفته : أسمر مائل الى السواد قصير القامة جاحظ العينين عظيم اللحية تملأ صدره قائم الانف واذا تكلم يملأ لسانه فمه فيخرج من بين شفتيه ويتحرك فيقبح كلامه ، بويع يوم الخميس الموفى عشرين من شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين وسبعمائة وقام بامر دولته وزيره مسعود بن ماساى مستبدا عليه ، ولما استقر أمره بالحضرة وجه اليه ابن الاحمر أمه وعياله وكانوا عنده وهناه وزيره أبو عبد الله بن زمرك بتوشيح يقول فى

مطلعه :

فد نظم الشمل أتم انتظـــام ولاحت الاقمار بعد المغيـــب
وضاحك الروض ثغور الغمـــام عن مبسم الزهر البرود الشنيب

الى أن قال فى آخره :

مولاى يهنيك وحق الهنـا قد نظم الشمل كنظم السعـود
قد فزت بالفخر ونيل المنـــى وأنجز السعد جميع الوعـــود
وقرت العين وزال العنـــا وكلما مر صنيع يعـــود
ولم يزل ملكك حلف الـدوام يحوز فى التخليد أوفى نصيـــب
يتلو عليك الدهر بعد الســـلام نصر من الله وفتح قريب

خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماساى اليه

كان الحسن بن الناصر بن أبى على بن أبى سعيد قد لحق من مقـــره بالاندلس بحضرة تونس فى سبيل طلب الملك ، وكان الوزير مسعود بن ماساى قد قتل محمد بن عثمان بن الكاس وافترقت حاشيته فى الجهات فطلبوا بطن الارض دون ظهرها ، ولحق منهم ابن أخيه العباس بن المقداد بتونس فعثر على الحسن بن الناصر بها فثاب له رأى فى الرجوع به الى المغرب لطلب الامر ، فخرج به من تونس وقطع المفاوز الى أن انتهى الى جبال غمارة ونزل على أهل الصفيحة منهم فأكرموا مثواه ومنقلبه وأعلنوا بالقيام بدعوته ، واستوزر العباس ابن المقداد .

وبلغ الخبر الى مسعود الوزير فجهز العساكر مع أخيه مهدى بن عبد الرحمن بن ماساى فحاصره بجبل الصحيفة أياما فامتنع عليه فنهض اليه مسعود بنفسه على ما نذكره .

وفاة السلطان موسى بن ابى عنان رحمه الله

لما كان من استبداد ابن ماساى على السلطان موسى ما قدمناه استنكف من ذلك وداخل بطانته فى الفتك به فنما ذلك اليه وحصلت له نفرة من السلطان طلب لاجلها البعد عنه وبادر الى الخروج لدافعة الحسن بن الناصر القائم بغمارة ، واستخلف على دار الملك أخاه يعيش بن عبد الرحمن بن ماساى ، فلما انتهى الى قصر كتامة بلغه الخبر بوفاة السلطان موسى ، وكانت وفاته فى جمدى الآخرة طرقه المرض فهلك ليوم وليلة من مرضه ، وكان الناس يرمون يعيش أخا الوزير بانه سمه ، قاله ابن خلدون .

وقال ابن القاضى فى الجذوة : « توفى السلطان موسى بن أبى عنان مسموما يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وله احدى وثلاثون سنة فكانت دولته سنتين وأربعة أشهر وولى بعده محمد بن أحمد بن أبى سالم » اه

ومن كتابه: أبو الفضل محمد بن محمد بن أبى عمرو التميمى وأبو القاسم محمد بن سودة المرى ، ومن قضاته : أبو عبد الله محمد بن محمد المغيلى والله تعالى أعلم .

الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان ابى زيان محمد بن ابى العباس ابن ابى سالم بن ابى الحسن

أمه: حرة وهى رقية بنت السلطان أبى عنان، صفته: أبيض اللون قائم الانف أسيل الخدين ، بويع بعد خاله موسى بن أبى عنان يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وسنه يوم بويع خمس سنين

وخلع يوم الجمعة الخامس عشر من شوال من السنة المذكورة وغرب الى الاندلس مع أبيه فكانت دولته ثلاثة وأربعين يوما تحت استبداد الوزير مسعود عفا الله عنه .

الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله
ابى زيان محمد بن ابي الفضل بن ابى الحسن

أمه : أم ولد اسمها عسيلة ، صفته : أسود اللون عظيم الخلق رحب الوجه طويل القامة والساقين ممتلىء الانف عظيم الساعدين ، وكان قبل ولايته عند ابن الاحمر بالاندلس فى جملة القرابة ، ولما استوحش الوزير مسعود من السلطان موسى بن أبى عنان بعث ابنه يحيى الى ابن الاحمر يسأل منه اعادة السلطان أبى العباس الى ملكه فأخرجه ابن الاحمر من الاعتقال وجاء به الى جبل الفتح يروم اجازته الى العدوة ، فلما توفى السلطان موسى بدا للوزير مسعود فى أمره ودس لابن الاحمر فى رده وأن يبعث اليه بالواثق هذا ورآه أليق بالاستبداد والحجر فأسعفه ابن الاحمر فى ذلك ورد السلطان أحمد الى مكانه بالحمراء وجىء بالواثق فحضر بجبل الفتح عنده فاجازه الى سبتة ، واتفق أن جماعة من الحاشية انتقضوا على الوزير مسعود ولحقوا بسبتة فقدم عليهم الواثق بها ورجعوا به الى المغرب وتقلبوا فى نواحيه الى أن وصلوا الى جبل مغيلة قرب فاس ، فبرز الوزير مسعود فى العساكر ونزل قبالتهم وقاتلهم هنالك أياما ثم وقع الاتفاق على أن يبايع مسعود للواثق بشرط الاستبداد فتم العقد على ذلك .

قال فى «الجذوة» : بويع السلطان الواثق بالله أبو زيان محمد بن أبى الفضل يوم الجمعة الخامس عشر من شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وقام بامره الوزير مسعود بن ماساى ، ثم حدثت الفتنة بين الوزير المذكور وابن الاحمر بسبب أن الوزير طلب منه اعادة سبتة الى الاياالة المرينية وكان موسى بن أبى

عنان قد نزل له عنها كما مر وكان طلبه على سبيل الملاطفة فاستشاط ابن الاحمر غضبا وأساء الرد فجهز ابن ماساى العساكر لحصار سبتة مع العباس بن عمر ابن عثمان الوسنافى ويحيى بن علال بن آمصمود والرئيس محمد بن أحمد الابكم من بنى الاحمر فاستولى عليها ، ثم سرح ابن الاحمر السلطان أبى العباس من اعتقاله وبعثه الى المغرب لطلب ملكه وللتشغيب على ابن ماساى الجاحد لاحسانه ، فعبر السلطان أبو العباس البحر الى المغرب فاحتل سبتة واستولى عليها ، ثم تقدم الى فاس فحاصرها وضيق على ابن ماساى وسلطانه الواثق بالله ، وأهرع الناس الى الدخول فى طاعته حتى من مراكش ، فاستمر الحصار على فاس الجديد ثلاثة أشهر ، ثم أذعن الوزير مسعود للطاعة على شرط أن يبقى وزيرا ويغرب سلطانه الى الاندلس فاجيب وخلع الواثق بالله، ثم خرج الى السلطان أبى العباس فبايعه وتقدم أمامه فدخل دار ملكه يوم الخميس خامس رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، ولحين دخوله قبض على الواثق بالله فقيده وبعث به الى طنجة فقتل بها بعد ذلك وسنه يوم قتل ثمان وثلاثون سنة وبها قبر .

ومن وزرائه : يعيش بن على بن فارس اليابانى ومسعود بن رحو بن ماساى، ومن كتابه: منصور بن أحمد بن محمد التميمى ، وأبو يحيى محمد ابن محمد بن أبى القاسم بن أبى مدين ، ومن قضاته : أبو يحيى محمد بن محمد السكاك رحمهم الله تعالى بمنه .

الخبر عن الدولة الثانية للسلطان ابى العباس بن ابى سالم بن ابى الحسن

لما دخل السلطان أبو العباس حضرة فاس الجديد فى التاريخ المتقدم بويع البيعة العامة فى اليوم الثالث من دخوله وهو يوم السبت السابع من رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة لمضى ثلاث سنين وخمسة أشهر وستة أيام من

خلعه .

ولما ملك أمر نفسه قبض على الوزير ابن ماساى وعلى اخوته وحاشيته وامتحنهم امتحانا بليغا فهلكوا من العذاب ، ثم سلط على مسعود من العذاب والانتقام ما لا يعبر عنه واعتد عليه بما كان يفعله فى دور بنى مرين النازعين عنه اليه ، فانه كان متى هرب منهم أحد عمد الى بيوته فنهبها فامر السلطان أبو العباس بعقابه فى اطلالها فكان يؤتى به الى كل بيت منها فيضرب عشرين سوطا الى أن برح به العذاب وتجاوز الحد ، ثم أمر به فقطعت أربعته فهلك عند قطع الثانية وذهب مثلا للآخرين .

ظهور محمد بن عبد الحليم بن ابى على بسجلماسة ثم اضمحلاله بعد ذلك

قد قدمنا أن الامير عبد الحليم بن أبى سعيد كان تغلب على سجلماسة ثم غلبه عليها أخوه عبد المؤمن ، وسافر عبد الحليم الى المشرق فهلك فى سفرته تلك ، وكان قد ترك ابنه محمدا هذا رضيعا فشب متقلبا بين الدول من ملك الى آخر على أن أكثر مقامه انما كان عند أبى حمو صاحب تلمسان ، ولما حاصر السلطان أبو العباس فاس الجديد كان محمد هذا عند العرب الاحلاف ، فلما اشتد الحصار على مسعود بن ماساى دس الى الاحلاف أن ينصبوا محمد ابن عبد الحليم للامر ويجلبوا به على المغرب ليأخذ بحجزة السلطان أبى العباس عنه ففعلوا ودخل محمد بن عبد الحليم سجلماسة فملكها حتى اذا استولى السلطان أبو العباس على فاس الجديد وأوقع بمسعود بن ماساى واخوته خرج محمد بن عبد الحليم عن سجلماسة ولحق باحياء العرب فسارت طائفة منهم معه الى أن أبلغوه مأمنه ونزل على أبى حمو بتلمسان الى أن هلك فسار الى تونس ونزل على صاحبها أبى العباس الحفصى ، ثم ارتحل بعد وفاته الى المشرق لحج الفريضة والله تعالى أعلم .

نكبة الكاتب ابن ابى عمرو وحركات بن حسون ومقتلهما

كان محمد بن محمد بن أبى عمرو التميمى ، وقد تقدم ذكر والده، فى دولة السلطان أبى عنان كاتبا عند السلطان أبى العباس فى دولته الاولى ، فلما خلع وولى موسى بن أبى عنان تقرب اليه بسالف المخالصة لابيه من أبى عنان فقد كان أعز بطانته كما مر ، فاستخلصه السلطان موسى للشورى ورفع منزلته على منازل أهل الدولة وجعل اليه كتابة علامته على المراسم السلطانية كما كان لابيه ، وكان يفاوضه فى مهماته ويرجع اليه فى أموره حتى غص به أهل الدولة وسعى هو عند السلطان موسى فى جماعة من بطانة السلطان أبى العباس فاتى عليهم النكال والقتل لكلمات كانت تجرى بينهم وبينه فى مجالس المنادمة عند السلطان أبى العباس حقدها عليهم ، فلما ظفر بالحظ من السلطان موسى سعى بهم عنده فقتلهم ، وكان القاضى أبو اسحق ابراهيم اليزناسنى من بطانة السلطان أبى العباس وكان يحضر مع ندمائه فحقد عليه ابن أبى عمرو وأغرى به السلطان موسى فضربه وأطافه ، وجاء بها شنعاء غريبة فى القبح ، ثم سفر ابن أبى عمرو عن سلطانه موسى الى الاندلس فكان يمر بمجلس السلطان أبى العباس من محل اعتقاله فلا يلم به وربما يلقاه فلا يحييه ولا يوجب له حقا ، فأحفظ ذلك السلطان أبا العباس فلما رد الله عليه ملكه وفرغ من ابن ماساى قبض على ابن أبى عمرو هذا وأودعه السجن ثم امتحنه بعد ذلك الى أن هلك تحت السياط وحمل الى داره ، وبينما أهله يحضرونه الى قبره اذا بالسلطان قد أمر بان يسحب فى نواحى المدينة ابلاغا فى النكال فحمل من نعشه وقد ربط فى رجله حبل وسحب فى سكك المدينة ثم ألقى على بعض المزابل .

ثم قبض السلطان على حركات بن حسون شيخ العرب وكان مجلبا فى الفتنة ، وكان العرب المخالفون من معقل لما أجاز السلطان أبو العباس الى سبتة

وحركات هذا بتادلاء، راودوه على طاعة السلطان فامتنع أولا ثم أكرهوه وجاءوا به الى السلطان فطوى على ذلك حتى اذا استقام أمره وملك حضرة فاس الجديد قبض عليه وامتحنه الى أن هلك . والى الله عاقبة الامور .

اخبار تلمسان واستيلاء السلطان ابى العباس عليها

كان السلطان أبو حمو بن يوسف الزيانى قد عاد الى تلمسان وثبت قدمه بها كما قلنا الى أن خرج عليه ابنه أبو تاشفين آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة فوقعت بينهما حروب وشرق أبوه بدائه ، ثم عادت له الكرة عليه فى أخبار طويلة ، فاستمد أبو تاشفين السلطان أبا العباس فامده بابنه الامير أبى فارس ووزير محمد بن يوسف بن علال عقد لهما على جيش كثيف من بنى مرين وغيرهم ، فانتصر أبو تاشفين على أبيه فقتله وبعث برأسه الى السلطان أبى العباس ، ثم تقدم فدخل تلمسان آخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة واستمر بها مقيما لدعوة السلطان أبى العباس فكان يخطب له على منابر تلمسان ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما شرط على نفسه عند توجيه العساكر معه واستمر على ذلك الى أن مات سنة خمس وتسعين وسبعمائة (*) ، فتغلب على تلمسان أخوه الامير يوسف بن أبى حمو .

ولما اتصل الخبر بالسلطان أبى العباس خرج من الحضرة الى تازا ومن

(*) وكان نازعه اخوه ابو زيان بن ابى حمو صاحب الجزائر وزحف اليه مرارا فلم يغن شيئا ثم وفد على السلطان ابى العباس متطارحا عيله على الانتصاف من اخيه فاقام عنها مدة ثم اسعفه وجهز معه عسكرا الى تلمسان منتصف سنة ٧٩٥ فانتهى الى تازا وهناك اتصل به خبر وفاة ابى تاشفين وحينئذ خرج السلطان ابو العباس من فاس انظر « كشف العرين » للمؤلف

هنا لك بعث ابنه الامير أبا فارس فى العساكر الى تلمسان فاستولى عليها وأقام فيها دعوة والده وفر يوسف بن أبى حمو الى بعض الحصون فاعتصم به الى أن كان ما نذكره .

وصول هدية صاحب مصر السلطان الظاهر برقوق الى السلطان ابى العباس بتازا والسبب فى ذلك

كان العلامة الرئيس ولى الدين ابن خلدون قد استوطن فى آخر عمره مصر القاهرة ونزل من سلطانها بالمنزلة الرفيعة قال رحمه الله : « وكان يوسف ابن على بن غانم أمير أولاد حسين من معقل ثم من أولاد جرار منهم قد حج سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، واتصل بصاحب مصر الملك الظاهر برقوق أول ملوك الجراكسة من الترك قال : فتقدمت الى السلطان المذكور فيه وأخبرته بمحله من قومه فاكرم تلقيه وحمله بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب يطرفه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك ، فلما قدم يوسف بها على السلطان أبى العباس أعظم موقعها وجلس فى مجلس حفل لعرضها والمباهاة بها وشرع فى المكافأة عليها بمتخير الجياد والبضائع والثياب حتى اذا استكمل من ذلك ما رضيه وعزم على بعثها مع يوسف بن على حاملها الاول وانه يبعثه بها من موضع مقامه بتازا اخترمته المنية دون ذلك .

وفاة السلطان ابى العباس بن ابى سالم رحمه الله

كانت وفاة السلطان أبى العباس بمحل مقامه من تازا وهو يشارف أحوال ابنه أبى فارس ووزيره صالح بن حمو اليابانى وكان قد قدمهما لفتح تلمسان والبلاد الشرقية فاصابه حمامه هنالك ليلة الخميس السابع من محرم فاتح سنة ست وتسعين وسبعمائة وحمل الى فاس فدفن بالقلة وسنه يومئذ تسع وثلاثون سنة فكانت دولته الثانية ست سنين وأربعة أشهر ، ومن وزرائه فى هذه الدولة:صالح بن حمو اليابانى ومحمد بن يوسف بن علال الصنهاجى، ومن حجابه : أبو العباس أحمد بن على القبائلى، ومن كتابه: الشريف أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسنى السبتى، والقائد محمد بن موسى بن محمود الكردى، ويحيى بن الحسن بن أبى دلامة التسولى، ومن قضاته: القاضى أبواسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم اليزناسنى : قال فى «الجذوة» : وكان السلطان أبو العباس شاعرا مفلقا بديع التشبيه فمن نظمه قوله :

أما الهوى يا صاحبى فألفته ... وعهدته من عهد أيام الصبا
ورأيته قوت النفوس وحليها ... فتخذته دينا الى ومذهبا
ولبست دون الناس منه حلة ... كان الوفاء لها طرازا مذهبا
لكن رأيت له الفراق منغصا ... لا بفراقنا لا مرحبا »

ومن أخبار السلطان أبى العباس ما حكاه فى «نفح الطيب» : «أن الاديب الكاتب أبا الحسن على ابن الوزير لسان الدين ابن الخطيب كان مصاحبا للسلطان أبى العباس هذا ، فحضر معه ذات يوم فى بستان سح فيه ماء المذاكرة الهتان وقد أبدى الاصيل شواهد الاصفرار وأزمع النهار لما قدم الليل على الفرار فقال السلطان أبو العباس لما لان جانبه وسالت بين سرحات البستان جداوله ومذانبه :

يا فاس انى وايم الله ذو شغف ... بكل ربع به مغناه يسبينى

وقد أنست بقرب منك يا أملى ونظرة فيكم بالانس تحيينى

فأجابه أبو الحسن ابن الخطيب بقوله المصيب :

لا أوحش الله ربعا أنت زائره يا بهجة الملك والدنيا مع الدين

يا أحمد الحمد أبقاك الاله لنا فخر الملوك وسلطان السلاطين»

ومن أخباره أيضا : أن كاتبه أبا زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد المنان دخل عليه عشاء فقال له : «أنعم الله صاح مولانا» فأنكر السلطان ذلك وظن انه ثمل فتفطن أبو زكرياء لما صدر منه وتدارك ذلك فانشد مرتجلا (*) :

صبحته عند المساء فقال لى ماذا الكلام وظن ذاك مزاحا

فأجبته اشراق وجهك غرنى حتى توهمت المساء صباحا

الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله ابي فارس عبد العزيز ابن ابى العباس بن ابى سالم رحمه الله

من الاتفاق الغريب : أن سلطان فاس والمغرب فى هذا التاريخ كان اسمه عبد العزيز بن أحمد ، وسلطان تونس وافريقية كان اسمه أيضا عبد العزيز ابن أحمد ، وكانت ولايتهما فى سنة واحدة الا أن مدة الحفصى طالت جدا .

أم هذا السلطان : أم ولد اسمها جوهر ، صفته : شاب السن ربعة من القوم أدعج العينين جميل الوجه .

لما توفى السلطان أبو العباس بن أبى سالم رحمه الله بتازا كان ابنه أبو فارس هذا بتلمسان فاستدعاه رجال الدولة منها فقدم عليهم بتازا وبايعوه بها يوم السبت التاسع من محرم سنة ست وتسعين وسبعمائة ، ولما تم أمره أطلق أبا زيان بن أبى حمو الزيانى وكان معتقلا عنده بفاس لا لتجائه الى أبيه من قبل فى خبر ليس تفصيله من غرضنا ، وبعثه الى تلمسان أميرا عليها من قبله ، فسار اليها أبو زيان وملكها وأقام فيها دعوة السلطان أبى فارس ، ثم خرج عليه أخوه

(*) انما تمثل بهما

يوسف بن أبى حمو واتصل باحياء بنى عامر بن زغبة وعزم على الاجلاب عليه بهم فسرب أبو زيان فيهم الاموال فقتلوه وبعثوا اليه برأسه فسكنت أحوال تلمسان وذهبت الفتنة بذهاب يوسف واستقامت أمور دولة السلطان أبى فارس قاله ابن خلدون ، وهو آخر ما ورخه من دولة المغرب .

واعلم أن ما نسوقه بعد هذا من الاخبار عن هذه الدولة المرينية لم يسمح لنا الوقت بالوقوف عليه فى تأليف يخصها أو موضوع يقص أخبارها نسقا وينصها ، وانما تتبعنا ما أثبتناه من ذلك فى مواضع ذكرت فيها بحسب التبع لا بالقصد الاول وعلى الله تعالى فى الهداية الى الصواب المعول .

بقية اخبار السلطان عبد العزيز ووفاته

قالوا: كان السلطان عبد العزيز بن أبى العباس رحمه الله كثير الشفقة رقيق القلب منقبضا عن الغدر متوقفا فى سفك الدماء وكان فارسا عارفا بركض الخيل ويحسن قرض الشعر ويحب سماعه فمن نظمه ، وقد نزل المطر ، يشكر الله تعالى عليه ، قوله :

الله يلطف بالعباد فواجـــب أن يشكروا فى كل حال نعمته
فهو الذى فيهم ينزل غيثه من بعد ماقنطوا وينشر رحمته

توفى رحمه الله يوم السبت ثامن صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة ودفن مع أبيه بالقلة فكانت دولته ثلاث سنين وشهرا ومن وزرائه :صالح بن حمو اليابانى ويحيى بن علال بن آمصمود الهسكورى ومن كتابه : يحيى بن الحسن بن أبى دلامة ومن قضاته: عبد الحليم بن أبى اسحق اليزناسنى رحمهم الله تعالى بمنه .

٨١

الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله ابى عامر عبد الله ابن ابى العباس بن ابى سالم رحمه الله تعالى

هذا السلطان شقيق الذى قبله ، أمه : الجوهر المتقدمة . صفته : أدعج العينين حسن الانف لامى العذار . بويع بعد أخيه عبد العزيز يوم السبت الثامن من صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، وكان التصرف والنقض والابرام فى هذه المدة كلها للوزراء وتوفى السلطان المذكور بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء الموفى ثلاثين من جمدى الآخرة سنة ثمانمائة ، فكانت دولته سنة وخمسة أشهر سوى أيام ، ومن وزرائه : صالح بن حمو ويحيى بن علال ، ومن قضاته : عبد الرحيم اليزناسنى ، ومن حجابه : أبو العباس أحمد بن على القبائلى وفارح بن مهدى العلج والله تعالى أعلم .

وأما أخبار الغنى بالله ابن الاحمر بالاندلس فانه كان أسقط رياسة الجهاد من بنى مرين بها ومحا رسمها من مملكته أيام أجاز عبد الرحمن بن أبى يفلوسن للتشغيب على أبى بكر بن غازى بن الكاس حسبما تقدم . وصار أمر الغزاة والمجاهدين اليه وباشر أحوالهم بنفسه واستمر الحال على ذلك الى أن هلك سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، فولى مكانه ابنه أبو الحجاج يوسف وبايعه الناس وقام بامره خالد مولى أبيه وتقبض على اخوته : سعد ومحمد ونصر فكان آخر العهد بهم ولم يوقف لهم بعد على خبر ، ثم سعى عنده فى خالد القائم بدولته وانه أعد السم لقتله وان يحيى بن الصائغ اليهودى طبيب دارهم قد داخله فى ذلك ففتك بخالد وتناوشته السيوف بين يديه لسنة أو نحوها من ملكه ، ثم حبس الطبيب المذكور فذبح فى محبسه ، ثم هلك سنة أربع وتسعين وسبعمائة لسنتين أو نحوها من ولايته .

وقد وقفت لبعض الاصبنيوليين ، واسمه : منويل باولو القشتيلى ، على كتاب موضوع فى أخبار المغرب الاقصى فنقلت منه بعض أخبار لم أجدها الا عنده

وهو وان كان ينقل الغث والسمين والرخيص والثمين الا أن الناقد البصير يميز حصباءه من درّه ويفرق بين حشفه وثمره، فمن ذلك انه حكى عن السلطان أبى الحجاج المذكور ما صورته قال : « كانت مراسلات السلطان المرينى، يعنى السلطان أبا العباس مع السلطان يوسف بن الغنى بالله صاحب غرناطة حسنة فى الظاهر تدل على الموافقة والمحبة وكان المرينى فى الباطن يحب الاستيلاء على مملكة غرناطة ولما لم يمكنه ذلك بالسيف عدل الى اعمال الحيلة فاهدى الى السلطان أبى الحجاج كسى رفيعة أحدها مسمومة فلبسها فهلك لحينه ومع ذلك فلم يدرك المرينى غرضه فانه لم يلبث الا يسيرا حتى توفى أيضا » اه .

ولما توفى أبو الحجاج بويع ابنه محمد بن يوسف وقام بامره القائد أبو عبد الله محمد الخصاصى من صنائع أبيه، قال ابن خلدون: «والحال على ذلك لهذا العهد»

ولنذكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث :

ففى سنة خمسين وسبعمائة كان الوباء الذى عم المسكونة شرقا وغربا على ما نبهنا عليه فيما مضى .

وفى سنة خمس وستين وسبعمائة توفى الولى الزاهد أبو العباس أحمد ابن عمر بن محمد بن عاشر الاندلسى نزيل سلا العارف المشهور قال أبو عبد الله بن صعد التلمسانى فى كتابه : «النجم الثاقب فيما لاولياء الله من المناقب» : كان ابن عاشر أحد الاولياء الابدال معدودا فى كبار العلماء مشهورا باجابة الدعاء معروفا بالكرامات مقدما فى صدور الزهاد منقطعا عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من صالحى العباد ملازما للقبور فى الخلاء المتصل ببحر مدينة سلا منفردا عن الخلق لا يفكر فى أمر الرزق ، وله أخبار جليلة وكرامات عجيبة مشهورة ممن جمع الله له العلم والعمل وألقى عليه القبول من الخلق شديد الهيبة عظيم الوقار كثير الخشية طويل التفكر والاعتبار ، قصده أمير المؤمنين أبو عنان وارتحل اليه سنة سبع وخمسين وسبعمائة فوقف ببابه طويلا فلم يأذن له وانصرف وقد امتلأ قلبه من حبه واجلاله ثم عاود الوقوف ببابه مرارا فما وصل اليه فبعث اليه بعض أولاده بكتاب كتبه اليه يستعطفه لزيارته ورؤيته فأجابه بما قطع رجاءه منه وأيأسه من لقائه فاشتد حزنه وقال : « هذا ولى من

أولياء الله تعالى حجبه الله عنا » اهـ . ومناقب الشيخ ابن عاشر وكراماته كثيرة وقد ألف فيها أبو العباس ابن عاشر الحافى من علماء سلا كتابه المسمى «بتحفة الزائر فى مناقب الشيخ ابن عاشر » فانظره .

وفى سنة ست وسبعين وسبعمائة وهى السنة التى قتل فيها ابن الخطيب كان الجوع بالمغرب قال أبو العباس ابن الخطيب القسنطينى المعروف بابن قنفد فى كتابه «انس الفقير» ما حاصله : «انه رجع من هجرته بالمغرب الاقصى فى السنة المذكورة الى بلده قسنطينة فاجتاز فى طريقه بتلمسان» قال : وفى هذه السنة كانت المجاعة العظيمة وعم الخراب المغرب فأقمت بتلمسان نحو شهر أنتظر تيسر سلوك الطريق فالتجأت الى قبر الشيخ أبى مدين ودعوت الله عنده فوقع ما أملته وارتحلت بعد أيام يسيرة فرأيت فى الطريق من الخير ما كان يتعجب منه من شاهده ، وكان أمر الطريق فى الخوف والجوع بحيث أن كل من نقدم عليه يتعجب من وصولنا سالمين ، ثم عند ارتحالنا من عنده يتأسف علينا حتى ان منهم من يسمعنا ضرب الاكف خلفنا تحسرا علينا حتى انتهى سفرنا على وفق اختيارنا والحمد لله » .

وفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة توفى الشيخ الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفنزارى السلاوى المعروف بابن المجراد صاحب «لامية الجمل» «وشرح الدرر» وغيرهما من التآليف الحسان ، قال صاحب «بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة فى الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب» فى حق الشيخ المذكور : «كان محدثا حافظا راوية له معرفة بالرجال والمغازى والسير وكان رجلا صالحا حسن السيرة صادق اللهجة انتفع به الناس وظهرت بركته على كل من عرفه أو لازم مجلسه أو قرأ عليه من صغير أو كبير » قال : « وذلك عندنا معروف بسبتة مشهور بين أهلها وانتقل الى بلده سلا وتوفى بها فى السنة المذكورة » قلت : وقبره مشهور بها الى الآن وعليه قبة صغيرة وهو من مزارات سلا خارج باب المعلقة منها عن يمين الخارج على نحو غلوة وأهل سلا يسمونه سيدى الامام السلاوى رحمه الله ورضى عنه

وفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة توفى الشيخ الامام العارف المحقق الربانى أبو عبد الله محمد بن ابراهيم النفزى المعروف بابن عباد شارح(الحكم العطائية)وأحد تلامذة الشيخ ابن عاشر المذكور آنفا، قال صاحبه وأخوه فى الله الشيخ أبو زكرياء السراج فى حقه مانصه: «كان حسن السمت طويل الصمت كثير الوقار والحياء جميل اللقاء حسن الخلق والخلق عالى الهمة متواضعا معظما عند الخاصة والعامة ، نشأ ببلدة رندة على أكمل طهارة وعفاف وصيانة وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، ثم اشتغل بعد بطلب العلوم النحوية والادبية والاصولية والفروعية حتى رأس فيها وحصل معانيها ، ثم أخذ فى طريق الصوفية والمباحثة عن الاسرار الالهية حتى أشير اليه وتكلم فى علوم الاحوال والمقامات والعلل والآفات وألف فيها تآليف عجيبة وتصانيف بديعة غريبة ، وله أجوبة كثيرة فى مسائل العلوم نحو مجلدين ، ودرس كتبا وحفظها كلها أوجلها » الى أن قال : « ولقى بسلا الشيخ الحاج الصالح السنى الزاهد الورع أحمد بن عاشر وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة قال رحمه الله: «قصدتهم لوجدان السلامة معهم»، وتوفى رحمه الله بفاس بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ثالث رجب من السنة المذكورة وحضر جنازته السلطان أبو العباس بن أبى سالم فمن دونه وهمت العامة بكسر نعشه تبركا به رحمه الله ورضى عنه .

ومن فوائده التى نقلها عن شيخه ابن عاشر ما ذكره فى رسائله قال : «كنت قد ما خرجت فى يوم مولد النبى صلى الله عليه وسلم صائما الى ساحل البحر فوجدت هنالك سيدى الحاج أحمد بن عاشر رحمه الله ورضى عنه وجماعة من أصحابه ومعهم طعام يأكلونه فأرادوا منى الاكل فقلت : انى صائم فنظر الى سيدى الحاج نظرة منكرة وقال لى : « هذا يوم فرح وسرور يستقبح فى مثله الصوم كالعيد» فتأملت قوله فوجدته حقا وكأنه أيقظنى من النوم » اه

واعلم انه فى آخر هذا القرن الثامن تبدلت أحوال المغرب بل وأحوال المشرق ونسخ الكثير من عوائد الناس ومألوفاتهم وأزيائهم . قال ابن خلدون فى مقدمة تاريخه بعد أن ذكر أن الاحوال العامة للآفاق والاجيال والاعصار هى أس المؤرخ الذى تبنى عليه أكثر مقاصده ما نصه : « وأما لهذا العهد وهو

آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذى نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة ، واعتاض من أجيال البربر أهله على القدم بمن طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب بما كثروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الاوطان، وشاركوهم فيما بقى من البلدان بملكتهم وبأسهم ، هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا فى منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذى تحيف الامم وذهب باهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها ، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشى والاضمحلال أحوالها ، وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ، ودرست السبل والمعالم ، وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأنى بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه ، وكأنما نادى لسان الكون فى العالم بالخمول والانقباض فبادر بالاجابة والله وارث الارض ومن عليها ، واذا تبدلت الاحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث » الى آخر كلامه رحمه الله، فافهم هذه الجملة وتفطن لاحوال الدول التى سردنا أخبارها فيما مضى وأحوال التى نسرد أخبارها فيما بعد وتأمل الفرق بين ذلك والسبب فيه والله تعالى الموفق للصواب بمنه .

الخبر عن دولة السلطان ابى سعيد عثمان بن ابى العباس ابن ابى سالم

هذا السلطان هو ثالث الاخوة الاشقاء من بنى أبى العباس الذين ولوا الامر من بعده ولاء. أمه: الجوهر أم أخويه قبله. بويع بعد صلاة العصر له من يوم الثلاثاء الموفى ثلاثين من جمدى الآخرة سنة ثمانمائة وسنه يومئذ ستعشرة سنة وكان النقض والابرام وسائر التصرفات فى دولته للوزراء والحجـــاب والسلطان متفرغ لاستيفاء لذاته ، ومن أكبر حجابه : أبو العباس القبائلى الذى نذكر خبره الآن .

حجابة ابي العباس القبائلى ونكبته ومقتله والسبب فى ذلك (*)

بيت بنى القبائلى بيت مشهور فى الوزارة والحجابة والكتابة من لـــدن الدولة الموحدية بمراكش الى هذا التاريخ ، وكان الرئيس الفقيه أبو العباس أحمد بن على القبائلى كاتبا مشهورا وحاجبا مذكورا وكان قد بذ الاقران وتصدر على الاعيان وبلغ من الجاه ونفوذ الكلمة مبلغا عظيما ، وكان يحابى بالخطط السلطانية الاقارب والارحام لا يعدل بها عمن سواهم فاضطغنت عليه القلوب وكثرت فيه السعايات الى أن نفذ أمر الله فأوقع به السلطان أبو سعيد وقعة شنعاء كان من خبرها: انه كان للحاجب المذكور ولد اسمه عبد الرحمن وكان من فضلاء وقته ، وكان لعبد الرحمن هذا ولد اسمه على وكان من نجباء الابناء فكان لجده أبى العباس لذلك ميل اليه ومحبة وافتتان به ، فاتفق أن

(*) انظر ترجمة القبائلى هذا فى «الضوء اللامع» للسخاوى ولابد، وقد افاد ج ١ صفحة ٤٧

مرض هذا الحافد ذات يوم فنزل جده أبو العباس من الحضرة بفاس الجديد لعيادته بدار ولده عبد الرحمن من عدوة القرويين من فاس القديم وكانت الدار بزنقة الجيلة من الطالعة فبات الشيخ عند حافده تلك الليلة ، وكان منذ ولي خطة الحجابة لم يغب عن دار الملك ليلة واحدة بل كان يأخذ فى ذلك بالحزم بحيث يسد أبواب الحضرة ويفتحها ويباشر سائر الامور السلطانية بنفسه ، فلما أراد الله انفاذ قدره غطى على عقله وبصره فتساهل فى تلك الليلة وبعث ولده أبا القاسم ليقوم مقامه فى غلق الابواب وفتحها مع صاحب السقيف ومساهمه فى القيام بالامور السلطانية أبى محمد عبد الله الطريفى الآتى ذكره فغلقا الابواب على العادة ، ولما كان الصباح من الغد تقدم الولد أبو القاسم لاخذ المفاتيح من دار الخلافة فأخرجت اليه وتولى فتح الابواب وحده دون أن يحضر الطريفى المشارك له فى ولاية السقيف ، فلما جاء أبو محمد المذكور ورأى الابواب مفتحة بدون حضوره أخذه من ذلك ما قدم وما حدث وأسرها فى نفسه حتى اذا كان المساء وحضر الوقت المعهود لغلق الابواب طلع للحضرة ولد آخر من ولد الحاجب القبائلى يعرف بأبى سعيد فبادر أبو محمد فسد الابواب فى وجهه قبل أن يصل اليه وأمسك المفاتيح عنده واستبد بها فطلب منه أبو سعيد أن يفتح له الباب فتجهمه وامتنع وكأنه أمر دبر بليل ، ثم تقدم القائد أبو محمد المذكور الى السلطان أبى سعيد فاعلمه بما اتفق له مع أولاد الحاجب فأوعز اليه السلطان أن لا يفتح الباب بعد غلقه الا وقت فتحه المعتاد وزاد فى الوصية بان لا يفتح ولا يغلق الا بمحضر السعيد ابن السلطان أبى عامر رحمه الله . ولما رجع أبو سعيد الى والده بعدوة القرويين من فاس أعلمه بما اتفق له مع القائد الطريفى فامتلأ غيظا وقامت قيامته وكانت فيه دالة على السلطان فتخلف عن الحضور ولم يذكر ما قالته الحكماء : (اذا عاديت من يملكك فلا تلمه انه يهلكك)، ثم استعطفه السلطان فأبى أن يعطف ثم بعث اليه ببراءة بخطه ليزيل ما بصدره من الموجدة فكتب الحاجب جوابها ، وأقسم أن لا يطأ بساطا فيه فارح بن مهدى العلج وكان فارح هذا بعين التجلة من السلطان فلما وقف السلطان أبو سعيد على جواب الحاجب حمى أنفه وأظلمت الدنيا

فى عينيه وأمر بالايقاع بالحاجب فى الحين فذبح هو وولده عبد الرحمن يوم الخميس الموفى ثلاثين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ، وكان عبد الرحمن هذا فاضلا شاعرا فمن شعره فى الغزل قوله :

أتسمع فى الهوى قول اللواحى ... وقد أبصرت خشف بنى رياح
نغزال خلف الصب المعنى ... من الوجد المبرح غير صاح
وقد قتلت ولا اثم عليها ... مراض جفونه كل الصحاح
يقول ولحظه بالعقل يزرى ... على م تطيل وصفى وامتداحى
فقلت فنون سحر فيك راقت ... قضت للقلب بالعشق الصراح
جبينك والمقلد والثنايا ... صباح فى صباح فى صباح

وبقى الحافد أبو الحسن على بن عبد الرحمن المذكور مرتبا فى جملة الكتاب وكان فاضلا شاعرا أيضا ولما مرض السلطان أبو سعيد فى شعبان سنة سبع وثمانمائة وصح من مرضه وهنأته الشعراء بقصائد كثيرة فكان من جملتهم أبو الحسن المذكور فقال :

هنيئا لنا ولكل الانام ... براحة فخر الملوك الهمام
امام أقام رسوم العلا ... وحل من المجد أعلى السنام
به قرت العين لما بدا ... صحيحا وما ان به من سقام
وهل هو الا كبدر الدجا ... يوارى قليلا وراء الغمام
ويظهر طورا فيجلو به ... عن الناس ياصاح ساجى الظلام
أو الليث يعكف فى غيله ... فتحذر منه السباع اهتجام
أمولاى عثمان بحر الندى ... ومردى العداة ونجل الكرام
لقد رفع الله مقداركم ... فنفسى الفداء لكم من امام
أمولاى عبدك قد ضره ... أفول رضاكم وبعد المرام
وأضحى كئيبا لابعادكم ... مشوقا لتقبيل ذاك المقام
فكن راحما يا امام الورى ... عطوفا بمملوكك المستهام
لعل الذى ناله ينقضى ... وتشمل منك هبات جسام
فأيدك الله بالنصر ما ... ترنم فوق الغصون حمام

حجابة فارح بن مهدي واوليته وسيرته

قال ابن خلدون : « فارح بن مهدى من معلوجى السلطان يعنى أبا العباس وأصله من موالى بنى زيان ملوك تلمسان » اهـ. وقال فى «الجذوة» : «هو من موالى السلطان أبى سعيد بن أبى العباس » . ولا منافاة بين الكلامين والله أعلم . ولما قتل أبو العباس القبائلى ولى الحجابة من بعده فارح بن مهدى هذا. قال فى «الجذوة»: ولم يكن من أهل العلم لكنه كان شيخا مجربا للامور عارفا مجيدا فى التدبير قد أعطى الرياسة حقها والخطط مستحقها وكان ممسكا عنانه فلا يميل مع نفسه ولا يسحب أردانه ولا يوحش سلطانه موسوما عند الخلافة بالامانة ملحوظا لديها بعين المروءة والصيانة . وكان السلطان أبو سعيد يعتنى به لاجل كبر سنه وتربيته الحرة: آمنة بنت السلطان أبى العباس(*) كانت تبدى له وجهها فى حالى صغرها وكبرها فكانت له بذلك مزية لم تكن لغيره . بهذا ذكره التاورتى ولعل فيه تعريضا بالحاجب قبله . ولما تكلم أبو عبد الله محمد العربى الفاسى فى كتابه: «مرآة المحاسن» على مدينة تيجساس وصفها بقوله :«انها فى شرقى تطاوين على مسيرة يوم منها فى موضع كثير الحجارة والصخر فى سفح جبل من غربيها وتحتها من شمالها جرف كثير الصخر عظيمه على مكسر موج البحر ولها نهر نفاع يجلب اليها منه جدول ولها بسيط تركبه الجداول من كل جهة فتسقى الزرع والكتان والثمار فأهلها فى أمن من القحط »الى أن قال: «ولم تزل عامرة الى حدود ثمانمائة فجلا عنها أهلها بسبب جور فارح بن مهدى الوالى عليها من قبل بنى مرين فخلت من سكانها وانتقلوا الى القبائل وغيرها ولم يزل سورها ماثلا الى الآن »اهـ : قلت : وفى هذه المدة خربت تطاوين القديمة أيضا فزعم منويل فى تاريخه : أن قراصين المسلمين من أهل تطاوين وغيرهم كانت تغير على سواحل اصبانيا وتغنم مراكبها ولما كانت سنة ألف وأربعمائة مسيحية الموافقة لسنة ثلاث وثمانمائة هجرية بعث الطاغية الريكى الثالث شكوادرة لغزو تطاوين ومراكبها فانتهت الى وادى مرتيل وأفسدت قراصين

(*) آمنة المرينية التى ينسب اليها البستان (للمؤلف)

المسلمين التى به ثم نزلت عساكر الاصبنيول للبر فاقتحمت مدينة تطاوين بعد أن جلا أهلها عنها وخربتها وعاثت فيها وبقيت خربة نحو تسعين سنة ثم جدد بناؤها على يد الرئيس أبى الحسن على المنظرى الغرناطى كماسيأتى . وكانت وفاة فارح بن مهدى فى الثانى والعشرين من ربيع الاول سنة ست وثمانمائة والله تعالى أعلم .

حجابة ابى محمد الطريفى وسيرته

لما توفى الحاجب فارح بن مهدى ولى الحجابة من بعده أبو محمد عبد الله الطريفى وكان من فضلاء الحجاب وهو الذى بنى مسجد السوق الكبير بفاس الجديد وحبس عليه كتبا كثيرة فكان ذلك من حسناته الباقية نفعه الله بقصده .

حدوث الفتنة بين السلطان ابى سعيد والسلطان ابي فارس الحفصى والسبب في ذلك

لما توفى السلطان أبو العباس الحفصى صاحب تونس ولى الامر من بعده ابنه أبو فارس المذكور فوزع الوظائف من الامارة والوزارة وولاية الاعمال على اخوته فاعتضد بهم ، وكان من جملتهم أخوه أبو بكر بن أبى العباس بقسنطينة فنازعه بها ابن عمه الامير أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء الحفصى صاحب بونة وألح عليه فى الحصار فصمد اليه السلطان أبو فارس الحفصى وأوقع به على سيبوس وقعة شنعاء انتهت به هزيمتها الى فاس مستصرخا صاحبها ، وهو يومئذ أبو فارس المرينى ، فأقام أبو عبد الله بفاس الى سنة عشر وثمانمائة فى دولة السلطان أبى

سعيد فاتفق أن فسد ما بين السلطان أبى فارس الحفصى وبين اعراب افريقية من سليم فقدمت طائفة منهم حضرة فاس مستنجدين السلطان أبا سعيد على صاحبهم أبى فارس فألفوا عنده الامير أبا عبد الله المنهزم بسيبوس كمامر، فعقد له السلطان أبو سعيد على جيش من بنى مرين وغيرهم وبعثه مع العرب فلما انتهى الى بجاية تلقته اعراب افريقية طائعة وهون عليه المرابط شيخ حكيم منها أمر تونس فرد الجيش المرينى وقصدها بمن انضم اليه من الحشود فأخذ بجاية من أبى يحيى وفر فى البحر، وعقد أبو عبد الله عليها لابنه المنصور ثم زحف الى السلطان أبى فارس فخالفه الى بجاية فافتكها من يد ابنه المنصور ووجه به مع جماعة من كبار أهلها معتقلين الى الحضرة ، وعقد عليها لاحمد ابن أخيه ونهض لقتال ابن عمه أبى عبد الله المذكور فنزع المرابط عنه الى السلطان أبى فارس لعهد كان بينهما، فانفض جمع أبى عبد الله وقتل واحتز رأسه ووجهه السلطان أبو فارس مع من علقه بباب المحروق احد ابواب فاس اغاظة للسلطان أبى سعيد وذلك سنة اثنتى عشرة وثمانمائة . ثم تحرك السلطان أبو فارس الى جهة المغرب قاصدا أخذ الثار من السلطان أبى (*) سعيد فاستولى على تلمسان ثم قصد حضرة فاس فلما شارفها جنح السلطان أبو سعيد الى السلم فوجه اليه بهدايا جليلة فقبل ذلك أبو فارس وكافأ عليه وانكفأ راجعا الى حضرته ،ولحقته فى طريقه بيعة أهل فاس وانتظم له ملك المغرب وبايعه صاحب الاندلس أيضا قاله صاحب « الخلاصة النقية » وهو الاديب أبو عبد الله محمد الباجى أحد كتاب الدولة التركية بتونس .

(*) كان زحف ابى فارس الى المغرب سنة ٨٢٧ كما عند الزركشى صفحة ١١٠ وهلك ابو سعيد سنة ٨٢٣ وعليه فان السلطان المرينى المأخوذ منه الثار هو احد الملوك الذين تعاقبوا على مملكة المغرب قبل السلطان عبد الحق كما يعلم تحقيق ذلك فى تاليفنا الموضوع في تاريخ المغرب فراجعه تستفد والله اعلم للمؤلف

استيلاء البرتقال على مدينة سبتة اعادها الله

كان جنس البرتقال وهو البردقيز فى هذه السنين قد كثر بعد القلة واعتز بعد الذلة وظهر بعد الخمول وانتعش بعد الذبول فانتشر فى الاقطار وسما الى تملك الامصار فانتهى الى أطراف السودان بل وأطراف الصين على ما قيل ، وألح على سواحل المغرب الاقصى فاستولى فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة على مدينة سبتة أعادها الله بعد محاصرته لها حصارا طويلا ، وسلطان المغرب يومئذ أبو سعيد بن أحمد صاحب الترجمة ، وسلطان البرتقال يومئذ خوان الاول

وذكر منويل فى تاريخه : أن سلطان المغرب يومئذ عبد الله بن أحمد أخو أبى سعيد المذكور وسيأتى كلامه بتمامه .

وذكر صاحب «نشر المثانى» : فى كيفية استيلاء البرتقال على سبتة قصة تشبه قصة قصير مع الزباء قال: « رأيت بخط من يظن به التثبت والصدق أن النصارى جاءوا بصناديق مقفلة يوهمون أن بها سلعا وأنزلوها بالمرسى كعادة المعاهدين وذلك صبيحة يوم الجمعة من بعض شهور سنة ثمان عشرة وثمانمائة وكانت تلك الصناديق مملوءة رجالا عددهم أربعة آلاف من الشباب المقاتلة فخرجوا على حين غفلة من المسلمين واستولوا على البلد وجاء أهله الى سلطان فاس مستصرخين له، وعليهم المسوح والشعر والوبر والنعال السود رجالا ونساء وولدانا فانزلهم بملاح المسلمين ثم ردهم الى الفحص قرب بلادهم لعجزه عن نصرتهم حتى تفرقوا فى البلاد والامر لله وحده» قال: «وسمعت من بعضهم أن الذى جرأ النصارى على ارتكاب تلك المكيدة هو أنهم كانوا قد قاطعوا أمير سبتة على أن يفوض اليهم التصرف فى المرسى والاستبداد بغلتها ويبذلوا له خراجا معلوما فى كل سنة فكان حكم المرسى حينئذ لهم دون المسلمين ولو كان المسلمون هم الذين يلون حكم المرسى ما تركوهم ينزلون ذلك العدد من الصناديق مقفلة لا يعلمون ما فيها والله أعلم بحقيقة الامر » .

ولما استولى البرتقال على سبتة اعتنى بها وحصنها واستمرت فى ملكتهم مدة تزيد على مائتين وخمسين سنة ثم ملكها منهم طاغية الاصبنيول فى سبيل مهادنة وشروط انعقدت بينهم بمدينة أشبونة فى حدود الثمانين وألف ، وأخبار السلطان أبى سعيد كثيرة ، وقد أرخ دولته وسيرته الكاتب **أبواسحق** ابراهيم بن أحمد التاورتى رحمه الله . وتوفى السلطان المذكور سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، وولى الامر من بعده ابنه عبد الحق الاخير ، كذا ذكره فى «جذوة الاقتباس» .وقد ذكر منويل فى أمر أبى سعيد ووفاته ما يخالف هذا ، قال : « لما كانت دولة السلطان أبى سعيد المرينى كان المسلمون أهل جبل طارق قد سئموا ملكة ابن الاحمر صاحب غرناطة وتحققوا بان المرينى أقوى منه شوكة وأقدر على تخليصهم مما عسى أن ينالهم به الاصبنيول من حصار ونحوه ، فبعثوا اليه يخطبون ولايته ويعرضون عليه الدخول فى طاعته ان هو أمدهم بما يدفعون به فى نحر ابن الاحمر فأعجب أبا سعيد ذلك وللحين بعث اليهم أخاه عبد الله بن أحمد المعروف بسيدى عبو ومعه طائفة من الجيش امدادا لهم وكان قصد أبى سعيد ببعث أخيه عبد الله الحصول على احدى الفائدتين : اما فتح جبل طارق ان كان الظهور له ، أو الاستراحة منه ان كان عليه ، لانه كان يشوش عليه فجاء الاخ المذكور حتى نزل بازاء جبل طارق ففتح أهل البلد الباب وأدخلوه وأدخلوا جنده ، وتحصن قائد الغرناطى وعسكره بقلعة الجبل وطير الاعلام بذلك الى صاحبه ، فبعث اليه جيشا قويت به نفسه فنزل من القلعة وانضم اليه مدده وقاتلوا جيش المرينى فهزموه ، وقبضوا على عبد الله باليد وعلى جماعة من أصحابه وبعثوا بهم أسرى الى صاحب غرناطة ، فعمد صاحب غرناطة الى عبد الله وأنزله فى محل معتبر وأحسن اليه ، فتخلف ظن السلطان أبى سعيد فيما كان يحب لاخيه من التلف وغاظه فعل ابن الاحمر معه من الاحسان والابقاء عليه ، ثم ان أبا سعيد دبر حيلة بان بعث من قبله رجلا الى أخيه ليسقيه السم ويستريح منه ، مع أن غوغاء أهل المغرب وقبائله المنحرفة عن السلطان كانوا قد تشوفوا لقدومه عليهم وقيامهم معه ، فبطلت حيلة أبى سعيد فى السم ولم يحصل

على طائل . ثم ان ابن الاحمر اتفق مع عبد الله على أن يمده بالعسكر والمال ويسرحه الى المغرب ليستولى على ملكه ويأخذ له بالثار من أخيه ، فقبل عبد الله ذلك وأمده ابن الاحمر وسرحه الى المغرب ، فلما احتل به تبعه عدد وافر من قبائله الذين كانوا مستثقلين لوطأة أبى سعيد ، فنهض اليه أبو سعيد فكانت الكرة عليه ورجع مفلولا فى يسير من الجند الى فاس فتقبض عليه أهلها وسجنوه وأعلنوا بنصر أخيه عبد الله ، وفتحوا الباب فدخل الحضرة واستولى عليها وتم أمره ، وسجن أخاه أبا سعيد الى أن مات ». قال : « ولما استقل عبد الله بأمر المغرب كله هدأت الرعية واستقامت الاحوال ، الا انه تكدر عيشه بذهاب سبتة التى استولى عليها طاغية البرتقال خوان الاول بعد ما حاصرها أشد الحصار ، وكان ذلك على السلطان من أعظم النحوس ، وتكدر المسلمون غاية لفوات هذه المدينة العظيمة منهم . ثم ثاروا على السلطان عبد الله واعتورته رماحهم حتى فاظ ، ولما قتل تنازع الملك بعده اثنان من اخوته ، وبعد قتال شديد ولم ينتصف احد منهما من صاحبه اتفق أهل الحل والعقد على أن يولوا عبد الحق بن أبى سعيد » اه كلام منويل . وهذا السلطان عبد الله الذى زاده منويل بين أبى سعيد وعبد الحق لم يذكره صاحب « جذوة الاقتباس » ويبعد أن يكون هذا الخبر الذى ساقه منويل لا أصل له والله أعلم بحقيقة الامر .

ومن جملة حجاب السلطان أبى سعيد الرئيس أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الملياني . قال فى «الجذوة»: «أصله من زرهون وتولى حجابة السلطان المذكور » قال : « فغدر مولاه ومخدومه ، وهتك ستره ، وخرب داره وعبث بحريمه ، وقتل أولاده واخوانه ، ورفع الاذناب ، وحط الرؤساء ، وكان فساد المغرب على يده، وقد ذكره التاورتى فاثنى عليه . قال فى « الجذوة » : « ووجدت فى طرة ذمه وتنقيصه » والله أعلم .

ومن وزراء السلطان أبى سعيد : صالح بن حمو اليابانى ، ويحيى بن علال بن آمصمود الهسكورى ، وقد تقدم ذكرهما ، ومن كتابه :الفقيه الاديب أبو زكرياء يحيى بن أبى الحسن بن أبى دلامة ، وكان صاحب العلامة عند السلطان المذكور ، وممن شهد له أهل عصره بالتبريز فى النظم الفائق . ثم

ابنه محمد من بعده ، ومن قضاته : الفقيه أبو محمد عبد الرحيم بن ابراهيم اليزناسنى وقد تقدم ذكره ، والله تعالى أعلم .

الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن ابي سعيد بن ابى العباس ابن ابى سالم المرينى رحمه الله

هذا السلطان هو آخر ملوك بنى عبد الحق من بنى مرين ، وهو أطولهم مدة ، وأعظمهم محنة وشدة ، وهو أبو محمد عبد الحق بن أبى سعيد عثمان ابن أبى العباس أحمد بن أبى سالم ابراهيم بن أبى الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق الزناتى المرينى ، أمه علجة اصبنيولية على ما ذكره منويل ، وفى أيامه ضعف أمر بنى مرين جدا وتداعى الى الانحلال وكان التصرف للوزراء والحجاب شأن دولة أبيه من قبله على ما نذكره .

زحف البرتقال الى طنجة ورجوعهم عنها بالخيبة

قال منويل : « كان لطاغية البرتقال خمسة اخوة شجعان ، فأرادوا أن يدركوا فخرا باستيلائهم على ثغر من ثغور المغرب ، يضيفونه الى سبتة ويوسعون به ما ملكوه من أعمالها ، فركبوا قراصنهم فى ستة آلاف عسكرى ونزلوا بسبتة . ثم زحفوا الى طنجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وحاصروها وضيقوا على أهلها ثم عاجلهم سلطان فاس وسلطان مراكش وأرهقوهم عن فتحها وأوقعوا بهم وقبضوا على كبير عسكرهم فرناندو وجماعة من أصحابه

وعادوا بهم أسرى الى فاس ، فلما صارت عظماء البرتقال فى يد المسلمين وأسرهم جنحوا الى السلم فسالمهم المسلمون على أن يردوا لهم سبتة ويسرحوا لهم كبيرهم وأصحابه الذين معه ، فرضى البرتقال بذلك وانعقد الصلح عليه ثم كان من قدر الله أن هلك كبير البرتقال الذى وقع الشرط عليه فى سجن فاس واستمرت سبتة فى يد العدو وعد ذلك من سوء بخت المسلمين والامر لله وحده » .

وقد ذكر صاحب « المرآة » : أن البرتقال استولى على طنجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وهو غير صواب ، وانما كان الحصار فقط . والله تعالى أعلم .

اخبار الوزراء والحجاب وتصرفاتهم

كان من جملة وزراء السلطان عبد الحق الوزير صالح بن صالح بن حمو اليابانى ، قالوا : وهو الذى أوقع بالفقيه القاضى أبى محمد عبد الرحيم ابن ابراهيم اليزناسنى قتله ذبحا سنة أربع وثلاثين وثمانمائة . ومن وزراء السلطان المذكور الوزير أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسى . قالوا : وفى سنة ست وأربعين وثمانمائة غزا الوزير المذكور الشاوية ، وكانوا قد تمردوا على الدولة وأعضل داؤهم ففل الوزير المذكور جمعهم وخرب منازلهم ثم كانت وفاته سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، قتله عرب انقاد على سبيل الغدر قعصا بالرماح وحمل قتيلا الى فاس فدفن بالقلة خارج باب الجيسة . وولى الوزارة بعده على بن يوسف الوطاسى ، قالوا : فكانت أيامه مواسم لديانته وصيانته وحفظه أمور الملك ورفقه بالرعية مع العدل وحسن الادارة ، ثم توفى بتامسنا خامس رمضان سنة ثلاث وستين وثمانمائة ، وحمل الى فاس فدفن بالقلة أيضا . وفى هذه السنة أو التى قبلها استولى البرتقال على قصر المجاز وهو المعروف بقصر

مصمودة والقصر الصغير وهو الآن خراب . والله أعلم .

وزارة يحيى بن يحيى الوطاسى ومقتله ومقتل الوطاسيين معه والسبب فى ذلك

لما توفى الوزير على بن يوسف رحمه الله قدم للوزارة بعده أبو زكرياء يحيى بن يحيى بن عمر بن زيان الوطاسى، قالوا: فكانت ولاية هذا الوزير هى مبدأ الشر ومنشأ الفتنة ، وذلك انه لما استقل بالحجابة أخذ فى تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة ، وزاد ونقص فى الجند ونقض جل ما أبرمه قبله الوزراء ، وعامل الرعية بالعسف ومن جملة ما نقم عليه انه عزل قاضى فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودى وقدم مكانه الفقيه يعقوب التسولى(*): وكان المصمودى من الدين وتحرى المعدلة بمكان ، فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير واستحواذه على أمور الدولة وتبين له أن الوطاسيين قد التحفوا معه رداء الملك وشاركوه فى بساط العز وكادوا يغلبونه على أمره سطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم الامن حماه الاجل منهم فتقبض على الوزير يحيى وعلى أخويه أبى بكر وأبى شامة وعلى عمهم فارس ابن زيان وقريبهم محمد بن على بن يوسف وأتى الذبح على جميعهم واستمر البحث عن محمد الشيخ ومحمد الحلو أخوى الوزير المذكور فلم يوجدا لذهاب الشيخ فى ذلك اليوم للصيد واختفاء الحلو عند قيام الهيعة، فكان ذلك من لطف الله بهما ، واتصل بهما ما جرى على عشيرتهم وبنى أبيهم فذهبا الى منجاتهما وكان من أمرهما ما نذكره . وكانت هذه الحادثة الصماء بعد مضى سبعين يوما من وزارة يحيى بن يحيى المذكور ، وصفا للسلطان عبد الحق

(*) راجع «درة الحجال» ج ١ ص ٢٢٠ فقد ذكر ان الذى قدم للقضاء بعده هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله المكناسى .

أمره ورأى أن قد شفا نفسه من الوطاسيين ونقى بساط حضرته من قضضهم ، وأبرأ جسم ملكه من مرضهم والله غالب على أمره .

رياسة اليهوديين هرون وشاويل وما نشأ عن استبدادهما من المحنة والفتنة

قالوا : كان السلطان عبد الحق منذ أوقع ببنى وطاس لم تسمح نفسه باعطاء منصب الوزارة لاحد ، ثم نما اليه أن العامة وكثيرا من الخاصة قد نقموا عليه ايقاعه بالوطاسيين ، وأن أذنهم صاغية الى محمد الشيخ صاحب آصيلا ، وكان قد استولى عليها بعد فراره حسبما نذكر ، وربما شافهه البعض منهم بذلك . فولى عليهم اليهوديين المذكورين تأديبا لهم وتشفيا منهم زعموا فشرع اليهوديان فى أخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الاموال ، واعتز اليهود بالمدينة وتحكموا فى الاشراف والفقهاء فمن دونهم ، وكان اليهودى هرون قد ولى على شرطته رجلا يقال له : الحسين لا يألو جهدا فى العسف واستلاب الاموال ، واستمر الحال على ذلك والناس فى شدة .

وفى سنة سبع وستين وثمانمائة انتزع الاصبنيول جبل طارق من يد ابن الاحمر .

استيلاء البرتقال على طنجة

ثم فى سنة تسع وستين وثمانمائة استولى البرتقال على طنجة ، زحفوا اليها من سبتة فى ألوف من العساكر واستولوا عليها واستمرت بايديهم أكثر من مائتين وخمس سنين ثم بذلوها لطاغية النجليز سنة أربع وسبعين وألف فى سبيل المهاداة والصهر الذى انعقد بينهما كما سيأتى .

مقتل السلطان عبد الحق بن ابى سعيد والسبب في ذلك

ثم ان اليهودى عمد الى امرأة شريفة من أهل حومة البليدة فقبض عليها والبليدة حومة بفاس . قالوا : وكانت بدار الكومى قرب درب جنيارة فانحى عليها بالضرب ، ولما ألهبتها السياط جعلت تتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم فحمى اليهودى وكاد يتميز غيظا من سماع ذكر الرسول ، وأمر بالابلاغ فى عقابها ، وسمع الناس ذلك فاعظموه ، وتمشت رجالات فاس بعضهم الى بعض ، فاجتمعوا عند خطيب القرويين الفقيه أبى فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلى وكانت له صلابة فى الحق وجلادة عليه ، بحيث يلقى نفسه فى العظائم ولا يبالى ، وقالوا له : « ألا ترى الى ما نحن فيه من الذلة والصغار وتحكم اليهود فى المسلمين والعبث بهم حتى بلغ حالهم الى ما سمعت » فنجع كلامهم فيه وللحين أغراهم بالفتك باليهود وخلع طاعة السلطان عبد الحق وبيعة الشريف أبى عبد الله الحفيد فأجابوه الى ذلك واستدعوا الشريف المذكور فبايعوه ، والتفت عليه خاصتهم وعامتهم ، وتولى كبر ذلك أهل حومة القلقليين منهم ، ثم تقدم الورياكلى بهم الى فاس الجديد فصمدوا الى حارة اليهود فقتلوهم واستلبوهم واصطلموا نعمتهم واقتسموا أموالهم ، وكان السلطان عبد الحق يومئذ غائبا فى حركة له ببعض النواحى . قال فى «نشر المثانى » : « خرج السلطان عبد الحق بجيشه الى جهة القبائل الهبطية وترك اليهودى يقبض من أهل فاس المغارم ، فشدد عليهم حتى قبض على امرأة شريفة وأوجعها ضربا » وحكى ما تقدم ، فاتصل بعبد الحق الخبر وانفض مسرعا الى فاس واضطرب عليه أمر الجند، ففسدت نياتهم، وتنكرت وجوههم، وصار فى كل منزلة تنفض عنه طائفة منهم ، فأيقن عبد الحق بالنكبة وعاين أسباب المنية . ولما قرب من فاس استشار هرون اليهودى فيما نزل به فقال اليهودى له: «لا تقدم على فاس لغليان قدر الفتنة بها وانما يكون قدومنا على مكناسة الزيتون لانها

بلدنا وبها قوادنا وشيعتنا، وحينئذ يظهر لنا ما يكون» فما استتم اليهودى كلامه حتى انتظمه بالرمح رجل من بنى مرين يقال له تيان، وعبد الحق ينظر، وقال: «ومازلنا فى تحكم اليهود واتباع رأيهم والعمل باشارتهم » ثم تعاورته الرماح من كل جانب وخر صريعا لليدين والفم » . ثم قالوا للسلطان عبد الحق «تقدم أمامنا الى فاس فليس لك اليوم اختيار فى نفسك » . فأسلم نفسه ، وانتهبت محلته ، وفيئت أمواله وحلت به الاهانة، وجاءوا به الى أن بلغوا عين القوادس خارج فاس الجديد ، فاتصل الخبر بأهل فاس وسلطانهم الحفيد فخرج الى عبد الحق وأركبه على بغل بالبردعة، وانتزع منه خاتم الملك وأدخله البلد فى يوم مشهود حضره جمع كبير من أهل المغرب وأجمعوا على ذمه وشكروا الله على أخذه ، ثم جنب الى مصرعه فضربت عنقه صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة ودفن ببعض مساجد البلد الجديد ، ثم أخرج بعد سنة ونقل الى القلة فدفن بها وانقرضت بمهلكه دولة بنى عبد الحق من المغرب والبقاء لله وحده . (*)

ونقل الثقات أن الشيخ أبا العباس أحمد زروق رحمه الله كان قد ترك الصلاة خلف الفقيه أبى فارس الورياكلى لما صدر منه فى حق السلطان عبد الحق ، وكان يقول : « لا آمن الغدور على صلاتى يعيبه بذلك ، والغدور فى لسان المغاربة ذو النخوة والاباية وما أشبه ذلك ، والله يتغمدنا والمسلمين برحمته آمين .

ولنذكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث فنقول :

فى سنة سبع وثمانمائة توفى الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن على بن صالح المكودى عالم فاس وأديبها ونحويها صاحب المقصورة وشرح الخلاصة وغير ذلك من التآليف ، قيل : هو آخر من درس كتاب سيبويه فى النحو بفاس .

وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة توفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن

(*) وكانت دولته منذ تاريخ وفاة والده ابى سعيد ستا واربعين سنة

عمر بن الفتوح التلمسانى ثم المكناسى ، يقال : ان سبب انتقاله من تلمسان أنه كان شابا حسن الصورة ، جميل الشارة ، فمرت به امرأة جميلة فجعل ينظر اليها من طرف خفى فقالت : « اتق الله يا ابن الفتوح يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور » فتأثر لقولها واتعظ وتاب الى الله تعالى ، وجعل من تمام توبته أن يهاجر من الارض التى قارف الذنب فيها فارتحل الى فاس فاقام بها مدة وانتفع الناس به ، ثم انتقل بعدها الى مكناسة فتوفى بها فى السنة المذكورة . قالوا : وهو أول من أدخل مختصر الشيخ خليل مدينة فاس والمغرب

وفى سنة ست وأربعين وثمانمائة كان الوباء العظيم بالمغرب ، هلك فيه جمع من كبار العلماء والاعيان ، ويسمى هذا الوباء عند أهل فاس بوباء عزونة .

وفى سنة تسع وأربعين وثمانمائة فى ذى القعدة منها توفى الشيخ أبو محمد عبد الله العبدوسى مفتى فاس وعالمها الكبير ومحدثها الشهير وكان من أهل الصلاح والخير والايثار .

وفى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فى أواخر ذى القعدة منها توفى امام الجماعة بفاس الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم الاندلسى الاصل المعروف بالقورى ودفن بباب الحمراء منها .

وفى سنة تسع وتسعين وثمانمائة فى أواخر صفر منها توفى الشيخ العارف بالله المحقق أبو العباس أحمد البرنسى الشهير بزروق وكانت وفاته بمسراته من أعمال طرابلس . والله أعلم .

١٠٢

بقية اخبار بنى الاحمر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر الاندلس منها وانقراض كلمة الاسلام منها

كانت دولة بنى الاحمر فى هذه المدة متماسكة . والفتنة بين أعياصها متشابكة ، والعدو فيما بين ذلك يخادعهم عما بايديهم ويراوغهم ويسالمهم تارة ويحاربهم الى أن كانت دولة السلطان أبى الحسن على بن السلطان سعد بن الامير على ابن السلطان يوسف ابن السلطان محمد الغنى بالله ، فنازعه أخوه أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل ، قدم من بلاد النصارى وبويع بمالقة وبقى بها مدة ، وعظم الخطب واشتدت الفتن ، وشرق المسلمون بداء الخلاف الواقع بين هذين الاخوين ، وتكالب العدو عليهم ووجد السبيل الى تفريق كلمتهم والتمكن من فسخ عهدهم وذمتهم ، وذلك أعوام الثمانين وثمانمائة . ثم انقاد أبو عبد الله لابى الحسن فسكنت أحوال الاندلس بعض الشىء ثم خرج عليه ولده أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن وأسره النصارى فى بعض الوقعات فراجع الناس طاعة أبى الحسن ثم نزل لاخيه أبى عبد الله الزغل عن الامر لآفة أصابته فى بصره . ثم ان العدو عمد لاسيره أبى عبد الله بن الحسن فوعده ومناه ، وأظهر له من أكاذيبه وخدعه غاية مناه ، وبعثه للتشغيب على عمه طلبا لتفريق كلمة المسلمين وعكس مرادهم وتوصلا الى ما بقى عليه من حصون المسلمين وبلادهم وطالت الفتنة بين العم وابن الاخ وكل عقد كان بين العدو وبينه انحل وانفسخ ، وخبت العامة الذين هم أتباع كل ناعق فى ذلك ووضعت ، وكان ذلك من أعظم الاسباب المعينة للعدو على التمكن من أرض الاندلس والتهامها واستئصال كلمة الاسلام منها . ثم ان ابن الاخ استولى على غرناطة بعد خروج العم عنها الى الجهاد ففت ذلك فى عضده وعطف الى وادى آش فاعتصم بها ، وحاصر العدو مالقة فقاتله أهلها بكل ما أمكنهم حتى اذا لم يجدوا للقتال مساغا نزلوا على الامان ، فاستولى العدو عليها أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ، ثم استولى

بعد ذلك على وادى آش وأعمالها صلحا ودخل فى طاعته صاحبها أبو عبد الله العم بعد أن استهوى العدوقواده بالاموال الجزيلة، ثم ان العدو خذله الله راسل أبا عبد الله بن أبى الحسن صاحب غرناطة وعرض عليه الدخول فى الخطة التى دخل فيها عمه من النزول له عن البلاد على أموال جزيلة يبذلها له ويكون تحت حكمه مخيرا فى أى بلاد الاندلس شاء فشاور رعيته فاتفق الناس على الامتناع والقتال ، فعند ذلك أرهف العدو حده. وجعل غرناطة وأهلها من شأنه بعد أن استولى أثناء هذه الفتن والتخريبات على حصون كثيرة لم نتعرض لذكرها ، حتى لم يبق له الا غرناطة وأعمالها ، وقد اختصرنا معظم هذه الاخبار اذ لم تكن من موضوع الكتاب وانما ألممنا بهذه النبذة تتميما للفائدة وزيادة فى الامتاع . ولما كان اليوم الثانى والعشرون من جمدى الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمحلاته الى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوخ الارض ، وهدم القرى وأمر ببناء موضع بالسور والحفير فاحكمه ، وكان الناس يظنون أنه عازم على الانصراف ، فاذا به قد صرف عزمه الى الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال سبعة أشهر ، واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصارى على بعد ، والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة بالمرافق ، والطعام يأتى من ناحية جبل شلير الى أن تمكن فصل الشتاء وكلب البرد ونزل الثلج ، فانسد باب المرافق ، وانقطع الجالب وقل الطعام ، واشتد الغلاء ، وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الاماكن خارج البلد ، ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحال وبان الاختلال وعظم الخطب ، وذلك أول سنة سبع وتسعين وثمانمائة . وطمع العدو فى الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والغلاء دون الحرب والقتال ففر ناس كثيرون من الجوع الى البشرات ، ثم اشتد الامر فى شهر صفر من السنة وقل الطعام وتفاقم الخطب ، فاجتمع ناس مع من يشار اليه من أهل العلم كأبى عبد الله الموافق شارح «المختصر» وغيره وقالوا : « انظروا لانفسكم وتكلموا مع سلطانكم » فاحضر السلطان أبو عبد الله بن أبى الحسن أهل دولته وأرباب مشورته وتكلموا فى هذا الامر وأن العدو يزداد مدده كل يوم ونحن لامدد لنا وكنا

نظن أنه يقلع عنا فى فصل الشتاء فخاب الظن وبنى وأسس وأقام وقرب منا فانظروا لانفسكم وأولادكم » . فاتفق الرأى على ارتكاب أخف الضررين ، وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الاجناد قبل ذلك فى اسلام البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس ، ثم عددوا مطالب وشروطا أداروها وزادوا أشياء على ما كان فى صلح وادى آش ، منها : أن صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكنوه من حمراء غرناطة والمعاقل والحصون ويحلف على عادة النصارى فى العهود ، وتكلم الناس فى ذلك وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام فى ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ، ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم، ونزل سلطان غرناطة أبو عبد الله عن الحمراء ولا حول ولا قوة الا بالله .

وفى ثانى ربيع الاول من السنة ، أعنى سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد ان استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر ، وكانت الشروط سبعة وستين شرطا، منها: تأمين الصغير والكبير فى النفس والاهل والمال ، وابقاء الناس فى أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ، ومنها : اقامة شريعتهم على ما كانت ، ولايحكم على أحد منهم الا بشريعته ، وأن تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك ، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحدا ، وأن لا يولى على المسلمين نصرانى أو يهودى ممن يتولى عليهم من قبل سلطانهم ، وأن يفتك جميع من أسر فى غرناطة حيث كانوا وخصوصا أعيانا نص عليهم ، ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا لغيره ، والسلطان يدفع ثمنه لما لكه ، ومن أراد الجواز الى العدوة لا يمنع ويجوزون فى مدة عينت فى مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء ، وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره ، وأن لا يجبر من أسلم على الرجوع للنصارى ودينهم ، وان من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى يظهر حاله ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فان أبى الرجوع

الى الاسلام تمادى على ما أراد ، ولا يعاتب على من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة ، ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة ، وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة ، ولا يطلع نصرانى للسور ولا يتطلع على دور المسلمين ، ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ، ويسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا فى نفسه وماله ، ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الدجن ، ولايمنع مؤذن ولا صائم ولا مصل ولاغيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ، ويتركون من المغارم سنين معلومة . وان يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده وأمثال هذا مما تركنا ذكره .

وبعد انبرام ذلك ودخول النصارى للحمراء والمدينة جعلوا قائـــدا بالحمراء وحكاما ومقدمين بالبلد ، ولما علم بذلك أهل البشرات دخلوا فى هذا الصلح وشملهم حكمه على هذا الوجه ، ثم أمر العدو ببناء ما يحتاج اليه فى الحمراء وتحصينها وتجديد بناء قصورها واصلاح سورها ، وصار الطاغية يختلف الى الحمراء نهارا ويبيت بمحلته ليلا الى أن اطمأن من خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبرا بما يرومه منها ، ثم أمر سلطـــان المسلمين ان ينتقل لسكنى البشرات وانها تكون له فى سكناه بأنـــدرش ، فانصرف اليها وأخرج الاجناد منها، ثم احتال عدو الله فى نفيه لبر العدوة وأظهر أن السلطان المذكور طلب منه ذلك ثم كتب لصاحب المرية انه ساعة وصول كتابى هذا لاسبيل لاحد أن يمنع مولاى أبا عبد الله من السفر حيث أراد من من بر العدوة ، ومن وقف على هذا الكتاب فليصرفه وليقف معه وفاء بما عهد له ، فانصرف السلطان أبو عبد الله فى الحين بنص هذا الكتاب وركب البحر فنزل بمليلة واستوطن فاسا وكان قبل ذلك قد طلب الجواز لناحيـــة مراكش فلم يسعف بذلك ، وحين جوازه لبر العدوة لقى شدة وغلاء وبلاء . ثم ان النصارى نكثوا العهد ، ونقضوا الشروط عروة عروة الى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها عليهم انهم قالوا: ان القسيسين كتبوا على جميع من أسلم من النصارى أن يرجع

قهرا لدينه ، ففعلوا ذلك وتكلم الناس ولا جهد لهم ولا قوة . ثم تعدوا ذلك الى أمر آخر وهو أن يقولوا للرجل المسلم ان جدك كان نصرانيا فأسلم فترجع أنت نصرانيا . ولما تفاحش هذا الامر قام أهل البيازين على الحكام فقتلوهم وهذا كان السبب الاعظم فى التنصر ، قالوا: لان الحكم خرج من عند السلطان أن من قام على الحاكم فليس الا الموت الا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجملة فانهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة ، وامتنع قوم من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك ، وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق واندرش وغيرهما فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا الا ما كان من جبل بللنقة فان الله تعالى أعانهم على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما خف من أموالهم دون الذخائر .

ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله فى خفية ويصلى فشدد النصارى فى البحث عنهم حتى انهم أحرقوا كثيرا منهم بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد ، وقاموا فى بعض الجبال على النصارى مرارا فلم يقيض الله تعالى لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم جملة أعوام سبعة عشر وألف بعد أن ساكنوهم بغرناطة وأعمالها نحوا من مائة وعشرين سنة كانوا فيها تحت ذمة النصارى كما رأيت والامر لله وحده . ولما أجلاهم العدو عن جزيرة الاندلس خرجت ألوف منهم بفاس وألوف أخر بتلمسان ووهران وخرج جمهورهم بتونس فتسلط عليهم فى الطرقات الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى من الاوباش ونهبوا أموالهم وهذا ببلاد تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المضرة . وأما الذين خرجوا بنواحى تونس فسلم أكثرهم وكذلك بتطاوين وسلا وبيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى ، وهو المنصور السعدى ، منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد فى البحر ما هو مشهور ، وحصنوا قلعة سلا . وهى رباط الفتح ، وبنوا بها القصور والحمامات والدور .

قال أبو العباس المقرى فى « نفح الطيب » : وهم الان – يعنى فى حدود

الثلاثين وألف ـ بهذا الحال ، ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام وانقضى أمر الاندلس وعادت نصرانية كما كانت أول مرة ، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وفى السنة التى استولى الاصبنيول على غرناطة انكشفت لهم أرض ماركان التى كانت مجهولة قبل هذا التاريخ لسائر الامم . وذلك أن الحكماء الاقدمين من اليونان وغيرهم أجمعوا على أن شكل الارض كرة وان الماء قد غمر أحد جانبيها كله بحيث صارت الارض فيه كأنها بيضة مغرقة فى طست ماء قد رسب فيه أكثرها وبرز أقلها ، وأجمعوا على أن هذا البارز منها هو المسكون بنى آدم وغيرهم من الحيوانات وهو المقسم الى سبعة أقسام تسمى الاقاليم ولم يهتدوا الى أن الجانب الآخر منكشف عنه الماءولا انه مسكون كهذاالجانب بل جزموا بانه ماء صرف يسمى البحر المحيط ، واستمر هذا الاعتقاد عندهم ونقله الخلف عن السلف ووضعوا فيه التآليف العديدة الى أن كانت سنة سبع وتسعين وثمانمائة وهى السنة التى استولى فيها الاصبنيول على غرناطة وسائر الاندلس، فاتفق أن ظهرفى تلكالمدة رجلمن فرنج جنوة اسمه كلنب بضمالكاف واللام كانت حرفته الملاحة والسفر فى البحر وكان بعيد الهمة ، مولعا بالشهرة مغرى بالذكر وحسن الصيت ، فخطر بباله أن جانب الارض الذى أغفل الحكماء الالون ذكره وزعموا انه بحر صرف ربما يكونمسكونا كهذا الجانب

وكان جنس البرتقال فى هذه المدة قد كثرت أسفارهم فى البحر وملكواعدة محال من جزائره الخالدات ، فحصل لكلنب الجنويزى بعض غيرة ونفاسة منهم وأراد أن يأتى بأعظم مما فعلوا فعزم على التلجيج فى البحر المحيط والابعاد فيه عسى أن يظفر بمراده ، فتطارح على ملك البرتقال واسمه يومئذ يوحنا الثانى فى أن يعينه على ما هو بصدده ويمده بما يكون سببا فى نيل مقصده ، فلم يلتفت الى قوله ولا عرج على رأيه ومن قبل ما كان أهل جنوة يحمقونه وينسبونه الى التهور بمثل هذه الآراء ، فلما لم يجد عند ملك البرتغال مراده تطارح على ملكة الاصبنيول ، وهى يومئذ ايسابيلا الشهيرة الذكر عندهم ،

فاسعفته وهيأت له ثلاث سفائن وشحنتها بالرجال والسلاح والزاد والمال ودفعت ذلك اليه ، فسافر بها كلنب فى البحر المحيط على سمت المغرب حتى أرسى ببعض الجزائر الخالدات فأراح بها أياما ثم سافر على السمت المذكور ملججا مدة من شهرين ، ولما طال السفر على أصحابه الذين معه أرادوا قتله، وبينما هم فى ذلك ظهرت له أرض ماركان فسار حتى أرسى باجفانه على ساحلها فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة سبع وتسعين وثمانمائة المذكورة ، فعثر منها على أرض واسعة ذات أقطار ونواحى وجبال وأنهار تفوت الحصر ، حتى قيل : انها تساوى نصف هذا المسكون من الارض أو تزيد ، واذا فيها خلق كثير من بنى آدم كهذه الا أنهم لم يفقهوا قوله ولا فقه قولهم . فعاد كلنب الى ملكة الاصبنيول بعد أن بنى هنالك حصنا وترك به بعض الجند وساق من تلك الارض بعض الغرائب من حيوان وغيره ، اثباتا لمدعاه فلما قدم على الملكة بعد مغيبه سبعة أشهر وأحد عشر يوما أعظمت قدره ، ونوهت باسمه ، وسرت بما أتى به من ذلك كله ، وعدت ذلك من سعادتها الى ما تسنى لها من الظفر بجزيرة الاندلس والاستيلاء عليها ، وتبين للفرنج حينئذ أن الارض معمورة من كلا الجانبين لا من جانب واحد كما اعتقده الاقدمون ، فحينئذ تسارعت أجناسهم الى أرض ماركان واقستموها واعتنوا بعمرانها وسموها: الدنيا الجديدة ، فكانت من أعظم الاسباب فى انتعاشهم وتقويتهم وضخامة دولهم واتساع خطط ممالكهم ، والامور كلها بيد الله .

ومن جملة ما كان مفقودا بأرض ماركان نوع الخيل وكذا غيرها من الحيوانات الاهلية . ولما رأوا الآدمى راكبا على الفرس مسرجا ظنوه قطعة واحدة وأن الفارس وفرسه حيوان واحد خلق على تلك الكيفية الى غير ذلك وأخبار أرض ماركان وكيفية العثور عليها ثم التردد اليها واعتمارها بعد ذلك طويلة وملخصها ما ذكرناه ، والله تعالى الموفق بمنه .

وهذا آخر النصف الاول من كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، قد شرعنا فى املائه منتصف رجب الفرد الحرام من سنة سبع وتسعين ومائتين والف وفرغنا منه فى منتصف

ذى الحجة الحرام فى السنة المذكورة . ونشرع بعون الله تعالى فى الجزء الثانى منه مفتتحا بما يكون كالتوطئة لدولة بنى وطاس من أخبار البرتقال على الجملة ، وعلى الله تعالى الكمال بمنه وفضله » (*)

اخبار البرتقال بالمغرب الاقصى على الجملة

اعلم أن هذا المغرب الاقصى حرسه الله وكلأه بعين حفظه ، لم يزل بجميع ثغوره وسواحله وأقطاره منذ الفتح الاسلامى الى المائة التاسعة محفوظا الجوانب من طروق أمم الفرنج وغيرهم من أعداء الدين ، محفوف الاكناف بالحامية من جنود المسلمين ، مرهوبة شوكة ملوكه عند أمم النصرانية جيلا بعد جيل، وأمة بعد أمة، ودولة بعد دولة. لم تكن الفرنج تحدث نفسها بغزو شىء من بلاده، أوطرق ثغر من ثغوره، أوالاستيلاء على شىء من سواحله، ولم يكن أهله أيضا يتوقعون ذلك منهم ولا يخشونه ، بل هم الذين كانوا يغزون الفرنج فى عقر ديارهم وأعز بلادهم ، ويحامون عن بلاد الاندلس وسواحل افريقية وغيرها متى هاج أهلها هيج من ذلك حسبما تقدمت الاخبار المفصحة عن ذلك ، ولم يبلغنا أن جنسا من أجناس الفرنج فيما قبل المائة التاسعة غزا شيئا من أطراف المغرب الاقصى ، أو ثغرا من ثغوره بقصد الاستيلاء والتملك ، الا ما كان من مدينة سلا التى دخلها الاصبنيول غدرا أيام الفتنة بين اليعقوبين ثم خرجوا عنها لمدة يسيرة حسبما مر، والا ما كان من محاصرة أهل جنوة لسبتة ثم الاقلاع عنها كذلك ، ونحو هذا مما لا يعتبر ، فلما دخلت المائة التاسعة ومضى صدرها وتداعت دول المغرب من بنى أبى حفص بافريقية ، وبنى زيان بالمغرب الاوسط ، وبنى مرين بالمغرب الاقصى ، وبنى الاحمر بالاندلس ، وأشرفت على الهرم وحدثت الفتن بين المسلمين ودامت فيهم واشتغلوا بانفسهم دون الالتفات الى جهاد العدو ومطالبته فى أرضه وبلاده على ما كان لهم من العادة قبل ذلك، وافق ذلك ابتداء ظهور الجلالقة وهم الاصبنيول

(*) ما بين قوسين هو زيادة بخط المؤلف فى الاصل بعد الطبعة الاولى

والبرتقال ، وهم البرطقيز ، بجزيرة الاندلس واستفحال أمرهم ، فكثرت أسفار البرتقال فى البحر المحيط ودام تقلبهم فيه ومرنوا عليه حتى حصلوا على عدة جزائر منه ، واكتشفوا بعض الرؤوس الساحلية من أرض السودان وغيرها، ثم شرهوا لتملك سواحل المغرب الاقصى ، فهجموا عليها وجالدوا أهلها دونها حتى تمكنوا منها ونشبوا فيها ، فقويت شوكتهم وعظم ضررهم على الاسلام وطمحت نفوسهم للاستيلاء على ما وراء ذلك حسبما تقف عليه مبينا فى مواضعه ان شاء الله .

فاستولوا فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة على مدينة سبتة بعد محاصرتهم لها ست سنين على ما فى بعض تواريخ الافرنج ، ثم فى سنة اثنتين وستين وثمانمائة استولوا على قصر المجاز ، ثم استولوا فى سنة تسع وستين وثمانمائة على طنجة ، ثم فى حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة ملكوا آصيلا ، وفى هذا التاريخ نفسه أو قبله بيسير استولوا على مدينة آنفا وبعض سواحل السوس ، ثم فى حدود سنة سبع وتسعمائة نزلوا بأرض الجديدة فيما بين آزمور وتيط وبنوا بها حصن البريجة وطال مقامهم بها ، ثم فى سنة عشر وتسعمائة استولوا على مدينة العرائش ، ثم بعد ذلك بيسير فى حدود العشر وتسعمائة على ما تقتضيه تواريخ الفرنج ملكوا حصن آكادير وما اتصل به من سواحل السوس الاقصى ، ثم ملكوا فى حدود اثنتى عشرة وتسعمائة رباط آسفى ثم عطفوا على ثغر آزمور فاستولوا عليه فى سنة أربع عشرة وتسعمائة . ثم المعمورة وهى ، المهدية ، ملكوها أيضا فى حدود سنة عشرين وتسعمائة وفى هذا التاريخ نفسه رجعوا الى مدينة آنفا بعد هدمها فبنوها وسكنوها ، وبالجملة فلم يبق من ثغور المغرب الاقصى بيد المسلمين الا القليل مثل سلا ورباط الفتح وفجىء المسلمون من هذا البرتقال بالامر العظيم ، ودهوا منه بالخطب الجسيم، واستحوذ عدو الله على بلاد الهبط وضايقهم بها حتى انحازوا الى الامصار المنزوية عن الاطراف والقرى النائية عن السواحل ، وكان ذلك كله فيما بين انقراض دولة بنى وطاس وظهور دولة الشرفاء السعديين، ولقد ذكر فى « مرآة المحاسن » أن قصر كتامة كان فى صدر المائة العاشرة مقصدا

للتجار وسوقا تجلب اليه بضائع العدوتين وسلعها ، قال : « اذ كان القصر المذكور ثغرا بين بلاد المسلمين وبين بلاد النصارى تحط به رحال تجار المسلمين من آفاق المغرب وتجار الحربيين من آصيلا وطنجة وقصر المجاز وسبتة ولانه كان محل عناية سلطان المغرب اذ ذاك محمد الشيخ بن أبى زكرياء الوطاسى ، فان القصر قاعدة بلاد الهبط التى كانت موقد شرارة السلطان المذكور ، ومشب ناره ، وموشج عصبيته مع مجاورته لبلاد الحرب ، فكان نظره مصروفا اليه واختصاصه موقوفا عليه وتقبل بنوه من بعده مذهبه فيه» اهكلامه فهذا يدلك على ماكان عليه العدو خذ له الله من المضايقة للمسلمين فى ثغورهم وبلادهم ولله الامر من قبل ومن بعد .

ولما نزل باهل المغرب الاقصى ما نزل من غلبة عدو الدين واستيلائه على ثغور المسلمين ، تباروا فى جهاده وقتاله ، وأعملوا الخيل والرجل فى مقارعته ونزاله ، وتوفرت دواعى الخاصة منهم والعامة على ذلك ، وصرفوا وجوه العزم لتحصيل الثواب فيما هنالك ، فكم من رئيس قوم قام لنصرة الدين غيرة واحتسابا ، وكم من ولى عصر أو عالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صوابا حتى لقد استشهد منهم أقوام وأسر آخرون ، وبلغ الله تعالى جميعهم من الثواب ما يرجون ، فمن استشهد منهم فى سبيل الله سيدى عيسى بن الحسن المصباحى دفين الدعداعة بأرض البروزى من بلاد طليق ، وأبو الحسن على ابن عثمان الشاوى من أصحاب الشيخ أبى محمد الغزوانى ، وأبو الفضل فرج الاندلسى ثم المكناسى ، وأبو عبد الله محمد القصرى المعروف بسقين قتله النصارى عند ضريح الشيخ أبى سلهام ، وكان قد قصده للزيارة ففتكوا به هنالك ، وكل هؤلاء معدود فى أولياء الله تعالى ، وممن أسر منهم ثم خلصه الله الشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسى دفين تانسيفت من أحواز مراكش ، والشيخ أبو محمد عبد الله الكوش دفين جبل العرض من أحواز فاس ، ووالد صاحب «دوحة الناشر» وهو أبو الحسن على بن مصباح الحسنى عرف بابن عسكر ، والشيخ العلامة أبو العباس أحمد بن القاضى المكناسى أحد قضاة سلا وهو صاحب «جذوة الاقتباس» و «المنتقى المقصور» وغيرهما من التآليف

الحسان أسر وهو ذاهب الى الحج ، وأبو عبد الله محمد بن أبى الفضل التونسى المعروف بخروف نزيل فاس وشيخ الجماعة بها ، هؤلاء كلهم أصابه الاسر ثم خلصه الله بعد حين ، وغير هؤلاء ممن لم يحضرنا ذكرهم ، أجزل الله ثوابهم ويسر بمنه حسابهم ، ولقد ألف الناس فى ذلك العصر التآليف فى الحض على الجهاد والترغيب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ فى ذلك فأكثروا ، ونظم الشعراء والادباء فيه ونثروا ، فممن ألف فى ذلك الباب فأفاد : الشيخ المتفنن البارع الصوفى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجيش التازى ، قال فى «الدوحة» : «وقفت له على تأليف ألفه فى الحض على الجهاد فى سبيل الله فكان مما ينبغى أن يتناول باليدين ، ويكتب دون المداد باللجين ، أودعه نظما ونثرا » وممن نظم فى ذلك فأجاد ، الشيخ الصالح المتصوف المجاهد أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولى ، قال فى « الدوحة » : كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وفتح له فيه ، وله فى ذلك أشعار وقصائد زجليات وغيرها » وكان معاصرا للسلطان أبى عبد الله محمد بن محمد الشيخ الوطاسى المعروف بالبرتقالى ، فكان اذا جاءه زائرا حضه على الغزو فيساعده على ما أراد من ذلك ، ولما توفى السلطان المذكور ، ودالت الدولة لولده السلطان أحمد ، وغص بالشرفاء القائمين عليه ببلاد السوس ، عقد الهدنة مع النصارى المجاورين له ببلاد الهبط وصاحبهم سلطان البرتقال ، فبلغ ذلك الشيخ أبا عبد الله المذكور فآلى على نفسه أن لا يلقى السلطان المذكور ولا يمشى اليه ولا يقبل منه ما كان عينه لوالده من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وضروریاته ، فمكث على ذلك الى أن حضرته الوفاة ، وكان فى النزع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم : «ياسيدى أخبرك أن السلطان أمر بالغزو ونادى به وحض الناس عليه ، والمسلمون فى شره لذلك وفرح» . ففتح الشيخ عينيه وتهلل وجهه فرحا وحمد الله وأثنى عليه ، ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك ، ولهذا الشيخ زجليات ومقطعات حسان فى الحض على الجهاد ، منها اللامية المشهورة التى خاطب بها السلطان أبا عبد الله المذكور ومطلعها :

قل للامير محمد يا طلعة الهلال

لويلة فى السواحل من أفضل الليال

ومنها القصيدة التى مطلعها :

ظهر الرمل مرادى والعسكر يا كرام
نفسى على الجهاد سبلت والسلام

ومنها القصيدة التى أولها :

قم للجهاد رعاك الله منتهجا نهج الرشاد الى الاقوام لو فهموا
من بعد اندلس ما زلت محتدما لوكان يمكننى فى الليل احتزم

الى غير ذلك مما يطول ذكره قال صاحب «الدوحة» : « حدثنى الفقيه العدل أبو العباس أحمد الدغمورى القصرى ، قال : كان الشيخ أبو عبد الله يقول : « ما غزونا غزوة قط الا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، ويخبرنى بجميع ما يتفق لى ولاصحابى فى تلك الغزوة » ، وله رضى الله عنه فى شأن الجهادوالرجولية حكاية ظريفة وهى انه غزا مرة غزوة الى الثغور الهبطية ثم قدم منها مع أصحابه فوجد زوجته فلانة بنت الشيخ أبى زكرياء يحيى بن بكار قد توفيت وصلى الناس عليها بجامع القرويين ، وامامهم الشيخ غازى بن الشيخ أبى عبد الله محمد بن غازى الامام المشهور ، فوصل الشيخ أبو عبد الله ووجد جنازتها على شفير القبر والناس يحاولون دفنها فقال لهم : مهلا ثم تقدم وأعاد الصلاة عليها مع أصحابه الذين قدموا معه فبادر الناس اليه بالانكار فى تكرير الصلاة على الجنازة بالجماعة مرتين ، فقال لهم على البديهة: « صلاتكم التى صليتم عليها فاسدة ، لكونها بغير امام » ، فقالوا له : «كيف ذلك ياسيدى ؟» قال : « لان من شرط الامام الذكورية وهى مفقودة فى صاحبكم لان الذى لم يتقلد سيفا فى سبيل الله قط ولم يضرب به ولا عرف الحرب كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يتعبد بالسيرة النبوية فكيف يعد اماما ذكرا بل امامكم والله من جملة النساء » اه . وحكى أيضا فى ترجمة الشيخ أبى محمد عبد الله الورياكلى الذى قال له العلامة ابن مرزوق وقد عزم على الرحلة الى بلاد المشرق فى طلب العلم: «ليس أمامك أحد أعلم منك» ، قال: «فرجع من هنالك فوجد النصارى قد تغلبوا على طنجة وآصيلا ، فلازم الثغور الهبطية

لاجل الرباط والجهاد فى سبيل الله ، وبث العلم ونشره» ، قال : « وكان من عادته أن يشتغل بالتدريس فى فصلى الشتاء والربيع ، ويخرج فى الصيف والخريف فيربط فى ثغور القبائل الهبطية» الى آخر كلامه ، وأمثال هذا كثير ذكرنا منه هذه النبذة اليسيرة لتقف بها على أحوال القوم وما كانوا عليه من الرغبة فى الجهاد والمثابرة عليه قدس الله أرواحهم وجعل فى دار النعيم غدوهم ورواحهم .

وقد آن أن نشرع فى الاخبار عن دولة بنى وطاس بعد أن نذكر دولة الشريف العمرانى الذى بايعه أهل فاس يوم مقتل السلطان عبد الحق بن أبى سعد رحمه الله .

الخبر عن دولة الشريف ابى عبد الله الحفيد وأوليته

هذا الشريف هو أبو عبد الله محمد بن على الادريسى الجوطى العمرانى من بيت بنى عمران فرقة من أدارسة فاس ، وهم واسطة عقد البيت الادريسى ، وأوضحهم نسبا ، وأعلاهم حسبا ، قال ابن خلدون : « ليس فى المغرب فيما نعلمه من أهل البيت الكريم من يبلغ فى صراحة نسبه ووضوحه مبلغ أعقاب ادريس رضى الله عنه » قال : « وكبراؤهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطى بن محمد بن يحيى العدام بن القاسم بن ادريس ابن ادريس ، وهم نقباء أهل البيت هناك والساكنون ببيت جدهم ادريس ولهم السيادة على أهل المغرب كافة » اه والجوطى قال فى «المرآة» : «نسبة الى جوطة بجيم مضموم وواو مد وطاء مفتوحة وهاء تأنيث وهى قرية عظيمة على نهر سبو فى العدوة الجنوبية خربت ولم يبق منها الا آثار ، ولها مسيل شتوى يعرف بمخروط جوطة ، نزلها السيد يحيى فنسب اليها وقبره هنالك معروف » اه .

بيعة السلطان ابى عبد الله الحفيد والسبب فيها

كان بنو مرين أيام ولايتهم على المغرب يعظمون هؤلاء الاشراف الادارسة ويوجبون حقهم ويتقربون الى الله تعالى برفع منزلتهم وجبر خواطرهم لما فاتهم من رتبة الخلافة التى كانت تكون لهم بطريق الاستحقاق الشرعى ، فكان بنو مرين لما جبلوا عليه من الجنوح الى مراسم الدين وانتحالها يرون فى أنفسهم كأنهم متغلبون مع وجود هؤلاء الاشراف . فلذا كانوا يخضعون لهم ، ويتأدبون معهم ما أمكن ، ولقد حكى أبو عبد الله بن الازرق : أن الشيخ الكبير أبا عبد الله المقرى كان يحضر مجلس السلطان أبا عنان لبث العلم وكان نقيب الشرفاء بفاس اذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من فى المجلس اجلالا له ، الا الشيخ المقرى فانه كان لا يقوم له ، فجرت بين الشريف والفقيه المذكور معاتبة ومراجعة فى حكاية مشهورة ، تركناها لعدم تعلق الغرض بها (*) اذ الغرض هو الوقوف على ما كان عليه القوم من التجلة والتعظيم لاهل هذا البيت الكريم ، فلما اضطربت أحوال الدولة المرينية بفاس واجتمع رؤساء فاس الى الفقيه أبى فارس الورياكلى فى شأن اليهوديين اللذين كانا يحتكمان فى المدينة ويعتسفان أهلها ، أجمع رأيهم على مبايعة هذا الشريف الحفيد ، وكان يومئذ يلى نقابة الاشراف بفاس ، فاستدعوه فحضر وبايعوه فى العشر الاواخر من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة، وتم أمره وكان من قتله للسلطان عبد الحق ما تقدم ذكره والله أعلم.

(*) راجع ذلك فى «نيل الابتهاج بتطريز الديباج »للشيخ أحمد بابا ص ٢٥٤ طبع فاس و « نفح الطيب » للمقرى - ج ٣ - صفحة ١٤٨

فتنة الشـاوية ووصولهم الى بـلاد الغرب

قد قدمنا ما كان من أمر الشاوية وفتنتهم فى أيام السلطان عبد الحق . ولما كانت أيام الحفيد هذا تزايد ضررهم واستطال شررهم فزحفوا الى بـــــلاد الغرب من أحواز مكناسة وفاس ، وعاثوا وأفسدوا ، ولما تكلم أبو عبد الله محمد العربى الفاسى فى «مرآة المحاسن» على الشيخ عبد الوارث اليالصوتى وانه أخذ عن جماعة منهم: أبو النجاء سالم الرودانى الشاوى ، والشيخ أبو عبد الله الصغير السهلى ، والشيخ أبو محمد الغزوانى ، قال: «وكان الشيخ أبو النجاء أولا يقرأ بالمدرسة العنانية ، فلما نزل الشاوية الغرب ، خرج من فاس خائفا يترقب ، وذلك فى أيام الحفيد» اهـ ، وبلاد الغرب تطلق فى عرف أهله على خصوص بسيط ازغار وما اتصل به الى ساحل البحر والله أعلم .

استيـــلاء البرتقال على مدينة آنفى وآصيـــلا

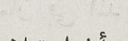

رأيت فى بعض تواريخ الفرنج أن استيلاء البرتقال على آنفى كان فى حدود أربع وسبعين وثمانمائة ، وانهم هدموها وبقيت كذلك مدة تزيد على أربعين سنة ، ثم شرعوا فى تحصينها والبناء بها ، ولم يزالوا مقيمين بها الى حدود أربع وخمسين ومائة وألف وفى سنة ست وسبعين وثمانمائة استولوا على آصيلا ، وظفروا فيها ببيت مال الوطاسى ، وأسروا ولده محمدا المدعـــــو بالبرتقالى ، وابنته وزوجتيه وجماعة من الاعيان ، وكان الخطب عظيما ، وبقى ولد الوطاسى عند البرتقال سبع سنين ، ثم افتكه والده بعد ، وكان يوم أسر صبيا صغيرا ، وأما مدينة فضالة فلم يقع عليها استيلاء وانما كانت بها كمبانية خمسة نفر من تجار مادريد قاعدة قشتالة ، نزلوها بقصد التجارة باذن سلطان

الوقت(*) وكانت سلعهم توسق وتوضع من مرساها ، وبنوابها البناء الموجود اليوم والله تعالى أعلم .

خلع السلطان ابى عبد الله الحفيد وانقراض امره

قال فى «الجذوة» : «لما قامت عامة فاس على السلطان عبد الحق وأقاموا هذا النقيب من أهل مدينة فاس اماما استمر بها ، وابنه وزير له ، الى سنة خمس وسبعين وثمانمائة ، فعزل عن الامامة وكان الذى خلعه أبا الحجاج يوسف ابن منصور بن زيان الوطاسى ، وكان ذلك سبب ذهاب الشريف المذكور الى تونس لمدة يسيرة من خلعه ، وبقيت حضرة فاس الجديد فى يد أخت أبى الحجاج المذكور وهى الزهراء المدعوة بزهور ، مع قائده السجيرى ، الى أن تولى الامر أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسى » والله غالب على أمره .

(*) مولاى سليمان اه من خط مؤلفه

الخبر عن دولة بنى وطاس

وذكر نسبهم وأوليتهم

اعلم ان بنى وطاس فرقة من بنى مرين غير انهم ليسوا من بنى عبد الحق ، ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله حسبما تقدم ، كان لبنى وطاس هؤلاء بلاد الريف فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم ، وكان بنو الوزير منهم يسمون الى الرياسة ويرومون الخروج على بنى عبد الحق، وقد تكرر ذلك منهم حسبما مر، ثم أذعنوا الى الطاعة وراضوا أنفسهم على الخدمة ، فاستعملهم بنو عبد الحق فى وجوه الولايات والاعمال واستظهروا بهم على أمور دولتهم ، فحسن أثرهم لديها وتعدد الوزراء منهم فيها ، وذكر ابن خلدون : « أن بنى الوزير هؤلاء يرون أن نسبهم دخيل فى بنى مرين ، وانهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللمتونى لحقوا بالبدو ونزلوا على بنى وطاس ووشجت فيهم عروقهم حتى لبسوا جلدتهم ، ولم يزل السرو متربعا بين أعينهم لذلك والرياسة شامخة بانوفهم » اه ولما كانت دولة السلطان أبى عنان واستولى على بجاية ، عقد عليها لعمر بن على الوطاسى من بنى الوزير هؤلاء فثار عليه أهلها واستلحموه فى خبر مر التنبيه عليه .

ثم لما كانت الدولة الاولى للسلطان أبى العباس بن أبى سالم ، وخلص ملك مراكش وأعمالها الى ابن عمه الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ، كان من جملة من تحيز اليه وصار فى جملته ، زيان بن عمر بن على المذكور، فكانت له فى دولته الوجاهة الكبيرة ، والمنزلة الرفيعة ، ثم لما فسد ما بين السلطان أبى العباس والامير عبد الرحمن كان زيان بن عمر فى جملة النازعين الى السلطان أبى العباس ، فاتصل به وصار فى جملته الى أن حاصر

السلطان أبو العباس قصبة مراكش ، وبها يومئذ الامير عبد الرحمن ، فابلى زيان بن عمر فى ذلك الحصار وكان أحد الذين باشروا قتل ولدى الامير عبد الرحمن .

قال ابن خلدون : « وطالما كان زيان هذا يمترى ثدى نعمتهم ويجر ذيله خيلاء فى جاههم ، فذهب مثلا فى كفران النعمة وسوء الجزاء ، والله لا يظلم مثقال ذرة » . ثم جاء بعده ابنه أبو زكرياء يحيى بن زيان فولى الوزارة للسلطان عبد الحق كما مر ، ثم بعده ابنه يحيى أيضا ، وهو الذى قتله السلطان عبد الحق فى جماعة من عشيرته ، وفر أخوه أبو عبد الله محمد الشيخ الى الصحراء وبقى متنقلا فى البلاد الى أن كان من أمره ما نذكره .

الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن أبى زكرياء الوطاسى رحمه الله

قد تقدم لنا ما كان من ايقاع السلطان عبد الحق ببنى وطاس وافلات محمد الشيخ ومحمد الحلو من النكبة ، وان الشيخ كان قد خرج للصيد فاتصل به الخبر فذهب على وجهه لا يلوى على شىء ، وان الحلو اختفى حتى اذاسكنت الهيعة تسلل ولحق بالشيخ فسارا الى جهة الصحراء وجعلا يترددان فيما بينها وبين البلاد الهبطية حتى ملكا آصيلا ، وذلك قبل استيلاء البرتقال عليها . ولما ملك الشيخ آصيلا واستفحل أمره بهاتشوفت اليه الاعيان من أهل فاس والرؤساء من أهل دولة السلطان عبد الحق وصاروا يكاتبونه ويقدمون اليه الوسائل سرا وربما دعوه الى القدوم على أن يبذلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء فاستمر الحال على ذلك الى أن قتل عبد الحق وبويع الحفيد ، فحينئذ أرهف الشيخ حده ، واستفرغ فى المطالبة جهده ، الى أن استولى على الحضرة وصفا له ملك المغرب

قال فى « المرآة» : « لما بايع أهل فاس أبا عبد الله الحفيد قام محمد الشيخ الوطاسى فى آصيلا واستتبع القبائل واستفحل أمره ، وحاصر فاسا وقتا بعد وقت الى أن دخلت فى طاعته فى رمضان سنة ست وسبعين وثمانمائة . وخرج عنها الحفيد ودخلها محمد الشيخ المذكور فى أوائل شوال من السنة المذكورة وهو مورث الملك لبنيه بها » اه . وقد تقدم لنا أن الذى خلع الشريف من الملك هو أبو الحجاج يوسف بن منصور الوطاسى ، وان حضرة فاس الجديد قد بقيت بعد ذهاب الشريف الى تونس فى يد زهور الوطاسية والقائد السجيرى الى أن قدم السلطان محمد الشيخ والله تعالى أعلم .

وقال منويل فى أخبار محمد الشيخ هذا ما صورته : « كانت مملكة المغرب الاقصى فى غاية الاضطراب والانتكاس حتى طمع فى ملكها كل من كانت توسوس له نفسه بذلك ، واستولى ابن الاحمر على جميع الثغور التى كانت لبنى مرين بارض الاندلس ولم يترك لهم قيد شبر ، واشرأبت أجناس الفرنج للتغلب على المغرب ، وفى تلك المدة كان با صيلا محمد الشيخ الوطاسى ، وكان شجاعا مقداما ، وأحس من نفسه بالقدرة على الاستيلاء على كرسى فاس وتنحية الشريف عنه ، لا سيما مع ما كان الناس فيه من افتراق الكلمة فجمع جندا صالحا وزحف الى فاس فبرز اليه الشريف والتقوا باحواز مكناسة فوقعت بينهما حرب عظيمة كانت الكرة فيها على الوطاسى، ثم جمع عسكرا آخر وزحف به الى فاس وحاصرها نحو سنتين والشريف فيها مع أرباب دولته ، وفى أثناءالحصار ورد عليه الخبر باستيلاء البرتقال على آصيلا وعلى بيت ماله الذى كان بها وعلى حظاياه وأولاده ، فأفرج عن فاس ورجع مبادرا الى آصيلا فحاصرها ، ولما امتنعت عليه عقد مع البرتقال هدنة وعاد سريعا الى فاس فحاصرها وضيق على الشريف بها حتى خرج فارا بنفسه وأسلمها اليه فدخلها محمد الشيخ وتمت بيعته وتفرغ لتدويخ القبائل التى باحواز فاس وغيرها ، فدخلوا فى طاعته واغتبطو به » اه كلامه .

رياسة بنى راشد من شرفاء العلم بغمارة وبناؤهم مدينة شفشاون وما يتبع ذلك

قال فى «نشر المثانى»: اختط بعض شرفاء العلم مدينة شفشاون بقصد تحصين المسلمين من نصارى سبتة ، اذ كانوا بعد استيلائهم عليها يتطاولون على أهل تلك المداشر فى أواخر دولة بنى وطاس » .

وقال فى «المرآة» : «كان ابتداء اختطاط مدينة شفشاون فى الجهة المعروفة عندهم بالعدوة ، وهى عدوة وادى شفشاون ، فى حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة ، على يد الشريف الفقيه الصالح الناصح المجاهد أبى الحسن بن أبى محمد المعروف بأبى جمعة العلمى ، واسمه الحسن بن محمد ابن الحسن بن عثمان بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن القطب أبى محمد عبد السلام بن مشيش ، ومات شهيدا قبل اتمام ما شرع فيه ، بتدبير النصارى دمرهم الله مع أهل النفاق اذ ذاك من أهل الخروب ، وقد جاءهم فى سبيل الجهاد وبينما هو يتهجد من الليل فى مسجد هنالك ، اذ أضرموه عليه نارا فمات رضوان الله عليه ، وقام مقامه فيما كان بسبيله من الجهاد والاستنفار له وتجييش الجيوش ابن عمه الامير الجليل ، الفاضل الاصيل ، أبو الحسن على بن موسى بن راشد بن على بن سعيد بن عبد الوهاب الى آخر النسب المتقدم ، فشرع فى اختطاط مدينة شفشاون فى العدوة الاخرى فبنى قصبتها وشيدها وأوطنها باهله وعشيرته ، ونزل الناس بها فبنوا وصارت فى عداد المدن الى أن توفى سنة سبع عشرة وتسعمائة ، وورثها بنوه من بعده ولم يزالوا فيها بين سلم وحرب الى أن أخرجهم منها الشرفاء السعديون عند استيلائهم على بلاد المغرب والله تعالى أعلم » .

ثورة عمرو بن سليمان السياف ببلاد السوس وشيء من اخباره

هذا الرجل هو عمرو بن سليمان الشيظمى المغيطى المعروف بالسياف، ويقال له المريدى بضم الميم، وكان ابتداء أمره أنه كان من تلامذة الشيخ أبى عبد الله محمد بن سليمان الجزولى صاحب دلائل الخيرات ، نقل الثقات أنه كان يتردد الى الشيخ المذكور، أيام حياته ويأتيه بألواح فيها كلام كثير منسوب الى الخضر عليه السلام، فلا يقول له فى ذلك شيئا غير أنه أثنى عليه مرات كثيرة، ثم لما مات الشيخ المذكور رحمه الله سنة سبعين وثمانمائة ثار عمرو المذكور مظهرا الطلب بثار الشيخ والانتقام من الذين سموه ، اذ كان سمه بعض فقهاء عصره ، فتتبعهم حتى قتلهم ، ثم صار يدعو الناس الى اقامة الصلاة ويقاتلهم عليها ، فانتصر عليهم وشاع ذكره وتمكن ناموسه ، ثم تجاوز ذلك الى أن صار يدعو الناس الى نفسه ويقتل المنكرين عليه وعلى شيخه وأصحابه، وسمى اصحابه المريدين، بضم الميم، قال زروق: «وما أحقها بالفتح» وسمى المخالفين له الجاحدين ثم جعل يتفوه بالمغيبات ويزعم أنه مأذون ، وربما ادعى النبوة . وكان قد أخرج شلو الشيخ الجزولى من قبره وجعله فى تابوت وصار يقدمه بين يديه فى حروبه كتابوت بنى اسرائيل فينتصر على من خالفه ، وقيل انه لم يدفنه وانما أخذه بعد موته فكفنه وجعله فى التابوت ، وجمع الجموع ، وقاد الجيوش ، وسفك الدماء ، واستمرت فتنته فى الناس عشرين سنة .

قال الشيخ زروق رحمه الله : « بلغنى أن شيخنا الفقيه أبا عبد الله القورى ورد عليه سؤال فى شأن عمرو بن سليمان السياف فبادرت اليه كى أراه فقال لى : (قد خرج من يدى) ، فقلت له : (فما مقتضاه؟) ،قال: (مقتضاه انه يقول :ان أحكام الكتاب والسنة ارتفعت ولم يبق الا ما يقول له قلبه) . قال زروق : « وشاع من أمره انه يقول: انه وارث النبوة ، وان له أحكاما تخصه كما فى قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ، وان الخضر حى، ونبى مرسل ، وانه يلقاه ويأخذ عنه ، بل يدعى ذلك من هو دونه من تلامذته » .

وحكى بعضهم أن عمرا المذكور لما جعل شلو الشيخ فى التابوت ، كان اذا رجع به من حربه وضعه فى روضة عنده يسميها الرباط ، فاذا جنه الليل أطاف الحرس بالروضة يحرسون التابوت من السراق ويوقد عليه كل ليلة فتيلة عظيمة فى مقدار الثوب مغموسة فى نحو مدين من الزيت ليقوى الضوء وينتشر ، ويبلغ من كل الجهات الى مسافة بعيدة ، فتنكشف الطرق عمن يأتى عليها ، كل ذلك مخافة أن يؤخذ منه شلو الشيخ فينتصر به عليه .

ويقال: ان ثورة عمرو المذكور وفتنته كانت أثرا من آثار دعوات الشيخ الجزولى رحمه الله ، فقد ذكر تلامذته كالشيخ التباع وغيره : أن الشيخ الجزولى خرج عليهم من آخر الليلة التى قتل فى صبيحتها ، فقالوا له : «ياسيدى الناس يزعمون انك الفاطمى المنتظر» فقال : « ما يبحثون الا عمن يقطع رقابهم، الله يسلط عليهم من يقطع رقابهم » وكرر ذلك مرارا ، فكانوا يرون أن أثر دعوته ظهر فى عمرو السياف والله أعلم .

وقتل عمرو المذكور سنة تسعين وثمانمائة واختلف فيمن قتله ، فقيل كان عمرو قد تزوج زوجة الشيخ الجزولى وبنته فلما رأتا ما هو عليه من الزندقة والفساد فى الارض قتلتاه امتعاضا للدين ، ترصدتاه حتى اذا نام عدتا عليه فقتلتاه ثم رمت احداهما وهى بنت الشيخ بنفسها من كوة هنالك فى البيت الذى كانوا به فوصلت الى الارض سالمة ونجت ، وبقيت الاخرى ، وهى الزوجة، بالبيت فدخلوا عليها فقتلوها . وقيل : انما قتلته زوجته وربيبته ، وقيل : غير ذلك والله أعلم .

ولما هلك عمرو السياف دفن الناس الشيخ الجزولى ، وقيل : هو دفنه بموضع يعرف بتاصروت ثم نقل بعد الى مراكش على ما نذكر ان شاء الله ولما ذكر الشيخ أبو العباس الصومعى فى كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ أبى يعزى قصة نقل الشيخ الجزولى الى مراكش ، وانه وجد طريا لم يتغير بعد وفاته بنحو سبعين سنة ، قال : « وأعجب من هذا أن عمرا المغيطى السياف زعموا أنه وجد كذلك ، ولعله أدركته بركة هذا الشيخ مع ما كان عليه والفضل بيد الله » اهـ .

وفى سنة احدى وتسعين وثمانمائة استدعى السلطان محمد الشيخ الامام أبا عبد الله بن غازى من مكناسة الى فاس فولى الخطابة أولا بالمسجد الجامع من فاس الجديد ثم ولى الامامة والخطابة ثانيا بمسجد القرويين من فاس وصار شيخ الجماعة بها واستوطنها الى أن مات رحمه الله .

وفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة تحرك السلطان محمد الشيخ الى دبدو ثم عاد الى حضرته .وفيها أيضا فى يوم الخميس السابع من ذى القعدة توفى الوزير أبو عبد الله محمد الحلو الوطاسى ودفن بالقلة خارج بـــاب الجيسة .

وفى سنة سبع وتسعين وثمانمائة استولت الرينة ايسابيلا صاحبة مادريد قاعدة بلاد قشتالة على حمراء غرناطة ومحت دولة بنى الاحمر من جزيرة الاندلس ولم يبق للمسلمين بها سلطان ، وتفرق أهلها فى بلاد المغرب وغيرها أيادى سبا ، وقد تقدم الخبر عن ذلك مستوفى .

بنـاء مدينـة تطـاوين

قال منويل: «لما استولى الاصبنيول على غرناطة خرج جماعة كبيرة من أهلها الى المغرب فنزلوا فى مرتيل قرب تطاوين ولما نزلوا به لم يقدموا شيئا على الوفادة على سلطان فاس محمد الشيخ الوطاسى ، فأجل مقدمهم ورحـــب بهم، فقالوا : ان ضيافتنا عندك أن تعين لنا موضعا نبنى فيه بلدا يكننا ونحفظ فيه عيالنا من أهل الريف» فأجابهم الى مرادهم وعين لهم مدينة تطاوين الخربة منذ تسعين سنة وولى عليهم كبيرهم أبا الحسن عليا المنظرى ، وكان رجلا شجاعا من كبار جند ابن الاحمر ، وكان قد أبلى معه فى حرب غرناطة البلاء الحسن ثم انتقل الى المغرب كما قلنا ، ولما عقد له الشيخ الوطاسى على أصحابه رجع بهم الى تطاوين وشرع فى بناء أسوار البلد القديم ، فجدده وبنى المسجد الجامع به واستوطنه هو وجماعته ، ثم أخذ فى جهاد البرتقال بسبتة وبلاد الهبط الى أن

أسر منهم ثلاثة آلاف فاستخدمهم فى اتمام ما بقى عليه من بناء تطاوين ، واتصلت الحرب بينهم وبين برتقال سبتة كاتصالها بين أهل آزمور وبرتقال الجديدة » اهـ .

وقوله ان بناء تطاوين كان عقب أخذ غرناطة مخالف لما يقول أهل تطاوين من أن تاريخ بنائها رمز : «تفاحة» ، وان ذلك كان باعانة الشريف أبى الحسن على بن راشد ، فيظهر والله أعلم أن أبا الحسن المنظرى كان قد قدم من الاندلس قبل أخذ غرناطة بسنين يسيرة موافق الرمز المذكور ، والله أعلم .

قدوم ابى عبد الله ابن الاحمر مخلوعا على السلطان محمد الشيخ الوطاسى رحمهما الله

لما استولى طاغية الاصبنيول على حضرة غرناطة وسائر الاندلس ، انتقل سلطانها أبو عبد الله ابن الاحمر الى حضرة فاس فاستوطنها تحت كنف السلطان محمد الشيخ بعد أن خاطبه من انشاء وزيره أبى عبد الله محمد العربى العقيلى بقصيدة بارعة يقول فى صدرها :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم ... رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن ... جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا ... وأفظع الخطب ما يأتى على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له ... وهل مرد لحكم منه منحتم

وهى طويلة . ثم وصلها برسالة يقول فيها بعد الحمد لله والصلاة على نبيه ما نصه .

« أما بعد فيامولانا ، الذى أولانا من النعم ما أولانا ، لا حط الله لكم من العزة ارواقا ، ولا أذوى لدوحة دولتكم أغصانا ولا أوراقا ، ولا زالت مخضرة العود ، مبتسمة عن زهرات البشائر متحفة بثمرات السعود ، ممطورة بسحائب البركات المتداركات دون بروق ولا رعود ، هذا مقام العائذ

بمقامكم ، المتعلق بأسباب ذمامكم ، المرتجى لعواطف قلوبكم ، وعوارف انعامكم ، المقبل الارض تحت أقدامكم ، المتلجلج اللسان عند محاولة مفاتحة كلامكم ، وماذا الذى يقول من وجهه خجل وفؤاده وجل ، وقضيته المقضية عن التنصل والاعتذار تجل ؟ بيد أنى أقول لكم ما أقوله لربى ، واجترائى عليه أكثر واحترامى اليه أكبر ، « اللهم لا برىء فاعتذر ، ولا قوى فانتصر » لكنى مستقيل مستعتب مستغفر ، « وما أبرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء » هذا على طريق التنازل والاتصاف بما تقتضيه الحال ممن يتحيز الى حيز الانصاف . وأما على جهة التحقيق ، فاقول ما قالته الام ابنة الصديق : « والله انى لا علم أنى ان أقررت بما يقوله الناس والله يعلم أنى منه بريئة لا قول ما لم يكن ، ولئن أنكرت ما تقولون لاتصدقونى . فأقول ما قاله أبو يوسف : « فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » على انى لا أنكر عيوبى فانا معدن العيوب ، ولا أجحد ذنوبى فانا جبل الذنوب ، الى الله أشكو عجرى وبجرى ، وسقطاتى ، وغلطاتى . نعم ، كل شىء ولا ما يقوله المتقول المشنع المهول ، الناطق بفم الشيطان المسول ، ومن أمثالهم : « سبنى واصدق ، ولا تفتر ولا تخلق » أفمثلى كان يفعل أمثالها ويحتمل من الاوزار المضاعفة أحمالها ، ويهلك نفسه ويحبط أعمالها ؟ عياذا بالله من خسران الدين وايثار الجاحدين والمعتدين ، « قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين » وأيم الله لو علمت شعرة فى فودى تميل الى تلك الجهة لقطعتها ، بل لقطفت ما تحت عمامتى من هامتى وقطفتها ، غير أن الرعاع فى كل أوان أعداء للملك وعليه أحزاب وأعوان ، كان أحمق أو أجهل من أبى ثروان ، أو أعقل أو أعلم من اشج بنى مروان « رب متهم برىء » ، ومسربل بسربال وهو منه عرى ، وفى الاحاديث صحيح وسقيم ، ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم ، ولكن ثم ميزان عقل تعتبر به أوزان النقل ، وعلى الراجح الاعتماد ، ثم اساغة الاحماد المتصل المتماد وللمرجوح الاطراح ، ثم التزام الصراح ، بعد النفض من الراح ، وأكثر ما تسمعه الكذب ، وطبع جمهور الخلق الامن عصمه الله تعالى اليه منجذب ، ولقد قذفنا من الاباطيل باحجار ، ورمينا بما لايرمى به الكفار ، فضلا عن

الفجار ، وجرى من الامر المنقول على لسان زيد وعمرو ما لديكم منه حفظ الجار ، واذا عظم الالكاء ، فعلى تكأة التجلد الاتكاء ، أكثر المكثرون ، وجهد فى تعثيرنا المتعثرون ، ورمونا عن قوس واحدة ، ونظمونا فى سلك الملاحدة أكفرا أيضا كفرا ؟ ، غفرا اللهم غفرا ، أعد نظرا يا عبد قيس ، فليس الامر على ما خيل لك ليس ، وهل زدنا على أن طلبنا حقنا ممن رام محقه ومحقنا فطاردنا فى سبيله عداة كانوا لنا غائظين ، فانفتق علينا فتق لم يمكنا له رتق ، «وما كنا للغيب حافظين» ، وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتمييز والنقد ، فعند جهينتهم تلقى الخبر يقينا ، وقد رضينا بحكمهم يوثمنا فيوبقنا ، أو يبرئنا فيقينا. ايه يامن اشرأب الى ملامنا ، وقدح حتى فى اسلامنا ، رويدا رويدا ، فقد وجدت قوة وايدا ، ويحك انما طال لسانك علينا ، وامتد بالسوء الينا ، لان الزمان لنا مصغر ولك مكبر ، والامر عليك مقبل وعنا مدبر ، كما قاله كاتب الحجاج المتبر . وعلى الجملة فهبنا صرنا الى تسليم مقالك جدلا ، وذهبنا فاقررنا بالخطا فى كل ورد وصدر فلله در القائل :

«ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر» وكأنا بمعتسف اذا وصل الى هنا ، وعدم انصافا يعلمه الهنا ، قد ازور متجانفا ، ثم افتر متهانفا وجعل يتمثل بقولهم: «اذا عيروا قالوا: مقادير قدرت» وبقولهم: «المرء يعجزه المحال ، فيعارض الحق بالباطل ، والحالى بالعاطل» وينزع بقول القائل «رب مسمع هائل وليس تحته طائل : وقد فرغنا أول أمس من جوابه ، وتركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به ، وسنلم الآن بما يوسعه تبكيتا ، ويقطعه تسكيتا ، فنقول له : ناشدناك الله تعالى هل اتفق لك قط وعرض خروج أمر ما عن القصد منك فيه والغرض ، مع اجتهادك أثناءه فى اصدارك ، وايرادك فى وقوعه على وفق اقتراحك ومرادك ، أو جميع ما تزاوله بادارتك لا يقع الا مطابقا لارادتك ، أو كل ما تقصده وتنويه تحرزه كما تشاء وتحويه ؟ فلا بد أن يقر اضطرارا بان مطلوبه يشذ عنه مرارا ، بل كثيرا ما يفلت صيده من أشراكه ، ويطلبه فيعجز عن ادراكه ، فنقول : ومسألتنا من هذا القبيل : أيها النبيه النبيل ، ثم نسرد له من الاحاديث النوبية ما شئنا ، مما يسايرنا فى غرضنا منه ويماشينا ،

كقوله صلى الله عليه وسلم : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » وقوله أيضا : « لو اجتمع أهل السموات والارض على أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه » أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فاخلق به أن يلوذ بأكناف الاحجام ، ويزم على نفث فيه كأنما الجم بلجام . حينئذ نقول له، والحق قد أبان وجهه وجلاه وقهره بحجته وعلاه . « ليس لك من الامر شيء » « قل ان الامر كله لله » ، وفي محاجة آدم وموسى ما يقطع لسان الخصم ، ويرخص عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من درن الوصم ، وكيفما كانت الحال ، وان ساء الرأى والانتحال ووقعنا في أوجال وأوحال، فثل عرشنا، وطويت فرشنا، ونكس لوانا، وملك مثوانا فنحن أمثل من سوانا ، « وما في الشر خيار » ويد الالطاف تكسر من صولة الاغيار ، فحتى الآن لم نفقد من اللطيف تعالى لطفا ، ولا عدمنا أدوات آدعية تعطف بلا مهلة على جملتنا المقطوعة جمل النعم الموصولة عطفا ، والا فتلك بغداد دار السلام ، ومتبوأ الاسلام ، المحفوف بفرسان السيوف والاقلام مثابة الخلافة العباسية ، ومقر العلماء والفضلاء أولى السير الاويسية ، والعقول الاياسية ، قد نوزلت بالجيوش ونزلت ، وزوولت بالزحوف وزلزلت ، وتحيف جوانبها الحيف ، ودخلها كفار التتار عنوة بالسيف ، ولا تسل اذ ذاك عن كيف ، أيام تجلت عروس المنية ، كاشفة عن ساقها مبدية ، وجرت الدماء في الشوارع والطرق كالانهار والاودية ، وقيد الأئمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضاة بالعمائم في رقابهم والاردية ، وللنجيع سيول تخوضها الخيول فتخضبها الى ارساغها، وتهم ظماؤها بوردها فتنكل عن تجرعها ومساغها، فطاح عاصمها ومستعصمها ، وراح ولم يغد ظالمها ومتظلمها ، وخربت مساجدها وديارها ، واصطلم بالحسام أشرارها وخيارها ، فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف ، حسبما عرفت أو حسبما تعرف ، فلاتك متشككا متوقفا ، فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند المؤرخين من قفا ، فأين تلك الجحافل والآراء المدارة في المحافل ؟ حين أراد الله تعالى بادالة الكفر لم تجد ولا

قلامة ظفر، اذن من سلمت له نفسه التى هى رأس ماله، وعياله وأطفاله اللذان هما من أعظم آماله ، وكل أوجل أوقل رياشه وأسباب معاشه الكفيلة بانتهاضه وانتعاشه ثم وجد مع ذلك سبيلا الى الخلاص فى حال مياسرة ومساهلة دون تعصب واعتياص، بعد ما ظن كل الظن أن لامحيد ولامناص فما أحقه حينئذ وأولاه أن يحمد خالقه ورازقه ومولاه ، على ما أسداه اليه من رفده وخيره ، ومعافاته مما ابتلى به كثير من غيره ، ويرضى بكل ايراد واصدار ،تتصرف فيهما الاحكام الالهية والاقدار ، فالدهر غدار ، والدنيا دار مشحونة بالاكدار والقضاء لا يرد ولا يصد ولايغالب ولايطالب، والدائرات تدور، ولا بد من نقص وكمال للبدور ، والعبد مطيع لا مطاع ، وليس يطاع الا المستطاع ، وللخالق القدير جلت قدرته فى خليقته علم غيب للاذهان عن مداه انقطاع، ومالى والتكلف لما لا أحتاج اليه من هذا القول، بين يدى ذى الجلالة والمجادة والفضل والطول، فله من العقل الارجح ومن الخلق الاسجح ما لا تلتاط معه تهمتى بصفره ، ولا تنفق عنده وشاية الواشى لاعد من نفره ، ولا فاز قدحه بظفره ، والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب ، وتجر براحتها الى المتاعب ، وقديما للاكياس من الناس خدعت ، وانحرفت عن وصالهم أعقل ما كانوا وقطعت ، وفعلت بهم ما فعلت بيسار الكواعب الذى جبت وجدعت ، ولئن رهصت وهصرت فقد نبهت وبصرت ، ولئن قرعت ومعضت لقد أرشدت ووعظت ، وياويلنا من تنكرها لنا بمرة ، ورميها لنا فى غمرة أى غمرة ، أيام قلبت لنا ظهر المجن ، وغيم أفقها المصمى وأدجن ، فسرعان ما عاينا حبالها منبته ، ورأينا منها ما لم نحتسب كما تقوم الساعة بغته ، فمن استعاذ من شيء فليستعذ مما صرنا اليه من الحور بعد الكور ، والانحطاط من النجد الى الغور :

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

وأبيها لقد أرهقتنا ارهاقا ، وجرعتنا من صاب الاوصاب كأسا دهاقا ، ولم نفزع الى غير بابكم المنيع الجناب المنفتح حين سدت الابواب ، ولم نلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملك من الاثواب ، والى أمه يلجأ

الطفل لجأ اللهفان، وعند الشدائد تمتاز السيوف من الاجفان ، ووجه الله تعالى يبقى وكل من عليها فان ، والى هنا ينتهى القائل ثم يقول : حسبى هذا وكفان . ولا ريب فى اشتمال العلم الكريم على ما تعارفته الملوك بينهافى الحديث والقديم من الاخذباليدعند زلة القدم، وقرع الانسان وعض البنان من الندم، دينا تدينته مع اختلاف الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان، ولقدعرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة خير فيها ، وأعطى من أمانه المؤكد فيه خطه بأيمانه ما يقنع النفوس ويكفيها ، فلم نر ، ونحن من سلالة الاحمر ، مجاورة الصفر، ولاسوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهرانى الكفر، ماوجدنا عن ذلك مندوحة ولوشاسعة، وأمنا المطالب المشاغب حمة شر لنا لا سعة ، وادكرنا أى ادكار قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الانكار: « ألم تكن أرض الله واسعة» وقول الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ فى ذلك بأبلغ الكلام: «أنا برىء من مؤمن مع كافر تتراأى ناراهما» وقول الشاعر الحاث على حث المطية المتثاقلة عن السير فى طريق منجاتها البطية:

وما أنا والتلدذ نحو نجد وقد غصت تهامة بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق الينا كتب كريمة المقاصد لدينا ، تستدعى الانحياز الى تلك الجنبات ، وتتضمن مالا مزيد عليه من الرغبات ، فلم نختر الا دارنا التى كانت دار آبائنا من قبلنا ، ولم نرتض الانضواء الا لمن بحبله وصل حبلنا ، وبريش نبله ريش نبلنا ، ادلالا على محل اخاء متوارث لاعن كلالة ، وامتثالا لوصاة أجداد لا نظارهم وأقدارهم اصالة وجلاله ، اذ قد روينا عن سلف من أسلافنا فى الايصاء لمن يخلف بعدهم من أخلافنا : أن لا يبتغوا اذا دهمهم أمر بالحضرة المرينية بدلا ، ولا يجدوا عن طريقها فى التوجه الى فريقها معدلا ، فاخترقنا الى الرياض الاريضة الفجاج ، وركبنا الى البحر الفرات ظهر البحر الاجاج ، فلا غرو أن نرد منه على ما يقر العين ويشفى النفس الشاكية من ألم البين ، ومن توصل هذا التوصل وتوسل بمثل ذلك التوسل تطارحا على سدة أمير المؤمنين ، المحارب للمحاربين ، والمؤمن للمستأمنين ، فهو الخليق الحقيق بأن يسوغ أصفى مشاربه ويبلغ أوفى مآربه على توالى الايام والشهور والسنين ، ويخلص من الثبور الى الحبور

ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين ولعل شعاع سعادته يفيض علينا، ونفحة قبول اقباله تسرى الينا فتخامرنا أريحية تحملنا على أن نبادر لانشاد قول الشريف الرضى فى الخليفة القادر .

عطفا أمير المؤمنين فاننا ... فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبدا كلانا فى المعالى معرق
الا الخلافة ميزتك فانني ... أنا عاطل منها وأنت مطوق

لا بل الاحرى بنا والاحجى ، والانجح لسعينا والارجى ، أن نعدل عن هذا المنهاج، ويقوم وافدنا بين يدى علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج وينشد ما قال فى الشيرازى ابن حجاج :

الناس يفدونك اضطرارا ... منهم وأفديك باختيارى
وبعضهم فى جوار بعض ... وأنت حتى أموت جارى
فعش لخبزى وعش لمائى ... وعش لدارى وأهل دارى

ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه ، وتعاظمت نعماؤه ، رحمة تجعل فى يد الهداية أعنتنا وعصمة تكون فى مواقف المخاوف جنتنا ، وقبولا يعطف علينا نوافر القلوب ، وصنعا يسنى لنا كل مرغوب ومطلوب، ونسأله، وطالما بلغ السائل سؤلا ومأمولا ، متابا صادقا على موضوع الندم محمولا ، ثم عزاء حسنا وصبرا جميلا ، عن أرض أورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا ، وسادلا عليهم من ستور الاملاء الطويلة سدولا ، «سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » فليطر طائر الوسواس المرفرف مطيرا «كل ذلك كان فى الكتاب مسطورا» لم نستطع عن مورده صدورا ، « وكان أمر الله قدرا مقدورا » ، الا وان لله سبحانه فى مقامكم العالى الذى أيده وأعانه سرا من النصر يترجم عنه لسان من النصل ، وترجع فروع البشائر الصادقة بالفتوحات المتلاحقة من قاعدته المتأصلة الى أصل، فبمثله يجب اللياذ والعياذ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ، ولامر ما آثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا الله سبحانه واستخرناه ، ومنه جل جلاله

نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين ، ويأوب بنا من حمايته ووقايته الى معقل منيع وجناب رفيع . آمين ، آمين ، آمين . ونرجو أن يكون ربنا الذى هو فى جميع الامور حسبنا قد خار لنا حيث أرشدنا وهدانا ، وساقنا توفيقه وحدانا الى الاستجارة بملك حفى ، كريم وفى ، أعز جارا من أبى دواد ، وأحمى أنفا من الحرث بن عباد ، يشهد بذلك الدانى والقاصى والحاضر والباد ، ان أغاث ملهوفا فما الاسود بن قنان يذكر ، وان أنعش حشاشة هالك فما كعب بن مامة على فعله وحده يشكر ، جليسه كجليس القعقاع بن شور ، ومذاكره كمذاكر سفيان المنتسب من الرباب الى ثور، الى التحلى بأمهات الفضائل التى أضدادها أمهات الرذائل وهى الثلاث : الحكمة والعدل والعفة التى تشملها الثلاثة : الاقوال ، والافعال ، والشمائل ، وينشأ عنها ما شئت من عزم وحزم وعلم وحلم ، وتيقظ وتحفظ واتقاء وارتقاء ، وصول وطول وسماح نائل ، فبنور حلاه المشرق يفتخر المغرب على المشرق ، وبمجده السامى خطره فى الاخطار وبيته الذى ذكره فى النباهة والنجابة قد طار ، يباهى جميع ملوك الجهات والاقطار ، وكيف لا، وهو الرفيع المنتمى والنجار ، الراضع من الطهارة صفو البان الناشىء من السراوة وسط أحجار فى ضئضىء المجد وبحبوح الكرم ، وسرواة أسرة المملكة التى أكنافها حرم ، وذؤابة الشرف التى مجادتها لم ترم ، من معشر أى معشر بخلوا أن وهبوا ما دون أعمارهم ، وجبنوا ان لم يحموا سوى دمارهم. بنو مرين ، وما ادراك ما بنو مرين « سم العداة وآفة الجزر » « النازلون بكل معترك ، والطيبون معاقد الازر » لهم عن الهفوات انتفاء ، وعندهم من السير النبوية اكتفاء انتسبوا الى بر بن قيس ، فخرجوا فى البر عن القيس ، مالهم القديم المعروف قد نفد فى سبيل المعروف ، وحديثهم الذى نقلته رجال الزحوف من طريق القنا والسيو فعلى الحسن من المقاصد موقوف ، تحمد من صغيرهم وكبيرهم ، ذابلهم ولدنهم فلله آباء أنجبوهم ، وأمهات ولدنهم ، « شم الانوف من الطراز الاول » اليهم فى الشدائد الاستناد ، وعليهم فى الازمات المعول ، ولهم فى الوفاء والصفاء والاحتفاء والعناية

والحماية والرعاية الخطو الواسع والباع الاطول ، كأنما عناهم بقوله جرول:

أولئك قوم ان بنو أحسنوا البنا وانعاهدوا وفوا وانعقدواشدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها وان أنعموا لاكدروها ولا كدوا
وتعذلني أبناء سعد عليهم وما قلت الا بالذى علمت سعد

وبقول الوثيق مبناه البليغ معناه :

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم ، وليس له منهم عائب ولا واصم ، فهو أحق بما قاله فى منقر قيس بن عاصم :

لا يفطنون لعيب جارهم وهم لحفظ جوارهم فطن

حلاهم هذه الغريزة التى ليست باستكراه ولا جعل ، وأمير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل ، ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالاوصاف الملوكية مستعل ، ارفض مزنهم منه عن غيث ملث يمحو آثار اللزبة ، وانشق غيلهم منه عن ليث ضار منقبض على براثنه للوثبة ، فقل لسكان الفلا : لا تغرنكم أعدادكم وأمدادكم فلا يبالى السرحان المواشى سواء مشى اليها النقرا أو الجفلى بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين ، ثم يبتلع بعد أشلاءهم المعفرة ابتلاع التنين ، فهو هو كما عرفوه وعهدوه وألفوه ، وأخو المنايا « وابن جلا وطلاع الثنايا» ، مجتمع أشده ، قد احتنكت سنه وبان رشده ، جاد مجد ، محتزم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد .

لا يشرب الماء الا من قليب دم ولا يبيت له جار على وجل

اسدى القلب آدمى الروا ، لابس جلد النمر يزنى العناد والنوى .

وليس بشارى عليه دمامة اذا ما سعى يسعى بقوس وأسهم
ولكنه يسعى عليه مفاضة دلاص كأعيان الجراد المنظم

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين ، والوجل الوجل لا حقين به خاضعين قبل أن تساقوا اليه مقرنين فى الاصفاد ، ويعيى الفداء بنفائس النفوس والاموال على الفاد ، حينئذ يعض ذو الجهل والفدامه على يديه حسرة وندامه ، اذا رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات والبنود ، قد لفحتهم نار ليست

بذات خمود، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد وثمود، زعقات تؤز الكتائب أزا وهمزا ، محققا للخيل بعد المد المشبع للاعنة همزا ،وسلا لنهندية سلا وهزا للخطية هزا ، حتى يقول النسر للذئب : « هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا : » ثق خليفة الله بذاك فى كل من رام أذى رعيتك أو أذاك ، فتلك عادة الله سبحانه فى ذوى الشقاق والنفاق ، الذين يشقون عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق ، وينصبون حبائل البغى والفساد فى جميع النواحى والآفاق ، فلن يجعلهم الله عز وجل من الآمنين ، أنى وكيف وقد أفسدوا وخانوا وهو سبحانه « لا يصلح عمل المفسدين» و «ولايهدى كيد الخائنين» وها نحن قد وجهنا الى كعبة مجدكم وجوه صلوات التقديس والتعظيم ، بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بدر ثناء أبهى من در العقد النظيم منتظمين فى سلك أوليائكم ، متشرفين بخدمة عليائكم، ولا فقد عزة ولا عدمها من قصد مثابتكم العزيزة وخدمها ، وان المترامى على سنائكم لجدير بحرمتكم واعتنائكم ، وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حصنا حصينا عاش بقية عمره محروسا من الضيم مصونا ، وقد قيل فى بعض الكلام : « من قعدت به نكاية الايام أقامته اغاثة الكرام»، ومولانا أيده الله تعالى ولى ما يزفه الينا من مكرمة بكر ، ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلد فى صحائف حسن الذكر ، ويروى معنعن حديث حمده وشكره طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر ، وغيره من ينام عن ذلك فيوقظ ، ويسترسل مع الغفلة حتى يذكر ويوعظ ، وما عهد منذ وجد الا سريعا الى داعى الندى والتكرم بريئا من الضجر بالمطالبة والتبرم ، حافظا للجار الذى أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بحفظه ، مستفرغا وسعه فى رعيه المستمر ولحظه ، آخذا من حسن الثناء فى جميع الاوقات والآناء بحظه .

فهو من دوحة السنا فرع عز ... ليس يحتاج مجتنيه لهز
كفه فى الامحال أغزر وبل ... وذراه فى الجوف أمنع جرز
حلمه يسفر اسمه لك عنه ... فتفهم يا مدعى الفهم لغزى
لا تسله شيئا ولا تستلنه ... نظرة منه فيك تغنى وتجزى

فنداه هو الفرات الذى قـــد عام فيه الانـــام عـــوم الاوز
وحماه هو المنيع الذى تـــر جع عنه الخطوب مرجع عجـز
فدعوا ذهنه يزاول قـــولى فهو أدرى بما تضمن رمـــزى
دام يحيى بكل صنع ومـــن ويعافى من كل بوس ورجـز

وكأنا به قد عمل على شاكلة جلاله من مد ظلاله وتمهيد خلاله ،وتلقى ورودنا بتهلله واستهلاله ، وتأنيسنا بجميل قبوله واقباله ، وايرادنا على حوض كوثره المترع بزلاله ، والله سبحانه يسعد مقامه العلى ويسعدنا به فى حله وارتحاله ، ومآله وحاله ، ويؤيد جنده المظفر ويؤيدنا بتأييده على نزال عدوه واستنزاله ، وهز الذوابل لاطفاء ذباله ، وهو سبحانه وتعالى المسؤل أن يريه قرة العين فى نفسه وأهله ، وخدامه وأمواله وأنظاره وأعماله ، وكافة شؤنه وأحواله ، وأحق ما نصل بالسلام وأولى ، على المقام الجليل مقام الخليفـــة المولى ، وأزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه ، وارساله ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أصحابه وآله ، صلاة وسلاما دائمين أبدا موصولين بدوام الابد واتصاله ، ضامنين لمجددهما ومرددهما صـــلاح فساد أعماله ، وبلوغ غاية آماله ، وذلك بمشيئة الله تعالى واذنه وفضله وافضاله». انتهت الرسالة وما كادت .

ووصل السلطان ابن الاحمر المخلوع بعد نزوله بمليلية الى مدينة فاس باهله وأولاده معتذرا عما أسلفه ، متلهفا على ما خلفه ، وبنى بفاس بعـــض قصور على طريق بنيان الاندلس ، وتوفى بها سنة أربعين وتسعمائة ودفـــن بازاء المصلى خارج باب الشريعة وخلف ذرية من بعده . قال فى «نشر المثانى»: «انقرضوا ولم يبق منهم أحد» . وزعم منويل أنه هلك فى وقعة أبى عقبة فـــى حرب الوطاسيين مع السعديين ، قال : « ولم يحسن هذا الرجل أن يدفع عن ملكه فدفع عن ملك غيره »

استيلاء البرتقال على ساحل البريجه وبناؤهم مدينة الجديدة

صانها الله سبحانه وتعالى بمنه

قال مؤلفه عفا الله عنه : قد وقفت لبعض البرتقاليين واسمه لويز مارية على تأليف فى أخبار الجديدة من لدن بنوها الى أن انتزعها المسلمون منهم فاقتطفت منه ما أثبته فى هذه الترجمة . قال هذا المؤلف : لما كانت سنة ألف وخمسمائة واثنتين مسيحية قلت : ويوافقها من تاريخ الهجرة سنة سبع وتسعمائة تقريبا بعث سلطان البرتقال ، واسمه منويل ، من دار ملكه اشبونة عمارة فى البحر للاستيلاء على بعض ثغور المغرب فالجأهم هيجان البحر وموجه الى ساحل البريجة فيما بين آزمور وتيط ، وكانت البريجة على ما يفهم من كلامه بناء متخذا هنالك للحراسة ونحوها كان يسمى برج الشيخ ولا زال مسمى بهذا الاسم الى الآن ، فأرسى البرتقاليون على الساحل المذكور ونزلت طائفة منهم الى البر فتطوفوا بالبريجة وما حولها وأعجبهم المكان فعزموا على المقام به ، واتفق رأيهم أن يتركوا جماعة هنالك يحفظون المحل ويرجع باقيهم الى ملكهم ليستأذنوه فيما عزموا عليه، فتركوا اثنى عشر رجلا بالبريجة بعد أن حصنوها وشحنوها بما يحتاجون اليه من عدة وقوت ونحوهما، ورجع الباقون الى الملك فاخبروه بشأنهم ، فأذن لهم وبعث معهم جماعة من البنائين والعملة ليبنوا لهم ما يتحصنون به ، فقدموا على اخوانهم وشرعوا فى ادارة السور على قطعة من الارض ، فنذر بهم أهل تلك البلاد من المسلمين وتسابقوا اليهم على الصعب والذلول ففر النصارى الى البريجة وتحصنوا بها وأفسد المسلمون كل ما كانوا عملوه فى تلك الايام وأحجروهم بحصنهم ، ووضعوا عليهم الرصد الى أن فتر عزمهم وأيسوا من نجاح سعيهم ، فعاد جلهم أو كلهم الى أشبونة وأعادوا الكلام على ملكهم منويل فى شأن البريجة ووصفوا له حسن البقعة وصحة هوائها ومنزلتها من البحر ، ومن قبائل أهل المغرب من أهل تامسنا ودكالة وغيرهم ، وأنها عسى أن تكون سلما للاستيلاء على غيرها

من بلاد المغرب، لا سيما ودولة المسلمين به يومئذ قد تلا شت وملكهم قد ضعف، فوقر ذلك فى نفس الملك واستأنف العزم ، وبعث معهم حصة من العسكر تحصل بها الكفاية وتتأتى بها المدافعة والممانعة مع جماعة وافرة من البنائين والمهندسين ، وحملهم ما يحتاجون اليه من آلة وغيرها ، فانتهوا الى الموضع المذكور بعد سبع سنين من مقدمهم الاول ، وتحينوا غفلة أهل البلاد وشرعوا فى بناء حصن مربع على كل ربع منه برج وثيق ، ودأبوا فى العمل ليلا ونهارا فلم تمض مدة يسيرة حتى فرغوا منه وامتنعوا على المسلمين به . وكان انشاؤهم لهذا الحصن على البريجة القديمة بان جعلوها أحد أرباعه وأضافوا اليها ثلاثة أرباع أخر ، وأداروا السور على الجميع ، واتخذوا فى داخل هذا الحصن ماجلا عظيما لخزن الماء ، وهو النطفية فى لسان الجيل ، بنوه مربعا بتربيع الحصن ، مساحة كل ربع منه مائة وثلاثون شبرا وجوانبه وقبوه من حجر النصف العجيب النحت المحكم الوضع والالتئام ، محمولا ذلك القبو على ستة أقواس فى كل ربع . قال هذا المؤلف : وامتلاء نحو بلكاظة من هذا الماجن يسع عشرين بوطة من الماء ، ثم شيدوا على أحد أرباع هذا الحصن طريا عظيما مرتفعا جدا ، ليس صادق التربيع ولا الاستدارة غير مهندس الشكل ، ثم بنوا فى أعلاه على أحد جوانبه بناء آخر لطيفا مستديرا صاعدا فى الجويرقى اليه على مدارج لطيفة ، وجعلوا فى أعلاه صاريا خارجا من جوفه ، وناقوسا للحراسة يشرف الحارس منه على نحو خمسة وعشرين ميلا من سائر جهاته. وجميع هذه البناآت التى ذكرها المؤلف من الحصن وما معه لا زالت قائمة العين والاثر الى الان الا الطرى فانه قد اتخذ فى هذه الايام التى هى سنة سبع وتسعين ومائتين وألف منارا للمسجد الجامع ، وذلك أن عامل الجديدة فى هذا العصر، وهو الرئيس الفاضل أبو عبد الله محمد بن ادريس الجرارى حفظه الله ، استأذن الخليفة ، وهو السلطان الاعظم المولى الشريف أبو على الحسن بن محمد العلوى نصره الله ، فى جعله منارا لكون المنار القديم قصيرا لا يسمع الناس الاذان ، فأذن أعزه الله فى ذلك ، وهذا العامل اليوم جاد فى اصلاحه والزيادة فيه وقد أشرف على التمام ، وكذلك

استاذن هذا العامل حضرة السلطان المذكور فى ادارة جدار من داخل سور المدينة يكون سترة على منازل أهلها وبيوتهم ، لان السور المذكور كان مرتفعا على البلد بحيث يكون الصاعد عليه متكشفا على البيوت ، واستأذنه فى اصلاح القبة المشرفة على البحر المعروفة بقبة الخياطين ، وكانت قد تلاشت ، وباتخاذ سجن متسع محكم عن يمين الداخل من باب المدينة المذكورة لانه لم يكن بها سجن معتبر ، فاجابه الخليفة المذكور الى ذلك كله أدام الله علاه . وقد تم جل ذلك وعادت القبة الى أحسن حالاتها التى كانت عليها أيام البرتقال والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

ولنرجع الى موضوعنا الذى كنا فيه فنقول : ثم شرع نصارى البرتقال بعد الفراغ من الحصن المذكور فى ادارة سور المدينة على أوثق وجه وأحكمه وذلك انهم عمدوا الى بقعة مربعة من الارض مساحة كل ربع منها ثلاثمائة وخمس وسبعون خطوة ، وجعلوا مركزها الحصن المذكور ثم أداروا بهـــا سورين عاديين ثخن الخارج منهما نحو خمسة عشر شبرا ، والداخل على نحو الثلثين منه ، وبينهما فضاء مردوم بالتراب والحجارة الصغيرة ، فصار السوران بذلك سورا واحدا سعته خمسون شبرا ، وهذا فى غير الربع الموالى للبحر ، أما هو فليس فيه ردم وانما هو سور واحد مصمت أضيق مما عداه يسيرا وارتفاع هذه الاسوار من داخل البلد نحو ستين شبرا ومن خارجه نحو السبعين. ثم أداروا خارج السور خندقا فسيحا وجعلوا عمقه أربعة عشر شبرا بحيث بلغوا بـه الماء واذا فاض البحر ملأ ما بين جوانبه . واتخذوا للمدينة ثلاثة أبواب أحدها للبحر وهو باب المرسى ، وقد سد بالبناء فى هذه السنين، واثنان للبر وجعلوا أمامهما قنطرتين بالعمل الهندسى بحيث ترفعان وتوضعان وقت الحاجة الى ذلك ، فصارت المدينة بهذا كله فى غاية المناعة .

وكان بنو وطاس فى هذه المدة أشغل من ذات النحيين مع برتقال سبتة وطنجة وسائر بلاد الهبط ، فلذا تأتى لهؤلاء النصارى أن يفعلوا ما فعلوه فى هذه المدة اليسيرة ، وجعلوا داخل المدينة خمس حارات وسموا كل حارة باسم كبير من قدمائهم على عادتهم فى ذلك ، واتخذوا بها أربع كنائس ،

واتخذوا المخازن والاهراء للاختزان وسائر المرافق ومن جملتها هرى كان يسع ستمائة فنيكة من الحب وأوطنوها باهلهم وعيالهم ، وكان فيها جماعة من أشرافهم وذوى بيوتاتهم من أهل أشبونة وغيرها ، وكانوا يعدون فيها أربعة آلاف نفس ما بين المقاتلة والعيال والذرية ، وكانوا يأملون الاستيلاء منها على مراكش فخيب الله رجاءهم، ثم ذكر هذا المؤلف ما كان يقع بين المسلمين ونصارى الجديدة من الحروب والغارات مما لعلنا نشير الى بعضه فى محله ان شاء الله .

استيلاء البرتقال على سواحل السوس وبناؤهم حصن فونتى قرب اكادير وما قيل فى ذلك

ذكر بعض المؤرخين من الفرنج أن استيلاء البرتقال على آكادير كان فى مدة ملكهم منويل المذكور آنفا وان ذلك كان على حين غفلة من أهل تلك البلاد .

قال منويل : « لما علم طاغية البرتقال منويل أن مرسى آكادير جيدة لمناعتها وكثرة تجارتها بسبب مجاورتها لقبائل السوس أراد الاستيلاء عليها وكان يظن أن ذلك لا يتأتى له لحصانتها وكثرة القبائل المجاورين لها ، ثم خاطر وبعث اليها جيشا فاستولوا عليها على حين غفلة من أهلها وحصنوها وبنوا بها دورا وبرجا جيدا وأخذوا فى التجارة بها مع أهل السوس، وكثرت أرباحهم . ثم لما ضعفت شوكتهم خرجوا عنها وعن آسفى وآزمور » .قلت: مراده بآكادير حصن فونتى القريب منه ، والا فآكادير انما بنى بعد هذا التاريخ بكثير كما سيأتى . ثم مقتضى ما ذكره أن يكون زمان استيلائهم عليه موافقا أو قريبا لزمان استيلائهم على البريجة ، ومقتضى ما نقله فى « النزهة » عن ابن القاضى أن يكون استيلاؤهم عليه فى حدود سنة خمس وسبعين وثمانمائة فانه لما وصف حال السلطان محمد الشيخ السعدى الآتى ذكره ان شاء الله

قال : « وكان له بخت عظيم فى الجهاد فتح حصن النصارى بسوس بعد أن أقاموا به اثنتين وسبعين سنة » اهـ . وكان فتحه اياه فى حدود سبع وأربعين وتسعمائة ، والظاهر أنهم استولوا على بعض حصون السوس فى التاريخ الاول وعلى بعضها فى الثانى ، والله أعلم .

وفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسى رحمه الله

ذكر ابن القاضى فى « الجذوة » : « أن وفاة السلطان المذكور كانت سنة عشر وتسعمائة » قال : « ومن حملة وزرائه أخوه الناصر بن أبى زكرياء » والله أعلم . وولى الامر من بعده ابنه محمد البرتقالى على ما نذكره .

الخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسى المعروف بالبرتقالى رحمه الله

لما توفى السلطان محمد الشيخ بويع ابنه محمد البرتقالى فى التاريخ المتقدم وكان نصارى سبتة وطنجة وآصيلا قد استحوذوا على بلاد الهبط وضايقوا المسلمين بها حتى الجأوهم الى قصر كتامة ، فكان هو الثغر يومئذ بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى كما مر ، وكان السلطان محمد هذا قد عنى بجهادهم وترديد الغزو اليهم والاجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها ، فكان ذلك سببا لظهور الدولة السعدية بها سنة خمس عشرة وتسعمائة على ما نذكره ان شاء الله .

استيلاء البرتقال على ثغر آسفى حرسه الله

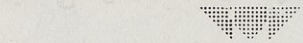

قال منويل : « كان البرتقال قد تشوفوا للاستيلاء على آسفى ، وكان أهلها فيهم شجاعة أكثر من غيرهم من أهل الثغور ، فزحفوا اليها وجرى بينهم وبين أهلها قتال شديد هلك فيه عدد كبير من البرتقال ، وعظم عليهم أن تمتنع منهم بلدة صغيرة ليس لها حامية سوى أهلها، ثم طاولوها بالحصار حتى قل القوت عند أهل آسفى وأشرفوا على الهلاك ، فحينئذ شارطوا البرتقال وأسلموها اليهم على الامان . فاستولوا عليها وحصنوها غاية لتوقعهم كرة المسلمين عليهم ، فكان كذلك فانهم زحفوا اليهم بعد ثلاث سنين من أخذها ووقع بينهم وبين البرتقال حرب شديدة ، كانت صفوف المسلمين تترادف فيها كأمواج البحر ، وقتل قواد عسكر البرتقال وكبارهم، ثم قدمت عليهم شكوا دره من مادرة بالعسكر والزاد فقويت نفوس البرتقال وارتحل المسلمون عنها بعد أن أشرفوا على الفتح ، وتبعهم البرتقال لينتهزوا فيهم الفرصة فكر المسلمون عليهم واستلبوهم . وهذا أول حصار كان على آسفى .

ثم بعد سنين قلائل زحف المسلمون اليها أيضا ومعهم عدد من المدافع ، وقاتلوا قتالا صعبا وزحفوا الى السور فهدموا منه ثلمة كبيرة واشتد القتال عليها بما خرج عن العادة ، ثم رحل المسلمون من غير فتح وأعرضوا عنها مدة لم يحدثوا أنفسهم بالقتال ، وعمرت آسفى بالنصارى وانتقل اليها التجار وبنوا بها الدور ، وكانوا يسقون منها الحب ويحملونه فى السفن الى بلادهم ، ولعل ذلك لهدنة كانت لهم مع المسلمين .

ثم عادت للمسلمين بعد نحو ثلاث وعشرين سنة وقال الشيخ أبو عبد الله محمد العربى الفاسى فى «مرآة المحاسن» ما نصه : «قرأت بخط شيخنا أبى عبد الله القصار أن صاحب آسفى أخرج الشيخ أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولى منها فدعا عليهم، فسئل منه العفو، فقال : «أربعين سنة» فأخذها النصارى بعدها » اه . وهذا يقتضى ان استيلاءهم عليها كان فى حدود عشر وتسعمائة ،

لان وفاة الشيخ الجزولى رحمه الله كانت فى سنة سبعين وثمانمائة كما مر . وعند الفرنج ما يقتضى أن استيلاءهم عليها كان بعد ذلك بسنتين أو ثلاث . والله أعلم .

زحف السلطان ابى عبد الله البرتقالى الى آصيلا

قال منويل : « لما أفضى الامر الى السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسى أراد أن يأخذ بثاره من البرتقال الذين أسروه لسبع سنين ، فزحف الى آصيلا فى حدود أربع عشرة وتسعمائة وحاصرها وطال قتاله عليها ثم اقتحمها المسلمون عليهم اقتحاما واقتتلوا فى وسط الازقة والاسواق يومين ثم جاء المدد الى البرتقال من طنجة وجبل طارق فقويت نفوسهم وخرج المسلمون عنهم ، لكن ما خرجوا حتى هدموها وأحرقوها ولم يتركوا لهم بها الا الخربات ، ثم جد البرتقال فى اصلاحها وأقاموا بها برهة من الدهر الى أن رجعت للمسلمين » .

استيلاء البرتقال على ثغر آزمور حرسه الله

قال منويل : « بعث طاغية البرتقال أربع عشرة وتسعمائة الى ثغر آزمور شكوادره فيها ألفان من العسكر وأربعمائة خيالة ، فدافعهم زيان الوطاسى ابن عم السلطان ، ونشبت مراكب البرتقال فى الساحل ، وتكسر جلها وعاث فيها المسلمون ، ورجع الباقى مفلولا . ثم بعد أربع سنين بعث اليها الطاغية منويل شكوادره فيها عشرون ألفا من العسكر وألفان وسبعمائة خيالة فانتهوا الى آزمور وحاصروها بحرا ، وزحفوا اليها من الجديدة برا ، ووقع حرب شديدة بينهم وبين أهل آزمور وأهل البادية . ثم انهزم المسلمون وخرجوا

من باب تركه لهم البرتقال قصدا » قال : « لانه يقال فى المثل : الفار منك فى الحرب اجعل له قنطرة من فضة يعبر عليها » .

وقال فى «النزهة» : «كان نزول النصارى بآزمور سنة أربع عشرة وتسعمائة » قال : « وفى هذه السنة بنى النصارى حجر باديس . وفى أواخر المحرم منها أخذ النصارى ـ يعنى الاصبنيول ـ مدينة وهران ونكبوا أهلها ، فما منهم الا أسير أو قتيل الى أن أعادها الله للاسلام على يد الاتراك فى حدود العشرين ومائة وألف » اه .

قلت : أهل آزمور يزعمون أن استيلاء البرتقال على مدينتهم كان متكررا وسيأتى ما يفهم منه ذلك والله أعلم .

ومن أخبار السلطان أبى عبد الله ما وقفت عليه فى تاريخ البرتقاليين من أن السلطان المذكور كتب لطاغيتهم منويل يطلب منه أن يتقدم بالوصاة لاصحاب قراصينه البحرية أن لا يتعرضوا لمركبين له كان قد عزم على بعثهما الى الجزائر ثم منها الى تونس . وكان الطاغية لم يجبه أو أبطأ بالجواب ، فكرر اليه الكتاب ثانيا فى القضية المذكورة ، وسرد هذا المؤرخ نص الكتابين معا مترجمين بلغته، وذكر أن تاريخ الاول منهما الثالث والعشرون من جمدى سنة عشرين وتسعمائة ، وتاريخ الثانى الثامن والعشرون من ذى القعدة من السنة . اه .

استيلاء البرتقال على ثغر المعمورة حرسه الله

قال فى «نشر المثانى» : «ان الذى اختط حصن المعمورة هو المهدى الشيعى على يد بعض عماله ، وزعم بعض الفرنج أن المعمورة من بناء يعقوب المنصور الموحدى » قال : « ولما كان زمن منويل البرتقالى بلغه أن مينا المعمورة جيدة، وبلادها نفاعة ، فبعث اليها طائفة من جنده ، فوصلوا الى ساحلها ونزلوا فى البر المقابل لها وبنوا هنالك برجا لحصارها ، ثم أردفهم ملكهم المذكور

بعمارة تشتمل على مائتى مركب مشحونة بثمانية آلاف من المقاتلة » قال : « وكان خروج هذه العمارة من مدينة اشبونة فى اليوم الثالث عشر من يونيه العجمى سنة ألف وخمسمائة وخمس عشرة مسيحية ، قلت : يوافقها من تاريخ الهجرة تقريبا سنة احدى وعشرين وتسعمائة ، فوافت مينا المعمورة فى الثالث والعشرين من يونيه المذكور وحاصروها وألحوا عليها بالقتال أياما وبلغ الخبر بذلك الى السلطان أبى عبد الله البرتقالى فبعث أخاه الناصر صريخا فى جيش كثيف ، فوصل سادس اغشت من السنة المذكورة ، وقاتل البرتقال قتالا شديدا وهزمهم هزيمة قبيحة ، ثم كانت لهم الكرة على المسلمين فهزموهم واستولوا على المعمورة وثبت قدمهم بها وحصنوها بالسور الموجود بها الان واستمروا بها نحو خمس سنين ثم استرجعها المسلمون منهم فى دولة السلطان المذكور والله تعالى أعلم، وفى السنة التى استولوا على المعمورة رجعوا الى موضع مدينة آنفى فشرعوا فى بنائها ، ومن يومئذ سميت الدار البيضاء ، وبقوا بها مدة طويلة الى زمن السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل على ما زعم منويل .

اخبار السلطان ابى عبد الله البرتقالى مع الشيخ ابى محمد الغزوانى رضى الله عنه

أصل الشيخ أبى محمد عبد الله الغزوانى دفين حومة القصور من مراكش من غزوان ، قبيلة من عرب تامسنا ، وكان فى ابتداء أمره يقرأ العلم بمدرسة الوادى من عدوة الاندلس بفاس ، فحصلت له ارادة فسافر الى مراكش ولازم الشيخ التباع وتخرج به . ثم انتقل الى بلاد الهبط فنزل بها على قبيلة يقال لهم بنو فزنكار ، واجتمع عليه الناس واشتهر أمره ، وعظم صيته ، فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله وكان يومئذ ببلاد الهبط قد خرج اليها بقصد الغارة على نصارى آصيلا ، وكان معه فى هذه الحركة الشيخ أبو عبد

الله محمد بن غازى ـ الامام المشهور ـ ، فتوهم السلطان المذكور من أمر الشيخ الغزوانى وخشى على الدولة عاقبة أمره ، وأغراه به مع ذلك الفقيه ابن عبد الكبير البادسى السفيانى الاصل . وكان هذا الفقيه يصحب الولاة والعمال ويخرج فى بعوثهم قاضيا ، فكثرت سعايته بالشيخ حتى وقر ذلك فى نفس السلطان فبعث اليه فحضر وأمر بالقبض عليه بالموضع المعروف بتاجناوت ، وجعله فى سلسلة وبعث به الى فاس ، وتقدم فى شأنه الى ابن شقرون صاحب شرطته بقصبة فاس القديم ، وكان الشيخ ابن غازى قد مرض فى هذه الغزوة وأمر السلطان بحمله الى منزله من فاس ، فلما وصل الى قرب عقبة المساجين اشتد به الحال وأمر أصحابه أن يريحوا به هنالك ، فبينما هو كذلك اذ مر به الشيخ الغزوانى فى سلسلته فسأل الموكلين به أن يعوجوا به على الشيخ ابن غازى كى يعوده ويؤدى حقه ، فلما وقف عليه طلب ابن غازى منه الدعاء فدعا له بخير وانصرف ، فلما غاب عنه قال ابن غازى لاصحابه : « احفظوا وصيتى فانى راحل عنكم الى الله تعالى بلا شك » قالوا له ياسيدى : « ما عندك باس » فقال : « ان الله وعدنى أن لايقبض روحى حتى يرينى وليا من أوليائه ، وقد أرانيه الساعة فدلنى ذلك على انقضاء الاجل » فحملوه من حينه الى منزله فكان آخر العهد به. هكذا ساق هذا الخبر صاحب « الدوحة » فى ترجمتى الشيخين المذكورين .

وكانت وفاة ابن غازى أواخر جمدى الاولى سنة تسع عشرة وتسعمائة وقال صاحب «المرآة» عن بعض شيوخه بعد أن ذكر سعاية ابن عبد الكبير بالشيخ الغزوانى ما نصه : «فتحرك الشيخ الغزوانى لزيارة ضريح الشيخ أبى سلهام فعرض له العروسى قائد القصر الكبير وناوله كتاب السلطان يأمره فيه بقدوم الشيخ الى فاس دار الملك اذ ذاك ، فقال له الشيخ : « طاعة السلطان واجبة » وقال للزائرين معه : « بلغت النية » فتوجه الشيخ الى فاس من ذلك المكان وكلما بات فى منزل ذهبت جماعة من الذين معه فلم يصل معه الا القليل . وكان الشيخ أبو البقاء عبد الوارث اليالصوتى اذ ذاك ساكنا بفاس ، ولم يكن صحب الشيخ قبل ذلك ، فلما دخل الشيخ حضرة فاس لقيه أبو البقاء المذكور فسلم

عليه ، فشد الشيخ يده على يده فلم يرسلها حتى عاهده على الرجوع ، فلما انفصل عنه اشترى خبزا وعنبا وحمل ذلك الى الشيخ وأصحابه فوجدهم عند القاضى أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله اليفرنى المكناسى ، وهو مؤلف « المجالس المكناسية » ، فوجدهم فى المسجد القريب من دار القاضى المذكور بدرب السعود ، فناولهم ما معه ووجد الشيخ موكلا به وأصحابه يدخلون ويخرجون . ثم دخل القاضى على الشيخ بالمسجد فقال له : « ما هذا الذى يذكر عنك ؟ » قال أبو البقاء : «فتكلمت أنا وقلت : ان هذا الرجل قد نزل بلدا عظيمة المناكر وأخذت أعدد مناكرها ، وصار هذا السيد ينهاهم عن ذلك ، فهدى الله على يده من هدى وشنئه من أبى » فقام القاضى وركب الى دار السلطان ، ثم رجع الى منزله فبات ومن الغد ركب الى دار السلطان أيضا ومعه الشيخ الغزوانى، فلما اطمأن بهم مجلس السلطان وكان فيه صاحب تازا ، وهو أبو العباس أحمد ابن الشيخ أخو السلطان المذكور ، سكت الجميع وتكلم كاتب السلطان وامام صلاته. قال صاحب «المرآة»: «ولم يسم لنا». فقال للشيخ : « ما هذا الذى يذكر عنك ؟ » فقال له الشيخ : أنت لا تتكلم حتى تغتسل من جنابتك فاستشاط الكاتب غضبا ، فقال له أخو السلطان : « هؤلاء القوم يعنون الجنابة غير ما تعنيه العامة » ـ يشير الى ما فى الحكم ـ فقال له السلطان: «من أين تعرف هذا؟» فقال له: «من سيدى محمد بن عبد الرحيم بن يحيش»ففرح السلطان بمعرفة أخيه ذلك وقال للشيخ: «نحن نريد قربك وأن تكون معنا فى هذه المدينة » فقال له : « على بركة الله » فانتقل الى فاس القديم وبنى خارج باب القليعة داخل باب الفتوح وأقام هنالك ما شاء الله ،قيل سبع سنين الى أن كانت سنة تعذر فيها المطر وأخذ الناس فى استخراج **السواقى** للحرث فاخرج الشيخ من وادى اللبن ساقية لم يكن فى سواقى السلطان وغيره مثلها ، فبعث اليه أخوه السلطان، وهو الناصر. الملقب بالكديد بالكاف المعقودة والدال المشددة على لغة العامة ، وقال له : « نحن أحق بتلك الساقية » فقال له الشيخ : « خذها » وأخذ فى الرحيل الى مراكش ولما توجه تلقاءها أخذ خنيفه فى يده وجعل يشير به من جهة فاس الى جهة مراكش ويقول :

«أيا ياسلطنة الى مراكش» ، قال صاحب المرآة : « هذا حديث شيخنا أبى عبد الله النيجى » قال «وآخنيف معروف وهو نوع من البرانس السود ومعنى أيا بلغةعامة المغرب : سيرى معى » : وموضع بنى فزنكار أظنه تاصروت فان بها رسما منسوبا اليه الى الآن ، وانه منزله الذى كان يأوى اليه ، وما زالت آثاره هنالك ، والدار التى بنى بباب القليعة هى المتصيرة الى تليمذه الشيخ أبى عبد الله محمد بن على الهروى المعروف بالطالب ، ولعل سنة اخراج السواقى هى سنة ست وعشرين وتسعمائة ، فانه قد تعذر فيها المطر وحدث الغلاء الكبير المؤرخ بسنة سبع وعشرين وتسعمائة ، وكأنه أشار الى انتقال السلطنة عن بنى وطاس ملوك فاس الى الشرفاء السعديين ملوك مراكش يومئذ والله أعلم .

نهوض السلطان ابى عبد الله البرتقالى الى مراكش ومحاصرته ابا العباس الاعرج السعدى بها

قد تقدم لنا أن ظهور الدولة السعدية ببلاد السوس كان فى سنة خمس عشرة وتسعمائة ، وما زال أمرهم فى الزيادة الى أن كانت دولة أبى العباس الاعرج منهم ، فاستفحل أمره وبعد صيته ، وفتك بنصارى السوس فكاتبه أمراء هنتاتة أصحاب مراكش ودخلوا فى طاعته ، فانتقل اليها وملكها فى حدود الثلاثين وتسعمائة . ولما اتصل خبره بالسلطان أبى عبد الله وهو يومئذ بفاس قامت قيامته ، وأقبل فى جموع عديدة ومعه وزيره ابن عمه المسعود بن الناصر كذا فى «النزهة» . والذى عند غيره: أن الوزير الذى جاء معه هو الناصر أخو السلطان المذكور . ولما رأى أبو العباس السعدى مالا قبل له به تحصن بمراكش وشحن أسوارها بالرماة، فتقدم السلطان أبوعبد الله ونصب الانفاض على مراكش ودام الحصار عليها أياما، فيحكى أنه قيل للشيخ أبى محمد الغزوانى وكان قد استوطن مراكش يومئذ : ان أهل مراكش سئموا الحصار ، فركب

الشيخ فى جماعة من أصحابه وخرج من باب فاس المعروف اليوم بباب الخميس ، فوجد رماة السلطان أبى عبد الله يرمون من علا الاسوار من أهل البلد ، فوقف الشيخ ينظر فجاءت رصاصة ضربت صدره وخرقت الجبة التى عليه و التصقت بلحمه كأنها وقعت فى صخرة صماء ، فقبض عليها بيده وقال : «هذه خاتمة حربهم » ثم رجع الى منزله فوردت الانباء على السلطان أبى عبد الله فى تلك الليلة بان بنى عمه قد قاموا عليه بفاس ونبذوا دعوته ، فأصبح من الغد راحلا الى فاس ، وظهر مصداق ما قال الشيخ الغزوانى ، ولم يعد لبنى وطاس وصول بعدها الى مراكش ولا الى أعمالها ، والله تعالى أعلم .

ذكر وزراء السلطان أبي عبد الله وما قيل فيهم

كان من جملة وزرائه: ابن عمه المسعود بن الناصر ، وهو الذى زحف معه الى مراكش على ما فى « النزهة » ، وكان من جملة وزرائه القائمين بامره: أخوه الناصر بن محمد الشيخ ، المعروف عند عامة فاس بابى علاقة وبالكديد على ما مر . قال فى «الجذوة»: «لقب بذلك لكثرة سفكه الدماء واقدامه عليه ، فكان يقتل الناس ويجزرهم كثيرا ، وكذا بمكناسة أيام وزارته بها ، كذا حدث غير واحد ممن أدركه ورآه وتوفى الوزير المذكور سنة ثلاثين وتسعمائة » .

وفاة السلطان ابى عبد الله رحمه الله

كانت وفاة السلطان أبى عبد الله البرتقالى سنة احدى وثلاثين وتسعمائة على ما فى «الجذوة» . ويؤخذ من «النزهة» أنها كانت سنة اثنتين وثلاثين بعدها والله أعلم . وولى الامر من بعده أخوه أبو حسون بولاية عهده اليه .

الخبر عن الدولة الاولى للسلطان ابى حسون بن محمد الشيخ الوطاسى

هو أبو الحسن على بن محمد الشيخ ابن أبى زكرياء يحيى بن زيان الوطاسى، ويعرف بابى حسون البادسى. قال فى «النزهة» : «بويع بفاس سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ثم قبض عليه ولد أخيه أبو العباس أحمد بن محمد البرتقالى وخلعه وأشهد عليه بالخلع آخر ذى الحجة من السنة المذكورة انتهى

الخبر عن دولة السلطان ابى العباس احمد بن محمد الوطاسى رحمه الله تعالى

هو أبو العباس أحمد بن أبى عبد الله محمد البرتقالى ابن أبى عبد الله محمد الشيخ ابن أبى زكرياء يحيى بن زيان الوطاسى ، بويع يوم خلع عمه أبى حسون آخر ذى الحجة متم سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ، قال ابن القاضى : « وقد رأيت البيعة التى كتبت له بخط الامام أبى محمد عبد الواحد بن أحمد الوانشريسى من انشائه وعليها خطوط جماعة من فقهاء فاس كأبى العباس الحباك ، والفقيه أبى العباس أحمد الماواسى وغيرهما » اه .

قال أبو عبد الله اليفرنى فى «النزهة» : «وانظر ما وجه كتب البيعة لاحمد مع أن خلع أبى حسون لم يكن لموجب، والوانشريسى من أهل الورع وقال: ولعله لامر لم يظهر لنا والله أعلم» اه. وقال ابن عسكر فى «الدوحة» : «لما توفى السلطان أبو عبد الله البرتقالى ودالت الدولة لولده السلطان أبى العباس أحمد وغص بالشرفاء القائمين عليه ببلاد السوس وزوحم بهم ، عقد الهدنة مع النصارى المجاورين له ببلاد الهبط ، وصاحبهم سلطان البرتقال ، فبلغ ذلك الشيخ أبا عبد الله محمد بن يحيى البهلولى ، وكان له رغبة فى الجهاد وممن له وصلة بالسلطان أبى عبد الله ، فكان اذا جاءه زائرا حضه على الغزو

فيساعده على ما أراد من ذلك . فلما بلغ الشيخ المذكور ما عقده السلطان أبو العباس من الصلح آلى على نفسه أن لا يلقى السلطان المذكور ، ولا يمشى اليه ولا يقبل منه ما كان عينه له والده من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وقوت عياله، فمكث على ذلك الى أن حضرته الوفاة ، وكان فى النزع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم . « ياسيدى أخبرك أن السلطان أمر بالغزو وأمر بالنداء به ، وحض الناس عليه ، والمسلمون فى شره لذلك وفرح » ففتح الشيخ عينيه وتهلل وجهه فرحا وحمد الله وأثنى عليه ، ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك » . اهـ

وقعة آنماي بين الوطاسيين والسعديين

قد تقدم انا فى خبر السلطان أبى عبد الله أنه لما حاصر مراكش وأصابت الرصاصة الشيخ الغزوانى قال: « هذه خاتمة حربهم » ولم يعد لبنى وطاس وصول الى مراكش ولا الى أحوازها . قال فى «النزهة» : فكان أبو العباس الاعرج يتلاقى مع أبى العباس الوطاسى بتادلا وأحوازها» قال : «وكانت بينهما معركة بموضع يقال له آنماى وذلك فى ذى القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة فافترقا على اصطلاح » اهـ . وآنماى موضع قرب مراكش به زاوية الشيخ أبى العزم رحال الكوش .

عقد الصلح بين السلطانين ابي العباس الوطاسى و ابي العباس السعدى رحمهما الله تعالى

لما رأى أهل المغرب ما وقع بين السلطان أبى العباس أحمد الوطاسى صاحب فاس ، وأبى العباس أحمد السعدى المعروف بالاعرج صاحب مراكش من التقاتل على الملك والتهالك عليه ، وفناء الخلق بينهم ، دخلوا فى الصلح بينهم والتراضى على قسمة البلاد ، وحضر لذلك جماعة من العلماء والصلحاء منهم أبو حفص عمر الخطاب دفين جبل زرهون ،وأبو الرواين المحجوب دفين مكناسة الزيتون ، وكان صاحب حال وجذب ، فجعل الناس يوصونه بالسكوت مخافة أن يفسد عليهم أمرهم ، فلما دخلوا على أبى العباس الاعرج وأخيه وزيره محمد الشيخ وتكلموا فيما جاءوا لاجله ، وجدوا فيهما شدة وغلظة وامتناعا من مساعدتهم على ما أرادوا ، فحلف أبو حفص الخطاب لا دخلوها ـ يعنى فاسا ـ ما دمت على وجه الارض . فما دخلوها حتى مات بعد مدة . فكان بعضهم يقول لو كان بنو وطاس يعرفون شيئا ما دفنوا أبا حفص الخطاب ـ يعنى لتركوه فى تابوت على وجه الارض ـ لانه حلف لا دخلوها ما دام على وجه الارض ، حكاه صاحب « ممتع الاسماع» . وذكر فى شرح «زهرة الشماريخ» : أن الصلح انبرم بين الطائفتين ، على أن للاشراف من تادلا الى السوس ، ولبنى وطاس من تادلا الى المغرب الاوسط ، وان ممن حضر الصلح المذكور قاضى الجماعة بفاس أبا الحسن على بن هرون المطغرى ـ بالطاء المهملة ـ مطغرة تلمسان ، والامام الشهير أبا مالك عبد الواحد بن أحمد الوانشريسى وغيرهما من مشايخ فاس. ويذكر أنه لما تواطأت كلمة الحاضرين على الصلح وعقدوا شروطه ، وهدأت الاصوات ، وسكن اللجاج ، أتى بدواة وقرطاس ليكتب الصلح ، فما وضعت الدواة بين يدى أحد الفقهاء الحاضرين الا وجم وانقبض ودفعها عن نفسه ، استحياء فى ذلك المحفل أن يكتب ما لا يناسب الجهتين ، فقام قاضى الجماعة المذكور وأخذ الدواة وأساودها ووضعها

بين يدى أبى مالك المذكور ، فأنشأ أبو مالك فى الحين خطبة بليغة ونسج الصلح على منوال عجيب ، واخترع اسلوبا غريبا تحير فيه الحاضرون وعجبوا من ثبات جأشه ، وجموم قريحته فى مثل ذلك المشهد العظيم الذى تخرس فيه ألسن الفصحاء هيبة واكبارا ، فقام قاضى الجماعة وقبله بين عينيه وقال : « جزاك الله عن المسلمين خيرا » ، «وما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر » وكان ذلك كله فى حدود أربعين وتسعمائة » اه .

غزوة الحمر قرب آصيلا حرسها الله

ذكر صاحب « الدوحة » فى ترجمة الشيخ أبى الحسن على بن عثمان الشاوى رحمه الله ، انه استشهد فى وقعة الحمر التى كانت فى حدود أربعين وتسعمائة بين النصارى والقائد عبد الواحد بن طلحة العروسى على مقربة من آصيلا . قال : «حدثنى غير واحد ممن يوثق به ممن حضر الوقعة وبعضهم يصدق بعضا قالوا : لما انهزم الناس استقبل الشيخ أبو الحسن النصارى وسيفه فى يده وهو يتلو بردة البوصيرى ، فكان ذلك آخر العهد به ، ولما رجع الناس من الغد ليحملوا قتلاهم لم يوقف له على عين ولا أثر ، وانما وجد غنباز من لباسه عند النصارى وفيه أثر طعنة فى صدره » اه . كلام الدوحة .

وفى «المرآة»: «أن الشيخ المذكور مات فى حياة شيخه الغزوانى شهيدا فى الجهاد سنة خمس وعشرين وتسعمائة اه . ولعله الصواب .

و العروسى المذكور هو من أمراء بنى عبد الحميد العروسيين أصحاب قصر كتامة ، وكانت لهم رياسة وسياسة وجهاد فى العدو الى أن انقرض أمرهم أعوام الخمسين وتسعمائة .

قال فى « الدوحة » : « أخبر غير واحد من فقهاء قصر كتامة أن الشيخ أبا الرواين جاء الى القصر ، وصاحبه يومئذ القائد عبد الواحد العروسى ، فى عصبة من أقاربه أولاد عبد الحميد ، فصعد أبو الرواين صومعة المسجد ثم

نادى بأعلى صوته.« يابنى عبد الحميد اشتروا منى القصر والا خرجتم منه فى هذه السنة » ، فسمع القائد عبد الواحد ذلك فقال : « ان كان القصر له أو بيده فلينزعه منا ، ما بقى لنا الا كلام الحمقى نلتفت اليه » ومن الغد خرج الشيخ أبو الرواين من البلد وهو يقول: « القائد عبد الواحد وأهله يخرجون من القصر ولا يعودون اليه أبدا . فكان كذلك بقدرة الله تعالى .

وقعة ابى عقبة بوادى العبيد وما كان فيها بين الوطاسيين والسعديين من القتال الشديد

هذه الوقعة من أعظم الوقعات التى كانت تكون بين الوطاسيين والسعديين وما زالت العامة تتحدث بها فى أنديتها الى الان ، ويبالغون فى وصفها والاخبار عنها ، وقد ذكرها شعراؤهم فى أزجالهم الملحونة ، وهى محفوظة فيما بينهم ، وذلك انه لما طمى عباب السعديين على بلاد الحوز وكادوا يلجون على الوطاسيين دار ملكهم من فاس ، نهض اليهم السلطان أبو العباس الوطاسى أواخر سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة يجر الشوك والمدر فى جمع كثيف من الجند وقبائل العرب فى حللها وظعنها ، وجاء أبو العباس السعدى فى قبائل الحوز بحللها وظعنها كذلك فكان اللقاء بمشرع أبى عقبة ، أحد مشارع وادى العبيد من تادلا فنشبت الحرب ، وتقاتل الناس ، وبرز أهل الحفائظ منهم والترات ، وقاتل الناس على حرمهم وأحسابهم وعزهم ، فافنى بعضهم بعضا الا قليلا ، ودامت الحرب أياما على ماقيل الى أن كانت الهزيمة على الوطاسيين عشية يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة . قال. فى «الجذوة» : « فرجع السلطان أبو العباس الوطاسى الى فاس وبقيت محلته وقصبة تادلا بيد الشريف السعدى» قال : « وتسمى هذه السنة سنة أبى عقبة . »

وقال فى «المرآة» : « ومما اشتهر من كرامات الشيخ أبى طلحة محمد

المصباحى الشاوى الزناتى أنه لما التقى مقاتلة فاس وسلطانهم أبو العباس أحمد الوطاسى ومقاتلة مراكش وسلطانهم أبو العباس أحمد الاعرج ومعه أخـــوه المتولى بعده أبو عبد الله محمد الشيخ سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة على مشرع أبى عقبة من وادى العبيد انهزم السلطان أبو العباس الوطاسى وتفرقت جموعه وتبعته الخيل فكادوا يقبضون عليه ، فحضر هنالك رجل على فرس أنثى فجعل يحول بينه وبينهم ويقول له: «سر ياأحمد ولا تخف» ولم يزل معه الى أن رجعوا عنه وأمن الطلب ، وقد عرف السلطان صفته وتحققها ولم يزل يسأل عن صاحب تلك الصفة حتى قيل له: هذه صفة أبى طلحة المصباحى ، وتحقق ذلك ، ولما كان خروج السلطان المذكور الذى وصل فيه تطاوين وتزوج بها الحرة بنت الامير السيد أبى الحسن على بن موسى بن راشد الشريف ، وذلك فى ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وتسعمائة . وبتطاوين بنى بها وقصد أبا طلحة المذكور ونزل عليه ، فلما رآه عرفه وأيقن أنه الرجل الذى أغاثه فاكب عليه السلطان وذكر ما وقع له معه فقال الشيخ : « يا رب كيف العيش مع هذه الشهرة فاقبضنى اليك » فمات عقب ذلك من سنته قال فى «المرآة» : « سمعت هذه الحكاية من غير واحد وسألت شيخنا أبا القاسم بن أبى طلحة المذكور فقال لى: «أعقل مجىء السلطان وانا صغير جدا أقعد فى حجر أبى وعند ركبته » اهـ . قلت والامير أبو الحسن بن راشد المذكور هو الذى اختط مدينة شفشاون كما مر. وذكر «فى المرآة» : أن وفاته كانت سنة سبع عشرة وتسعمائة ، فيكون السلطان المذكور انما تزوج ابنته بعد وفاته ولعله خطبها من أخيها الامير أبى عبد الله محمد بن أبى الحسن والله أعلم.

واعلم أن ما سلكناه هنا من تقديم قضية الصلح على وقعة أبى عقبة هو ما يقتضيه التاريخ الذى صرحوا به ، وسيأتى بعد هذا ما ربما يفهم منه أن الامر بالعكس . والجواب أن قضية الصلح تكررت حسبما يؤخذ مما مر والله أعلم . وفى هذه السنة أيضا عقد السلطان أبو العباس الوطاسى مع برتقال آسفى صلحا على ثلاث سنين ، ودخل فى هذا العقد آسفى والجديدة وآزمور وكتب البرتقال بذلك الى ملكهم ووقعت المحادة فى البلاد ، وتفرغ الوطاسى لقتال السعديين.

بناء السلطان ابى العباس الوطاسى قنطرة الرصيف بفاس حرسها الله

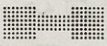

كان السلطان أبو العباس أحمد الوطاسى قد جدد بناء قنطرة الرصيف بحضرة فاس ، وذلك منتصف سنة احدى وخمسين وتسعمائة ، وفى ذلك يقول الفقيه أبومالك عبد الواحد بن أحمد الوانشريسى مشيرا الى التاريخ المذكور :

جسر الرصيف أبو العباس جدده ... فخر السلاطين من أبناء وطاس
فجاء فى غاية الاتقان مرتفقا ... لمن يمر به من عدوتى فاس
وكان تجديده فى نصف عام غنا ... من هجرة المصطفى المبعوث للناس

وقال الفقيه أبو مالك أيضا :

أيا أهل فاس سدد الله سدكم ... برأى أبى العباس حامى حمى فاس
وأحيى به أشجاركم وثماركم ... على رغم قوم منكرين من الناس
فدام ودام السعد يخدم مجده ... وفاز من الشكر الجميل باجناس

وقال الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج :

ألا سدد الله رأى الذى ... بتسديده سدسدا حصينا
وخلد فى عزه ملكه ... وأولاه فتحا ونصرا مبينا
امام الهدى أحمد المرتضى ... مبيد العدا عدة المسلمينا

وقال الامام أبو الحسن على بن هرون :

لقد سدد الله رأى العماد ... وأبطل فى السد رأى الجهول
وقرب ما رامه من بعاد ... بمولاى أحمد مدحى يطول
فطردا وعكسا لسانى ينادى ... « عقول الملوك ملوك العقول »

وقعة وادى درنة بتادلا وأسر الامير ابى زكرياء الوطاسى ومهلكه رحمه الله

ذكر فى «المرآة» عند الكلام على أبى عبد الله محمد بن يوسف الفاسى. وهو والد الشيخ أبى المحاسن رضى الله عنه ، أن أبا عبد الله المذكور كانت له وجاهة كبيرة عند أمير القصر أبى زكرياء يحيى بن أبى عبد الله البرتقالى ، وهو يومئذ أخو السلطان أبى العباس الوطاسى ، قال : فانتفع بوجاهة أبى عبد الله الفاسى خلق كثير ، ولم يسامح هو نفسه فى نيل شىء من الدنيا بسبب ذلك الجاه الى أن أسر الامير أبو زكرياء المذكور فى وقعة وادى درنة من تادلا للشرفاء على بنى وطاس فى رجب سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة، ومات فى تلك الليالى القريبة غما وأسفا رحمه الله ، قلت : وكان سلطان السعديين يومئذ محمد الشيخ الملقب بالمهدى ، فانه تغلب على أخيه الاعرج وانتزع منه الملك وسجنه كما يأتى ان شاء الله تعالى .

استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدى على فاس وقبضه على بنى وطاس ومهلك سلطانهم ابى العباس رحمه الله تعالى بفضله

لما غلب السلطان محمد الشيخ السعدى على أخيه أبى العباس الاعرج واستولى على مراكش ، طمحت نفسه للتوغل فى بلاد الغرب وقراه ، فتفرغ لحرب بنى وطاس ونكث ما كان بينه وبينهم من الصلح ، ورموا منه بحجر الارض ، وردد اليهم البعوث والسرايا وأكثر فيهم من شن الغارات ، وصار يستلبهم البلاد شيئا فشيئا الى أن استولى عليها ، وكان أول ما ملك من أمصار الغرب مكناسة الزيتون ، افتتحها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بعد حصار ومقاتلة ، ثم تقدم الى فاس فالح عليها بالقتال وضايقها بالحصار مدة قريبة من السنة ، ثم استولى عليها بعد أن أسر سلطانها أبا العباس الوطاسى وصار فى

قبضته . وكان دخوله اياها أوائل سنة ست وخمسين وتسعمائة ولما دخلها تقبض على الوطاسيين أجمع وبعث بهم مصفدين الى مراكش، عدا أبا حسون المخلوع فانه فر الى الجزائر الى أن كان من أمره ما نذكره . ثم ان الشيخ السعدى غدر ببنى وطاس فيما قيل بعد أن أظهر العفو عنهم وسرح سلطانهم أبا العباس من ثقافه والله أعلم. وفى « الجذوة» : «كانت وفاة السلطان أبى العباس الوطاسى بمراكش قرب سنة الستين وتسعمائة » اهـ .

وزعم منويل انه قتل مذبوحا بدرعة . قال : « زحف أبو عبد الله محمد الشيخ السعدى الى فاس فبرز اليه أبو حسون الوطاسى ، وكان قائد جيش ابن أخيه ، ووقع بينهما قتال عظيم انهزم فيه أبو حسون الى فاس . وحاصره السعدى بها سنتين ، ، ولما قلت الاقوات وعجز الوطاسيون عن الدفاع نزلوا على حكم السعدى فقبض على أبى العباس الوطاسى ، وفر أبو حسون الى الجزائر واستقل محمد الشيخ السعدى بامر المغرب وغرب الوطاسيين الى درعة ، فقتل أبا العباس الوطاسى الذى كان تلميذا له ذبحا » اهـ كلامه .

بقية اخبار السلطان ابي العباس الوطاسى وسيرته

كان من جملة وزراء السلطان أبى العباس المذكور ابنه محمد ، ومن أخباره : ما ذكره فى «الدوحة» فى ترجمة الشيخ أبى عثمان سعيد بن أبى بكر المشترائى دفين مكناسة الزيتون ، قال : « من كراماته الشائعة ما اتفق له مع الوزير أبى عبد الله محمد بن السلطان أبى العباس أحمد الوطاسى ، لما استوزره أبوه وولاه على مكناسة فكان بها فغضب ذات يوم على أحد المشاورية فهرب المشاورى الى زاوية الشيخ أبى عثمان فبعث الوزير الى الشيخ بان عليه الامان ويبعثه اليه فقال له الشيخ : « ان شئت أن تذهب الى سيدك فافعل » فقال المشاورى: «ياسيدى أخاف أن يقتلنى» فقال الشيخ : « ان قتلك فالله يقتله » فذهب المشاورى الى الوزير وبقى عنده ليلتين وفى الثالثة قتله ، ولم يظهر له

فجاءت أمه الى الشيخ وقالت ياسيدى: «ان ولدى قد قتله الوزير» فقال لها : « سبق ذلك فى علم الله وان الاخر سيلحقه الآن » ـ يعنى الوزير ـ فوعك الوزير تلك الليلة وسلط عليه اكال فى جسمه فتمزق لحمه وتقطع شيئا فشيئا الى أن هلك لليال قلائل من مرضه ، فاعتبر الناس والسلطان بذلك ، ومن ذلك الوقت زاد الامراء وغيرهم فى احترام حرم زاوية الشيخ المذكور » اهـ.

وكان للسلطان أبى العباس اعتقاد فى المتصلحين وأرباب الاحوال ، فمن فوقهم من أهل العلم والدين ، من ذلك ما حكاه فى «الدوحة» أيضا فى ترجمة أبى الحسن على الصنهاجى ، المعروف بالدوار ، قال: «كان أبوالحسن المذكور من الملامتية، وكان يدخل دور الملوك من بنى وطاس فيتلقاه النساء والصبيان يقبلون يديه وقدميه فلا يلتفت الى أحد ، ويعطونه الثياب الرفيعة والذخائر النفيسة ، ويلبسه السلطان ـ يعنى أبا العباس ـ من أشرف لباسه ، فاذا خرج تصدق بجميع ذلك ، ويمر على حوانيت الزياتين فيغمس اكمام الحلة التى تكون عليه ويبرقعها بالزيت أو بالسمن ، ولا يزال يدور فى الاماكن ويصرخ باسم الجلالة » اهـ . قالوا :وكان السلطان أبو العباس المذكور واقفا عند اشارة الفقيه أبى مالك عبد الواحد بن أحمد الوانشريسى ، وهو ابن صاحب «المعيار» ، لا يتعدى أمره ، ولا يخالف رأيه ، كما وقع له فى مسألة رجل اسلامى يعرف بعبد الرحمن المنجور ، وكان تاجرا جامعا للمال ، فشهد عليه فى حكاية طويلة أربعون رجلا من العدول باستغراق ذمته ، فاخذه السلطان أبو العباس الوطاسى وقتله ، وصير أملاكه لبيت مال المسلمين ، فرغب أولاد المنجور من السلطان أن يؤدوا له عشرين ألف دينار ويرد اليهم أملاكهم ويسقط عنهم بينة الاستغراق، فقال السلطان لحاجبه: «اذهب الى الشيخ عبد الواحد الوانشريسى وشاوره فى ذلك وعرفه بانى فى الحاجة الى هذا المال لاجل هذه الحركة التى عرضت لى » فذهب الحاجب اليه وأخبره بمقالة السلطان ورغبته فى قبول ذلك . فقال الشيخ : « والله لا ألقى الله بشهادة أربعين رجلا من عدول المسلمين لاجل سلطانك، اذهب وقل له: «انى لا أوافق على ذلك ولا أرضاه » فرجع الحاجب الى السلطان وأخبره بما قال الشيخ فرجع السلطان

عما عزم عليه .

ونظير هذا ما اتفق له معه أيضا ،وهو أن الناس خرجوا يوم العيدللصلاة فانتظروا السلطان فأبطأ عليهم ولم يأت الى خروج وقت الصلاة ، وحينئذ أقبل السلطان أبو العباس فى أبهته ، فلما انتهى الى المصلى نظر الشيخ أبو مالك فرأى أن الوقت قد فات فرقى المنبر وقال : معشر المسلمين أعظم الله أجركم فى صلاة العيد ، فقد عادت ظهرا » ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة فتقدم الشخ أبو مالك وصلى الناس الظهر ، فخجل السلطان أبو العباس واعترف بخطيئته رحم الله الجميع .

الخبر عن الدولة الثانية للسلطان ابى حسون الوطاسى رحمه الله

لما دخل السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ السعدى الى فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة ، وقبض على بنى وطاس بها حسبما تقدم ، فر أبو حسون هذا الى ثغر الجزائر (*) حقنا لدمه ومستجيشا لتركها على السعدى . وكان الترك قد استولوا على المغرب الاوسط وانتزعوه من يد بنى زيان كما سيأتى ،

(*) ذكر المؤرخ أوكيسط كور الفرنسى فى كتابه « Établissement des Dynasties des Chérifs au Maroc » « قيام الدولتين الشريفتين بالمغرب » . ان ابا حسون فر اولا الى اصبانيا مستعديا الامبراطور شار نكان على عدوه السعدى فوجده بالمانيا فالتحق به وحضر معه فى حروبه ولما طال انتظاره لنجدته ولم يفعل رجع ادراجه الى اصبانيا ومنها دخل للبرتقال فاعطاه ملكها ست قطع من الاسطول لتعينه بشواطىء الريف فلم يتمكن من النزول لبلاد الريف فتوجه حينئذ بحرا للجزائر وقيل اسره الاسطول الجزائرى وهناك اتفق مع باشاها صالح رئيس على توجيه الجيش معه للمغرب كما هو معلوم . راجع الكتاب المذكور صفحة ١٠٥ وما بعدها فقد بسط القول فى الموضوع

فلم يزل أبو حسون عندهم يفتل لهم فى الغارات والسنام ويحسن لهم بلاد المغرب الاقصى ويعظمها فى أعينهم ،ويقول : ان المتغلب عليها قد سلبنى ملكى وملك آبائى وغلبنى على تراث أجدادى فلوذهبتم معى لقتاله لكنا نرجو الله تعالى أن يتيح لنا النصر عليه ويرزقنا الظفر به ، ولا تعدمون أنتم مع ذلك منفعة من ملء أيديكم غنائم وذخائر ، ووعدهم بمال جزيل فأجابوه الى ما طلب وأقبلو معه فى جيش كثيف تحت راية باشاهم صالح التركمانى المعروف بصالح رئيس ، الى أن اقتحموا حضرة فاس بعد حروب عظيمة ومعارك شديدة وفر عنها محمد الشيخ السعدى الى منجاته .

وكان دخول السلطان أبى حسون الى فاس ثالث صفر سنة احدى وستين وتسعمائة (*) . ولما دخلها فرح به أهلها فرحا شديدا ، وترجل هو عن فرسه وصار يعانق الناس كبيرا وصغيرا ، شريفا ووضيعا ، ويبكى على ما دهمه وأهل بيته من أمر السعديين واستبشر الناس بمقدمه وتيمنوا بطلعته . وقبض على كبير فاس يومئذ القائد أبى عبد الله محمد بن راشد الشريف الادريسى ، واطمأنت به الدار ثم لم يلبث السلطان أبو حسون الا يسيرا حتى كثرت شكاية الناس اليه بالترك ، وانهم مدوا أيديهم الى الحريم وعاثوا فى البلاد . فبادر بدفع ما اتفق معهم عليه من المال وأخرجهم عن فاس وتخلف بها منهم نفر يسير .

---

[*] ذكر صاحب «الدوحة» فى ترجمة سيدى عبد الله الكوش ان ابا عبدالله الشيخ خرج من فاس مزعجا فى شهر محرم سنة ستين ه

مجيء السلطان محمد الشيخ السعدى الى فاس و استيلاؤه عليها ومقتل السلطان ابى حسون رحمه الله

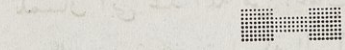

لما فر السلطان محمد الشيخ السعدى من وقعة الاتراك بفاس وصل الى مراكش فاستقر بها وصرف عزمه لقتال أبى حسون ، فاخذ فى استنفار القبائل وانتخاب الابطال وتعبية العساكر والاجناد فاجتمع له من ذلك ما اشتد به أزره وقوى به عضده ، ثم نهض بهم الى فاس فخرج اليه السلطان أبو حسون فى رماة فاس وما انضاف اليهم من جيش العرب فكانت الهزيمة على أبى حسون فرجع الى فاس وتحصن بها ، فتقدم الشيخ السعدى وحاصره الى أن ظفر به فى وقعة كانت بينهما بالموضع المعروف بمسلمة ، فقتله واستولى على حضرة فاس وصفا له أمرها . وكان استيلاؤه عليها يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة احدى وستين وتسعمائة على الصواب خلاف ما وقع فى «الدوحة» والله أعلم . وبمقتل السلطان أبى حسون رحمه الله انقرضت الدولة المرينية بالمغرب والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وبقى علينا الالماع بأواخر دولة بنى زيان ملوك تلمسان وكيف كان انقراض أمرهم ، فلنشر الى ذلك فنقول : كانت دولة بنى زيان على ما علمت من الاضطراب سائر أيام بنى مرين ، وكان منهم فى صدر المائة التاسعة السلطان الواثق بالله من أمثل ملوكهم ، وغلبهم على تلمسان فى تلك المدة السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصى فأخذوا بطاعته . ثم بعد موته سنة سبع وثلاثين وثمانمائة اعتزوا بعض الشىء الى أن كانت دولة السلطان أبى عمرو عثمان بن محمد الحفصى ، فغزا تلمسان أعوام السبعين وثمانمائة مرتين وفى الثانية هدم أسوارها وعزم على استئصال أهلها ، الى أن تشفع اليه علماؤها وصلحاؤها فعفا عنهم ، وكان الباعث له على غزوها أولا ما بلغه من أن الامير محمد بن محمد بن أبى ثابت استولى عليها ، ففعل ما فعل وصاهرهم ببعض حفدته .

وقال صاحب «بدائع السلك» : شاهدت بتلمسان وبعض أعمالها تصريح الخطيب باسم السلطان أبى عمرو عثمان صاحب تونس مقدما فى الذكر على اسم صاحب تلمسان أبى عبد الله من أعقاب بنى زيان لما بينهما من الشرط فى ذلك . وبقيت حال بنى زيان متماسكة الى أن ظهر جنس الاصبنيول فى صدر المائة العاشرة بعد ما تم لهملك الاندلس وعظمت شوكته ، فطمح للتغلب على ثغور المغربين الادنى والاوسط، فاستولى على بجاية سنة عشر وتسعمائة ، ثم على وهران سنة أربع عشرة وتسعمائة وفعل باهلها الافاعيل ثم سما لتملك الجزائر وشره لالتهامها ، وضايق المسلمين فى ثغورهم وضعف بنو زيان عن مقاومته . وكان الشيخ الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن القاضى الزواوى ممن له الشهرة والوجاهة الكبيرة فى بسائط المغرب الاوسط وجباله ، وكانت دولة العثامنة من الترك فى هذه المدة قد زخر عبابهم وملكت أكثر المسكونة ، وظهر من قواد عساكرها البحرية قائدان عظيمان وهما خير الدين باشا وأخوه عروج باشا ، وكانا قد تابعا الغزو على بلاد الكفر برا وبحرا ، وأوقعا بأهل دول الاوربا وقائع شهيرة ، وطار لهم ذكر فى أقطار البلاد ، وتمكن ناموسهم من قلوب العباد ، فكاتبهم الفقيه أبو العباس المذكور وعرفهم بما المسلمون فيه من مضايقة العدو الكافر . وقال : ان بلادنا بقيت لك أو لاخيك او للذئب ، فأقبل الترك نحوه مسرعين واستولى عروج على ثغر الجزائر بعد ما كاد العدو يملكه فتخلصه منه ، ثم استولى على تلمسان وغلب بنى زيان على أمرهم ، وذلك سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة على ما فى « النزهة » . ثم ان أهل تلمسان أنكروا سيرة الترك وسئموا ملكتهم ، ويقال ان الترك عسفوهم وصادروهم على أموالهم ، وكان عروج قد أغرى بالفقيه أبى العباس المستدعى له فقتل شهيدا بعد الثلاثين وتسعمائة ، ورأى عروج أن أمر المغرب الاوسط لا يصفو له مع وجود الفقيه المذكور فدس عليه من قتله، ثم نهض عروج الى بنى يزناسن فكانت الكرة عليه وقتل هنالك مع جماعة من وجوه عسكره وتفرقت جموعه .

وعادت تلمسان الى بنى زيان فجددوا بها رياستهم وأحيوا رمق دولتهم الى أن عاود الترك غزوها بعد حين وانتزعوها من يد صاحبها أبى العباس أحمد

ابن عبد الله من أعقاب يغمراسن بن زيان .

قال فى «المرآة» ما نصه : « قال الشيخ الامام قاضى الجماعة أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الوانشريسى رحمه الله ومن خطه نقلت : قدم حسن بن خير الدين التركى فاستولى على تلمسان فى أواسط شعبان سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وأخرج منها الامير أحمد بن الامير عبد الله ووزيره منصور بن أبى غانم ولحقا بدبدو مع من انضاف اليهما من أمراء تلمسان وكبرائها ، فغدر بهم عمر ابن يحيى الوطاسى صاحب دبدو وأخذ أموالهم واعتقلهم ، وسرح منصورا فى محرم من سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة » اه ، واستمرت تلمسان فى يد الترك الى أواسط صدر المائة الثالثة عشرة فاستولى عليها الفرنسيس على ما نذكره ان شاء الله .

واعلم أنه كان فى صدر هذه المائة العاشرة أمور عظام .

منها ظهور الفرنج بالديار المغربية واستيلاؤهم على ثغورها بما لم يعهد مثله قبل ذلك ، لا سيما البرتقال والاصبنيول حسبما تقدمت الاشارة اليه . ومنها ظهور دولة آل عثمان ملوك التركمان بالديار المشرقية وما أضيف لها الظهور الذى لا كفاء له وابتداء هذه الدولة وان كان قبل هذا التاريخ بنحو مائتى سنة لكن انما كان عنفوان شبابها وفيضان عبابها فى هذه المدة لاسيما فى دولة سلطانهم الاعظم ، وخاقانهم الافخم سليمان بن سليمان خان ، فانه ملك أكثر المعمور ، وقام بدعوته من الامم الجمهور ، وهجمت عساكره على ديار الارنا فقاتلوهم فى أعز بلادهم ، واستلبوهم من طارفهم وتلادهم ، وخضعت ملوكها لعزته ، واستكانوا لصولته ، وأعطوه يد المقادة وآتوه من الطاعة والخضوع ما خالف العادة . ثم أوطأ عساكره المغربين الادنى والاوسط فاستولى عليهما ، وكاد يتناول الاقصى ويضيفه اليهما على ما تقف عليه فى أخبار السعديين ان شاء الله .

ومنها ظهور الاولياء وأهل الصلاح من الملامتية ، وأرباب الاحوال والجذب ، فى بلاد الشرق والغرب ، لكنه انفتح به للمتسورين على النسبة وأهل الدعوى باب متسع الخرق ، متعسر الرتق ، فاختلط المرعى بالهبل ، وادعى الخصوصية من لا ناقة له فيها ولا جمل ، وصعب على جل الناس التمييز ، حتى

بين البهرج والابريز ، لا سيما العامى الغمر ، الذى لا يفرق بين الحصباءواندر ويرحم الله الشيخ اليوسى اذ قال فى محاضرته ما نصه : « وقد طرق أسماع العوام من قبل اليوم كلام أهل الصولة كفحول القادرية والشاذلية رضى الله عنهم ، وكلام أرباب الاحوال فى كل زمان ، فتعشقت النفوس ذلك ، وأذعن له الجمهور وخاضوا فى التشبيه بهم ، فما شئت أن تلقى جاهلا مسرفا على نفسه لم يعرف بعد ظاهر الشريعة ، فضلا عن أن يعمل ، فضلا عن أن يخلص الى الباطن ، فضلا عن أن يكون صاحب مقام الا وجدته يصول ويقول ، وينابذ المنقول والمعقول ، وأكثر ذلك فى أبناء الفقراء ، يريد الواحد منهم أن يتحلى بحلية أبيه ، ويستتبع أتباعه بغير حق ولا حقيقة بل لمجرد حطام الدنيا ، فيقول خدام أبى ، وزريبة أبى ، ويضرب عليهم المغرم كمغرم السلطان ، ولا يقبل أن يحبوا أحدا فى الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره ، واذا رأى من خرج يطلب دينه أو من يدله على الله تعالى يغضب عليه ويتوعده بالهلاك فى نفسه وماله ، وقد يقع شىء من المصائب بحكم القضاء والابتلاء فيضيفه الى نفسه فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالا ، ثم يخترق لهم من الخرافات والامور المعتادة ما يدعيه سيرة ودينا يستهويهم به ، ثم يضمن لهم الجنة على مساوى أعمالهم والشفاعة يوم المحشر ، ويقبض على لحمة من ذراعه فيقول للجاهل مثله : «أنت من هذه اللحمة » فيكتفى جهال العوام بذلك ويبقون فى خدمته ولدا عن والد ، قائلين نحن خدام الدار الفلانية وفى زريبة فلان ، فلا نخرج عنها وكذا وجدنا آباءنا وهذا هو الضلال المبين . وهؤلاء قطاع العباد عن الله » الى آخر كلامه فقف عليه فى الفصل الخامس والعشرين منها فانه نفيس وبالله تعالى التوفيق .

وفى سنة احدى عشرة وتسعمائة توفى الفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى الماواسى البطوى الموقت المشهور .

وفى سنة اثنتى عشرة بعدها توفى الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن قاسم التجيبى المعروف بالزقاق فقيه فاس ، وهو صاحب المنظومة اللامية فى علم القضاء وغيرها .

وفى سنة أربع عشرة وتسعمائة ، فى يوم الثلاثاء العشرين من صفر منها توفى الشيخ الامام أبو العباس أحمد بن يحيى الوانشريسى مؤلف « المعيار » وغيره من التآليف الحسان ، أصله من تلمسان واستوطن مدينة فاس الى أن توفى بها فى التاريخ المذكور . وفيها أيضا توفى الشيخ الكبير أبو فارس عبد العزيز ابن عبد الحق الحرار المعروف بالتباع دفين حومة الفحول من مراكش من أصحاب الشيخ الجزولى رضى الله عنهما ، وصفه شيخه المذكور بالكيمياء ، وكان يقال : النظرة فيه تغنى ، أفاض الله علينا من مدده .

وفى سنة تسع عشرة وتسعمائة توفى الشيخ الامام العلامة النظار أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازى العثمانى المكناسى ثم الفاسى ، وقد تقدم خبره مع الشيخ أبى محمد الغزوانى رحمهما الله .

وفى سنة ست وعشرين وتسعمائة انحبس المطر بفاس والمغرب واضطر الناس الى استخراج السواقى من الاودية والانهار لسقى زرعهم وثمارهم .

وفى سنة سبع وعشرين بعدها كان الغلاء والجوع الكبير الذى صار تاريخا فى الناس مدة .

وفى سنة ثمان وعشرين بعدها كان الوباء بالمغرب ، سنة الله فى خلقه ، وفى هذه المدة ، أعنى أعوام الثلاثين وتسعمائة على ما فى الدوحة ، توفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور السفيانى دفين جزيرة البسابس من بلاد أولاد جلون على مسيرة نصف يوم من مصب نهر سبو فى البحر من جهة المشرق ، وكان من أصحاب الشيخ التباع ، والروضة التى عليها بناها الشيخ أبوزيد عبد الرحمن المجذوب ، يقال انه لما أكملها رآه فى المنام وألبسه حلة خضراء .

وفى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فى ثانى يوم من ربيع الاول منها توفى الشيخ أبو محمد عبد الكريم بن عمر الحاحى المعروف بالفلاح ضجيع القاضى عياض فى روضته بحومة باب ايلان من مراكش ، وهو من أصحاب الشيخ التباع أيضا ، وفى هذه المدة على ما فى « الدوحة » توفى الشيخ أبو يشو مالك بن خدة الصبيحى من عرب صبيح ، كان من أهل العلم والفضل والدين ، ودفن على ضفة نهر سبو على نحو مرحلة من فاس ، وقبره مزارة الى الآن .

وفى سنة خمس وثلاثين وتسعمائة توفى الشيخ أبو محمد الغزوانـــى رضى الله عنه دفين حومة القصور من مراكش ، وقد تقدم شيء من خبره .

وفى أعوام أربعين وتسعمائة توفى الشيخ الكامل أبو عبد الله محمد بن عيسى السفيانى المختار . ثم الفهدى دفين مكناسة الزيتون ، وهو شيخ جليل القدر شهير الذكر رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

تم الجزء الرابـع ويليه الجزء الخـامس

أوله :

الخبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان

فهرس الموضوعات

	صحيفة
الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبى بكر بن أبى عنان بن أبى الحسن المرينى	٣
ظهور أبى حمو موسى بن يوسف الزيانى واستيلاؤه على تلمسان ونهوض مسعود بن عبد الرحمن اليه وطرده عنها	٤
ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبد الرحمن له وما نشأ عن ذلك	٥
الخبر عن دولة السلطان المستعين بالله أبى سالم ابراهيم بن أبى الحسن المرينى	٧
قدوم الغنى بالله ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب مخلوعين على السلطان أبى سالم والسبب فى ذلك	٨
سفر ابن الخطيب الى مراكش واعمالها وزيارته لاوليائها ورجالها والسبب فى ذلك	١٣
بقية أخبار ابن الخطيب بسلا حرسها الله	٢٠
انتقاض الحسن بن عمر الفودودى وخروجه بتادلا ثم مقتله عقب ذلك	٢٢
نهوض السلطان أبى سالم الى تلمسان واستيلاؤه عليها	٣٣
وفادة السودان من أهل مالى على السلطان أبى سالم واغرابهم فى هديتهم بالزرافة الحيوان المعروف	٣٤
الخبر عن دولة السلطان أبى عمر تاشفين الموسوس بن أبى الحسن المرينى	٣٧
مقتل السلطان أبى سالم رحمه الله والسبب فى ذلك	٤١

الفتك بغرسية بن انطول قائد النصارى ومقتل جنده معه والسبب فى ذلك	٤١
ظهور عبد الحليم بن أبى على بن أبى سعيد ومحاصرته لفاس الجديد ثم فراره منها	٤٣
الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبى زيان محمد بن أبى عبد الرحمن يعقوب بن أبى الحسن المرينى	٤٤
وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبى زيان بن أبى عبد الرحمن رحمهما الله	٤٦
وفادة عامر بن محمد الهنتاتى على السلطان أبى زيان بن أبى عبد الرحمن رحمهما الله	٥٠
مقتل السلطان أبى زيان بن أبى عبد الرحمن رحمه الله	٥١
الخبر عن دولة السلطان أبى فارس عبد العزيز بن أبى الحسن رحمه الله	٥٢
انتقاض أبى الفضل بن أبى سالم ثم مقتله بعد ذلك	٥٣
انتقاض عامر بن محمد الهنتاتى وحصار السلطان عبد العزيز اياه وظفره به	٥٤
ارتجاع الجزيرة الخضراء من يد الاسبانيول	٥٦
نهوض السلطان عبد العزيز الى تلمسان واستيلاؤه عليها وفرار سلطانها أبى حمو بن يوسف عنها	٥٧
نزوع الوزير ابن الخطيب عن سلطانه الغنى بالله الى السلطان عبد العزيز بتلمسان	٥٨
وفادة السلطان عبد العزيز بن أبى الحسن رحمه الله	٥٩
الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبى زيان محمد بن عبد العزيز بن أبى الحسن	٦٠
الخبر عن الدولة الاولى للسلطان المستنصر بالله أبى العباس أحمد بن أبى سالم بن أبى الحسن	٦١

محنة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله	٦٢
بقية أخبار أمير مراكش عبد الرحمن بن أبى يفلوسن رحمه الله	٦٥
ذكر الشاوية وبيان نسبهم وأوليتهم وشرح لقبهم وتسميتهم	٦٦
نهوض السلطان أبى العباس الى تلمسان وفتحها وتخريبها	٦٧
خلع السلطان أبى العباس بن أبى سالم وتغريبه الى الاندلس والسبب فى ذلك	٦٨
الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبى فارس موسى بن أبى عنان بن أبى الحسن	٦٩
خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماسای اليه	٧٠
وفاة السلطان موسى بن أبى عنان رحمه الله	٧١
الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان أبى زيان محمد بن أبى العباس بن أبى سالم بن أبى الحسن	٧١
الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبى زيان محمد بن أبى الفضل بن أبى الحسن	٧٢
الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبى العباس بن أبى سالم بن أبى الحسن	٧٣
ظهور محمد بن عبد الحليم بن أبى على بسجلماسة ثم اضمحلال أمره بعد ذلك	٧٤
نكبة الكاتب ابن عمرو وحركات بن حسون ومقتلهما	٧٥
أخبار تلمسان واستيلاء السلطان أبى العباس عليها	٧٦
وصول هدية صاحب مصر الظاهر برقوق الى السلطان أبى العباس بتازا والسبب فى ذلك	٧٧
وفادة السلطان أبى العباس بن أبى سالم	٧٨
الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبى فارس عبدالعزيز ابن أبى العباس بن أبى سالم رحمه الله	٧٩

بقية أخبار السلطان عبد العزيز ووفاته	٨٠
الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبى عامر عبد الله بن أبى العباس بن أبى سالم رحمه الله تعالى	٨١
وفاة الشيخ ابن عاشر	٨٢
وفاة الشيخ أبى عبدالله الفنزارى السلاوى المعروف بابن المجراد	٨٣
وفاة الشيخ ابن عباد	٨٤
تبدل الاحوال بالمغرب والمشرق	٨٤
الخبر عن دولة السلطان أبى سعيد عثمان بن أبى العباس بن أبى سالم	٨٦
حجابة أبى العباس القبائلى ونكبته ومقتله والسبب فى ذلك	٨٦
حجابة فارح بن مهدى وأوليته وسيرته	٨٩
حجابة أبى محمد الطريفى وسيرته	٩٥
حدوث الفتنة بين السلطان أبى سعيد والسلطان أبى فارس الحفصى والسبب فى ذلك	٩٠
استيلاء البرتقال على مدينة سبتة أعادها الله	٩٢
الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن أبى سعيد بن أبى العباس ابن أبى سالم المرينى رحمه الله	٩٥
زحف البرتقال الى طنجة ورجوعهم عنها بالخيبة	٩٥
أخبار الوزراء والحجاب وتصرفاتهم	٩٦
وزراة يحيى بن يحيى الوطاسى ومقتله ومقتل الوطاسيين معه والسبب فى ذلك	٩٧
رياسة اليهوديين هرون وصاليل وما نشأ عن استبدادهما من المحنة والفتنة	٩٨
انتزاع الاصبنيول جبل طارق من يد ابن الاحمر	٩٨
استيلاء البرتقال على طنجة	٩٨
مقتل السلطان عبد الحق بن أبى سعيد والسبب فى ذلك	٩٩
وفاة الشيخ أبى زيد عبد الرحمن المكودى	١٠٠

وفاة الشيخ أبى عبد الله بن الفتوح	١٠٠
وفاة الامام العبدوسى	١٠١
وفاة الشيخ أبى عبد الله القورى	١٠١
وفاة الشيخ رزوق	١٠١
وفاة الشيخ أبى العباس أحمد البرنسى	١٠١
بقية أخبار بنى الاحمر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر الاندلس منها وانقراض كلمة الاسلام منها	١٠٢
سقوط غرناطة فى يد الاصبان	١٠٤
اكتشاف أرض اميركا	١٠٧
أخبار البرتقال بالمغرب الاقصى على الجملة	١٠٩
الخبر عن دولة الشريف أبى عبد الله الحفيد وأوليته	١١٤
بيعة السلطان أبى عبد الله الحفيد والسبب فيها	١١٥
فتنة الشاوية ووصولهم الى بلاد الغرب	١١٦
استيلاء البرتقال على مدينة آنفا وآصيلا	١١٦
خلع السلطان أبى عبد الله الحفيد وانقراض أمره	١١٧
الخبر عن دولة بنى وطاس وذكر نسبهم وأوليتهم	١١٨
الخبر عن دولة السلطان أبى عبد الله محمد الشيخ بن أبى زكرياء الوطاسى رحمه الله	١١٩
رياسة بنى راشد من شرفاء العلم بغمارة وبناؤهم مدينة شفشاون وما يتبع ذلك	١٢١
ثورة عمر بن سليمان السياف ببلاد السوس وشىء من أخباره	١٢٢
وفاة الشيخ الجزولى رحمه الله	١٢٢
بناء مدينة تطاوين	١٢٤
قدوم أبى عبد الله ابن الاحمر مخلوعا على السلطان محمد الشيخ الوطاسى رحمه الله	١٢٥

استيلاء البرتقال على ساحل البريجة وبناؤهم مدينة الجديدة صانها الله سبحانه وتعالى بمنه	١٣٦
استيلاء البرتقال على سواحل السوس وبناؤهم حصن فونتى قرب آكادير وما قيل فى ذلك	١٣٩
وفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسى رحمه الله	١٤٠
الخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسى المعروف بالبرتقالى	١٤٠
استيلاء البرتقال على ثغر آسفى حرسه الله	١٤١
زحف السلطان أبى عبد الله البرتقالى الى آصيلا	١٤٢
استيلاء البرتقال على ثغر آزمور حرسه الله	١٤٢
استيلاء البرتقال على ثغر المعمورة حرسه الله	١٤٣
أخبار السلطان أبى عبد الله البرتقالى مع الشيخ أبى محمد الغزوانى رضى الله عنه	١٤٤
نهوض السلطان أبى عبد الله البرتقالى الى مراكش ومحاصرته أبا العباس الاعرج السعدى بها	١٤٧
ذكر وزراء السلطان أبى عبد الله وما قيل فيهم	١٤٨
وفاة السلطان أبى عبد الله رحمه	١٤٨
الخبر عن الدولة الاولى للسلطان أبى حسون بن محمد الشيخ الوطاسى	١٤٩
وقعة آنماى بين الوطاسيين والسعديين	١٥٠
عقد الصلح بين السلطانين أبى العباس الوطاسى وأبى العباس السعدى رحمهما الله تعالى	١٥١
غزوة الحمر قرب آصيلا حرسها الله	١٥٢
وقعة أبى عقبة بوادى العبيد وما كان فيها بين الوطاسيين والسعديين من القتال الشديد	١٥٣

بناء السلطان أبى العباس الوطاسى قنطرة الرصيف بفاس حرسها الله	١٥٥
استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدى على فاس وقبضه على بنى وطاس ومهلك سلطانهم أبى العباس رحمه الله تعالى بفضله	١٥٦
بقية أخبار السلطان أبى العباس الوطاسى وسيرته	١٥٧
الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبى حسون الوطاسى رحمه‌الله	١٥٩
مجىء السلطان محمد الشيخ السعدى الى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل السلطان أبى حسون رحمه الله	١٦١
وفاة الشيخ أبى العباس الماواسى	١٦٤
وفاة الشيخ أبى العباس التجيبى	١٦٤
وفاة الشيخ أبى العباس الوانشريسى	١٦٥
وفاة الشيخ التباع	١٦٥
وفاة الامام ابن غازى	١٦٥
وفاة الشيخ أبى عبد الله بن منصور	١٦٥
وفاة الشيخ الفلاح	١٦٥
وفاة الشيخ مالك بن خدة	١٦٥
وفاة الشيخ أبى محمد الغزوانى	١٦٦
وفاة الشيخ أبى عبد الله محمد بن عيسى	١٦٦

فهرس الاعـــلام والقبائل

آل أبى بكر - ١٥٢
آل عثمان التركمانى ١٦٣
آل مرين ٣١
آل يعقوب ٣١
ابراهيم البطروجى ٤٢
الابكم ابن الاحمر ٦
ابن الاحمر ٤٣ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٩
٦٢ - ٦٣ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٢
٧٣ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٨ - ١٢٠
١٢٤ - ١٣٥
ابن انطول ٤٢
ابن بطان الصنهاجى - ١٥
ابن حجاج ١٣١
ابن الخطيب ٩ - ١٢ - ١٣ -
١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٤ -
٢٥ - ٢٦ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١
٣٢ - ٣٤ - ٣٩ - ٤٤ - ٤٥
٤٨ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٢ - ٦٣ -
٦٤ - ٨٣
ابن خلدون ٥ - ٧ - ٨
٣٣ - ٣٥ - ٣٩ -
٥١ - ٥٢ - ٦٥ - ٦٦ - ٧١ -
٧٧ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٤ - ٨٩
١١٤ - ١١٨ - ١١٩
ابن شقرون ١٤٥
أبو اسحق ابراهيم بن أحمد التاورتى
٩٣ - ٩٤
أبو اسحق ابراهيم بن محمد اليزناسنى
٧٥ - ٧٨
أبو البقاء بن تاشكورت ٣٠
أبو البقاء عبد الوارث الياصلوتى
١٤٥ - ١٤٦
أبو بكر بن عامر ٥٥
أبو بكر بن غازى ٥٤ - ٥٧ - ٦٠
٦١ - ٦٣ - ٨١
أبو بكر بن يحيى الوطاسى ٩٧
أبو بكر الحفصى ٥٠
أبو بكر السعيد بن أبى عنان المرينى
٣ - ٧
أبو بكر بن أبى العباس المرينى ٩٠
أبو تاشفين بن أبى حمو بن يوسف
الزيانى ٧٦
أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتى ٥٠
أبو الحجاج يوسف ابن الاحمر
٨ - ٢٧ - ٨١ - ٨٢
أبو الحجاج يوسف بن منصور

الوطاسى ١١٧ - ١٢٠
أبو حدو ١٦
أبو حفص عمر الخطاب ١٥١
أبو الحسن بن أبى محمد العلمى -
أبو جمعة - ١٢١
أبو الحسن على بن راشد ١٢٥ -
١٥٤
أبو الحسن على بن سعد ١٠٢
أبو الحسن على بن عبد الرحمن
القبائلى ٨٦ - ٨٨
أبو الحسن على بن عثمان الشاوى
١١١ - ١٥٢
أبو الحسن على بن قاسم التجيبى -
الزقاق - ١٦٤
أبو الحسن على بن محمد الشيخ
الوطاسى - أبو حسون - ١٤٨
١٤٩ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠
أبو الحسن بن على بن مصباح الحسنى
- ابن عسكر - ١١١ - ١٤٩
أبو الحسن على بن موسى العلمى
١٢١ -
أبو الحسن على بن هرون المطغرى
١٥١
أبو الحسن على بن الوزير لسان الدين
ابن الخطيب ٧٨ - ٧٩
أبو الحسن على الصنهاجى الدوار
١٥٨
أبو الحسن على المنظرى الغرناطى
٩٠ - ١٢٤ - ١٢٥
أبو الحسن على اليوسى ١٦٤
أبو الحسن المرينى ٧ - ١٨ - ٢٥
٢٩ - ٣٤ - ٤١ - ٤٣ - ٤٤
٥٤ - ٥٩
أبو الحسن النباهى ٦٢
أبو حمو موسى بن يوسف الزيانى ٤
٥ - ٣٣ - ٣٤ - ٤٣ - ٥٥
٥٧ - ٦٠ - ٦٧ - ٦٨ - ٧٤
٧٦
أبو دواد ١٣٢
أبو الروابن المحجوب ١٥١ -
١٥٣
أبو زكرياء بن فرقاجة ٣٠
أبو زكرياء يحيى بن أبى دلامة ٩٤
أبو زكرياء يحيى بن أبى عبد الله
البرتقالى ١٥٦
أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن عبد
المنان ٧٩
أبو زكرياء يحيى بن بكار ١١٣
أبو زكرياء يحيى بن زيان الوطاسى
٩٦ - ٩٧ - ١١٩
أبو زكرياء يحيى السراج ٨٤
١٥٤

أبو زيان بن أبي حمو الزياني ٧٩
٨٠
أبو زيان بن عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المريني ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢
أبو زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن المريني - الواثق بالله - ٧٢
٧٣
أبو زيان محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن - السعيد بالله - ٦٠ - ٦١
٦٣
أبو زيان محمد بن عثمان بن أبي تاشفين ٣٤
أبو زيد عبد الرحمن بن على بن صالح المكودى ١٠٠
أبو زيد عبد الرحمن المجذوب ١٦٥
أبو سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني - المستعين بالله - ٧ - ٨ - ٩ ١٢ - ١٣ - ١٩ - ٢٥ - ٢٦ ٢٩ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤١ - ٥٩
أبو سعيد عثمان بن أبي العباس المريني ٢٩ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ ٩٤
أبو سعيد القبائلى ٨٧
أبو سعيد المرينى ٨٨
أبو سلهام ١٤٥
أبو شامة بن يحيى الوطاسى ٩٧
أبو طلحة الزبير بن محمد المصباحى الشاوى ١٥٣ - ١٥٤
أبو عامر بن عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ٦٥
أبو العباس أحمد البرنسى - زروق - ١٠١
أبو العباس أحمد بن عاشر الحافى ٨٣
أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد ابن عاشر الاندلسى ٢١ - ٢٤ ٨٢ - ٨٣
أبو العباس أحمد بن على القبائلى ٧٨ - ٨١ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩
أبو العباس أحمد بن القاضى المكناسى ٧١ - ١١١ - ١٤٠ - ١٤٩ ١٦٢
أبو العباس أحمد بن محمد البرتقالى ١٤٩ - ١٥٠ ١٥٨ - ١٥٩
أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ الوطاسى ١٤٦ - ١٥١ - ١٥٣ ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ -
أبو العباس أحمد بن يحيى الوانشريسى ١٦٥

أبو العباس أحمد بن يوسف ١٥
أبو العباس أحمد الدغموري القصري ١١٣
أبو العباس أحمد زروق ١٠٠
أبو العباس أحمد الماواسي ١٤٩ ١٦٤
أبو العباس أحمد الناصري ٢٢
أبو العباس الاعرج السعدي ١٤٧ ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤ ١٥٦
أبو العباس بن أبي سالم المريني ٦١ ٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٧ - ٦٨ ٦٩ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٢ ٨٤ - ٨٩ - ١١٨ - ١١٩
أبو العباس بن الخطيب القسطيني - ابن قنفذ - ٨٣
أبو العباس السبتي ١٧
أبو العباس الصومعي ٢١ - ١٢٣
أبو العباس المقري ١٠٦
أبو عبد الله الباجي ٩١
أبو عبد الله بن الاحمر ١٢٥
أبو عبد الله بن الازرق ١١٥
أبو عبد الله بن زمرك الاندلسي ٣٦ - ٦٣ - ٦٩
أبو عبد الله بن صعد التلمساني ٨٢
أبو عبد الله الحفيد - محمد بن علي الادريسي العمراني ٩٩ ١١٤ ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٩ ١٢٠
أبو عبد الله الزياني ١٦٢
أبو عبد الله الصغير السهلي ١١٦
أبو عبد الله القصار ١٤١
أبو عبد الله العقيلي ١٢٥
أبو عبد الله القوري ١٢٢
أبو عبد الله محمد بن ابراهيم النفزي - ابن عباد - ٨٤
أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥
أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء الحفصي ٩٠ - ٩١
أبو عبد الله محمد بن أبي العباس الوطاسي ١٥٧
أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي - خروف ١١٢
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله اليفرني ١٤٦
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق ٢٥ - ٢٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ ١١٣
آبو عبد الله محمد بن ادريس الجراري ١٣٧

أبو عبد الله محمد بن راشدالادريسى
١٦٠
أبو عبد الله محمد بن سعد ـ الزغل ـ
١٠٢ - ١٠٣
أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولى
١٢٢ - ١٢٣ - ١٣٢ - ١٤١
١٤٢ - ١٦٥
أبو عبد الله محمد بن يجيش التازى
١١٢ - ١٤٦
أبو عبد الله محمد بن عزوز الرباطى
٢١
أبو عبد الله محمد بن على الهروى ـ
الطالب ـ ١٤٧
أبو عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح
التلمسانى ١٠٠ - ١٠١
أبو عبد الله محمد بن عيسى السفيانى
١٦٦
أبو عبد الله محمد بن غازى ١٢٤
١٤٤ - ١٤٥ - ١٦٥
أبو عبد الله محمد بن محمد بن
عيسى المصمودى ٩٧
أبو عبد الله محمد بن محمد الشيخ
الوطاسى ـ البرتقالى ـ ١١٢ - ١١٦
١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤
١٤٧ - ١٤٨
أبو عبد الله محمد بن محمد المغيلى
٧١
أبو عبد الله محمد بن منصور السفيانى
١٦٥
أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولى
١١٢ - ١١٣ - ١٤٩
أبو عبد الله محمد بن يوسف الفاسى
١٥٦
أبو عبد الله محمد الشيخ السعدى
١٣٩ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠
١٦١
أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبى
زكرياء الوطاسى ٩٧ - ٩٨ -
١١١ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٠
١٢٤ - ١٤٤ - ١٤٨ - ١٥١ -
١٥٤ - ١٥٦
أبو عبد الله محمد الحلو ٩٧ -
١١٩ - ١٢٤
أبو عبد الله محمد الخصاصى ٨٢
أبو عبد الله محمد العربى الفاسى
٨٩ - ١١٦ - ١٤١
أبو عبد الله محمد الغزوانى ١٤٤
١٤٥ - ١٤٦ - ١٥٢
أبو عبد الله محمد الفنزارى ـ ابن
المجراد ـ ٨٣

أبو عبد الله محمد القصرى - سقين - ١١١
أبو عبد الله المقرى ١١٥
أبو عبد الله المواق ١٠٣
أبو عبد الله النيجى ١٤٧
أبو عبد الله اليفرنى ١٤٩
أبو عثمان سعيد بن أبى بكر المشترائى ١٥٧ - ١٥٨
أبو العزم رحال الكوش ١٥٠ ١٥٨
أبو عمرو عثمان بن محمد الحفصى ١٦١ - ١٦٢
أبو على بن أبى سعيد المرينى ٤٣
أبو على الحسن بن مسعود اليوسى ٢٢
أبو على الحسن بن محمد العلوى ١٣٧
أبو عمر تاشفين بن أبى الحسن المرينى - الموسوس - ٣٨ - ٤٣ - ٤٤ ٥٥ - ٥٦
أبو عنان بن أبى الحسن المرينى ٣ ٤ - ٥ - ٧ - ٥٠ - ٥٤ - ٧٥ - ٨٢ - ١١٥ - ١١٨
أبو فارس الحفصى ٩٠ - ٩١ - ١٦١
أبو فارس عبد العزيز بن أبى الحسن المرينى ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٢ - ٦٣ - ٨٢
أبو فارس عبد العزيز بن أحمد المليانى ٩٤
أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار - التباع - ١٢٣ - ١٤٤ ١٦٥
أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس المرينى ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ ٨٠ - ٨١ - ٩٠
أبو فارس موسى بن أبى عنان المرينى ٦٨ - ٦٩ - ٧١ - ٧٢ - ٧٥
أبو فارس الورياكلى ٩٩ - ١١٥
أبو الفضل بن أبى سالم المرينى ٤٢ ٥٠ - ٥٣ - ٥٤
أبو الفضل فرج الاندلسى ١١١
أبو الفضل محمد بن محمد بن أبى عمرو التميمى ٧١
أبو القاسم بن أبى طلحة ١٥٤
أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان ٣٩
أبو القاسم القبائلى ٨٧
أبو القاسم محمد بن سودة المرى ٧١

أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسنى ٧٨
أبو القاسم محمد بن يحيى الاندلسى ٣٩
أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الوانشريسى ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٥ ١٥٨ - ١٥٩
أبو المحاسن الفاسى ١٥٦
أبو محمد بن الخطيب ٢٩ - ٤٨
أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الوانشريسى ١٤٩
أبو محمد عبد الحق ١١٠
أبو محمد عبد الحق بن أبى سعيد المرينى ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ ٩٩ - ١١٤ ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٩
أبو محمد عبد الرحيم بن ابراهيم اليزناسنى ٩٥ - ٩٦
أبو محمد عبد الله بن ياسين ١١١
أبو محمد عبد الله الطريفى ٨٧ ٩٠
أبو محمد عبد الله العبدوسى - القورى - ١٠١
أبو محمد عبد الله الكوش ١١١
أبو محمد عبد الله الورياكلى ١١٣
أبو محمد عبد الوحد بن أحمد الوانشريسى ١٦٣
أبو محمد الغزوانى ١١٦ - ١٤٧ ١٤٨ ١٥٠ - ١٦٥ - ١٦٦
أبو مدين ٨٣
أبو النجاء سالم الرودانى ١١٦
أبو يشو مالك بن خدة الصبيحى ١٦٥
أبو يعزى ٢١ - ١٢٣
أبو يحيى محمد بن محمد السكاك ٧٣
أبو يحيى محمد بن محمد بن أبى القاسم بن أبى مدين ٥٩ - ٧٣
الاتراك ١٤٣ - ١٦١ ١٦٢
أحمد بن أبى عبد الله محمد الوطاسى ١١٢
أحمد الحفصى ٩١
ادارسة فاس ١١٤
ادريس بن ادريس ١١٤
اسماعيل ابن الاحمر ٨ - ٩
الاشراف الادارسة ١١٥
أصبانيا ٨٩
الاصبنيول ٩٠ - ٩٣ - ٩٨ ١٠٧ - ١٠٩ - ١٢٤ - ١٢٥ ١٤٣ - ١٦٢ - ١٦٣

اعتماد ٢٠
أعراب افريقة ٩١
الافرنج ١١٠
أهل آزمور ١٢٥ - ١٤٢ - ١٤٣
أهل آسفى ١٤١
أهل أشبونة ١٣٩
أهل الاندلس ٢٥ - ٣٢ - ٦٤
أهل البشرات ١٠٥
أهل البيازين ١٠٦
أهل تامسنا ١٣٦
أهل تطاوين ٨٩ - ١٢٥
أهل تلمسان ١٦٢
أهل جبل طارق ٩٣
أهل جنوة ١٠٧ - ١٠٩
أهل حومة القلقيين ٩٩
أهل الخروب ١٢١
أهل الذمة ١١٢
أهل الريف ١٢٤
أهل سلا ٨٣
أهل السوس ١٣٩
أهل الصفيحة ٧٠
أهل غرناطة ١٠٤
أهل فاس ٩١ - ٩٨ - ٩٩
١٠٠ - ١٠١ - ١١٤ - ١١٧
١٢٠
أهل مالى ٣٤ - ٣٥
أهل مراكش ١٤٧
أهل المغرب ٧ - ٢٧ - ٩٣ -
١٠٠ - ١١٤ - ١٣٦ - ١٥١
أهل المغرب الاقصى ١١١
أهل المشرق ٢٧
أولاد جرار ٧٧
أولاد حسين ٦٧ - ٧٧
أولاد عبد الحميد ١٥٢
أولاد المنجور ١٥٨
الايالة المرينية ٧٢
ايسابيلا ١٠٧ - ١٢٤

حرف (ب)

برابرة صناكة ٣٢
البربر ٥٥ - ٦٧ - ٨٥
بر بن قيس ١٣٢
البرتقال ٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ٩٨
١٠٧ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٦
١١٩ - ١٢٠ - ١٢٤ - ١٢٥
١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤١
١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٥٤
١٦٣
بنو الاحمر ٦٢ - ٧٣ - ١٠٢
١٠٩
بنو أبى الحسن ٧
بنو أبى حفص ١٠٩

بنو أبى العباس ٨٦
بنو اسرائيل ١٢٢
بنو توجين ٣٤
بنو جابر ٣٢
بنو راشد ١٢١
بنو زغبة ٥
بنو زيان ٣٣ - ١٠٩ - ١٥٩
١٦٢
بنو سعيد ٦٨
بنو عامر بن زغبة ٤ - ٣٣ - ٥٧
٨٠
بنو عبد الحق ٩٥ - ١١٨
بنو عبد الحميد العروسيون ١٥٢
١٥٣
بنو عبد الواد ٦٠
بنو فزنكار ١٤٤ - ١٤٧
بنو القبائلى ٨٦
بنو مرين ٤ - ٥ - ٦ - ٢٥ - ٣١
٤٢ - ٤٣ - ٥٠ - ٥٢ - ٦٠
٦٢ - ٦٣ - ٧٤ - ٨١ - ٨٩
٩١ - ٩٥ - ١٠٠ - ١٠٩ -
١١٥ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٣٢
١٦١
بنو معقل ٥ - ٣٣ - ٣٥ - ٥٧
بنو الوزير ١١٨
بنو وطاس ٩٨ - ١٠٩ - ١١٠
١١٨ - ١١٩ ١٣٨ - ١٤٧
١٤٨ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٦
١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩
بنو يزناسن ١٦٢
البيت الادريسى ١١٤

حرف (ت)

تاشفين المرينى ٥٥
تاملالت - أم موسى بن أبى عنان
٦٩
تبان المرينى ١٠٠
الترك ٧٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٢
١٦٣

حرف (ج)

جوهر - أم السلطان المستنصر بالله
عبد العزيز بن أبى العباس - ٧٩
٨١ - ٨٦
الجراكسة ٧٧
الجلالقة ١٠٩

حرف (ح)

الحرث بن عباد ١٣٢
الحبشة ٢٦
الحرة ابنة أبى محمد السبائى ٦١
الحرة ابنة الامير أبى الحسن على ١٥٤
حركات بن حسون ٧٥
حسان بن أبى سعيد الصبيحى ٦٦
حسن بن خير الدين باشا ١٦٣
الحسن بن على الورديغى ٣٢
الحسن بن عمر الفودودى ٣ - ٤ - ٥ - ٧ - ٨ - ٣٢ - ٣٣ -
الحسن بن محمد بن أحمد بن مرزوق ٨
الحسن بن الناصر ٧٠ - ٧١
الحسن بن يوسف الورتاجينى ٣٢
الحسين الشرطى ٩٨
حمو الزيانى ٨١

حرف (خ)

خالد ٨١
الخضر ١٢٢
خليل - الشيخ - ١٠١
خوان الاول ٩٢ - ٩٤
خير الدين باشا ١٦٢

حرف (د)

دكالة ١٣٦
دول الاروبا ١٦٢
دولة ابن الاحمر ٧
الدولة الاندلسية ١٧
دول بنى الاحمر ١٢٤
دولة بنى زيان ١٦١
دولة بنى وطاس ١١٤ - ١٢١
الدولة السعدية ١٤٧
دولة الشرفاء الادارسة ١١٠
دولة الشريف العمرانى ١١٤
الدولة المرينية ٦٢ - ٨٠ - ٨٦ - ١١٥ - ١٦١
الدولة الموحدية ٨٦
الديار المشرقية ١٦٣

حرف (ذ)

ذوى حسان ٣٥

حرف «ر»

رضوان الحاجب ٧ - ٩
الرضى - الشريف - ١٣١
رقية ابنة أبى عنان ٧١
الروم ٢٦

الريكى الثالث ٨٩

حرف (ز)

الزباء ٩٢
زناتة ٦٧
زروق ١٢٢
زهور الوطاسية ١١٧ - ١٢٠
زيان بن عمر بن على الوطاسى ٦٥
١١٨ - ١١٩ - ١٤٢

حرف (س)

السجيرى ١١٧ - ١٢٠
سعد بن محمد الغنى بالله بن الاحمر
٨١
السعديون ١٣٥ - ١٤٧ - ١٥٣
١٥٤ - ١٥٦ - ١٦٠ - ١٦٣
السعيد بن أبى عامر المرينى ٨٧
السعيد بن عثمان ٤٤
سفيان الثورى ١٣٢
سليمان بن داود ٣ - ٤ - ٦ - ٣٨
٤١ - ٤٢ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤
سليمان بن سليمان خان ١٦٣
سليمان بن ونصار ٣٨ - ٤١ -
٤٢
سليم بن عبد الرحمن ٦٥
سويد ٤ - ٦٦
سيبويه ١٠٠

حرف (ش)

الشادلية ١٦٤
الشاوية ٩٦ - ١١٦
شاويل اليهودى ٩٨
الشرفاء السعديون ١٢١
شعيب بن ميمون بن داود ٣٨
الشيرازى ١٣١

حرف (ص)

صالح التركمانى - صالح رئيس -
١٦٠
صالح بن حمو اليابانى ٨١ - ٩٤
٩٤
صغير بن عامر بن ابراهيم ٤
صالح بن صالح بن حمو اليابانى ٩٦
صبيح ٦٦
صنهاجة ١٥

حرف (ط)

طلحة بن حسان ٦٦

حرف [ظ]

الظاهر برقوق - الملك الظاهر - ٧٧

حرف [ع]

عائشة ابنة القائد فارح العلج ٦٠
عامر بن عبد الله بن ماساى ٥
عامر بن محمد الهنتاتى ٣ - ٤ - ٦ - ١٧ - ١٨ - ٤٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦
العباس بن عمر بن عثمان الوسنافى ٧٣
العباس بن المقداد ٧٠
عبد الحق بن أبى سعيد بن أبى العباس ٩٣ - ٩٤
عبد الحليم بن أبى اسحق اليزناسنى ٨٠
عبد الحليم بن أبى على بن أبى سعيد ٤٣ - ٤٤ - ٥١ - ٧٤
عبد الرحمن بن أبى العباس القبائلى ٨٦ - ٨٧ - ٨٨
عبد الرحمن بن أبى عنان ٣
عبدالرحمن بن أبى يفلوسن ٥١ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٧ - ٦٩ - ٨١ - ١١٨ - ١١٩
عبد الرحمن المنجور ١٥٨
عبد الرحيم بن اسحق اليزناسنى ٨١
عبد العزيز بن أبى العباس أحمد الحفصى ٧٩
عبد الله بن أحمد المرينى - عبو - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤
عبد الله بن اسمعيل ١٤٤
عبد الله بن كندوز العبد الوادى ٦٦
عبد المهيمن بن أبى سعيد الحضرمى ٦٩
عبد المومن بن أبى سعيد ٧٤
عبد المومن بن أبى على ٥١ - ٥٣
عبد الواحد بن طلحة العروسى ١٥٢ ١٥٣
عبد الوارث الياصلوتى ١١٦
عثمان بن وزنمار ٤
العثمانيون ١٦٢
عسيلة - أم السلطان الواثق بالله بن أبى زيان ٧٢
العرب ٥ - ٦ - ٣١ - ٣٣ - ٣٤ - ٥٧ - ٦٧ - ٧٤ - ٨٥ - ٩١ - ١٦١
عرب أنكاد ٩٦
عرب تامسنا ٣١ - ١٤٤
عرب بنى معقل ٦٧
عرب جشم ٣٢
عرب السوس الاقصى ٣٥
عرب سويد ٥٧
عرب صبيح ١٦٥

عروج باشا ١٦٢
عرب المغرب الاقصى ٦٧
عسيلة أم السلطان الواثق بالله المرينى ٧٢
عرب هلال ٤
على بن ادريس ٦٥
على بن حسان ٦٦
على بن هرون ١٥٥
على بن يوسف الوطاسى ٩٦ - ٩٧
عمرو بن سليمان الشيظمى المغيطى - السياف - ١٢٢ - ١٢٣
عمر بن عبد الله الفودودى ٣٧ ٣٨ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ ٤٥ - ١٥ - ٥٨
عمر بن عبد الله اليابانى ٤٥ - ٥٠ ٥٢ - ٥٣
عمر بن على الوطاسى ١١٨
عمر بن يحيى الوطاسى ١٦٣
عياض القاضى ١٦٥
عيسى بن الحسن المصباحى ١١١

حرف [غ]

غازى بن أبى عبد الله محمد بن غازى ١١٣
غرسية بن انطول ٣٨ - ٤٢
غزوان ١٤٤
غمارة ٧١

حرف [ف]

فارح بن مهدى العلج ٨١ - ٨٧ ٨٩ - ٩٠
فارس بن عبد العزيز بن محمد ٥٥
فتح الله السدراتى ٣٨
فرناندو ٩٥
الفرنج ١٠٨ - ١٠٩ - ١٢٠ - ١٣٩ - ١٤٢ - ١٦٣
فرقاجة ٣٠
فضة - أم السلطان أبى زيان المرينى ٤٤

حرف [ق]

القاسم بن أبى مدين ٥٩ - ٧٣
القادر العباسى ١٣١
القادرية ١٦٤
قبائل الحوز ١٥٣
قبائل العرب ١٥٣
قبائل السوس ١٣٩
قبائل صناكة ٥٤
القبائل الهبطية ٩٩ - ١١٤
القصبة بشفشاون ١٢١
القعقاع بن شور ١٣٢
قمر - أم السلطان أبى سالم ٧
القهردور ٦

قيس بن عاصم ١٣٣
قيصر ٩٢

حرف [ك]

كعب بن مامة ١٣٢
كلنب ١٠٧ - ١٠٨

حرف [ل]

لويز ماريا ١٣٦

حرف [م]

مبارك بن ابراهيم بن عطية ١٣ - ٤٤ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٦
محمد بن أبى زكرياء يحيى بن أبى الحسن بن أبى دلامة ٩٥
محمد بن أبى ثابت ١٦١
محمد بن الاحمر - الغنى بالله - ٨ ١٢ - ١٧ - ٣٢ - ٥٨ - ٦١ ٨٨
محمد بن أحمد الابكم ٧٣
محمد بن أحمد بن أبى سالم ٧١
محمد بن الزرقاء ٣٨
محمد بن عبد الحليم بن أبى على بن أبى سعيد ٧٤
محمد بن عثمان بن أبى تاشفين ٣٣
محمد بن عثمان بن الكاس المجدولى ٦٢ - ٦٣ - ٦٩ - ٧٠
محمد بن عريف ٥٧
محمد بن على بن يوسف الوطاسى ٩٧
محمد بن الغنى بالله ابن الاحمر ٨١
محمد بن محمد بن أبى عمرو التميمى ٧٥
محمد بن موسى بن محمود الكردى ٧٨
محمد بن يوسف ابن الاحمر ٨٢
محمد بن يوسف بن علال الصنهاجى ٧٦ - ٧٨
المرابط ٩١
مريم ٥٢
مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى ٣ ٥ - ٨ - ٣٨ - ٤١ - ٥٠ - ٥١ - ٦١ - ٦٢ - ٦٨ - ٦٩ ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤
مسعود بن الناصر ١٤٧ - ١٤٨
المعتصم بن أبى عنان المرينى ٣
المعتمد بن عباد ٣ - ١٩
مغراوة ٣٤
منسا زاطة ٣٥
منسا سليمان ٣٤ - ٣٥
منسا موسى ٣٤
المنصور ٢٠
المنصور بن أبى عبد الله ٩١
المنصور بن أبى غانم ١٦٣

منصور بن أحمد بن محمد التميمى ٧٣
منصور بن زيان الوطاسى ١١٧
منصور بن سليمان ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨
منقر ١٣٣
منويل ١٣٦ - ١٣٩ - ١٤٣
١٣٩ - ١٤٣
منويل بن باولو القشتلى ٨١ ٨٩ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ١٢٠ - ١٣٥ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٤ - ١٥٧
المهدى بن عبد الرحمن بن ماساى ٧٠
المهدى الشيعى ١٤٣
الموحدون ١٦
موسى ١٢٢
موسى بن أبى سعيد ٦٦
موسى بن أبى عنان ٦٨ - ٦٩ - ٧١ - ٧٢ - ٧٥
ميمونة - أم السلطان أبى عمر تاشفين
الموسوس - ٤١

حرف [ن]

الناصر بن أبى زكرياء ١٤٠ - ١٤٤
الناصر بن محمد الشيخ - الكديد - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨
النجليز ٩٨
نصر بن الغنى بالله ابن الاحمر ٨١

حرف [ه]

هرون اليهودى ٩٨ - ٩٩
هنتاتة ٣ - ١٨ - ٥٥

حرف [و]

الوطاسيون ٩٧ - ٩٨ - ١٣٥ - ١٥٣ - ١٥٧
ونزمار بن عريف السويدى ٦٨

حرف [ي]

الياسمين - أم السلطان أبى بكر بن أبى عنان المرينى ٣
يحيى بن أبى دلامة ٨٠
يحيى بن أبى زكرياء ١١٩
يحيى بن الحسن بن أبى دلامة التسولى ٧٨ - ٨٠
يحيى بن الصائغ اليهودى ٨١
يحيى بن عبد الرحمن ٤٢ - ٤٣
يحيى بن علال ٨١
يحيى بن علال بن آمصمود الهسكورى ٧٣ - ٨٠ - ٨١ - ٩٤
يحيى بن موسى ٧٢

يحيى بن ميمون ٥٤
يحيى الجوطى ١١٤
يعقوب بن أبى حدو ١٦
يعقوب بن حسان ٦٦
يعقوب بن عبد الحق ٦٦
يعقوب بن المنصور الموحدى ١٤٣
يعقوب التسولى ٩٧
يعيش بن عبد الرحمن بن ماسای ٧١
يعيش بن على بن أبى زيان ٦
يعيش بن على بن فارس اليابانى ٧٣
يغمراسن بن زيان ٦٦ - ١٦٣
يوحنا الثانى ١٠٧
يوسف بن أبى حمو ٧٦ - ٧٧ - ٨٠
يوسف بن تاشفين ١١٨
يوسف بن على بن غانم ٧٧
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ٢٩
اليونان ١٠٧

فهرس الاماكن

حرف [أ]

آزمور ٦٥ - ١١٠ - ١٣٥ - ١٣٩ - ١٤٢ - ١٤٣
آسفى ١٦ - ١٣٩ - ١٤١ ١٤٣ - ١٥٤
آصيلا ٩٨ - ١١٠ - ١١١ ١١٣ - ١١٦ - ١١٩ - ١٢٠ ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٤ - ١٥٢
آكادير ١١٠ - ١٣٩
آكرسيف ٣٣
آنفا - الدار البيضاء - ١٣ - ١١٠ ١١٦ - ١٤٤
آنكاد ٥
آنمای ١٥٠
أبو عقبة بوادى العبيد ١٥٤
أرض الاندلس ٥٨ - ٦٢ - ١٠٢ ١٢٠
أرض البروزى ١١١
أرض الجديدة ١١٠
أرض السودان ١١٠
أرض السوس ٦٦
أرض ماركان ١٠٧ - ١٠٨
أشبونة ٩٣ - ١٣٥ - ١٤٤
اشبيلية ٤٤
أغمات ١٩ - ٢٠
افريقية ٤ - ١٠٩
اندرش ١٠٥ - ١٠٦
الاندلس ٦ - ٧ - ٩ - ١٢ - ١٤ - ٢٠ - ٢١ - ٢٧ - ٢٨ ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٥١ - ٥٦ ٥٨ - ٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٣ ٧٥ - ٨١ - ٩١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٧ - ١٠٩ - ١٢٥ ١٣٥ - ١٦٢

حرف [ب]

باب الجيسة بفاس ٣٩ - ٩٦ - ١٢٤
باب الحمراء بفاس ١٠١
باب الخميس بمراكش ١٤٨
باب الشريعة ١٣٥
باب فاس بمراكش ١٤٨

باب الفتوح ٤٢ - ١٤٦
باب القليعة ١٤٦ - ١٤٧
باب المحروق ٣٣ - ٦٤ - ٩١
باب المعلقة ٨٣
بادس ٧
بجاية ٩١ - ١١٨ - ١٦٢
برج الذهب ٣٢ - ٣٥
برج الشيخ ١٣٦
بر العدوة ١٠٥
البريجة ١١٠ - ١٣٦ - ١٣٩
برشلونة ٤
البحر المحيط ١٠٧ - ١٠٨ ١١٠
بسيط أزغار ١١٦
البشرات ١٠٣ - ١٠٥
البطحاء ٦٨
بطوية ٦١ - ٦٣ - ٦٧
بلاد الاندلس ١٠٩
بلاد أولاد جلون ١٦٥
بلاد الحوز ١٥٣
بلاد الريف ٦٣ - ١١٨
بلاد زناتة ٥٧
بلاد السوس ١١٢ - ١٤٧ - ١٤٩
البلاد الشرقية ٧٨ - ١٦٣
بلاد طليق ١١١
بلاد الغرب ٥٧ - ١١٦ - ١٥٦ ١٦٣
بلاد غمارة ٨
بلاد قشتالة ١٢٤
البلاد المراكشية ١٧ - ٥٠
بلاد المشرق ١١٣ - ١٦٣
بلاد مغراوة ٦٨
بلاد المغرب ٢١ - ١٢١ - ١٢٤
بلاد المغرب الاقصى ١٦٠
بلاد ملوية ٣٣
بلاد الهبط ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٩ - ١٢٤ - ١٣٨ ١٤٠ - ١٤٤ - ١٤٩
بليفيق ١٠٦
البلد الجديد ٥
بونة ٩٠
بيجة الجزائر ١٠٦

حرف [ت]

تاجحمومت ٣
تاحناوت ١٤٥
تادلا ٣٢ - ٥٤ - ٧٦ - ١٥١ ١٥٣
تازا ٤٤ ٥٧ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٦ ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ١٤٦

تاصرورت ١٢٣ - ١٤٧
تالماغت ٤٩
تامسنا ١٥ - ٦٧ - ٩٦
تانسيفت ١١١
تاوريرت ٦٧
تطاويـن ٨٩ - ٩٠ - ١٠٦ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٥٤
تلمسان ٤ - ٥ - ٦ - ٣٣ - ٣٤ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٤ - ٧٦ - ١٠١ - ١٠٦ - ١٥١ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣
تونس ٧٠ - ٧٤ - ٩٠ - ٩١ - ١٠٦ - ١١٧ - ١٢٠ - ١٤٣ - ١٦٢
تيجاس ٨٩
تيط ١١٠ - ١٣٦

حرف [ث]

الثغور الهبطية ١١٣

حرف (ج)

جبال غمارة ٧ - ٧٠
جبال المصامدة ٥٠
جبال الكاى ٣
جبل بللنقة ١٠٦
جبل بنى جابر ٥٤
جبل درن ٥٠ - ٥٤
جبل الزعفران ٣٩
جبل زرهون ١٥١
جبل شلير ١٠٣
جبل الصفيحة ٧٠
جبل طارق ٥٨ - ٦٣ - ٩٣ - ٩٨ - ١٤٢
جبل العلم ٢١
جبل العرض بفاس ١١١
بطوية ٦١ - ٦٣ - ٦٧
جبل غمارة ٧٠
جبل الفتح ٧٢
جبل مغيلة ٧٢
جبل هنتاتة ٣ - ١٨
الجزائر ١٤٣ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٢
الجزائر الخالدات ١٠٨
جزيرة الاندلس ١٠٦ - ١٠٨ - ١١٠ - ١٢٤
جزيرة البسابس ١٦٥
الجزيرة الخضراء ٥٦
الجديدة ١٢٥ - ١٣٦ - ١٣٩
جنوة ١٠٧
جوطة ١١٤

حرف (ح)

حجر باديس ١٤٣
حصن تاجحمومت ٦٨
حصن تازروت ٦٨
حصن عامر ٦
حصن فونتى ١٣٩
حصن مرادة ٦٨
الحمراء ـحمراء غرناطة ـ ٨ ـ ٧٢
١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٢٤
حومة ايلان بمراكش ١٦٥
حومة البليدة بفاس ٩٩
حومة القصور بمراكش ١٤٤ ـ
١٦٦
حومة القلقليين بفاس ٩٩

حرف (خ)

خندق القصب ٣٩

حرف (د)

الدار البيضاء ١٤٤
دار الكومى ٩٩
دبدو ١٢٤ ـ ١٦٣
درب جنيارة ٩٩
درب السعود ١٤٦
درعة ١٥٧
الدعداعة ١١١
الدنيا الجديدة ١٠٨
ديار الاروبا ١٦٣
ديار الاندلس ١٧
الديار المغربية ١٦٣

حرف «ر»

الرباط ـرباط الفتح ـ ٢٠ ـ ١٠٦
١١٠
رباط آسفى ١١٠
رباط شالة ٢٥
رندة ٨٤
رومة ١٠٤ ـ ١٠٥
الركن ٦٩
رياض الغزلان ٣٩ ـ ٥١

حرف «ز»

زرهون ٩٤
زنقة الجيلة ٨٧

حرف «س»

سبتة ٤٤ ـ ٥٦ ـ ٥٨ ـ
٦٣ ـ ٦٩ ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ
٧٥ ـ ٨٣ ـ ٩٢ ـ ٩٤ ـ
٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٨ ـ ١٠٩ ـ ١١٠
١١١ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٣٨

١٤٠
سبو ٤٣
سجلماسة ٣ - ٤٣ - ٥١ - ٥٣
٦١ - ٦٢ - ٦٥ - ٧٤
سلا ١٣ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٤
٣٢ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٨
٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ١٠٦ - ١٠٩
١١٠ - ١١١
السودان ٩٢
السوس ٥٥ - ١٤٠ - ١٤٧
السوس الاقصى ١١٠
سيبوس ٩٠ - ٩١

حرف « ش »

شالة ٢١ - ٢٥ - ٣٠
الشاوية ٦٦ - ٦٧
الشام ١٠٧
شفشاون ١٢١
شلف ٦٨

حرف « ص »

الصحراء ٥ - ٢٦ - ٣٣ ٣٥ - ١١٩
صحراء السوس ٥٥
الصين ٩٢

حرف « ط »

الطالعة ٨٧
طرابلس ١٠١
طريف ٤١
طنجة ٤٥ - ٦١ - ٦٣ - ٧٣
٩٥ - ٩٦ - ٩٨ - ١١٠
١١١ ١١٣ - ١٣٨ - ١٤٠
١٤٢

حرف « ع »

العرائش ١١٠
العدوة ١٣ - ٧٢ - ١٠٤
عدوة الاندلس ١٤٤
عدوة القرويين ٨٧
عدوة وادى شفشاون ١٢١
عقبة المساجين ١٤٥
عين القوادس بفاس ١٠٠

حرف « غ »

غرناطة ٥٨ - ٦٣ - ٨٢ - ٩٣
١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٧
١٢٤ - ١٢٥

حرف « ف »

فاس ٣ - ٤ - ٨ - ٢١ - ٣٢

٣٤ - ٣٥ - ٤٣ - ٥١ - ٥٣
٥٤ - ٥٥ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١
٦٢ - ٦٥ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩
٧٢ - ٧٣ - ٧٨ - ٧٩ -
٨٤ - ٨٧ - ٩٠ - ٩١ -
٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٩
١٠٠ - ١٠١ - ١٠٥ - ١٠٦
١١١ - ١١٢ - ١١٥ - ١١٦
١١٩ - ١٢٠ - ١٢٤ - ١٢٥
١٣٥ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦
١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠
١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٦
١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٤
١٦٥
فاس الجديد ٥ - ٦ - ٣٧ - ٣٨
٤٢ - ٤٣ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٦
٨٧ - ٩٩ - ١١٧ - ١٢٠ -
١٢٤
فضالة ١١٦

حرف « ق »

قبة الخياطن ١٣٨
قرطبة ١٠٦
القرويين ٩٩ - ١١٣
قسنطينة ٨٣
القسطنطينية ١٠٧
قشتالة ٨ - ١٠٤ - ١١٦
القصبة بغرناطة ٩
القصبة بفاس ٣٧ - ٣٨ - ٥٢
١٤٥
قصبة مراكش ٥٣ - ٦٥ - ١١٩
قصر تازروت ٦٧ - ٦٨
القصر ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٦
القصر الكبير ١٩٥
قصر كتامة ٧١ - ١١٠ - ١٤٠
قصر المجاز ٩٦ - ١١٠ -
١١١
قصر ونزمار ٦٧
القلة بفاس ٩٦ - ١٠٠ - ١٢٤
قنطرة الرصيف ١٥٥

حرف « ك »

كدية العرائس ٦ - ٨ - ٣٨ -
٣٩ - ٤٣ - ٤٥

حرف « م »

مادرة ١٤١
مالقة ١٠٢
مخروط جوطة ١١٤
المدرسة العنانية ١١٦
مدرسة الوادى بفاس ١٤٤
مدريد ١١٦ - ١٢٤

المدينة البيضاء ـ فاس الجديد ٨ ـ ٦١
مرادة ٦٧
مراكش ٣ ـ ٤ ـ ٨ ـ ١٣ ـ ١٦ ـ ٢١ ـ ٢٥ ـ ٣٢ ـ ٣٥ ـ ٤٣ ـ ٥٠ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٦٢ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٧٣ ـ ٨٦ ـ ٩٥ ـ ١٠٠ ـ ١١١ ـ ١١٨ ـ ١٢٣ ـ ١٣٩ ـ ١٤٤ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٦١ ـ ١٦٥ ـ ١٦٦
مرتيل ١٢٤
مرج غرناطة ١٠٣
مرسى آكادير ١٣٩
مرسى الجزيرة الخضراء ٥٦
مرسى عساسة ٥١
مرسى سبة ٩٢
المرية ١٠٥
المعمورة ١٤٣
المغرب ٥ ـ ٦ ـ ٨ ـ ١٤ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٤٢ ـ ٤٩ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٧٠ ـ ٧٢ ـ ٧٤ ـ ٧٧ ـ ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨٣ ـ ٨٤ ـ ٨٥ ـ ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١١ ـ ١١٤ ـ ١١٥ ـ ١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢٤ ـ ١٣٦ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٥٦ ـ ١٦١ ـ ١٦٥
لمغرب الادنى ١٦٢ ـ ١٦٣
المغرب الاقصى ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٨١ ـ ٨٣ ـ ٩٢ ـ ١٠٦ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١٠ ـ ١٦٣
المغرب الاوسط ١٠٩ ـ ١٥١ ـ ١٥٩ ـ ١٦٢ ـ ١٦٣
مسجد السوق الكبير بفاس الجديد ٩٠
مسجد القرويين ١٢٤
مسراتة ١٠١
مسلمة ١٦١
مشرع أبى عقبة ١٥٣
المشرق ٧ ـ ٣١ ـ ٥١ ـ ٧٤ ـ ٨٤ ـ ٨٥ ـ ١٦٥
مصر ٧٧ ـ ١٠٧
مكناسة الزيتون ٢١ ـ ٦٧ ـ ٩٩ ـ ١٠١ ـ ١١٦ ـ ١٢٠ ـ ١٢٤ ـ ١٤٨ ـ ١٥١ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٦٦
الملاح ٤٢
مليلة ١٠٥ ـ ١٣٥

مملكة المغرب ١٢٩
المهدية ١١٠
ميناء المعمورة ١٤٣ - ١٤٤

حرف «ن»

نهر سبو ١١٤ - ١٦٥

حرف «و»

وادى آنس ٩ - ١٠٢ - ١٠٣
١٠٤
وادى درنة ١٥٦
وادى سبو ٦
وادى العبيد ١٥٣ - ١٥٤
وادى مرتيل ٧٩
وادى ملوية ٢٩
وادى ورغة ٣٩
وادى اللبن ١٤٦
وجدة ٦
وطاط ٣٣
وهران ١٠٦ - ١٤٣ - ١٦٢

AHMED AN-NACIRI

AL-ISTIQÇA

TOME IV

DAR EL KITAB
PLACE DE LA MOSQUÉE * B. P. 4018 Derb SIDNA
CASABLANCA (Maroc)

Dépositaires :

ÉDITIONS LAROSE
11, RUE VICTOR COUSIN
PARIS (Ve)

LIBRAIRIE D'AMÉRIQUE & D'ORIENT
11, RUE SAINT-SULPICE
PARIS (VIe)

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY